جامعة الأزهر

حولية كلية اللغة العربية بالقاهرة

يحررها نخبة من أساتذة الكلية

العدد ٢٢

يشرف على تحريرها

أ. د. علي البدري
عميد الكلية ورئيس قسم البلاغة والنقد

أ. د. عزيز نافع
وكيل الكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ؛ سيدنا محمد أفضل من نطق بالعربية ، بل هو أفصح العرب لهجة ، وأبلغهم حجة ، وأعذبهم كلماً ، وأغزرهم حكماً ، وأوجزهم عبارة ، وأعلمهم بلغات العرب ، والذى شرفه الله بجوامع الكلم ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد ... ،

فقد نزل القرآن الكريم بلغة الضاد (اللغة العربية) والتى حكم المولى عز وجل بخلودها على مرّ الدهور والأعوام ، وحفظها من الانقراض والفناء ، فهى لغة خالدة خلود القرآن الكريم ، وهى لغة باقية ما بقيت السماوات والأرض ، ولما كان القرآن الكريم – وهو كلام رب العالمين – نثراً فنياً فى أعلى درجات البلاغة والفصاحة والإعجاز ، تحدى به العرب قاطبة على الرغم من فصاحتهم وبلاغتهم ، وقد سمعه البلغاء فسجدوا لبلاغته ، والفصحاء فأذعنوا لفصاحته ، وهو حبل الله المتين ومنهاجه القويم ، تخشع له القلوب ، ويأخذ اللبّ والجنان ، ويستولى على الفؤاد ، وتسجد لجلاله وروعته وهيبته النفوس المستعصية ، وتخرّ أمامه الجباة المتأبية ، أنشأ أمة من العدم ، وجعل لها بين الخافقين صولة وجولة ، فعاشت به منيعة الجانب نافذة الكلمة قوية السلطان .

وقد أحدث القرآن الكريم فى لغة العرب علوما شتى منها علم التفسير والفقه والتوحيد ، وعلم اللغة والنحو والصرف والمعانى والبيان

والبديع والأدب ، وغيرها من العلوم الدينية والعربية والتاريخية ؛ التي صارت أساساً للحضارة الإسلامية الزاهرة . ويكفي شرفاً للغة العربية أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول في شأنها : "أحب العربية لثلاث : لأني عربيّ والقرآن عربيّ ولسان أهل الجنة في الجنة عربيّ" وكلية اللغة العربية بأسيوط ، وهي إحدى قلاع جامعة الأزهر الشريف ، تخدم هذه العلوم العربية بالدرس والبحث والتحصيل ، وتؤدي دورها الفعّال في إرساء دعائم اللغة العربية ، والعمل على النهوض بها ، وتحرص على الحفاظ عليها من كيد الكائدين وعبث العابثين .

ولغتنا العربية تتميز باللآلئ والفوائد والكنوز والدرر من جواهر العلم والمعرفة في الأدب والشعر واللغة والبيان ، ولله در شاعر النيل حافظ إبراهيم يتحدث بلسان اللغة العربية فيقول :

وسعتُ كتاب الله لفظاً وغايةً ... وما ضقتُ عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات ؟
أنا البحرُ في أحشائه الدّر كامنٌ ... فهل ساءلوا الغوّاص عن صدفاتي ؟

وها هي حولية كلية اللغة العربية بأسيوط ترفل في ثوبها القشيب ، وتختال في أبهى الحلل وأجمل الثياب ، وتحتوي على بحوث قيمة في الأدب والنقد والبلاغة واللغويات وأصول اللغة ، وهي بحوث علمية محكّمة حازت رضى محكّميها من اللجان العلمية المتخصصة ، وتسهم في إثراء المكتبة العربية في مختلف أفرع اللغة العربية .

وأحب أن أقول في النهاية : إن باب العلم واسع ، وبحره زاخر ، وهو حياة النفوس وغذاء الأرواح ، ونور الأبصار والعقول ، وهو سبب الهداية والسعادة في الدنيا والآخرة ، وحسب العلماء العاملين ثواباً عند

المولى عز وجل : (إن مداد العلماء يوزن بدماء الشهداء) ، وحسبهم قول الحق سبحانه وتعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ، وقول الرسول الأكرم – صلى الله عليه وسلم (مَنْ سلك طريقا يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة) ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أ.د/ علي محمد طلب
عميد كلية اللغة العربية بأسيوط

دراسة نقدية
فى نص شعرى للشَّنْفَرَى الأزدى

للأستاذ الدكتور

على محمد طلب

أستـــاذ الأدب والنقــد

وعميد كلية اللغة العربيـة بأسيوط

دراسة نقدية
فى نص شعرى للشَّنْفَرَى الأزدى

للأستاذ الدكتور
على محمد طلب
أستـــاد الأدب والنقــد
وعميد كلية اللغة العربية بأسيوط

التعريف بالشاعر وشعره(١):

هو الشّنفرى من بنى الأواس بن الحجْر بن الهنء بن الأزد ابن الغوث ، ونشأ فى منطقة السراة ، وهى منطقة جبلية بين مكة والمدينة ، والشّنفرى اسمه ، وقيل لقب له ومعناه عظيم الشفة ، وهو ابن أخت (تابط شرا) ، وكان أحد العدائين الثلاثة: هو وتأبط شرا وعمرو بن براق ، وكان أحدهم يعدو مسرعا ،

---

(١) انظر فى التعريف بالشاعر : الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ٢١/١٦٢ وما بعدها ، والمفضليات للمفضل الضبى تحقيق الأستاذين / أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، ص ١٠٨ ط دار المعارف بالقاهرة ، ومهذب الأغانى للشيخ محمد الخضرى ١/٩٥ وما بعدها ط مصر بالقاهرة ، والشنفرى الصعلوك للدكتور / عبد الحليم حفنى ، ص ١٠ وما بعدها ط الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٩م ، وشعر الصعاليك للدكتور / عبد الحليم حفنى ، ص ١١٤ وما بعدها ط الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٧٤م ، وتاريخ الأدب العربى [illegible] ، [illegible] ١/١٠٠ وما بعدها ط دار المعارف بالقاهرة ، ومقالات [illegible] الأدب [illegible] الجاهلية للدكتور / [illegible] ، ص ٨٠ وما بعدها [illegible]

فتنطلق وراءه الخيل فلا تلحق به ، وضرب المثل به في العدو فقيل : (أعدى من الشّنفرى) ، وأُخذ الشّنفرى أسيرا في بني سلامان بن مفرج وهو غلام صغير ، فنشأ فيهم ، وذلك أن قبيلته بني الأواس بن الحجْر من الأزد دخلت في قتال مع بني شبانة بن فهم فقُتل أبوه وأُسر الشّنفرى ، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان رجلاً من بني شبانه بن فهم ، ففدته بنو شبانة بالشّنفرى ، وكان في بني سلامان لا تحسبه إلا واحدا منهم ، وعلى ذلك فقد نشأ الشّنفرى في حجر الرجل السلامانى ، وهو يعتقد أنه أبوه ، وكان للسلامانى ابنة تسمى (قعسوس) تعرف حقيقة الشّنفرى ولا تنكر عليه حينما يناديها بأخته ، لأن أباها كان يوصيها خيرا به ، لما يلحظه عليه من أمارات الرجولة المبكرة ، والفتوة والبطولة منذ فجر الشباب ، إلى أن كان يوم خرج فيه (أبو قعسوس) بعيدا عن الديار ، تاركا إياهما في المرعى ، فطلب الشّنفرى منها أن تغسل له رأسه ، فعدّت ذلك إهانة لا تغتفر ، ولطمته على وجهه ، وأغلظت له في القول ، وعيرته برقّه وعبوديته لأبيها ، فثارت ثائرة الشنفرى ، وأصرّ على أن يفاتح أباها في شأن نسبه ، وعرف من أبيها أنه ينتمي إلى بني الأواس بن الحجْر ، فقال الشّنفرى يفتخر بقومه ويستجمع مشاعر السيادة والعزة التي تمتلئ بها نفسه :

ألا ليت شعرى والأمانى ضلة ... بما ضربت كفّ الفتاة هجينها

وقد علمت قعسوس أنساب والـدى ووالدهـا ظلـت تقـاصر دونهـا
أنا ابن خيار الحجْر بيتا ومنصبـا وأمي ابنة الأحرار لـو تعرفينهـا

ولكن أبا قعسوس كان داهيـة أريبـا فـأخذ يـهدئ مـن ثـائرة الشّنفرى ويستل سهام غضبه ويـروّح عنـه قـائلا : لا عليـك يـا بنى ، فقد كنت أريد أن أزوجها لك ، قـال الشّـنفرى وقـد سـكنت أضغانه وهدأت ثائرته في لهفة : وما يمنعـك إذن ؟ قـال : أخشـى أن يقتلنى قومى ، قال الشّـنفرى : والله لئـن قتلـوك لأقتلـن مائـة رجل فـى دمـك ، فأطمـأن الرجـل وعـرف أن بجانبـه أسـدا هصورا، وبطلا قوى المراس ، وزوجّه (قعسوس) فمـا كـان مـن بنى سلامان إلا أن استقبحوا أن يصـهر إليـهم دخيـل كالشّـنفرى ، وبعد زواجه من (قعسوس) قتلوا أباها فعلا ، فـأخذ الشّـنفرى يغـدّ نفسه ليبر بقسمه ، ويصنع النبال لذلـك ، وظلـت (قعسـوس) تلـحّ عليه فى الوفاء بقسمه بأن يقتـل مائـة رجـل فـى أبيـها ، وبعـد رحيل الشنفرى عن بنى سلامان كـوّن جماعـة مـن الصعـاليك ، وجعلوا قصـارى همـهم السـلب والإغـارة علـى بنـى سـلامان والاحتماء منهم فى فجاج الجبـال وكهوفهـا[1] .

وظلّ الشنفرى يقتل منهم ، إلى أن وصـل عـدد القتلـى تسـعة

---

[1] انظر : باقات من رياض الأدب العربى فى الجاهلية ، صـ ٨٦ وما بعدها ، وانظر : الشـنفرى الصعلوك ، صـ ١٢ وما بعدها .

وتسعين رجلا ، وكان ممن قتل منهم رجل يسمى (حرام بن جابر) قتله بمنى ، وهو قاتل أبيه،وذكر الشّنفرى المكان الذى قتل فيه ، وأشار إلى أخذه بثأره جزاء وفاقا ، وذلك فى التائية المشهورة ، التى ذكرها صاحب المفضليات ، حيث يقول :

قتلنا قتيلا مهديا بملبد جمار منى وسْط الحجيج المصوّت
جزينا سلامان بن مفرج قرضها بما قدمت أيديهم وأزلت[1]

وفى الحقيقة أن هذه الرواية قد بالغت فى ثأر الشّنفرى لأبى (قعسوس) وأن هذا الأمر لا يصدقه عقل ، ولا يقبله منطق.

ويشير الدكتور / عبد الحليم حفنى فى كتابه عن (الشّنفرى الصعلوك) إلى نهاية الشّنفرى ، فيذكر أنه لما حانت منية الشّنفرى قُدر لأعدائه أن يظفروا به ، فقد ترصد له ثلاثة من أعدائه ذات ليلة هم : خازم اللخمى ، وأسيد بن جابر السلامانى، وابن أخ له لم تسمه الروايات التى روت حادث

---

[1] انظر : المفضليات للمفضل الضبى ، صـ ١٠٨ ، وما بعدها (مهديا : محرما ساق الهدى. بملبد: بمحرم لبد رأسه أى جعل فى رأسه شيئا من الصمغ ليتلبد شعره ، جمار منى : أى عند الجمار ، المصوّت : الملبى ، سلامان بن مفرج : هم الذين أسروه فداء ، ومنهم حرام بن جابر قاتل أبيه . أزلت : قدمتْ) .

مصرع الشّنفرى ، فمر عليهم الشّنفرى فأحس بهم ، وكان لا يحسّ خطرا ولا يرى سوادا إلا رمى بالنبل صوبه ، فأصاب ذراع ابن أخي أسيد إلى عضده ، فلم يتأوه ، واستمر في سيره حتى أصبح على رأس الرصد ، وكانوا منبطحين على الأرض، فلما دنا منهم طلب أسيد من خازم أن يسلل سيفه ، ولكن الشّنفرى كان إلى سيفه أسرع ، فأهوى به إلى خازم ، ولكنه لم يصب منه غير أصبعين من يده ، وما لبثوا إلا وقد أطبقوا عليه ولكن الشّنفرى استطاع أن يصرع اثنين منهم تحته وهما : خازم وابن أخي أسيد ، وجاء أسيد فنزع سلاح الشّنفرى منه ، وحين استطاع أسيد أن يجرده من سلاحه أصبح في قبضتهم ، ولكنه لم يستسلم ، وحاول أن يتخلص منهم ، وما لبثوا أن قبضوا على الشّنفرى ، ونقلوه إلى قومهم ، وأرادوا أن يشفوا نفوسهم المتأججة بالنقمة عليه ، فبدأوا بتعذيبه نفسيا وجسديا ، فقالوا له : أنشدنا ، فقال : (إنما النشيد على المسرّة) فذهبت مثلا ، ثم ضربوا يده فأصيبت ، ولم تتفصل عنه ، ثم رماه أحدهم في عينه ، ثم قالوا : أين نقبرك ؟ فإذا هو يستنكر أن يقبروه ، وهو يعلم إنهم لابد أن يجتزوا رأسه ويفصلوها عن جسده ، لتكون راحة لنفوسهم وشفاء لقلوبهم ، فيقول لهم فيما

يشبه السخرية العميقة : إن ما يبقى بعد رأسه ليس له شأن ولا يستحق الاهتمام به[١]

وذلك في قوله[٢] :

لا تقبروني إنّ قبري محرم ... عليكم ولكن أبشري أم عامر
إذا حملوا رأسي وفي الرأس أكثري ... وغودر عند الملتقى ثَمّ سائرى
هنالك لا أرجو حياة تسرني ... سمير الليالى مُبْسلا بالجرائر[٣]

ثم أجهزوا عليه فقتلوه ...

إلا أنه من العجب العجاب أن يذكر أبو الفرج الأصفهانى في هذه الراوية والتى مؤداها أنه أقسم ليقتلن مائة رجل ، وأنه قتل قبل موته تسعة وتسعين رجلا ، وأصرّ فى راويته العجيبة أن تكون جمجمة الشنفرى سببا فى قتل أحد رجال بنى سلامان، وبذلك تمت المائة التى أقسم عليها حيث يقول : "فقتلوه وصلبوه ، فلبث عاما أو عامين مصلوبا ، وعليه من نذره رجل، فدخل رجل منهم كان غائبا فمرّ به ، وقد سقط فركض رأسه برجله ، فدخل فيه عظم من رأسه فعلّت عليه فمات منها ، فكان ذلك

---

(١) انظر : الشنفرى الصعلوك للدكتور / عبد الحليم حفنى ، صـ ٧٣ ، وما بعدها .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبه ١/٨٠ ، طبعة دار المعارف بالقاهرة .

(٣) أم عامر : كنية الضبع وهى من آكلى الجيف ، الملتقى : مكان الموت ، سمير الليالى : طوال الليل ، مُبْسلا بالجرائر : يعنى مرهونا بالجرائم .

الرجل تمام المائـــة[١]» .

وكان الشّنفرى من الشعراء الصعـــاليك المجيديـــن ، بـــل كـــان أبرز الصعاليك فـــى شـــاعريته وجـــودة شـــعره ، ومعظـــم شـــعره سجّل فيها حياته فـــى الصعلكـــة ومـــا عانـــاه فيـــها مـــن متـــاعب ومصاعب ، كما سجّل فيها صراعه فى الحياة وقتلـــه قـــاتل أبيـــه ، فشعره صورة من حياته القلقة غير المستقرة ، وقـــد أشـــار العينـــى فى كتابه (شرح الشواهد الكبرى) أن للشّنفرى ديوانـــا ، ولكـــن لـــم يبق إلى عصرنا هذا منـــه إلا القليـــل ، ويكفيـــه فخـــرا أن لاميتـــه المشهورة (بلامية العرب) تعدّ مـــن عيـــون الشـــعر الجـــاهلى وقـــد أكبّ عليها النقاد والأدباء والعلماء فقاموا بشرحها ، لمـــا فيـــها مـــن معان قيمة ثمينة ، وألفاظ جزلة رصينـــة ، وتصويـــر رائـــع ، فقـــد شرحها المبرد ، وكان أول من شرح لاميـــة العـــرب ، ثـــم شـــرحها أبو بكر بن دريد ، ثم شرحها بعده أبـــو علـــى القـــالى ، ثـــم شـــرح بعض أبيات اللامية أبو هلال العسكرى ، ثم شـــرح بعـــض أبيـــات لامية العرب أبو العلاء المعـــرى ، ثـــم قـــام الزمخشـــرى بشـــرح لامية العرب فى كتابه المطبوع (أعجب العجـــب فـــى شـــرح لاميـــة العرب) ، ثم شرح اللامية بعده عبـــد الله بـــن الحســـين العكـــبرى ،

---

[١] الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ١٦٤/٢١ .

ثم أعجب ياقوت الحموى فقام بشرح بعض أبيـــات لاميـــة العـــرب، ويذكر (بروكلمان) بعض العلماء الذين قاموا بشـــرح لاميـــة العـــرب للشّنفرى غير هؤلاء الأعلام ، فذكـــر منـــهم : شـــرح محمـــد بـــن القاسم بن زكور المغربى ، ويوجـــد مخطـــوط لـــهذا الشـــرح فـــى (برلين) وفـــى مكتبـــة الدحـــداح ، وشـــرح عطـــاء الله بـــن أحمـــد المصرى ، ويوجد منه مخطوط فى القـــاهرة ، وشـــرح يحيـــى بـــن عبد الحميد الحلبـــى ويوجـــد منـــه مخطـــوط فـــى (الأســـكوريال) ، وشرح ثعلب ، وتوجد مخطوطـــــة لـــه فـــى (الفاتيكـــان) ، وشـــرح التبريزى ويوجد منه مخطوط فـــى (برنســـتون) وغـــير ذلـــك مـــن الشـــروح .

وهذا يدل على اهتمام العلماء والأدبـــاء والنقـــاد بلاميـــة العـــرب للشّـــنفرى الأزدى ، ويـــدل علـــى قيمـــة هـــذه اللاميـــة ، وعلـــى صياغتها ، وعلى مـــا فيـــها مـــن تصويـــر بديـــع ، حـــاز الرضـــا والإعجاب لدى سائر النقاد والأدبـــــاء .

ويذكر (بروكلمان) أنـــه قـــد تـــم طبـــع ديـــوان الشّـــنفرى فـــى (الطرائف الأدبيـــة[1]) .

---

(١) انظر : تاريخ الأدب العربى لبروكلمان [illegible] وما بعدها ، وانظر : الشـــنفرى الصعلـــوك ، صـــ [illegible] وما بعدها .

جــو النـــص :

لقد كان منهج الشّنفرى فى حياته مقاومة الصعاب مهما اشتدت ، وشعره خير دليل على حياته القلقة غير المستقرة . وقد سجّل الشّنفرى كل جوانب معاناته وكل خلجات نفسه . كما سجّل صراعه فى الحياة ، وكل ما صوره من قيم ومثل عليا فى قصيدته (لامية العرب) ، وتحدث عن الوحوش فى الصحراء ، وعن الحر والبرد ، وعن النمل والطير ، وعن الجوع والفقر ، وعن الصبر والألم ، وعن أشياء كثيرة ، لا ارتباط بينها لذاتها ، فإذا هو يجعلها شديدة الارتباط ، وكأنها موضوع واحد ، وهو ما يميز شعر الصعاليك ، فكان شعره أشبه (بالمذكرات الشخصية) ، ولقد استطاعت شاعريته الفذّة أن تجعل منها معرضا ضخما متنوعا من اللوحات الأدبية البالغة الروعة والإبداع ، ولا يبدو من حديثه حتى وإن ساق الشعر فخرا ، أنه يقصد الفخر لذاته ، وإنما يسوق آلاما يراها الناس فخرا ، ويتحدث عن حياة لم يألفها الناس ، فيرى الناس فى ذلك موضعا للفخر وما يشبه الفخر ، وكل ذلك جعل المجتمع الجاهلى يزيد للصعاليك إكبارا وإعجابا واهتماما ، فهو فى شعره يعبر عن الأنفة وإباء الضيم والنفور من الذل ، ويصور الخلق الإجتماعى ، وما انفرد به من وصف عفة المرآة وغضّها من بصرها وصونها والحفاظ عليها ، وكل هذه

الأخلاق إنما يحبها العربى ويحرص عليها .

إذن فموضوع القصيدة نوع من (السيرة الذاتية) أو (المذكرات الشخصية) وقد سجّل فيها الشاعر حياته فى الصعلكة ، وما عاناه فيها من مصاعب ومتاعب لا حصر لها[1]، وفيها الأنفة والإباء والحفاظ على الكرامة والبعد عن الدنايا ، وإكبار النفس ووضعها فى مكانها الصحيح .

النص :

يقول الشّنفرى من قصيدة (لامية العرب) مفتخرا بإعتزازه بنفسه ومصورا معاناته فى حياته :

١- أقيموا بنى أمى صدور مطيكم ... فإنى إلى قوم سواكم لأميل
٢- فقد حُمت الحاجات والليل مقمر ... وشُدت لطيات مطايا وأرحل
٣- وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى ... وفيها لمن خاف القِلى متعزل
٤- لعمرك ما فى الأرض ضيق على إمرئ ... سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل
٥- ولى دونكم أهلون سِيدٌ عملس ... وأرقط زهلول وعرفاء جيأل
٦- وإن مُدت الأيدى إلى الزاد لم أكن ... بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل
٧- وما ذاك إلا بسطة عن تفضل ... عليهم وكان الأفضل المتفضل
٨- ولست بمهياف يعشّى سوامه ... مجدعة سقبانها وهى بهّل
٩- أديم مطال الجوع حتى أميته ... وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل
١٠- واستف ترب الأرض كيلا يرى له ... علىّ من الطوْل أمرؤ متطول
١١- ولولا اجتناب الذأم لم يلف مشرب ... يُعاش به إلا لدىّ ومأكل
١٢- ولكن نفسا مُرة لا تقيم بى ... على الذأم إلا ريثما أتحول
١٣وأطوى على الخمص الحوايا كما أنطوت ... خيوطة مارى تغار وتفتل

---

[1] انظر : الشنفرى الصعلوك (حياته ولاميته) ، صـ ٣٩ وما بعدها .

١٤. وأغدو على القوت الزهيد كما غدا — أزلّ تهاداه التنائف أطحل
١٥. وتشرب أسآري القطا الكدر بعدما — سرت قربا أحناؤها تتصلصل
١٦. هممتُ وهمتْ وابتدرنا وأسدلت — وشمر منى فارط متمهل
١٧. فوليت عنها وهى تكبو لعقره — يباشره منها ذقون وحوصل
١٨. وآلف وجه الأرض عند افتراشها — بأهدأ تنبيه سناسن قحّل
١٩. وأعدل منحوضاص كأن فصوصه — كعاب دحاها لاعب فهى مُثّل
٢٠. فإن تبتئس بالشّنفرى أم قسطل — لما اغتبطت بالشّنفرى قبل أطول
٢١. طريد جنايات تياسرن لحمه — عقيرته لأيها حُمّ أول
٢٢. تنام إذا ما نام يقظى عيونها — حثاثا إلى مكروهه تتغلغل
٢٣. وإلف هموم ما تزال تعوده — عيادا كحمى الربع أو هى أثقل
٢٤. فإما تريني كابنة الرمل ضاحيا — على رقة أحفى ولا أتنعل
٢٥. فإنى لمولى الصبر أجتاب بزه — على مثل قلب السّمع والحزم أنعل
٢٦. وأعدم أحيانا وأغنى وإنما — ينال الغنى ذو البُعدة المتبذل
٢٧. فلا جزع من خلة متكشف — ولا مرح تحت الغنى أتخيل
٢٨. وليلة نحس يصطلى القوس ربها — وأقطعه اللاتى بها يتنبل
٢٩. فأيمت نسوانا وأيتمت إلدة — وعدت كما أبدأت والليل أليل[1]

شرح المفردات :

١ ــ **المطىّ** : المطايا ويقصد بها الإبل ، **وإقامة صدورها** : كناية عن الإستعداد للرحيل .

٢ ــ **حُمت** : بالبناء للمجهول : تهيأت ، **مقمر** : مضئ بالقمر ، **طيات** : حاجات مطلوبة فى النفس مخبأة ، **أرحل** : جمع رحل ، وهو ما يوضع فيه المتاع فوق الراحلة .

---

[1] أعجب العجب فى شرح لامية العرب للإمام الزمخشرى ، صـ ٦ ، وما بعدها ، ط١ ، طبعة الجوائب بالقسطنطينية ١٣٠٠ هـ .

٣ ـ **المنأى** : مكان النأى وهو البعد ، **الكريم** : ذو الكرامة والخلق الأصيل ، **الأذى** : يعنى الذل والهوان ، **القِلى** : الترك والنبذ عن بغض وكراهية ، **المتعزل** : بصيغة اسم المفعول مكان العزلة .

٤ ـ **لعمرك** : أسلوب قسم يحلف به ، **السُّرى** : السير فى الليل خاصة ، **راهبا** : من الرهبة وهى الخوف .

٥ ـ **السِّيد** : بكسر السين المشددة : الذئب وقد يسمى به الأسد، **العملس** : بفتح العين والميم واللام المشددة : القوى السريع، **الأرقط** : النمر ، **الزهلول** : الأملس ، **العرفاء** : طويلة العنق ، **الجيأل** : بفتح الجيم وسكون الياء : الضبع وأصله جيأل عرفاء ، فقدمت الصفة على الموصوف .

٦ ـ **الجشع** : النهم وشدة الحرص والإستزادة .

٧ ـ **البسطة** : السعة ، **والتفضل** : إسداء الفضل إلى الغير .

٨ ـ **المهياف** : الشخص التافه الذى لا يحسن تدبير شئ ، **السوام** : الماشية التى ترعى ، **مجدعة** : سيئة الغذاء ، **السقبان** : جمع سقب وهو الذكر الصغير من ولد الناقة ، **بُهَّل** : بفتح الهاء المشددة جمع باهل وهى الناقة بدون راع يرعاها .

٩ ـ **أديم** : من المدوامة والاستمرار ، **المطال** : من المماطلة ، ضرب عن الشئ ، **صفحا** : أعرض عنه ، **الذهول عن الشئ** : تركه ونسيانه .

١٠ ـ **استف الشئ** : تناوله يابسا غير معجون ، **الطَّوْل** : بفتح الطاء ، **المنّ** : المتطول بصيغة اسم المفعول : النعمة التى يمن بها صاحبها على المنعم عليه .

١١ ـ **الذأم والذام** : بمعنى واحد وهو العيب ، **ألفاه** : وجده .

١٢ ـ **مُرة** : أبية صعبة ، **الذأم** : العيب الذى يذم به ، **الريث** : الوقت اليسير .

١٣ ـ **الخمص** : بفتح الخاء وهو الجوع ، **المخمصة** : المجاعة، **الحوايا** : جمع حوية وهى الأمعاء ، **الخيوطة** : الخيوط ، **مارى** : قيل اسم لرجل مشهور بصناعة الحبال وفتلها ، **تُغار** : يحكم فتلها .

١٤ ـ **القوت** : الطعام اليسير الذى يقتات به ، **الزهيد** : القليل ، **أذلّ** : صفة للذئب القليل اللحم فى فخذيه وعجزه كناية عن جوعه ، **تهاداه** : تتناقله ، **التنائف** : جمع تنوفة وهى المفازة فى الصحراء ، يعنى أنه كلما خرج من مفازة دخل فى أخرى ، **أطحل** : لونه بين الغبرة والبياض .

١٥ ـ **الأسآر** : جمع سؤر وهو بقية الشراب ، **القطا** : نوع من الطير صغير الحجم ، **الكدر** : يعنى اللون بين السواد والبياض ، **السُّرى** : السير فى الليل ، **القَرَب** : بفتح القاف والراء : السير مسافة ليلة ، **الأحناء** : جمع حِنو بكسر الحاء : وهو الجانب ، **تتصلصل** : يصدر منها صوت معين نتيجة للعطش الشديد .

١٦ ـ **همت** : التاء فيها تعود على القطا ، يعنى استعد كل منّا للسباق إلى الماء ، **ابتدرنا** : يعنى سباق كل منّا الآخر ، **الإسدال** : إرخاء الثوب إلى الأرض ، والمراد : أرخت القطا أجنحتها ، وهذا يكون عندما يبلغ الطير أقصى سرعته فى الطيران ، **شمّر** : استعد للجد ، **الفارط** : المتقدم ، **متمهل** : يعدو على مهل يعنى أنه لم يستخدم كل سرعته فى العدْو ، ومع ذلك سبق القطا .

١٧ ـ **تكبو** : تسقط إلى أمام ومنه المثل المعروف (لكل جواد كبوة) ، **العقر** : بفتح العين وسكون القاف : مكان الساقى من الحوض ، والضمير فى يباشره للحوض ، والضمير فى (منها) للقطا ، **الذقن** : ما تحت حلقومها وحلوقها .

١٨ ـ **آلف** : من الإلف وهو التعود ، **الأهدأ** : يعنى ظهره ، **تنبيه** : ترفعه ، **السناسن** : بمعنى السلاسل ، والمراد

فقار الظهر وهى المعروفة بالعمود الفقـــرى ، **قحّـل** : جمـع قاحل وهو اليابس الجـاف .

١٩ ــ **أعدل** : أتوسد ، **المنحوض** : الـذى ذهـب لحمـه ، وفعلـه نُحض بالبناء للمجهول ، يعنى بـالمنحوض ذراعـه ، ويعنـى بالتوسد أنـه يتخـذ ذراعـه وسـادة ، **فصوصــه** : مفـاصل عظامه ، أى عظام ذراعـه ، **الكعـاب** : مـا بيـن الأنبوبيـن من القصب . ولكنه يعنى نوعا كانوا يلعبـون بـه ، **دحاهـا** : بسطها وسواها ، وهى الكعوب ، **مُثّل** : جمـع مـاثل وماثلـة : أى منتصبـة .

٢٠ ــ **تبتئس** : تحـزن مـن البـؤس ، **القسـطل** : الغبـار ، وأم قسطل كنية الحرب لأنها تثـير الغبـار ، **اغتطبـت** : فرحـت ، وابتئاس الحرب به معناه حرمانها منـه أى مـن مشـاركته فيها .

٢١ ــ **طريد** : أى مطرود يعنـى يطـارده أعـداؤه ، **الجنايـات** : جمع جناية وهـى التـى جناهـا بصفـة خاصـة ، **تياسـرن لحمه** : تقاسمن لحمه عن طريق سـهام الميسـر ، **عقيرتـه** : جثته وأصلها للناقة المعقورة أى المذبوحـة ، **حُـمّ** : نـزل ، ومنه حُمّ القضاء أى نزل ، والمراد نزول المـوت بـه .

٢٢ ــ **تنام** : يعنى الجنايات ، **نـام** : المـراد نفسـه ، **يقظـى** : أى

عيونها متيقظة ، **حثاثا** : ســـراعا ، **مكروهـــه** : يعنـــى موتـــه ، **تتغلغل** : تتوغل وتتعمـــق .

٢٣ ــ **الإلف** : بكسر الهمزة أى التعــود ، **تعــوده عيـــادا** : العيـــادة هى زيارة المريض ، **حمى الربـــع** : بكســـر الــــراء وســـكون الباء : نوع من الحمى يصيب صاحبه يومـــا ويتركـــه يوميـــن وهكذا ، وتسمى الحمى الراجعـــة أو المتقطعـــة .

٢٤ ــ **ابنة الرمل** : الحية الرقطاء ، **ضاحيـــا** : أى بـــارزا ، يقـــال ضحيت للشمس : تعرضت لها وهو المـــــراد ، **علـــى رقـــة** : يعنى رقة الحال وهى الفقر ، **أحفـــى** : أمشـــى حافيـــا بـــدون نعل.

٢٥ ــ **موالى الصبر** : صاحبه ومالكه الـــذى يتحكـــم فيـــه ، ويعنـــى بالصبر : الشجاعة وقوة الإرادة ، **أجنـــاب** : ألبـــس ، **الـــبزّ** : الفاخر من الثياب ، والضمير فى (بـــزه) للصـــبر ، **السّـــمع** : بكسر السين وسكون الميم : ولد الذئب مـــــن الضبـــع ، **أنعـــل** : اتخذه نعلا ، يعنى أنه يتحكم فـــى الحـــزم كأنـــه نعـــل فـــى قدميه .

٢٦ ــ **العَدَم** : بفتح العين والدال ، أو ضم العيـــن وســـكون الـــدال: الفقر ، **البُعدة** : بضم الباء وكسرها : اسم للبعـــد بمعنـــى بعـــد الهمة ، والمراد سعة الآمـــال وكـــثرة المطـــامع فـــى الســـعى

وراء المال ، **المتبذل** : الذى يبذل كرامتــــه ولا يصونـــها .

٢٧ ـ **الجزع** : عدم الصبر عند المكروه ، **الخلــة** : بفتــح الخــاء : الفقر والحاجة ، **المتكشـــف** : الــذى يظــهر فقــره وحاجتــه للناس ، **المرح** : المبالغة فى الرضا عن النفـــس إلـــى درجـــة الغرور ، **أتخيل** : مـــن الخيـــلاء وهـــى التكــبر والإعجـــاب الشديد بـــالنفس .

٢٨ ـ **وليلة** : مجرور بمحذوف على تقديـــر ورب ليلـــة ، **نحـس** : بـــرد شـــديد ، وفـــى القـــرآن الكريـــم (فـــى يـــوم نحـــس مستمر)[١] بمعنـــى شـــديد الـــبرودة ، **يصطلــى** : يســـتدفئ ، **ربـــها** : صاحبـــها، **يصطلــى القــوس** : المـــراد يحطمـــــها ليستدفئ بها ، **الأقطع** : جمـــع قِطـــع بكســـر القـــاف ، وهـــو نصل السهم ، **يتنبل** : يتخذ منها النبل ، للرمـــــى بالســـهام .

٢٩ ـ **الأيم** : مَنْ لا زوج لها من النســـــاء ، وكذلـــك مـــن الرجـــال مَنْ لا إمراة له ، **وأيمت المـــرأة** : جعلتـــها تفقـــد زوجـــها ، **أيتمت** : جعلتهم يتامى بفقد آبائـــهم ، **إلـــدة** : أولاد ، **أبـــدأت** : بدأت ، **أليـــل** : شديد الظـــلام[٢] .

---

[١] سورة القمر ، الآية ١٩ .

[٢] انظر : الشنفرى الصعلوك ، صــ ١١٦ ، وما بعدها ، وانظر :شعر الصعاليك للدكتور / عبد=

الأفكار التى يدور حولها النص

١ ــ الإسراع بالرحيل لأن فى الأرض متسعا للجميع .

٢ ــ إلتجاء الشّنفرى إلى عالم الوحوش .

٣ ــ تمسك الشاعر بالأخلاق الكريمة .

٤ ــ معاناة الشّنفرى فى حياة الصعلكة .

٥ ــ صعوبة الحياة مع الجوع والعطش والبرد والمطاردة والهموم .

٦ ــ تقلب الحال بالشاعر من الفقر إلى الغنى .

٧ــ من شيم الشاعر : الحزم والعزم والحفاظ على الكرامة.

المعنى العام :

لقد وضّح الشّنفرى خواطره وأحداث حياته منذ فكر فى الصعلكة ، ففى مطلع القصيدة (المسماة بلامية العرب) يبين أنه كره حياة الناس ، وأخذ يفكر فى الرحيل عنهم إلى مجتمع الوحوش الضارية فى الصحراء المقفرة ، وأنه صمم وعزم على ذلك ، وأنهم يتهمونه بالتسرع والانفعال ، فيقول لهم : إنى لم أصدر هذا عن إنفعال وقتى ، وإنما فكرت فيه على مهل ، وفى ضوء القمر لا فى صخب النهار ، وما قد ينتج عنه من ثورة وإنفعال ، ولا فى ظلام الليل وما قد ينشأ عنه من مخاوف

=الحليم حفنى ، ص ١٧٤ ، وما بعدها ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

وأوهام ، وكل كريم النفس يجد في الأرض الواسعة مكانا يبعده عن الذل والهوان ، بل يُقْسم بأن الأرض لا تضيق بأى إنسان يرحل فيها ، سواء أكانت له آمال يرغب فى تحقيقها أم كان خائفا يريد أن يبتعد عن مصدر خوفه ، ثم استطرد بعد ذلك يبين مَنْ هم هؤلاء الأهل الذين سيرحل إليهم ؟ إنهم الوحوش الضارية حيث يسكن ويأنس إلى الذئب والنمر والضبع وغيرها من الوحوش .

ثم تحدث عن أخلاقه وهو أنه قنوع عفّ ، وأنه حين يكون مع آخرين على الطعام ، فإنه يلتزم بالآداب الفاضلة ، وألا يتعجل فى مدّ يده إلى الطعام قبل غيره ، وينفى أن يكون تأخره فى مدّ يده إلى الطعام سببه أى شئ ، غير أنه يريد أن يكون صاحب فضل على الآكلين معه ، ويسوق فى هذا حكمة مؤداها أن الذى يتفضل على الناس يكون دائما أفضلهم .

ثميتحدث عن نفسه فيقول : لست من التافهين الذين يعود الواحد منهم بماشيته وأولادها جياع ، ولا من المهملين الذين يتركون ماشيتهم فى المرعى دون إشراف عليها أو توجيه لها .

ويتحدث عن معاناته الدائمة مع الجوع ، فمن شأن الصعلوك مقاومة الجوع ، فهو يصور الجوع فى صورة دائن يطالب بالوفاء بديْنه ، فأخذ الشاعر يماطله ، واستمر فى

المماطلة ، حتى ييئس الجوع وانصرف ، ولم يعد فكأنه مات ، ونرى العزيمة فى مغالبة الجوع ، فإذا غلبه الجوع واشتد ، فإنه يستف التراب سفًا ، فهذا أهون عنده من الالتجاء إلى أى إنسان ليعطيه الطعام ، ولولا حرصه على كرامته وعزة نفسه لوجد كل أنواع المتعة ، ومثله فى شاعريته وشجاعته يمكن أن يتنافس ذوو الشأن على إصطناعه وإستعباده بعطائهم وصلتهم ، وهو يعلم ذلك جيدا ، ولكنه ينفر منه ، ونراه يتحدث عن أمعائه فى خلوها من الطعام ، وتعودها الجوع والحرمان حتى يبست وصارت صلبة دقيقة يلتف بعضها حول بعض ، كأنها الحبال الشديدة الفتل ، ومن ثَمّ فالصعلوك لا يدخر طعاما لأنه لا يستطيع أن يستقر فى مكان واحد ، ولا يحمل معه طعاما يثقله، وهو لابد أن يكون مهيأ للهروب والتنقل دائما ، فهو مثل الوحش يبحث عن طعامة مرة فمرة ، أما عن الشرب فقد سبق القطا وشرب قبله ، وترك له سؤره ، وهذا يتضمن أنه أسرع من القطا ، على الرغم من أن القطا كان شديد العطش ، ولم يستخدم الشاعر كل سرعته ، ومع ذلك سبق القطا ، فهو يصف المباراة بينه وبين القطا ، ويصف تفوقه فى ذلك ، وبعد أن شرب رجع عن القطا وهى تنزل إلى صدر الحوض الذى فيه الماء ، وصدر الحوض يباشر ذقون القطا وحواصلها .

ويتحدث بعد ذلك عن معاناتـــه للنــوم لأن جســمه لا يســتريح ، ولا يستقر حتـــى يضعــه علــى الأرض ، وهــذا بســبب نحافتــه الشديدة ، فيصور لنا أنه حيـــن ينــام علــى ظــهره لا يســتقر ولا يستريح لأن فقار ظــهره (العمــود الفقــرى) بــارزة ، فــهى التــى تصل إلى الأرض ، وتجعل بقيـــة جســمه مرتفعــا لا يصــل إلـــى الأرض ، وحين يتعبه هذا الوضـــع ينقلــب علــى جنبــه ، فيضــع ذراعه كالوسادة تحت رأســـه ، فــإذا ذراعــه قطــع عظــم جافــة صلبه، لا يستطيع أن يستقر فى نومه فوقها ، وهـــو مطبــوع علـــى حب الصـــراع والمجازفــة والجــرأة ، فيســعده أن يــزاول هــذه الهواية فى الحروب ، ولكن عزلتـــه فـــى حيــاة الصعلكـــة تحرمــه من هذه المتعة ، فيشعر نتيجة لذلك بالـــهم والابتئــاس والاكتئــاب ، وبدلا من أن يقول : إننى مبتئـــس لحرمـــانى مـــن المشــاركة فـــى الحروب، يقول : إن الحرب هى التى تشـــعر بالابتئــاس لحرمانـــها منى .

ولا يترك الشعور بالمطاردة ، وهو بحكـــم عملــه فـــى الســلب والنهب والسطو والثارات التـــى عليــه ، فلابــد أن تكــون القبيلــة كلها معادية له أشدّ العداء ، متربصـــة بــه أشــد الــتربص ، فـــهو طريد جنايات يتنافسون على أيهم يناله ، ويتمكـــن منــه أولا عندمــا ينزل به الموت ، ومـــن متــاعب الشّــنفرى ومعاناتــه فـــى حيــاة

الصعلكة : العرى والحفاء ، فهو يتخيل إمرأة يخاطبها مشعرا إياها بقيمته الحقيقية ، طالبا منها ألا تغتر بمظهره السيئ من عريه وحفائه ، وما ذكره قبل ذلك من الجوع وغيره ، وكأنه يقول لها : إن الإنسان لا يقاس بمظهره ، ولكن بجوهرد ، فإذا كان مظهره سيئا هيّنا فهو يحمل ما يعتز به من الشجاعة وقوة الإرادة والحزم ، ومن معاناة الشاعر تقلب الأحوال المعيشية ، فهو أحيانا يكون غنيا ، ولكن فى أحيان أخرى يكون معدما ومع ذلك كله لا يتغير فهو ثابت الخُلق ، لا يتقلب مهما تقلبت أحواله، فإذا كان فى فقر فلا يجزع منه ، بل لا يطلع أحدا على فقره ، فيظل مستورا غير متكشف ، وكأنه لا يعانى فقرا ، وإذا كان فى غنى يظل أيضا ثابت الخُلق لا يتغير ، ولا يشعر بخيلاء أو غرور ، أو إعجاب بالنفس والغنى ، فأحواله تتغير ، ولكنه لا يتغير ، بل يظل كما هو ثابتا معتدلا .

ومن معاناة الشاعر فى مناخ الصحراء ، أنه لا يجد ما يتقى به البرد أو الحرّ فلا غطاء ولا فراش لمثله فى البرد ، ولا مقر أو مأوى يأوى إليه فى الحرّ ، بل ليس على جسمه ملبس يقيه قشعريرة البرد أو لسعة الحرّ ، ورب ليلة بلغت من شدة بردها أن يحطم صاحب القوس قوسه ، ونصال سهامة ليستدفئ بها ، حيث يشعل النار فيها ، ومعنى ذلك أنه يعرض نفسه لفتك

الأعداء به ، وعلى الرغم من ذلك البرد القارس القاتل ، وعلى الرغم من الظلام والمطر ، وعلى الرغم من الجوع والارتعاش، فقد نفذ غارة على أعدائه ، وقتل رجالا أصبحت زوجاتهم أرامل وأصبح أولادهم يتامى ، ورجع من الغارة فى جنح الليل المظلم[١]

دراسة وتحليل ونقد :

١ ـ صاحب هذا النص هو الشّنفرى الأزدى ، وهو أحد الصعاليك الشجعان الأقوياء الأشداء ، وكان أحد العدائين الثلاثة: هو وتأبط شرا وعمرو بن براق ، وكان أحدهم يعدو مسرعا فتنطلق وراءه الخيل فلا تلحق به ، ومن هنا ضُرب به المثل فى العدو فقيل (أعدى من الشّنفرى) ، وكان هؤلاء الصعاليك فقراء نشأوا فى بيئة حرمتهم متع الحياة فهم منبوذون من مجتمعهم ، محتقرون من عشائرهم ، فذاقوا كأس الذل وتجرعوا مرارة الحرمان والهوان ، فراحوا يثأرون لأنفسهم ويأخذون حقوقهم المسلوبة ــ فى نظرهم ــ من الأغنياء البخلاء قسرا واغتصابا ، وتعجب من هؤلاء القوم أنهم يتقاسمون ما يغنمون من السطو على أموال الموسرين الأشحاء

---

[١] انظر : الشنفرى الصعلوك (حياته ولاميته) ، صـ ١١٦ ، وما بعدها .

، وكأن الحرمان والذل ألّف بينهم ، وعلمهم التعاطف والتراحم فيما بينهم ، وكان زعيمهم (عروة بن الورد) المسمى (عروة الصعاليك) قد أوى العاجزين عن الكسب ، ووضعهم تحت رعايته ، وضمهم إلى كنفه وحماه وأسبغ عليهم الخير ، وشملهم بعطفه وحبه(١) .

والشّنفرى صاحب لامية العرب ، التى عُرفت بجزالة ألفاظها ، وقوة معانيها ، ودقة تصويرها وتعبيرها ، "والتى فتنت المستشرقين فأولعوا بها وبترجمتها ، حتى تُرجمت إلى نحو خمس لغات أجنبية ، والتى حظيت منذ القديم بإعجاب الأدباء والنقاد ، حتى أفرد الزمخشرى لها كتابا لشرحها هو (أعجب العجب فى شرح لامية العرب) ، ويجعل بعض الباحثين شعره فى المرتبة الأولى من حيث التمثيل والتصوير"(٢).

٢ ــ يتمثل فى هذا النص بعض خصائص شعر الشّنفرى ، فهو يتميز بالألفاظ الجزلة التى تحتاج إلى كتب المعاجم للكشف

(١) انظر : دراسات فى الأدب الجاهلى للمؤلف الدكتور / على محمد طلب ، صـ ١٧٧ ، وما بعدها ط . مرة الخير بأسيوط .

(٢) الصعاليك [illegible]

عنها، مما أتعب علماء اللغة في شرحها ، وذلك راجع إلى عزلته في الصحراء ، وعدم الإتصال بالآخرين ، وحياة الشّنفرى كسائر الصعاليك حياة في بيئة بالغة القسوة والمعاناة والحرمان ، والتعرض للمخاطر العديدة المتنوعة.

ولامية الشّنفرى تحفل بهذه الألفاظ الممتازة الثمينة ، من حيث إشعاعها وإيحاؤها الأدبى ، حتى لا يكاد يخلو عنصر أو معنى من بعض هذه الألفاظ ، وقد يُلتمس بعض العذر لمن يصعب عليه التذوق الكامل لهذا المستوى من الألفاظ ، فإن التذوق الكامل لهذه الألفاظ لابدّ له من الإدراك الواسع ليس لمجرد مدلول اللفظ فحسب ، وإنما لاشتقاقاته اللغوية في كثير من الأحيان ، ونحن نجد في كل ألفاظ اللامية أو معظمها فيضا زاخرا من الإيحاء والإشعاع الأدبى .

والألفاظ الجزلة القوية مثل : (حُمّت ــ متعزل ــ راغبا ــ راهبا ــ عملس ــ أرقط ــ زهلول ــ عرفاء ــ جيأل ــ بمهياف ــ مجدعة ــ سقبانها ــ بُهّل ــ استف ــ الذأم ــ الخمص ــ الحوايا ــ تغار ــ التنائف ــ أطحل ــ أسآرى ــ تتصلصل ــ فارط ــ لعقرد ــ وآلف ــ سناسن ــ قُحّل ــ منحوضا ــ فصوصه ــ كِعاب ــ قسطل ــ عقيرته ــ جِثاثنا ــ الربع ــ أجتاب ــ بزد ــ السّمع ــ ابعدذ ــ نحسن ــ يتنبل ــ

أيمت ــ إلدة ــ أليـــل) .

أما الألفاظ الموحية فـــى هـــذه الأبيـــات كلفـــظ (واســـتف) فإنـــه يوحى بأن استفاف التراب في ســـرعة خـــير مـــن المـــنّ والإذلال ، ولو كانت العبارة (آكل تـــراب الأرض) لمـــا دعانـــا إلـــى الوقـــوف عنده ، فإن الأكل يعنى أنه يسير علـــى شـــئ مـــألوف فـــى تنـــاول المأكول ، ولكن التعبير بالسفّ يفهم منـــــه أنه أكـــل غـــير عـــادى ، قد يوحى بالسرعة أو النهم أو الإكثار أو نحـــو ذلـــك ، وكـــل هـــذا مقبول عند الشّنفرى ما دام يجنبه الذلّ والـــهوان ، ولكـــن الشّـــنفرى يضيف إلى اللفظ حرفا يملأه إثارة للمشاعر والعواطـــف وهـــو تـــاء الإفتعال فى (واستف) فهذه التاء تملأ الموقـــف شـــعورا بمـــا يفعلـــه الشّنفرى ، وما يعانيه فى أكل التراب ولـــو تخيـــلا ، وأنـــه مســـتعد ليس لمجرد أكل التراب أكلا عاديا رفيقـــا فحســـب ، وإنمـــا ليســـفه سفًا ، بل ليستفه استفافا ، وأنعـــمْ النظـــر طويلا كـــى تـــدرك هـــذه المعانى الفياضة فى قولـــه :

واستف ترب الأرض كيلا يـرى لـه ... علىّ من الطوْل أمـرؤ متطــول

ومن هذه الألفاظ الموحية (آلـــف) مـــن قولـــه : (وآلـــف وجـــه الأرض عند إفتراشها) ، فإن هذا اللفظ يوحى بأنـــه إعتـــاد إفـــتراش الأرض وألفه ، ولو كان إنســـان حديـــث عـــهد بـــإفتراش الأرض ، لكان إيلاما له ، ولكن الشّنفرى قـــد ألـــف هـــذا الوضـــع ولذلـــك لا يجعل إفتراش الأرض مصـــدرا للشـــكوى ، وإنمـــا الشـــكوى فـــى

البيت من أن عظامه وفقار ظهره البارزة من النحول والجوع ، ترفع جسمه عن الأرض ، وتحول بينه وبين الإستقرار في النوم ، وكل هذا لا يقلل من إيحاء لفظ (آلف) الذي يجعلنا نشعر بمدى ما يعانيه الشّنفرى حتى في نومه[١] .

٣ ـ استخدم الشاعر في هذا النص كثيرا من الأساليب التي توضح الفكرة وتجليها ، فقد اعتمد الشاعر على الأساليب الخبرية التي تناسب الفخر بالأخلاق الكريمة ، وقوة تحمل الشاعر للمصائب والآلام ، ففي مطلع هذا النص فكرة آمن الشاعر بها ، وقدم لها مبرراتها وأقام الدليل على صحتها وسلامتها ، مؤداها ضرورة إرتحاله عنهم ، لأنهم ليسوا جديرين بأن يقيم بينهم متعرضا للأذى والهوان ، فإستخدام الأسلوب الإنشائي في قوله : (أقيموا بني أمي رحال مطيكم) ففيه الضيق والألم ونفاذ الصبر ، وهو كناية عن الإستعداد للرحيل ، ثم يجئ بالأسلوب الخبري الذي يفيد التقرير في قوله: (فإني إلى قوم سواكم لأميل) ، وكل من الأسلوبين الخبري والإنشائي يوحي بضيقه منهم ، وعدم إحتماله قربهم فليكن بينه وبينهم بُعْد المشرقين .

---

[١] انظر : الشنفرى الصعلوك ، ص ـ ٢١٠ وما بعدها .

واستخدم الأسلوب الخبرى مرة أخرى ليؤكد صحة ما يقول، حيث قدم الدليل القوى الذى أقامه على أحقيته فيما عزم عليه[١]، وهو الرحيل إلى ديار غير ديارهم ، وذلك فى قوله :

فقد حُمت الحاجات والليل مقمر وشُدت لطيات مطايا وأرحل
وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القِلى متعزل

ثم استخدم الأسلوب الخبرى الدّال على الفخر ، والمباهاة بالقناعة والعفة والتفضل بما عنده على الآخرين ، وذلك فى قوله : (مُدت الأيدى إلى الزاد) وقوله : (لم أكن بأعجلهم) ، وقوله : (أجشع القوم أعجل) ، وقوله : (وما ذاك إلا بسطة عن تفضل) ، وقوله : (وكان الأفضل المتفضل) وكل هذه الأساليب الخبرية توحى بقناعته وعفته وثقته بنفسه وقدرته على ضبطها.

كما استخدم الأساليب الخبرية الدالة على الفخر بقوة جلده وتحمله للجوع ، وشدة صبره على المكاره ، وأنه يملك نفسا حرة أبية تنأى به عن مواطن الذلّ والهوان ، وذلك فى قوله : (وأستف ترب الأرض) ثم يؤكدها بما لا يقبل الشك ، فيستخدم الأسلوب الخبرى فى نفس البيت ، فى قوله : (كى لا يرى له علىّ من الطوْل أمرؤ متطول) ، واستخدم الأساليب الخبرية

---

(١) انظر : باقات من رياض الأدب العربى فى الجاهلية للدكتور / أحمد منصور نفادى ، ص ١٠٥.

الدّالة على فخره بكل المعانى السابقة فى قوله : (ولولا إجتناب الذأم لم يلف مشرب) ، وقوله : (يُعاش به إلا لدىّ ومأكل) وقوله : (ولكن نفسا مُرة لا تقيم بى على الذأم) وقوله : (وأطوى على الخمص الحوايا) ، وقوله : (وأغدو على القوت الزهيد) وقوله : (وآلف وجه الأرض عند إفتراشها) وقوله : (فإنى لمولى الصبر) ، وهذه الأساليب الخبرية توحى بصبره وتحمله الجوع وثقته بنفسه وتعويله عليها ، وأنه شجاع جلد قوى العزيمة ، وأنه فى النهاية يحافظ على كرامته من أن تمتهن ، وأن يكون رأسه عاليا فوق النّاس جميعا .

واستخدم الشاعر أسلوب القسم فى قوله : (لعمرك ما فى الأرض ضيق على إمرئ) ليؤكد المعنى المراد ويقويه بأسلوب القسم ، كما استخدم الشاعر أسلوب القصر بالنفى والإستثناء فى قوله : (وما ذاك إلا بسطة) ، وقوله : (لم يلف مشرب يُعاش به إلا لدىّ ومأكل) ليزيد المعنى تأكيدا وقوة ، ومن المعروف أن القصر أشد المؤكدات على الإطلاق .

كما استخدم أسلوب الطباق فى قوله : (راغبا أو راهبا) حيث طابق بين راغب وراهب ليجمع بين المتضادتين ، وفيه توضيح للمعنى حيث إن الرحيل لا يعدو أن يكون لواحد من اثنين : الرغبة أو الرهبة ، وقوله : (تنام إذا ما نام يقظى

عيونها) حيث طابق بين تنام ويقظى ليجمع بين المتضادين ، وهذا يحدث جرسا موسيقيا ، وإيقاعا منغما في الكلام .

كما استخدم الشاعر أسلوب (شبه كمال الاتصال) وذلك بين جملة (ولى دونكم أهلون) وبين جملة (سِيد عملس) حيث نُزلت الجملة الثانية من الأولى بمنزلة الجواب عن سؤال مقدر تقتضيه الجملة الأولى ، حيث يقول الشاعر : (ولى دونكم أهلون) كأنهم قالوا له : ومَنْ هم ؟ فقال : (سِيد عملس وأرقط زهلول وعرفاء جيأل) .

والباحث عن الأساليب التى استخدمها الشاعر يجد الكثير والكثير ، مما يدل على شاعرية الرجل ، وأخذه بناصية اللغة والبيان ، والفصاحة والبلاغة ولكننا أوجزنا الحديث فى هذه المسألة حتى لا نطيل .

٤ ـ استعان الشاعر بالصور الخيالية فى توضيح أفكاره وتجليتها للقارئ والسامع ، وأغلب هذه الصور (الكنايات) التى استخدمها الشاعر بحذق ومهارة تدل على شاعرية متمكنة فذة ، وذلك فى قوله : (أقيموا بنى أمى صدور مطيكم) كناية عن الإستعداد للرحيل ، وقوله : (فقد حُمت الحاجات) كناية عن اتضاح الأمور ، وأنه لا مفرّ من الرحيل ، وفى قول الشاعر : (وشُدت لطيات مطايا وأرحل) كناية عن أهبته الكاملة للرحيل

عنهم ، وفى قولـــه :

ولستُ بمهياف يعشـــى سوامـــه مجدعـــة سقبانها وهـــى بُهّـــل

هذا البيت فيه كناية عن أنه ليـــس مـــن التافـــهين الذيـــن يعـــود الواحد منهم بماشيته وأولادهـــا جيـــاع ، ولا مـــن المـــهملين الذيـــن يتركون ماشيتهم فى المرعى دون إشـــراف عليـــها ورعايـــة لـــها[1] وفى قوله : (أديم مطال الجوع) كناية عن شـــدة صـــبره علـــى أذى الجوع ، وفى قوله : (وأستف تـــرب الأرض) كنايـــة عـــن تحملـــه الجوع ، ولو أنه يسفّ الـــتراب ســـفًا ، وفـــى قولـــه : (أزلّ تـــهاداه التنائف) كناية عن جوع الذئب ، وأزلّ صفـــة للذئـــب القليـــل اللحـــم فى فخذيه وعجزه ، وفـــى قولـــه : (وشـــمرّ منـــى فـــارط متمـــهل) كناية عن النشاط فى العدْو على مـــهل ، ومـــع ذلـــك ســـبق القطـــا وفـــى قولـــه : (وآلـــف وجـــه الأرض عنـــد إفتراشـــها) فـــافتراش الأرض كناية عن الخشـــونة وقـــوة التحمـــل ، وقولـــه : (سناســـن قحّل) كناية عن فقار الظهر المعروفـــة بـــالعمود الفقـــرى ، وإســـناد السناسن إلى صفة القحّل فيها مجاز مرسل علاقتـــه الســـببية وعلـــى ذلك فإن (سناسن قحّل) كناية عن فقـــار الظـــهر الجافـــة اليابســـة ، وفى قوله : (وأعدل منحوضا) كناية عـــن التوســـد بـــالذراع القـــوى الذى ذهب لحمها ، وفى قوله : (أم قســـطل) كنايـــة عـــن الحـــرب ،

---

[1] انظر : الشنفرى الصعلوك ، صـــ ١٢٥ .

لأنها تثير الغبار المتصاعد فى سماء المعركة ، وفى قوله :

تنام إذا ما نام يقظى عيونها   حِثاثاً إلى مكروهه تتغلغل

البيت كله فيه كناية عن تربص أعدائه به ، وتلهفهم إلى الإيقاع به ، وفى قوله : (يصطلى القوس ربها) كناية عن شدة البرد القارس ، مما يحمل أن يصطلى بالقوس صاحبها ، ويعرض نفسه للهلاك ، إذا ما فاجأه العدو ، ومن المعروف أن الكناية تحمل المعنى ودليله ، كما وضح لنا ذلك ، من خلال عرضنا لأشعار الشّنفرى الأزدى ، ويوجد فى هذه الأبيات (استعارات مكنية) ففى قول الشاعر : (وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى) شبه الأذى بحفرة أو نار محرقة لابد من البعد عنها ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه ، على سبيل الإستعارة المكنية،وفى قول الشاعر : (الجوع حتى أميته) شبه الجوع بإنسان لابد من القضاء عليه ، ثم حذف المشبه به ، ورمز إليه بشئ من لوازمه على سبيل الإستعارة المكنية،وفى قول الشاعر : (فإن تبتئس بالشّنفرى أم قسطل) شبه الإبتئاس بإمرأة حزينة مبتئسة ، ثم حذف المشبه به ، ورمز إليه بشئ من لوازمه ، على سبيل الإستعارة المكنية ، وكذلك فى قوله : (اغتبطت بالشّنفرى) حيث شبه الفرح بإمرأة مغتبطة فرحة ، ففيها إستعارة مكنية أيضا ، وفى هاتين الكنايتين إيحاء بطول معايشة الشنفرى للحروب ، وقوة تمرسه

بالقتال ، وفى قــول الشــاعر : (طريــد جنايــات) شــبه الجنأيــات بإنسان يطرد إنسانا ، ثم حذف المشبه به ، ورمــز إليــه بشــئ مــن لوازمه على سبيل الإستعارة المكنيــة ، وهــذه الإســتعارات ، فيــها تشبيه المعنوى بالمحسوس ، حتى يستقر فــى الذهــن ويرســخ فــى الوجدان ، واستخدم الشاعر بعض التشبيهات ففــى قولــه :

وأطوى على الخمص الحوايا كما انطوت — خيوطة مــارى تُغار وتُفتــل

تشبيه فقد شبه أمعاءه فى خلوها مــن الطعــام وتعودهــا الجــوع حتى يبست ، وصارت صلبة يلتــف بعضــها حــول بعــض كأنــها الحبال الشديدة الفتــل .

وفى قول الشــاعر :

وأغدو على القوت الزهيــد كمــا غــدا — أزلّ تهــاداه التنائف أطحل

تشبيه مركب فقد شبه فيه نفسه وهيئته وقد أصبح جائعا هزيلا يضرب فــى الصحراء القاحلة ، بهيئة ذئب جائع هزيل يبحث عن قوته فى كل مكان فلا يجــده بجامع الضيق والحيرة والهزال فى كلٍ[1] .

وفى قول الشاعر :

وأعــدل منحوضــا كــأن فصوصــه — كِعــاب دحاهــا لاعب فهى مُثّل

تشبيه فقد شبه حاله فى النوم حيث لا يستقر علــى حــال أبــدا ، فبينما ينام على ظــهره ، ينقلــب علــى جنبــه ، فيثنــى ذراعــه ،

---

(١) انظر : باقات من رياض الأدب العربي في الجاهلية ، صـــ ١٠٥ وما بعدها .

ليجعله وسادة تحت رأسه ، فإذا هــو يــابس جــاف ، كأنــه أنــابيب قصبة يابسة ، قطعت إلى كعوب ، هى ما بيـــن مفــاصل الــذراع ، فلا يستقر ولا يستريح أبـــدا[١] .

٥ ــ لقد مرّ الشاعر بعاطفة قوية مشبوبة فــى هــذا النــص ، فــهذه الدرة الشـــعرية الفريـــدة التـــى تثــير الإعجــاب ، وتبــهر الأذواق الأدبيـــة ، لابــدّ مــن ورائــها عاطفــة صادقــة ، وانفعــال قــوى وإحساس مرهف ، وتجربة شعورية إنســانية ، ونحــن نحــسّ مــن خلال النص الذى معنــا بحــرارة العاطفــة ، وصــدق المشــاعر ، ونبــض الأحاســيس ، واســتطاع الشــاعر أن ينقـــل مشـــاعره وأحاسيسه ووجدانه فى قوة وصدق ، وأن يعلـــن علـــى المـــلأ : أن الناس إنما يُقدرون بأفعالــهم الحميــدة وشــيمهم الرفيعــة وأخلاقــهم الفاضلة وشجاعتهم فى ميدان القتال ، والشّــنفرى يتمثــل فيــه هــذه الصفات الكريمة ، ويملك قدرا كبــيرا منــها .

وما ظنك برجل شجاع فــاتك يملــك هــذه الصفــات ، فرضــت عليه الظروف القهرية أن يعيش مع الذئـــاب والنمــور والضبــاع ! فرضت عليه أن يعيش حياة الصعاليك ، فرضـــت عليــه أن يعيــش بعيدا عن الناس ، بعد أن كــره المقــام بينــهم ، فرضــت عليــه أن

---

[١] انظر : الشنفرى الصعلوك ، صـــ ١٣٠ وما بعدها .

يحيا بعيدا عنهم بعد أن ذاق الذلّ والهوان ، وأن يحتفظ بكرامته وأنفته وكبريائه وعزته ، وأن يكون بينهم وبينه بُعْد المشرقين .

إنها نفثة حارة ، وألم متدفق ، وإحساس بالظلم ، صبّه الشاعر شعرا يصدر عن قلب جريح مكلوم ، والشاعر مطارد من الناس ، لكنه يعتز بنفسه ، ويحرص على كرامته وكبريائه وأنفته وإبائه ، وينأى عن الدنايا والعيوب ، ويكرم نفسه ، ويضعها فى مكانها الصحيح ، ومع ذلك يعانى فى حياته آلاما ومصاعب لا حصر لها من المطاردة والجوع القاتل والظمأ الشديد ، والبرد القارس ، والحرّ اللافح ، يفترش الأرض فى الصحراء القاحلة ، ويلتحف السماء ، ليس عليه ثياب تقيه قشعريرة البرد أو لسعة الحرّ ، وفوق هذا فهو مطارد لأنه يعيش على السلب والنهب ويحمل الثارات التى عليه ، ومن ثَمّ فقد انفعل الشاعر بكل هذا ، وصاغه شعرا مليئا بالعاطفة الصادقة ، والوجدان المفعم بالآلام ، والمشاعر الفياضة والأحاسيس النابضة ، بالمعانى الإنسانية ، والأفكار الجليلة السامية .

٦ ــ من خلال دراستنا لهذا النص يمكن أن نقول : كان شعر الشّنفرى ممتازا متفوقا على شعر الصعاليك ، بل أهم ما يميز شعر الشّنفرى ، أنه كان متفوقا على غيره من الشعراء ، وهذا

الأمر يبدو واضحا فى ناحيتين :

إحداهما : دقة الحسّ بصورة تثير العجب ، حيث نجد الشّنفرى كثيرا ما يركز إنتباهه وحواسه ليلتقط شيئا قلما يأبه له غيره من الشعراء بالوقوف عنده ، أو الاهتمام بوصفه والحديث عنه ، وكثيرا ما اهتم الشّنفرى بمثل هذه الأشياء التى قد يراها غيره تافهة أو يسيرة الشأن ، أو ليس فيها مادة شعرية تدعو إلى الوصف والتعبير ، فنراه مثلا فى (لامية العرب) يقف بشاعريته عند سرب من النحل ، ويصفه فى إبداع وإتقان ، ويرسم صورة كاملة للسرب على الرغم من إيجازها لحياة هذا السرب ، ونجد دقة حسّ الشّنفرى فى مواضع كثيرة منها : وصف الذئاب حين يقسو عليها الجوع ، وكيف أن الذئب خرج يبحث عن طعامه ، وبعد أن أعياه البحث والجهد وقسا عليه الجوع ، عوى مستعينا ومستغيثا بفصيلته من الذئاب فأجابته ذئاب جائعة ، ونراه يصف نحول أجسادها ، ولون وجهها الذى يشبه الشيب ، ومقدمة هذه الوجود التى تشبه السهام وهكذا .

وكان الشاعر مفتونا بالقوس أشد الفتنة ، فقد بلغ من إفتتانه بقوسه أن رصد كل حركاتها ، وتابع بحاسته الدقيقة حتى صوتها ، ونراه يبين أوصافها المتعددة : فى شكلها وتركيبها

وأجزائها ، والمادة التى صُنعت منها ، ونحـــو ذلـــك .

وهكذا نجد هذه الدقة المتناهية واضحة فـــى شـعره ، وبخاصــة فى لامية العــرب .

والأخرى : تركيزه على العمـــق النفســى ، بمعنــى أن المتــأمل فى شعر الشّنفرى ، يلحظ أنه لا يكتفى بمجــرد الوصــف أو إبــراز الموقف ، أو تحديد صفـــات ظــاهرة ، وإنمــا يحــاول بتركــيز أن يبرز للسامع نفسية الذى يدور حوله الحديـــث ، محــاولا أن يتعمــق فى هذه النفسية ، وأن يستشف ما بـــها ، فـــهو حيــن يتحــدث عــن نفسه مثلا يهتم بأن يبرز ما تنطــوى عليــه نفســه فــى كــل حــال يتعرض للحديث عنه ، وقد تحدث عـــن ســائر أحوالــه ، وتحــدث عن صلته بالناس حيـــن يرضـــى وحيـــن يســخط ، وتحــدث عــن حياته المعيشية ، وتقلبه بين أحوال وملابســات عديــدة ، وفــى كــل هذا لا يكتفى بوصف حاله أو حال ما يحيـــط بــه ، بــل نــرى مــا تختلج به نفسه ، وما يصطرع فيها حيـــن يكـــون هنـــاك صــراع ، فيتحدث عما يراود نفسه من قلق ووســـاوس أو توجـس وانفعــال ، وما يعانيه من صراع نفسىّ رهيب بيـــن ألـــوان شـــتى مـــن جـــوع وهموم ومخـــاوف[1] .

---

[1] انظر : الشنفرى الصعلوك ، صــ ٦٧ وما بعدها .

تعليق عام على النص :

١ ـ هذا النص يعد من عيون الشعر العربي ، وفريدة من فرائده ، ولهذا أطلقوا عليه (لامية العرب) وفيه سجل لبيئة الصحراء في الجاهلية ، ونظام حياتها ومناخها في الصيف والشتاء ، وتقاليد فئة الصعاليك فيها .

ونلاحظ أنها تحتوى ألفاظا غريبة ، وذلك لطول العهد بيننا وبينهم ، فربما تحتاج إلى الكشف عن مفرداتها في معاجم اللغة، أما في العصر الجاهلي فقد كانت هذه القصيدة وأمثالها عادية جدا ، لأن العربية الفصحى كانت لغتهم التي شبوا ونشأوا عليها ومن خلال قراءتنا لقصيدة (لامية العرب) نخرج بنتيجتين إثنتين:

إحداهما : هذه القصيدة إنعكاس كامل لحياة الصعلكة والفتوة في الجزيرة العربية في الجاهلية ، حيث تغنى الشاعر بالشجاعة والبطولة والجلد والصبر في مقاومة الشدائد وما تفرضه طبيعة البيئة الصحراوية القاحلة الجافة من متاعب الجوع والعطش والحر الشديد والبرد القارس ، ومتاعب النوم والمطاردة الدائمة للصعاليك ، واعتماد الشاعر الصعلوك على نفسه في مواجهة أعدائه ، الذين أوقع بهم ، أو قضى على بعض منهم ،

واستغناء الشاعر فى هذا المجال بإخوانـــه فـــى الفتـــوة والصعلكـــة عن أهله الآخريـــن .

والأخرى : أن هذه القصيدة نظمت بلغة قريـــش ، شـــأنها فـــى ذلـــك شأن المعلقات التى علقـــت فـــى جـــوف الكعبـــة المشـــرفة ، علـــى الرغم من أن الشنفرى من قبيلة (أزد شنوءة) التـــى تختلـــف لهجـــة أبنائها عن لهجة القريشيين ، مما يدل علـــى ســـيادة لغـــة قريـــش ، وأن الشـــنفرى نظمـــها بـــهذه اللغـــة ، ليضمـــن لـــــها الذيـــوع والإنتشـــار[1] .

٢ ــ أحيانا نرى فى شعر الشـــنفرى بعـــض المبالغـــات الشـــعرية ، فهو يبرز صورا من المعاناة فوق ما يحتملـــه البشـــر ، وفـــوق ما يتصوره الناس ، وعلى الرغم من تصويـــره للمعانـــاة يفـــوق ما يتوقعه أى تصور ، إلا أنـــه يمتـــاز فـــى مبالغتـــه بـــأمرين بالغى الدقـــة:

إحداهما : إعتماده على الحجة والمنطـــق العقلـــى ، حيـــث يعـــرض ما يبدو بالغ الإغـــراق فـــى المبالغـــة ، أو الوهـــم ، ولكنـــه يردفـــه بالدليل والحجة والبرهان ، فيذهب عنـــه الغرابـــة ، ويجعلـــه إن لـــم يكن واقعيا ، فعلى الأقل ليس غريبـــا علـــى العقـــول التـــى تفكـــر ،

---

[1] انظر : باقات من رياض الأدب العربى فى الجاهلية ، صـــ ١٠٨ وما بعدها .

كما يدعى أن الوحوش الضارية . هى التى تستحق أن تسمى أهلا دون الناس ، ويستحق أن يعاشرها ويتخذها سكنا له ، ولكنه يقيم الدليل على صحة ما يقول ، ويتم له إلغاء الغرابة من هذه الدعوى ، ومن ذلك أن الوحوش لا تذيع بينها سرا ولا يخذل بعضها بعضا كما يفعل الناس .

وثانيهما : إعتماد الشنفرى على واقعية التصوير ، فإنه كثيرا ما يعرض صورا لذلك تبدو وكأنها وهم يشبه المستحيل ، ولكن إعتماد الصورة على الواقعية يذهب عنها كل غرابة ، وذلك كإدعائه إنه حينما يعدو ويسرع فى الجرى يحدث حول قدميه أمران عجيبان :

أحدهما : أن يتطاير شرر النار من حولهما .

والآخر : أن تتفتت الحجارة الصلبة من حولهما وتتناثر فى كل مكان ، وهى صورة تبدو فى ظاهرها مغرقة المبالغة ، ولكننا لو تأملنا الواقع لوجدنا الصورة عادية واقعية فإن سرعة العدو والجرى ، تدفع الحجارة الصغيرة أمامه ، فيصطدم بعضها ببعض ، فيحدث شرر النار وتفتت الحجارة ، وقد صور القرآن الكريم وهو فى قمة البلاغة والفصاحة ، هذه الصورة عن الخيل ، فقال عز من قائل : (والعاديات ضبحا فالموريات

قدحا)[١] والشنفرى كان باتفـــاق العلمـــاء والروايـــات أســـرع مـــن الخيل ، فلا غرابة أن يحدث حـــول قدميـــه فـــى العـــدو أشـــد ممـــا يحدث حول أرجل الخيل ، لأن الأرجل ليســـت هـــى التـــى تحـــدث هذه الآثار ، وإنما يحدثها تدافع الحجـــارة واصطـــدام بعضـــها مـــع بعض[٢] ، وهكذا جعل الشـــنفرى مبالغاتـــه الشـــعرية أقـــرب إلـــى القبول باعتماده على الحجة والمنطـــق ، وإعتمـــاده علـــى الواقعيـــة فى التصوير والتعبـــير .

"والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله"
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،

أ.د / على محمد طلب
أستـــاذ الأدب والنقـــد
وعميد كلية اللغة العربية ـ أسيوط

---

(١) سورة العاديات ، الآيتان ١ ، ٢ .

(٢) انظر : الشنفرى الصعلوك ، صـــ ١٦٦ .

من أسرار نظم القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور

أحمد عبد الجواد محمد عكاشه

أستـــاذ البلاغـة والنقـــد

ووكيل كلية اللغة العربية بأسيوط

من أسرار نظم القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور
أحمد عبد الجواد محمد عكاشه
أُستاذ البلاغة والنقد
فى كلية اللغة العربية بأسيوط

نحمده جل ثناؤه حمداً يستدر أفاويق نعمائه، ويستدفع أهاويل بلائه ونصلى ونسلم على سيّدنا محمد صفوة الخلق ورسول الحقّ ، وعلى آله وصحبه وجميع الأنبياء والمرسلين.

عن العالم الجليل والفقيه الزاهد ـ مالك بن دينار ـ وقد قيل له: إنّك تعتزل الناس وتجلس وحدك وكأنك ترى نفسك فوق الناس فأجابهم ـ رضى الله عنه . قائلاً : إنّى لا أجلس وحدى وإنما أجالس ربى فإن شئتُ أن أناجِيَه دخلتُ فى الصلاة وإن شئت أن يناجينَى قرأتُ القرآن[١] .

ولم لا ؟ وهو كلام الخالق ، مُعجزة خالدة ، مُستمرة لن تنفد، مشرقة لن تغربُ وإن غربت الشمس ، مُضيئة لن تأفل وإن أفلت النجوم ، دائمة لن تَخلق وإن خلق الكون ، ليس من سبيل لجحودها ، لأنها مرئية بالبصر ، مسموعة بالأذن ،

---

[١] مع القرآن الكريم حول جزء تبارك حـ١٣ ، فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى ، ط المدنى

ملموسة باليد ، متدبرة بالعقل، قال عنه الوليد بن المغيرة عندما سمع القرآن الكريم من الرسول العظيم مخاطبا قومه : فو الله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مِنّى ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن ، فو الله ما يشبه الذى يقوله شيئا من هذا . والله إنّ لقوله الذى يقوله لحَلاوة وإنه ليحطّم ما تحته ، وإنه ليعلو وما يُعلى . قال له أبو جهل والله لا يَرضَى قومُك حتى تقول فيه . قال : فَدَعْني حتى أفكر فيه . فلما فكّر . قال : إنْ هَذاَ إلاّ سِحْرٌ يُؤثَر[١].

وصور الله حالة القساوسة الرُهبان فى سيطرة القرآن على جميع جوارحهم فقال : (وَإذاَ سمَعُوا مَا أُنزِلَ إلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ...)[٢] وسر الإعجاز فى قوله تَفِيضُ من الدَّمع ، والفَيْضُ هو مِلْئُ الشئ حتى يطلع ما فيه من جوانبه وهو من إقامة المُسبب مقام السبب وهى المبالغة فى وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تَفِيض .

ويقول عنه ابن مسعود "لا يَنفَه ولا يَتشَانّ" وقال : إذا

---

(١) فى ظلال القرآن للشهيد/ سيد قطب ، ص ٣٧٥٦ ، ط دار الشروق ، الآية رقم ٢٤ من سورة المدثر.

(٢) بعض آية من سورة المائدة : رقم ٨٣ ، وانظر الكشاف للزمخشرى ، جـ١ ، ص ٢٧١ .

وقعت في آل حم وقعتُ في رَوْضَاتٍ دَمِثاتٍ أتأنقُ فيهنّ أي أتتبّع مَحَاسِنَهُن "(١).

وهذا أبو العلاء المعرى يبرز سِرًّا من روعة القرآن وجمال نظمه، حيث يقول "هذا الكتاب الذى جاء به مُحمد ـ صَلّى الله عليه وسلم . كتابٌ بهر بالإعجاز .ولقِي عدوه بالإرجاز ، ما حُذِي على مثال. ولا أشبه غريب الأمثال ، ما هو من القصيد المَوزون(٢) ، ولا في الرجز من سهل وحزون ، ولا شَاكَل خِطَابة العرب ، ولا سجعَ الكهنة ذَوِى الأَرَب ، وجاء كالشمس اللائحة نُورا للمُسِرة والبائحة..." .

ولم تقف الروعة عند الإنس فحسب بل استحوذت على قُلوب الجن حيث عبّر الخالق عنهم (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى

---

(١) تفِه الشئ صار تافها حقيرا ، وتشان الجلد يبس أو تشنج ، وانظر دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ، ص ٣٨٨ ، تحقيق الأستاذ محمود شاكر ، ط الخانجي .

(٢) رسالة الغفران لأبي العلاء المعرى ، ص ٤٧٢ ، تحقيق د/ عائشة عبد الرحمن ، ط دار المعارف، مع القرآن ص ٤٩ على النجدى ، دار المعارف .

طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ)[١].

هذا بعض من وصف المخلوق في كلام الخالق فكيف بوصف الخالق العظيم في كتابه الكريم (قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ)[٢]. (الحَمْدُ لِلَّهِ الذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَهُ عِوَجاً قَيِّماً لِيُنذِرَ بَأساً شَدِيداً)[٣] . والعِوَجُ يقال فيما يدرك بالفكر والبصيرة كما يكون في أرض بسيط يُعرف تفاوته بالبصيرة والدين والمعاش ، كما يقول الراغب ، وفي قوله (قَيِّماً) تأكيد لنفي العوج فُرُبَّ مستقيم مشهود له بالإستقامة ولا يخلو من أدنى عِوَج عند السير، وقيل قَيِّمًا على سائر الكتب مُصَدِّقاً لها شاهداً لصحتها ...".

وقال سبحانه (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنهُ جُلُودُ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُم إِلَى ذِكْرِ اللهِ)[٤].

هذا هو القرآن كتاب الله الناطق ، وخلق الله كتابه الصامت،

---

[١] الآيتان من سورة الأحقاف : ٢٩ — ٣٠ .

[٢] بعض آية من سورة الزمر : ٢٨.

[٣] آية رقم ١ وبعض آية ٢ من سورة الكهف وأنظر الكشاف جـ١ ص ٥٦١.

[٤] بعض آية من سورة الزمر رقم ٢٣ ، وأنظر فضائل القرآن للدكتور على العمارى جـ١ ص ٥٧ ، وكتاب التعريفى فى القرآن جـ١ ، د/ إبراهيم الخولى .

ومَوئلُ الكتابين واحد: (ألا لَهُ الخَلقُ والأمرُ)[١].

الكتابان ينطقان بقدرة الخالق (مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ)[٢] (ولَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافَاً كَثِيراً)[٣] رسالتهما واحدة.

(فَارجِع البَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ)[٤] (أَفَلاَ يَتَدبَّرُونَ القُرْآنَ)[٥].

قرآننا الكريم يدعونا إلى تأمل الكون وكشف أسراره وأسراره آيات على قدرته (قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ)[٦]

هذا الكون يضم أسراراً تكتشف فينطق الكتاب الناطق بما يحكيه من أسراره (سَنُرِيهِم آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِم حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الحَقُّ)[٧]. (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ

(١) الأعراف رقم ٥٤.

(٢) الملك رقم ٣.

(٣) النساء رقم ٨٢.

(٤) سورة الملك رقم ٣ .

(٥) من سورة النساء رقم ٨٢ وسورة محمد ٢٤.

(٦) يونس رقم ١٠١.

(٧) فصلت رقم ٥٣.

شيءٍ)(١). (وَأَنزَلنَا إِلَيكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُـــزِّلَ إِلَيْـــهِم)(٢).

هذا التبيان لا تنقضى عجائبه ، ولا يخلـــق علـــى كـــثرة الـــرد ، كلام لا يدانيه كلام سواه فـــى بَرَاعـــة نظمـــه ، وحـــلاوة منطقـــه ، وائتلاف فواصله ، وإحكام تقاســـيمه ومتانـــة نســـجه ، هـــو مـــاضٍ وحاضر ومســـتقبل .

يُعرب الخطابى عـــن ســـيطرة القـــرآن الكريـــم علـــى القلـــوب وروعة بيانه فى الصُّدور بأنـــه كـــان ومـــا يـــزال مُعجـــزا بـــاللفظ والمعنى . حيث يقول(٣) فالقُرآن إنمَّـــا صَـــارَ مُعْجِـــزا لأنـــه جـــاء بأفصح الألفاظ فى أحسن نظـــوم التـــأليف مُضمنـــا أصـــح المعـــانى من توحيد له عزَّت قدرته ، وتنزيه له فـــى صفاتـــه ، ودُعـــاء إلـــى طاعته ، وبيان بمنهاج عبادته واضعـــا كـــل شـــئ منـــها موضعـــه الذى لا يرى شئ أولى منـــــه ... .

وأعلم أن عَمُود هذه البلاغة فى وضع كُـــلّ نـــوع مـــن الألفـــاظ التى تشتمل عليها فصول الكـــلام موضعـــه الأخـــص الأشـــكل بـــه الذى إذا أبدل غيره جاء منه : إما تبدل المعنـــى الـــذى يكـــون فيـــه

---

(١) النحل رقم ٨٩.

(٢) من سورة النحل رقم ٤٤.

(٣) بيان إعجاز القرآن للخطابى ص٢٧، ٢٩ ضمن ثلاث رسائل ، ط دار المعارف بمصر .

فساد الكلام ؛ وإما ذهاب الرونق الذى يكون معه سقوط البلاغة. فقد جاء القرآن فى نظمه البديع وتأليفه العجيب مُقَنَّاه فى البلاغة إلى الحد الذى يعجز عنه البشر .

ثم يُردف الخطابى فى تحليل بيانه وتفتح أكمامه ودفع شبه قد يرد ، وأن لكل كلمة خاصية تتميز بها عن صاحبتها ... حيث قول : "ذلك أن فى الكلام ألفاظا متقاربة فى المعانى يحسب أكثر الناس أنها متساوية فى إفادة بيان مراد الخطاب وذلك كالعلم والمعرفة والحمد والشكر والبخل والشح . ومَنْ وَعَنْ ونحوهما من الأسماء ...

فالعلم والمعرفة وإن اشتركا فى الدلالة العامة إلا أنهما يفترقان فى دقائق . تقول عَرفتُ الشئ وعلمته إذا أردت الإثبات الذى يرتفع معه الجهل ولكن فى (عَرفْتُ زيدا) يقتضى مفعولا واحدا ، وعلمت يقتضى مفعولين تقول (علمت زيدا عاقلا) فالمعرفة تستعمل خصوصا فى توحيد الله تعالى وإثبات ذاته لذلك تقول (عَرفتَ الله) ولا تقول (عَلِمتُ الله) إلا أن تضيف إليه صفة من الصفات . تقول (علمت الله قادرا وعلمته سميعا) . فحقيقة العلم ضده الجهل والمعرفة ضدها النكرة ، وكذلك الحمد والشكر يشتركان فى الثناء المطلق . تقول (حَمَدتُ زيدا)إذا أثنيت عليه فى أخلاقه ومذاهبه وإن لم يكن سبق إليك

منه معروف ، وتقول (شَكرتُ مُحمَّدا) إذا أردت جزاءه على مَعروف أسداه إليك ، والحمدُ يكون قولا فقط والشُكر يكون قولا ويكون فعلا كقوله تعالى (أعْمَلُوا آلَ دَاودَ شُكْرا)[١] .

ويوضح الفرق بين الشُحّ والبُخل فقد يظن أنهما يتواردان على معنى واحد والصواب أن بينهما خلافا ، فالشُحّ هو مَنَع الحق ظلما والبخل ما يَجده البخيل في نفسه من الحزازة عند أداء الحقوق وإخراجهما من يده .

وهكذا يكشف الرقائق التي تنضم في هذا النظم الكريم فيوضح الفرق بين دُخول الفعل على عَنْ وبين دُخوله على إلى التي خفيت على أحد أعلام اللغة وهو القبَيِّى في قوله عَزَّ وجل (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا)[٢] .

زعم أنه من قوله "عَشَوتُ إلى النَّار أعشو إذا نظرت إليها" فغلطوه في ذلك وقالوا : إنَّ المعنى مَنْ يعُرض عَنْ ذكر الله نقيِّض له شيطانا يصرفه عنه . فالفعل عَشَا إذا جاءت بعده (إلى) أفادت النظر والإقبال إلى الشئ فهم يقولون : عشوتُ إلى الشئ إذا نظرت إليه ويقولون عشوت عنه ، إذا أعرضت. ومعناه إذا دخلت عَشا على عَنْ أفادت الإنصراف والإعراض .

---

[١] المصدر السابق ، ص٣٠ ، بعض آية من سورة سبأ رقم ١٣.

[٢] من سورة الزخرف رقم ٣٦ ، الخطابي ص٣٣.

ومثل ذلك ما وقع لأبى العالية الرياحى حيث قال له رجل: يا أبا العالية يقول الله تعالى (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِم سَاهُونَ)[1] ما هذا السهو ؟ قال : الذى لا يدرى عن كَمْ ينصرف عن شفع أو عن وتر ، فقال الحسن : مَهْ يَا أبا العالية، ليس هذا بل الذين سهوا عَنْ ميقاتيهم حتى تفوتهم . قال الحسن : ألا ترى قوله عز وجل (عَنْ صَلَاتِهِم) ؟ قَالُوا : إنما أتى أبو العالية فى هذا حيث لَمْ يفرق بين حرف (عَنْ) وحرف (فِي) فتنبه له الحسن فقال : ألا ترى قوله (عَنْ صَلَاتِهِم) يريد أن السَّهْوَ الذى هو الغلط فى العدد إنما هُو يَعْرِضُ فِى الصَّلَاة بعد مُلابستها ، فلو كان هو المراد لفعل : فِى صَلَاتِهِم سَاهُون) فلما قال عَنْ صَلَاتِهم دَلَّ على أن المراد به الذهاب عَنْ الوقت .

ومن لطيف هذه الضرب ما خفى على عربى صريح ، ما رُوى أن أعرابيا قال لِرسُول الله ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : عَلِّمنى عَمَلا يدخِلنى الجَنّة . فقال : أَعتِقْ النَّسَمَةَ وَفُك الرَّقَبَةَ . قال الأعرابى : أوَ ليساً واحدًا ؟ قال : لاعِتْقُ النسَمَةِ أن تَتفَرد بعِتقها وَفك الرَّقبة أن تُعين فى ثمنها ، فالعتق الذى هو الأصل فى التحرير واقع على النَّسمة كلها وفك الرقبة ليس نَصًّا فى

---

[1] من سورة الماعون رقم ٥ ، الخطابى ، ص٣٥.

هذا المعنى وإنما هو أشبه بالعوَنِ المالى الذى يساعدوه فى العتق ولا يستقل به . ويَضِيف شيخُنا أبو موسى معلقا فى قوله[١] ألا ترى أن كلمة الفَك تستعمل فى كلامهم فيما دُون الكسر فى انفساخ القدم وانفراج المنكب استرخاء ، فليس فى أصل معناه فصل وإبانة ، فالمعنى فى الحديث أنه يفك الرقبة فقط ولا يحلها، أى لم يرسلها حُرة ، وإنما يفك بمقدار ما يعين فى ثمنها فكلمة فَك الرقبة استعملت مَجازا فى العِتق ولكنها هنا جاءت لاحقة له فكان ذلك قرينة على عدم إرادة خلاف معناها ، أى على إرادة الحقيقة[٢] .

وهكذا يكشف الخطابى عن دقة مناحى البيان وصعوبة الولوج إلى دقائق اللطائف وأن ذلك لا يكون طريقا سهلا وأن مُراعاة هذه الفروق لا تتوفر فى نَصٍّ مِنَ النُّصوص كما تتوفر فى القرآن الكريم ، فقد رُوعيت فى كل كلمة وحرف فيه ثم ينطق الخطابى كى يُبرز أسرارا عميت عن بعض القوم الذين لم يدركوا أسرارا فى نَظْم القرآن وأن لكل كلمة مَكانا لا تصلح غيرها فيها ، فيذكر زَعما من هذه المزاعم فيقول "فإن قِيل إنا لا نسلم لكم ما ادعيتموه من أن العبارات الواقعة فى القرآن إنما

---

(١) الإعجاز البلاغى ص٥٩ ، مكتبة وهبة ، د/ محمد أبو موسى .

(٢) بيان اعجاز القرآن للخطابى ، ص ٣٨ـ٣٩.

وقعت فى أفصح وجوه البيان وأحسنها وذلك لوجود أشياء منها بخلاف هذه الوصف عند أصحاب اللغة وأهل المعرفة بها .

وذلك كقوله تعالى (فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ)[1] وإنما يستعمل في مثل هذا فى فِعل السِّباع خُصُوصا الافتراس ، يقولون (افترسه السبع) هذا هو المختار الفصيح فى معناها فأمّا الأكل فهو عام لا يختص به نوع من الحيوان دون نوع يريدون بذلك أن استعمال كلمة (فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ) غير مناسبة للمعنى وأن المعنى المناسب افترسه الذئب ويدفع الخطابى هذه الفرية بقوله : إن الافتراس معناه فى فعل السبع القتل حَسْبُ وأصل الفَرْس : دَقّ العُنق ، والقوم أبناء يَعقوب عليه السلام إنما ادّعوا على الذئب أنه أكله أكلا وأتى على جَميع أجزائه وأعضائه فلم يترك مَفْصِلا ولا عَظْماً ، وذلك أنه خافوا مُطالبة أبيهم بأثرٍ باق منه يشهد بصحة ما ذكروه فادّعوا الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة.

والفَرْسُ لا يعطى تمام هذا المعنى فلا يَصلُح على هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل وهذا وَاردٌ فى كلام العرب فى شعرهم ونثرهم .

[1] بعض آية من سورة يوسف رقم ١٧ ، الخطابى جـ٤١.

ويجرنا حديث الأكل إلى تذوق النظم القرآن في قوله عز وجل : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا)[1] . هذه الآية تأكيد للزجر والتهويل في شأن اليتامى وأكد ذلك بما رسخ في نفوسهم من الاستهانة بأموالهم بالجملة الأسمية الداخلة عليها إن المخبر عنها بالفعل المضارع الدال على التجدد والأكل في الحقيقة ابتلاع الطعام ثم استعير للانتفاع بالشئ وأخذه بحرص والأكل أقوى أحوال الاختصاص بالشئ لأنه يحرزه في داخل جسده ولا مطمع في إرجاعه ، وعبر بلفظ الأكل لأنه أزجر وألذع وذلك أن وجوه الإنفاق الأخرى من ملبس ومسكن مما لا يشارك الإنسان فيه غيره لأنها من متصرفات الإنسان خاصة لكن الأكل هو الصفة المشتركة بين الإنسان والحيوان والفرق في هذه الصفة المشتركة أن الحيوان يأكل ما يقع تحت فمه غير ناظر إلى أنه من حقه[2] أو أنه من حق غيره . أما الإنسان فإنه لا يأكل إلا ما كان من حقه لأنه هو المكلف بالشرائع فإذا ما أكل من حق غيره يكون قد هدم الحد الفاصل بينه وبين

---

(1) الآية من سورة النساء رقم ١٠.

(2) أنظر خلاصة ما قيل في عناية القاص ، ج٣ ، ص١١٠ ، تفسير التحرير والتنوير ، جـ٤ ، ص ٥٠٤ ، ط التونسية الشيخ الطاهر .

الحيوان. ثم تأمل الإضافة الموجودة في قوله أموال اليتامى وكيف ضربت على الأموال خيمة من البؤس واليتم والمسكنة ، وما يبعثه في نفس ذي المروءة وما تحمله من التنفير والتشنيع على هذا الآكل وانتقل إلى الحال الموجودة المقيدة بقوله (ظلماً) وما توحي إليه من حشية الأكل الذي يظلم اليتيم وهو في حالة من الضعف والعجز وقلة الحيلة[١]. وانتقل إلى القصر النابع من إنما التي تكون مع الخبر الذي لا يُدفع ولا يجهل . و التعبير بقوله في بطونهم والأكل لا يكون إلا في البطون للتأكيد والإيضاح والتنفير من هذا العمل . ودقق في المجاز الذي يوحد في قوله (ناراً) والتنكير الذي يدل على التعظيم وهي مجاز مرسل من ذكر السبب وإرادة المسبب ، وقيل : النار مستعار للألم أو مستعار للتلف ثم العطف في قوله، وسيصلون سعيراً وهي مرادف وتأكيد للجملة الأولى والسين حرف تنفيس أي استقبال وهي تدخل على المضارع فتمحضه للاستقبال سواء كان استقبالا قريباً أو بعيداً وهي تفيد الوعيد والصلى الإيقاد بالنار والسعير النار الملتهبة وهي فعيل بمعنى مفعول ، وهكذا كلما ازددت تمكناً وإخلاصاً في صفة البيان ازددت إدراكاً للأسرار المنطوى عليها هذا التبيان وتلك منة يمنها على من

---

[١] الإعجاز البلاغي ص٣٦ــ٣٧ ، د/ محمد أبو موسى ، ط وهبة .

يشاء من عبـاده .

ويردى الخطابى ما قيل فــى قولـه تعـالى : (وأنطلـق المـلأ منهم أن امشوا واصبروا)(١) فهم يقولون إن المشى فــى هـذا ليـس أبلغ الكلام ولو قيل بدل ذلك (امضــوا) أو (انطلقــوا) لكـان أبلـغ وأحسن. وفليجيب : بأن المشى فــى هـذا المقـام أولـى وألصـق بالمعنى ذلك لأنه إنمـا قصـد الاسـتمرار علـى العـادة الجاريـة ولزوم السجية المعهودة ، فى غير انزعـاج منـهم ولا انتقـال عـن الأمر الأول ، وذلك أن المشى أشبه بالثبات والصـبر المـأمور بـه فى قوله تعالى (وأصـبروا علـى آلـهتكم) والمعنـى كأنـهم قـالوا امشوا على هيئتكم وإلى فهوى أموركـم ولا تعرجـوا علـى قولـه ولا تبالوا به . وفى قولـه : (مضـوا وانطلقـوا) زيـادة انزعـاج وسرعة سير لا توجد فى قوله امشوا هذا ألوان مـن نظـم القـرآن بثها وكشفها الخطابى فى دلالة الكلمة مع مـا يناسـبها ومـا تسـند إليه.

والباقلاتى من الأعلام الراسخين ومن الأئمـة المدققيـن . تكلـم عن الإعجاز القرآنى قائلاً "وليـس الإعجـاز فـى نفـس الحـروف وإنما هو فى نظمها ، وإحكام رصفـها ، ولكونـها علـى وزن مـا

---

(١) بعض آية من سورة ص رقم ٦ الخطاب ص٤٣.

أتى به النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ وليس نظمها أكثر من أن تكون متقدمة ومتأخرة ووجود بعضها قبل ووجود بعضها بعد بعض..."[١].

كشف ذلك في تحليلات وافية وتطبيقات شافية . حيث قال : "تأمل قول الله (فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ). انظر إلى هذه الكلمات الأربع التى ألف بينها. وأحتج بها على ظُهور قدرته ، ونفاذ أمره ، أليس كل كلمة منها فىنفَسها غُرة ومُفردها درة ؟ وهو مع ذلك يبين أنه يصدر عن عُلو الأمر ، ونفاذ القهر ، ويتجلى فى بهجة القدرة ويتحلى بخالصة الفـزة ويجمع السلاسة إلى الرصانة ، والسلامة إلى المتانة ، والرونق الصافى ، والبهاء الصافى ، ولست أقول إنه شمل الاطباق المليح[٢] والإعجاز اللطيف ، والتعديل والتمثيل ، والتقريب والتشكيل ، وإن كان قد جمع ذلك وأكثر منه لأن العجيب ما بينا من انفراد كل كلمة بنفسها حتى تصلح أن تكون عين رسالة أو خُطبة أو وجه قصيدة أو فقرة فإذا ألفت ازدادت حسنا وزادتك إذا تأملت معرفة وإيمانا.

---

(١) إعجاز القرآن للباقلانى ص٣٥ــ٤٧ ، الرسالة الشافية للإمام عبد القاهر الجرجانى ص ٢٢ ، تحقيق د/ عبد القادر حسين.

(٢) اعجاز القرآن للباقلانى ، ص ٢١٥ ، تحقيق د/ خفاجى ، ط صبيح .

الباقلانى صاحب قلم يفيض رحيقا ولينا سائغا يستحوذ على لبك فيرسلها غرّة ويجعلها درة من غير أن يشخص لك هذا الأمر وَيُقعّد لك هذا الطريق فيكشف لك مواطن الحُسن وفقه الكلمات التى تنبئ عن هذا الحسن ونظم الكلمات بعضها ببعض وعن سر التعبير باسم الفاعل (فَالِقُ الإِصْبَاحِ) والتعبير بالفعل (وَجَعَلَ اللّيلَ سَكَنا) وسر التعبير بـ (الفَلق) وعن ربط الآية بما يناسبها... ؟

(إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ . فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ)[١].

نحن أمام مشهد تصويرى وهو انبثاق الحياة القابضة من هذا الموات الهامد إنها مُعجزة الحياة نشأة وحَركة فى كل لحظة تنشق الحبة الساكنة عن نَبته نامية وتتفلق النواة الهامدة عن شجرة صاعدة ، والحياة الكامنة فى الحبّة والنواة النامية فى النبتة والشجرة . هذا سر مكنون لا يعلم حقيقته إلا الله ، حياة مُتولدة متجددة ينبئ عنه التعبير باسم الفاعل ، يُخرِجُ الحَيَّ من الميت كذلك يخرج النامي من النطف والبيض والحب والنوى ،

---

[١] سورة الأنعام : الآيتان ٩٥،٩٦.

وهذه الجملة موضحة وكاشفة ولذلك جئ بالفعل ، ثم جاء بالجملة المقابلة وهى المعطوفة على جملة (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى) فقال عز وجل (وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ) مبدع هذا الكون هو الله وهو رَبكم الذى يستحق أن يعبد فكيف تصرفون عن هذا الحق للعقول والقلوب .

(فَالِقُ الإِصْبَاحِ) وانفلاق الإصباح من الظلام حياة تشبه فى شكلها انفلاق الحبة والنواة ، وانبثاق النور فى تلك الحركة كانبثاق النور فى تلك الحركة كانبثاق البرعم فى هذه الحركة[1] وبين انفلاق الحب والنوى وانفلاق الإصباح وسكون الليل حالة أخرى . إنَّ الإصباح والإمساء والحركة والسكون فى هذا الكون ذات صلة وشيجة بالنبات والحياة ، ذلك أن كون الأرض تدور دورتها هذه حول نفسها أمام الشمس ، وكون القمر بهذا الحجم وبهذا البعد من الأرض وكون الشمس كذلك بهذا الحجم وهذا البعد وهذه الدرجة من الحرارة هى تقديرات من العزيز ذى السلطان القادر العليم ذى العلم الشامل كل ذلك مقدر بحساب دقيق وَمقدر فيه حساب الحياة ودرجة هذه الحياة ونوع هذه الحياة لا مجال للمصادفة العابرة فيه.

---

[1] فى ظلال القرآن للشهيد/ سيد قطب ، حـ٢ ، ص ١١٥٧ ، دار الشروق .

والتعبير باسم الفاعل يدل على التجدد والاستمرار فهو ليس إصباح واحد ولكنه إصباح يُولد كل يوم يَحيا ويموت ويحيا هكذا أبد الدهر لا تدل عليها كلمة (فَلَق الإصباح) فهى تَدُل على أن الصَّبح واحد لا يتجدد ولا يتغير كما عبرّ بشروق الصبح وخروج النبات من الحب بالفلق الذى يدل على الصَّدْع والتشقق كما تتشقق الأرض ، ولكنه عبّر بالجّعل فى قوله (وَجَعَلَ اللّيلَ سَاكَنَا) والجعل هنا خَلَق ولكنه خَلق ساكن هادئ والشمس والقمر قد عرضا هنا فى معرض وظيفى حيث يعرف الشمس وجهيهما عدد السنين والحساب.

ومرة أخرى تُفيد التدبر والتأمل فى الآية الكريمة . قال الخالق فى الآية السابقة (فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى) ولم يقل فى الثانية (فالِقُ الإصْباح وّالليل) فيكون فى هذا تجانس[1] وتقابل وتوازن فكما يولد النهار من الليل يُولد الحيّ من الميت ، وبهذا تتم المقابلة بين الآيتين (يخْرِجُ الحَىَّ مِنَ الميِّت) (وَيخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيّ) يقابلها (فالِقُ الإصباحِ والليل) بمعنى يُخرج النهار من الليل ، ويخرج الليل من النهار ، هكذا يبدو ظاهر الأمر سُوى على تلك الصورة التى يظهر فيها التطابق والتوافق السطحى .

---

[1] إعجاز القرآن ، عبد الكريم الخطيب ص٢١٥–٢١٦ ، ط دار الفكر .

هذا تفكير المخلوق البشرى ولكن عند فهم الأمـــر الســوي والتـــأمل العقلى والإرادة الحقة وأن تنزل منزل النـــور فإنـــه يتـــنزل عليـــها من آيات الله ما يرفع خسيسبها ويحيى مواتها ويبـــث أشــواقها إلـــى الملأ الأعلى (فالِقُ الإصْباحِ وجَعل الليـــلَ سَـكَنا) فـالفَلَقُ لا يكــون إلا عَنْ وِلادة ولا ينجلـــى إلا عـــنْ حيـــاة ، إصبـــاحُ يلـــد صُبحـــا ، وصُبح يسْفر عن نهار وحياة وحركة دائبين فـــى الوجـــود (وَجَعلْنـــا الليل لِباساً وجَعلْنا النَّهارَ مَعَاشا)[١] كان من قـــدرة القـــادر أن جعـــل حركة الكون موافقة لحركـــة الأحيـــاء ، وكمـــا أودع الإنســـان ســـر النوم والسبات بعد العمـــل والنشـــاط فكذلـــك أودع الكـــون ظـــاهرة الليل ليكون لباسا ساترا يتـــم فيـــه السُّبات والانـــزواء ، وظـــاهرة النهار[٢] ليكون معاشا تتم فيـــه الحركـــة والنشـــاط ، بـــهذا توافـــق خلق الله وتناسب وكان هذا العالم بيئـــة مناســـبة للأحيـــاء تلبـــى مـــا ركب فيهم من خصـــائص ، وكـــان الأحيـــاء مزوديـــن بـــالتركيب المتفق فى حركته وحاجاته مع مـــا هـــو مـــودع فـــى الكـــون مـــن خصائص وموافقات ذلك تقديـــر العزيـــز العليـــم . واســـم الإشـــارة تومئ إلى هذا التنويه بهذا التقدير . وذلك الحســـبان وأنـــه لا يكـــون إلا تقدير عزيز غالب على الأشـــياء كلـــها لا يَعْـــزُب عـــن علمـــه

---

[١] الآيتان من سورة النبأ رقم ١٠ـــ١١.

[٢] أنظر فى ذلك : فى ظلال القرآن للشهيد / سيد قطب ، جـــ٦ ص ٣٨٠٥ ، ط دار الشروق .

شئ. إنّ هناك لطائف كثيرة لا تـزال مَكْمونــة تنتظـر مـن ينظـر ويعقل ويفقه ويتدبــر . هــذه آيــات وسـمات تدعــو إلــى النظــر والتأمل وسير مــا فــى لطــائف القــرآن الكريــم وأســرار نظمــه وتذوق هذا الجمال يحتاج إلــى اسـتعداد فطــرى وطبيعــة خاصــة ذات حس مُرهف وذكاء لماح وعلـــى وعـى كـافٍ بـتراث هــذه اللغة العربية ، لذلك يقـول الخطــابى[١] :

" وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحــذق فيــها أكــثر لأنــها لجام الألفاظ وزمام المعانى وبـــه تنتظــم أجــزاء الكــلام ، ويلتئــم بعضه ببعض فتقوم له صورة فى النفس يتشكل بـــها البيــان" .

لذلك ترى العلماء فـــى تتابعــهم لدراســة هــذه الأســرار قــد تعددت بهم المسالك التى سلكوها إلـــى عنايتــهم فنظــر كــل منــهم إلى القرآن الكريــم مــن جــانب رأى مــن خلالــه بعـض دلائــل الإعجاز واهتدى إلى شئ مـــن أســراره حسـب عطــاء الله لــه ، وتبعا لموهبته وصفاء قريحته ، فألفت كتـــب فـــى إعجــازه وكتــب فى قراءاته ، وكتب فى غريبه ، وكتب فـــى مجــازه ، وكتــب فــى تأويله ، وكتب فـــى ناســخه ومنســوخه ، وكتــب فــى الوقــت[٢] والابتداء ، وكتب فى الاحتجاج لقراءاته ومـــا شــذ فيــها ومــا لــم

---

[١] بيان إعجاز القرآن للخطابى ، ص٣٦ ، ط دار الفكر .

[٢] مع القرآن الكريم ، أ/ على النجدى ناصف ، ص٥٦ ــ ٥٧ ، دار المعارف .

يشد ... وغير ذلك كثير إنه ليثـير الآن وسيظل يثـير إلـى يـوم الدين بحوثا . ويوحى بمقالات لا حصر لـها كشـفا عـن أسـراره وإثباتا لإعجـازه .

لهذا لا يشق علينا أن نفهم عـن أسـلافنا ونتـذوق جمـال الفـن فيما ورثوه لنا من المنثور والمنظـوم علـى مَـرّ العصـور وتلـك مزية نادرة ونعمة سالفة أن يسـتقيم لأمـة يتصـل آخرهـا بأولـها ويقوم حاضرها على أساس من ماضيـها فتظـل أبـد الدهـر أمـة عتيقة عريقة ، وبنية متماسكة متكاملـة .

وعلى قدر صلة المرء بـالقرآن ومـدى مصاحبتـه لـه يكـون حظ لغته من المعدن النقى والبيئة السليمة . لنقـل إذن مـع القـائلين إن إعجازه بنظمه وقد قالها عُلماء ثقات عـُدول لـهم بـاع طويـل فى فهم النظم الكريم ، قالوها صريحـة غـير ذات خفـاء ، وهـى تمنح النظم القرآنى جماله وجلاله فـى مقاماتـه التـى تنظـم فيـه قالها الإمـام : "أعجزتـهم مزايـا ظـهرت لـهم فـى نظمـه[١] ، وخصائص صادفوها فـى سياق لفظـه ، وبدائـع راعتـهم مـن مبادئ آية ومقاطعها ومجارى ألفاظها ومواقعـها ، وفـى مضـرب كل مثل ، ومساق كل خبر ، وصورة كل عظـة وتنبيـه وإعـلام ،

---

[١] دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى ، ص ٣٩ ، ط الخانجى ، الشيخ/ محمود شاكر

وتذكير وترغيب وترهيـــب ، ومـــع كـل حجـة وبرهـان وصفـة وتبيان ، وبهرهم أنهم تأملوه سورة ســـورة وعشـرا عشـرا وآيـة آية فلم يجدوا فى الجميع كلمـــة ينبـو بـها مكانـها ولفظـة ينكـر شأنها، أو يـرى أن غيرهـا أصلـح هنـاك أو أشـبه ، أو أخـرى وأخلق ، بل وجدوا إتساقا بهر العقـول وأعجـز الجمـهور ونظامـا والتئاما ، واتقانا وإحكاما لم يدع فـــى نفـس بليـغ منـهم ولوحـك بيافوخه(ملتقى مقدم الرأس) السماء موضـــع طمـع حتـى خرسـت الألسن عن أن تدعـــى وتقـول ، وخلـدت القـروم فلـم تملـك أن تصـول" (١).

هذا النص تقعيد لما يفصله وإشارة إلـــى الجهـة التـى يقـودك بها إلى التحليل . يقول مُعقبا وجملة مـــا أردتُ أن أبينـه لـك بـأن لابد لكل كلام نستحسنه ولفظ تســتجيده مـن أن يكـون لاستحسـانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة وأن يكـون لنـا إلـى العبـارة عـن ذلك سبيل ، وعلى صحة ما أدعيناه من ذلـــك دليـل(٢).

ونقودك إلى تحليله فى إظهار الجمـــال البلاغـى فـى قـول الله

---

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهرة ، ص٨٩ ، تحقيق د/ محمد عبد المنعم الخفـاجى ، وتحقيـق الشيخ/ محمود شاكر ، ص٣٩، ط الخانجى .

(٢) دلائل الإعجاز ص ٤١.

عز وجـــل (وَاشْـتَعَلَ الـرَّأسُ شَـيْبًا)[1] وأن الجمــال لـم يكــن مَقْصُوْرًا على الاستعارة فحسب بل فى نظـــم الآيـــة الكريمـــة مــن جعل الرأس فاعلا لاشتعلَ وعدوله عن أن يكـــون فاعلــه الشـــيب ، وتعريف الرأس وفى تفكير (شَـيْبًا) . قـــال الإمـــام عبــد القـــاهر : "ومن دقيق ذلك وخفية أنك تـــرى النــــاس إذا ذكـــروا قولـــه تعـــالى (واشْتَعَلَ الرَّأسُ شَيْبًا) لم يزيدوا فيـــه عـــن ذكـــر الاســـتعارة ولـــم ينسبوا الشرف إلا إليها ولم يَـرَوْا المزيـــة مُوجبـــا ســـواها . هكـــذا ترى الأمر فى ظاهر كلامهم ، وليس الأمـــر علـــى ذلـــك ولا هـــذا الشرف العظيم ولا هذه المزية الجليلة وهـــذه الروعـــة التـــى تدخـــل على النفوس عند هذا الكلام لمجرد الاســـتعارة ، ولكـــن لأن يســـلك بالكلام طريق ما يسند الفعل فيه إلـــى الشـــئ وهـــو لمـــا هـــو مـــن سببه، فيرفع به ما يسند إليه ، ويُؤتى بالفعل الذى لــــه فـــى المعنـــى منصوبا بعده ، مبينا أن ذلك الإسناد وتلك النســـبة إلـــى ذلـــك الأول إنما كان من أجل هذا الثـــانى ، ولمـــا بينـــه وبينـــه مـــن الاتصـــال والملابسة ، ومضمون هذا النظم الكريـــم (وَابيَـضَّ شَـعرُ الـرَّأس) أو اشتعل شيب الـــرأس .

ويفسر ذلك فى الأمثلة التى يكـــون فيـــها التميـــيز محـــولا عـــن

---

[1] بعض آية رقم ٤ من سورة مريم ، دلائل الإعجاز من ١٠٠ ـــ ١٠١.

الفاعل فى قولهم (طَابَ زَيدٌ نفَسا ، و(قـرَّ عمَـرُو عيْنـا) ، و(كَـرُم أصلا ، وَحَسُنَ وَجْها) وأشباه ذلك مما تجـده الفعـل فيـه منقـولا عن الشئ الذى ما هو مـن سـببه ، وذلـك أنـَّـا نعلـم أن اشـتعل للشيبى فى المعنى ، وإن كان هُـو لِلـرَّأس فـى اللفـظ ، كمـا أن طاب للنفس وقر للعين وأن أسـند إلـى مـا أسـند إليـه يبيـن أن الشرف كان لأن سلك فيه هذا المسلك وتوخـى بـه هـذا المذهـب أن تدع هذا الطريق فيه وتأخذ اللفظ فتسـنده إلـى الشـيب صَرِيحـا فتقول (اشتعل شَيبُ الرأس) ، أو (الشيبُ فِـى الـرأس) ثـم تنظـر هل تجد ذلك الحسن وتلك الفخامـة ؟ وهـل تـرى الروعـة التـى كنت تراها ؟ ثم يجيب على التساؤل مُـبرزا المزيـة والفضـل فـى هذا النظم فإن قلت : فَمَا السبب فى أن كـان (اشـتَعَلَ) إذا اسـتعير للشيب على هذا الوجه كان له الفضـل؟ ولـم بـأن بالمزيـة عـن الوجه الآخر ؟ فإن السَّبب أنه يفيد مع لَمَعَـان الشـيب فـى الـرأس الذى هو أصل المعنى الشُّمول وأنـه قـد شـاع فيـه وأخـذه مـن نواحيه وَعَمَّ جملته حتى لم يبقَ من السواد شـئ ، أو لـم يبـق منـه إلا ما لا يعتد به ، وهـذا مـا لا يكـون إذا قبـل (اشـتعلَ شَـيْبُ الرأس) بل لا يوجب اللفظ حينئـذ أكـثر مـن ظـهوره فيـه علـى الجملـة.

كذلك تعريف الرأس بالألف واللام وإفادة معنـى الإضافـة مـن

غير إضافة وهى أحد ما أوجب المزيد ولو قيل واشتعل رأسى فصرح بالإضافة لذهب بعض الحسن وهكذا عندما تقدح زناد فكرك تجد الوَرِيَ من هذا القدح تَدَبُّر نظم الخالق فى قوله (وَفَجَّرنَا الأرضَ عُيُونا)[1] التفجير للعيون فى المعنى ، وأوقع على الأرض فى اللفظ ، كما أسند هناك الاشتعال إلى الرأس ، وقد حصل بذلك من معنى الشمول ههنا مثل الذى حصل هناك وذلك أفاد أن الأرض قد كانت صارت عُيُونا كلها ، وأن الماء قد كان يفور من كل مكان منها ، ولو أجرى اللفظ على ظاهره فقيل : وَفَجَّرنا عيونَ الأرضِ أو العُيُون فى الأرض لم يُفد ذلك ولم يدل عليه ولكان المفهوم منه أن الماء قد كان فار من عُيُون متفرقة فى الأرض وبالقدر الذى يكون فى النظم الكريم من صحة المعنى ، ودقته ، وجمال اللفظ واتساقه يكون حظها من الفضل والإحسان بين الكلام . والنظم القرآنى ملئ بهذه الدقائق، ولكن على حسب المقامات والأحوال ، وينظر مرة ثانية فى إسناد الفعل إلى ما يلابسه وهو إسناد الملابسة . يقول فى قوله عز وجل (فَمَا رَبِحَت تِجَارَتُهم وَمَا كَانُوا مُهتَدِين)[2].

يقول "وهو أن يكون التجوز فى حكم يجرى على الكلمة

---

[1] بعض آية من سورة القمر رقم (١٢ ، دلائل الإعجاز ص ١٠٢.

[2] بعض آية من سورة البقرة رقم ١٦.

فقط وتكون الكلمة فقط وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها[١] ، ويكون معناها مقصودا فى نفسه ومُرادا من غير تورية ولا تعريض... فليس من المجاز فى ربحت نفسها ولكن فى إسنادها إلى التجارة وأن الإسناد فيه رفع إلى العلو ومن الذى يخفى عليه مكان العلو وموضع المزية وصورة الفرقان بين قوله تعالى (فَمَا رَبِحَت تِجَارَتُهُم) وبين أن يقال (فَمَا رَبِحُوا فِي تِجَارَتِهِم) ثم بين أن المزية فى الإسناد مزية فيما طريقه الفكر والنظر من غير شُبهة ، وليست المزية فى الإعراب لأن العلم بالإعراب مُشترك بين العرب كلهم وليس هو مما يستنبط بالفكر ويستعان عليه بالروية . فليس أحدهم بأن إعراب الفاعل الرفع أو المفعول النصب والمضاف إليه الجَر بأعلم من غيره ، ولا ذاك مما يحتاجون فيه إلى حِدة ذهن وقوة خاطر ، إنما الذى تقع الوجه فيه إلى ذلك ، العلم بما يوجب الفاعلية للشئ إذا كان إيجابها من طريق المجاز ، كقوله تعالى (فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُم) مما يجعل الشئ فيه فاعلا على تأويل يَدِق ومن طريق تلطف وليس يكون هذا علما بالإعراب ولكن بالوصف الموجب للإعراب ثم يؤكد مرات أن المزية فى النظم وليس فى المعنى فقط ، حيث يقول (وأعلم أنه ليس عجب أعجب من حال من

---

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر ، ص ٢٩٣ ــ ٣٩٥ ، ص٣٩٦ ــ ٤٢٩ .

يرى كلامين أجزاء أحدهما مخالفة فى معانيها لأجزاء الآخر ثم يرى أنه يسسع فى العقل أن يكون معنى أحد الكلامين مثل معنى الآخر سواء حتى يقْعد فيقول إنه لو كان يكون الكلام فصيحا من أجل مزية تكون فى معناه ، لكان ينبغى أن توجد تلك المزية فى تفسيره ومثله فى العجب أن ينظر إلى قوله تعالى (فما رَبِحَتْ تِجَارَتُهم) فيرى إعراب الاسم الذى هو (التجارة) قد تغير فصار مَرفوعا بعد أن كان مجرورا ، ويرى أنه قد حذف من اللفظ بعض ما كان فيه وهو الواو فى (رَبِحُوا) وفى من قولنا (فى تِجَارتهم) ثم لا يعلم أن ذلك يقتضى أن يكون المعنى قد تغير كما تغير اللفظ.

هذا ما سجله الإمام عبد القاهر فى هذا النظم الكريم وأن المزية فى الإسناد المتجوز فيه من طريق الإسناد والملابسة وأن التجوز أعلى قدرا ومكانة من الإسناد الحقيقى ولكن أهل العلم نظروا إلى أشياء كثيرة فى هذا النظم فقالوا فى (فما رَبحِت تِجَارَتُهم) رتبت الفاء عدم الربح المعطوف بها وعدم الاهتداء المعطوف عليه على اشتراء الضلالة بالهدى لأن كليهما ناشئ عن الاشتراء المذكور فى الوُجود والظهور وأسند الربح إلى التجارة ونفى عنها لأن الربح مُسبب عن التجارة وكان الرابح هو التاجر وإسناده إلى التجارة لأنها سببه .

والربح هو الفضل على رأس المال ، والتجارة صناعة التاجر وهو الذى يبيع ويشترى للربح . وفى لفظ الاشتراء تجوز وهو إما مجاز مرسل لأن الاشتراء استبدال خاص أريد به المطلق أو استعمل فى لازمه ، ويجوز أن يكون الاشتراء استعارة وهى تبعية ، فاستعير الاشتراء للاختيار والاستبدال ، وذلك لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر ، ثم يوضح الزمخشرى(١) كيفية ملكهم للهدى ولم يكونوا على هدى . قال : "فإن قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى" . قلت "جعلوا لتمكنهم منه وإعراضه لهم كأنه فى أيديهم فإن تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ، ولأن الدين القيّم هو فطرة الله التى فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة ، والضلالة الجَور عن القصد وفقد الاهتداء ، واستعيرت للذهاب عن الصواب فى الدين . ويحلّل الزمخشرى المجاز العقلى فى الآية والقرينة الباعثة على ذلك وإن كان مسبوقا بغيره(٢) فى هذا الأمر .

فإن قلت : كيف أسند الخسران إلى التجارة وهو لأصحابها. قلت "من الإسناد المجازى وهو أن يسند الفِعْل إلى شئ يتلبس

---

(١) الكشاف جـ ١ ص٣٩ ، ط الهيئة المصرية .

(٢) معانى القرآن للفراء ، جـ١ ، ص١٤ ، ط الهيئة العامة للكتاب .

بالذى هو فى الحقيقه له كما تلبست التجارة بالمشترين". قال : "فإن قلت هل يصح رَبِح عبدُك وخسرت جَاريتُك على الإسناد المجازى" قلت : " نعم إذا دلت الحال فإن لم يكن حال دالة لم يصح فلو قال قائل (قد خَسرَ عبدُك) لم يجز ذلك إن كنت تريد أن تجعل العبد تجارة يربح فيه أو يوضع ، لأنه قد يكون العبد تاجرا ، فيربح أو يوضع فلا يعلم معناه إذا ربح هو من معناه إذا كان متجوزا فيه ، ثم يوضح الزمخشرى الترشيح الموجود فى الاستعارة ومناسبة الربح للشراء فى قوله هذا من الصفة البديعة التى تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى بإشكال لها وأخوات إذا تلاحقن لم نر كلاما أحسن منه ديباجه وأكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح .

والترشيح حقيقته خُروج البلل والقطر الصغار مما يشتمل على شئ مائع ماء كان أولا وعاء كان أو غيره كالضرع ولا يختص بالجلد من الحيوان كرشح الجبين ورشح القرب"[١].

والعرب كَنوا به عن تربية الأم ولدها لنها ترشحه بلبنها قليلا قليلا . فقالوا : رشحت الغزالة ولدها إذا عودته المشى معها ورشحت الأم ولدها باللبن إذا جعلته فى فيه شيئا فشيئا

---

[١] عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى الخفاجى ، جـ١ ، ص ٣٥٨ ، ط بولاق

حتى يقوى على مصه ثم تجوزوا بـــه تجـوزا مبنيـا علـــى الكتايـــة عن مطلق التربية والتهيئة لأمــــر مـــا فقـــالوا ترشـــح للـــوزارة إذا تأهل لها ثم نقله أهل المعانى لمـــا يلائـــم المعنـــى المجـــازى غـــير القرينة المعنيـــة .

وهو لفظ يذكر مع المجاز يناســـب معنـــاه المـــراد منـــه ظـــاهر المعنى المجازى سواء تقدم أو تأخر ، والربـــح والتجـــارة يلائمـــان المعنى المســـتعار منـــه وهـــو الاشـــتراء وهـــذا تعضيـــد وتقويـــة للاســـتعارة.

ولا نريد أن ندع عبد القـــاهر وكتابـــه دلائـــل الإعجـــاز دون أن تلتقط شيئا آخر من جَنَى ثمرة الذى قدم لنـــا طرفـــا منـــه وإن كـــان مخالفا لما فى الإسناد من نظم إلا أنــــه يفتـــح طاقـــات جديـــدة مـــن النور ، تزداد بها معالم الطريق وضوحـــا واســـتقامة يضـــرب عبـــد القاهر للحقائق الفنية الرفيعة مثلا لآية من آيـــات الله المودعـــة فـــى كتابه الكريم ، وهى قوله تعالى (وَجَعَلُـوا لِلَّهِ شُـرَكَاءَ الجِـنَّ)(١).

لقد نظر الإمام عبد القاهر إلى هـــذا النظـــم مـــن شـــقين : الأول فى بيان حسن النظم وما فيه من روعة ومـــأخذ مـــن القلـــوب فـــى تقديم بعض الكلمات على بعض فنظم القـــرآن فـــى قولـــه (وَجَعَلُـوا

---

(١) بعض آية سورة الأنعام رقم ١٠٠ ، دلائل الإعجاز ص٢٨٦ ــ ٢٨٧.

لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ) أفضل من إذا قلت : (وَجَعَلُوا الْجِنَّ شُرَكاء لله) ذلك إنا وإن كنا نرى جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجن شركاء عبدوهم مع الله وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم فإن تقديم الشركاء يفيد هذا المعنى ويفيد معه معنى آخر جاء مع التقديم ، وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا غير الجن ، وإذا أخر فقيل (جَعَلُوا الْجِنَّ شُرَكَاءَ لِلَّهِ) لم يفد ذلك ولم يكن فيه شئ أكثر من الإخبار عنهم بأنه عبدوا الجن مع الله تعالى . فأما إنكار أن يعبد مع الله غيره، وأن يكون له شريك من الجن وغير الجن فلا يكون فى اللفظ مع تأخير (شركاء) دليل عليه ، وإذا كان شركاء متأخرا كان مخصوصا غير مطلق من حيث كان محالا أن يجرى خبرا على الجن ، ثم يكون عاما فيهم وفى غيرهم وإذا كان كذلك احتمل أن يكون القصيد بالإنكار إلى الجن خصوصا أن يكونوا شركاء دون غيرهم جل الله تعالى عن أن يكون له شريك وشبيه بحال .

هذا الأمر من ناحية تقديم (لِلَّهِ شُرَكاء) على جعل (شُرَكاء) مفعولا أولا لـ(جعل) و لله فى موضع المفعول الثانى .

النظرة الثانية فى تقدير المحذوف وجعل (الجن) على كلام ثان ، وعلى تقدير نصب الجن لفعل محذوف كأنه قيل (فمن

جعلوا شركاء لله تعالى ؟) فقيل الجن ، وفي هذا ايجاز بالحذف.

ونظم الآية الكريمة بما فيها من التقديم يكون الإنكار على كون شركاء لله تعالى على الإطلاق ، وحصل من ذلك اتخاذ الشريك من غير الجن قد دخل في الإنكار دخول اتخاذه من الجن ، لأن الصفة إذا ذكرت مجردة غير مجراه على ذلك ، كان الذى تعلق بها من النفى عاما في كل ما يجوز أن تكون له تلك الصفة .

ثم يختم حديثه ، طَيَّب الله ثراه ـ بأن يبصرك بجواهر كانت مكمونة وبدفائن كان مخزونة ، وبروائع كانت غائبة. حيث يقول فانظر إلى شرف ما حصل في المعنى بأن قدم ـ شركاء ـ وأعتبره[1] فإنه ينبهك لكثير من الأمور وبذلك على عظم شأن النظم ، وتعلم به كيف يكون الإعجاز به وما صورته؟ وكيف يزاد في المعنى من غير أن يزاد في اللفظ ، إذ قد ترى أن ليس إلا تقديم وتأخير وأنه قد حصل لك بذلك من زيادة المعنى ما إن حاولته مع تركه لم يحصل لك .

---

[1] دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهرة ، ص٢٨٨.

والزمخشري ـ رحمه الله[١] ـ نظر إلـــى نصـــب لفــظ الجــن على أن يكون بدلا مـــن شـــركاء أو علـــى أن يكـــون مفعـــولا أولا لجعل ، وكشف سر التقديم فى قوله (لِلَّهِ شُـــرَكَاء) وقـــال إن التقديـــم فائدته استعظام أن يتخذ لك شريك من كان ملكـــا أو جنيـــا أو إنســـيا أو غير ذلك ولذلك قدم اسم الله علـــى الشـــركاء.

والاستعظام والإنكار يخرجان من مشكاة واحدة لأنهما ينبعثان مـــن حدوث أمر عجيب منكر خارج عن الطوق المعروف.

هذه ودائع العلمـــاء صاغوهـــا ســـبائك يتحلـــى بـــها ويســـتضاء بنورها وهى قل من كثر وغيض من فيض مـــن أســـرار كتـــاب الله إذ أسراره متجددة ، وصدق الله العظيم حيـــث يقـــول (مَـــا عِنْدَكُـــمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَـــاقٍ)[٢].

ومسك الختام صلوات وتســـليمات علـــى ســـيدنا رســـول الله ـ محمد بن عبـــد الله

وكتبه الفقير إلى ربه الجواد

أحمد بن عبد الجواد بن محمد عكاشه

أستاذ البلاغة والنقد ووكيل الكلية

---

[١] الكشاف ، جـــ١ ص٣٠٤.

[٢] النحل الآية ٩٦.

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

الرواية النوبية بين معيارى اللغة والمضمون

للأستاذ الدكتور

زهران محمد جبر عبد الحميد

أستاذ الأدب والنقد

كلية اللغة العربية بأسيوط

الرواية النوبية
بين معيارى اللغة والمضمون

للأستاذ الدكتور
زهران محمد جبر عبد الحميد
أستاذ الأدب والنقد
كلية اللغة العربية بأسيوط

لا يمكن للأدب أن ينغلق مفهومه فى تعريف حاد واحد ، وذلك لأن الأدب مرآة تعكس الحياة ، والحياة المتطورة ، ولا يصلح المقنن الجامد أن يكون وعاء لمتطور بطبعه بحال ، ولذا فالأدب : رؤية وصورة تنبض بالحياة ، يتفاعل مع الكون ، ويترجم علاقة الإنسان به وبمن حوله فى آن واحد ، فهو استباق وحدس واسترجاع وتصور وغاية .

وإذا كان شهر أكتوبر سنة ١٩٦٣م ، طرقة نحاسية هائلة فى الكيان النوبى ، مثل الطرقات المسرحية التقليدية التى يلتقى بعدها المشاهدون بحياة جديدة ذات طعم مختلف تمام الاختلاف عن الحياة الأولى ، فقد رأت ثورة ٥٢ الاشتراكية أن يكون المدخل لمجتمع الكفاية والعدل هو السد العالى ، وهكذا حمل النوبيون أمتعتهم إلى الشمال غير القريب فى صحراء كوم أمبو يضحكون قليلا ، ويبكون أقسى ما يكون البكاء ، ومن خلال

هاتين العاطفتين المتناقضتين كان لابـد للأدب أن يمارس واجبه المقدس مسجلا ومؤرخا ، وملهما وباعثا للأمل أو ناعيا له[١] .

ولكى نفسر هذه العواطف المتناقضة ، لابد أن نقوم بعملية تفتيت وتجزىء تتضح من خلالها التفاصيل الدقيقة المكونة لهذه السبيكة الغريبة .

كانت بلاد النوبة تقف على الشاطئ بعد انتهاء خط السكك الحديدية فى أسوان عند الشلال الأول ، لتستقبل ركاب (البوسطة) الباخرة التى تنقل المسافرين إلى مناطق النوبة من مصر ثم إلى امتداد قراهم داخل حدود السودان .

كانت تلك السفينة التى انتهت اليوم تماما من حياة النوبى مع انتهاء علاقته بنهر النيل ، حين أقصى عنه بعيدا قسرا ، شأنها فى ذلك شأن الوسائل القديمة للحياة عند النوبى التى ما زالت تترك آثارها الوجدانية فى القصة والشعر النوبيين ، تبدأ رحلتها النهرية فتقطع "مائة وخمسين كيلا" فى المنطقة الكنزية لتمر بدابود ودهميت والأمبركاب وكلابشة وأبوهور ومرواو ومارية وجرف حسين وقرشة وكشتمنة والدكة والعلاقى وقورتة والمحرقة والسيالة والمضيق ، وهذه المنطقة هى أولى مناطق

---

[١] صـ ١٠٤ ، مجلة الشعر عدد ديسمبر ١٩٦٤م ، مقال بقلم إبراهيم شعراوى بتصرف .

النوبة التي استقبلت نكبة التعلية الأولى لخزان أسوان ، ولها لغتها الخاصة ، وأساليبها الخاصة في البناء والتطريز والثياب والفنون التعبيرية .

ثم تمر السفينة بالمنطقة الوسطى العربية العقيلية لمسافة أربعين كيلا ، بالسبوع ووداى العرب وشاترمة والمالكى والسنقارى وهذه منطقة عربية تجرى في عروق أبنائها دماء بيت النبوة ، وتنتشر بينهم النزعات الغيبية والصوفية ، وتكاد بيئتهم تصبح لبنة من البادية العربية ، نقلت بعناية وحرص إلى قلب المنطقة النوبية من غير أن تنسكب من أوعيتها قطرة واحدة ، كما يقول الأديب والكاتب النوبى الأستاذ إبراهيم شعراوى ، وأخيرا تصافح وجهك نسمات خصبة مترعة بالغناء وإيقاعات (النقرشاد) و (الكومبنكاش) عامرة بالأساطير والخرافات (أركبيه) ، (أمن دجر) ، (أمن تو) غنية في ثمارها، مشرقة في فنونها ، وهى منطقة (الفاديجا) حيث تسير السفينة مائة وخمسين كيلا بين قرى كورسكو وأرمنا ، وأبو حنضل ، فالريقة والديوان والدر وتنقالة وتوماس وعافية وإبريم وعنيبة والجنينة والشباك ومصمص وتوشكى وفريق (أبوسمبل) وبلانة وقسطل وأدندان ، التى تنتهى عندها وبها النوبة المصرية ، ولكن بلاد النوبة لا تنتهى بل تتمطى كالعملاق إلى الشلال

الرابع فى دِنقلة التى زودت الثورة المهدية بـأعظم قوادها[١].

انتقلت هذه القرى بعد بناء السد العالى إلى منطقة كوم امبو شرق النيل بالتقسيم الجغرافى نفسه ، وبأسماء القرى والنجوع مع فارق جوهرى فى نمط البيوت والخدمات مع الحجب التام عن نهر النيل ، الذى كان يعد عصب الحياة للإنسان النوبى .

ومع هذا الابتهاج المؤقت الذى استشعره أهل النوبة بالتهجير فى أوله ، ثم كانت قلوب النوبيين تبكى أمر البكاء وأقساه وتتفطر على ملاعب الصبا وذكريات النهر الذى كانت أمواجه تلعق أعتاب البيوت ، هذا النهر الرهيب الحنون الصامت عن أسراره ، الهائج الثائر فى أيام (الدميرة) ، وكذلك إذا اعترضه عارض ، يمتلئ أعماقه بقصور الجنيات ، وممالك الأعماق ، وتسبح فوقه تماسيح هائلة ، يحلو لها أن تخطف ــ كما فى الأساطير ــ أجمل فتيات القرى ليتزوجها فى جزيرة نائية لم تخطر بقلب بشر ، مواويل أساطير ، وأساطير مواويل غذتها محنة كانت من أعظم المحن ، لم يستطيع النوبى أن يتحملها ، هل يمكن أن نتصور كائنا يعيش فوق قطعة من الأرض ذات حضارة موغلة بلا عملة ولا حكومة آمنا مطمئنا ،

---

[١] السابق : بتصرف .

ذلك حلم تصطرع البشرية من أجل الاقتراب منه . هذا الحلم كان هو حياة النوبيين ، تقوم على مبادلة السلعة بالسلعة ، وبعض ما يحصدون ببعض ما يجنون ، طبيعة مفتوحة لا تحدها حدود ، وأفق يغرى بالانطلاق ، البساطة فى أجمل معانيها وأجلها ، نهر وسهل وبسيطة وجبال ، ونخيل باسقات . ومجتمع قبلى التكوين ، عائلى العرى ، له أعرافه وتقاليده ، وثوابته وأصوله ، فى منطقة كانت بمنجاة من العيون والأسماع.

أولا : لأن أهلها بطبيعتهم لا يقفون خارج جبهة القبيلة .

ثانيا : لأن اللغة غير المكتوبة كانت بالنسبة للدولة مثل موقفنا من زقزقة العصافير تملأ القلب والأذن ولكنها تعصى على الإدراك ولا تصل إلى التفسير .

من هذه الشئون والشجون كان الأدب المعبر عن هذه المنطقة من خلال رؤى الكتاب النوبيين وشعرائهم ، أدب ذو طابع نوبى فى المضمون والموضوع ، عربى فى الشكل والقالب والإطار .

كتابات لها خصوصية الانتماء إلى بقعة تحضنها معابد تعلو شامخة على ضفتى النيل مترعة بالأسرار ، كما أن لها سمات مستمدة من حكى الجدات ، وإرث موغل فى الغموض . ولأن

التعميم لا يفيد فى أمور البحث ، فمن الأجدى أن يحدد إطار الحديث فى الأدب النوبى عن الشكل والمضمون ، اللغة والفحوى .

من الصعب جدا على الباحث فى هذا الأدب أن ينطلق واثقا إلى غايته من نقطة ثابتة واضحة المعالم معه لا يخشى الذلل ، أو النكوص على الأعقاب فور الإبحار من شاطئ هلامى ، ذلك لأنه حتى الآن ليس بين أيدينا أو على الأقل بين يدى من المراجع ما يمكننى من الاتكاء عليه ، ومن المصادر إلا القليل المعروف مما يصلح أن يكون قنطرة أتجاوز عليها إلى اليابس المقابل ، ليس فى الإمكان أن أحصل على أكثر مما كتبه روائيو النوبة بداية منذ عهد قريب جدا حتى الآن لا ينغرس فى صلب الزمن إلى أكثر من خمسة وثلاثين عاما ، وبالتحديد بعد الهجرة الأخيرة عام ١٩٦٣م بأعوام قلائل ، حيث كانت المحاولات الأولى للكاتب المرحوم محمد خنيل قاسم الذى أثمرت محصلة تجاربه القصصية عن رائعته (الشمندورة) التى أصدرها عام ١٩٨٦م ، ومعها (الخالة عيشة) ، ومن قبله بعام كان إدريس على يصدر روايته (المبعدون) سنة ١٩٨٥م ، ثم (واحد ضد الجميع) عام ١٩٨٧م ، ثم (دنقلة) عام ١٩٩٣م ، وفى الفترة نفسها كان حجاج أدول يصدر مجموعته (ليالى المسك العتيقة)

عام ١٩٨٩م ، أتبعها بـ (الكشر) عام ١٩٩٢م ، ثم (ناس النهر) عام ١٩٩٣م ، كذلك (بكات الدم) ثم نشر للروائي النوبي حسن نور عدة روايات منها : (رحلة فى حياة طفل نوبى) عام ١٩٨٠ ، (بين النهر والجبل) عام ١٩٩١ ، (عينان زرقاوان) عام ١٩٩٥ ، (خور رحمة) عام ١٩٩٨ ، (دوامات الشمال) عام ١٩٩٩ ، ثم (بحر الزين) عام ٢٠٠١ ، وتوالى بعد ذلك نشر روايات الكتاب النوبيين وإبداعاتهم فى مجال القصة والقصة القصيرة .

وإن أعجب ، فلا أعجب إلا من شيئيين هنا :

أولهما : تأخر ظهور هذا الجنس الأدبى عند أدباء النوبة مع توفرهم على الأسباب الداعية إلى ذلك .

ثانيهما : قلة النتاج مع أن هذا الوادى المترامى الأطراف كان قد تصلب عوده منذ زمن سحيق على مدى تاريخ تجزر عمقا ضاربا بعروقه عند معابد القدماء رمسيس ونفرتارى وتوت عنخ آمون جنوبا حتى معابد فيلة شمالا بحضارة راسخة ظللت كل جوانب الحياة وأسهمت بمدها فى حضارات أخرى .

أرض محروسة بأدعية الكهنة منذ فجر التاريخ ومروية بقرابين الآلهة ، وسكرى بأناشيد الجوقة ، كل ذلك ولم تكن هناك مسايرة أو نتاج أدبى روائى لهذه الحضارة العريقة فى

نتاجها الثقافى المكتوب لأن المنقول شفاهة فـــى ألـــوان شـــتى مـــن المعرفة ثرى ثراء لا ينكر خاصة فـــى الشـــعر .

ولكن ربما يعزى السبب إلـــى أن هـــذا الســـهل المنبســـط علـــى ضفتى النيل الحاضن لبلاد النوبـــة قبـــل التـــهجير ، والممتـــد مـــع النهر الخالد من الشلال الأول عند أسوان شمالا ، حتـــى دنقلـــة فـــى السودان جنوبا ، ظل فى معزل عن التطـــورات التـــى تحـــدث فـــى الجنوب القريب والشـــمال البعيـــد ، كمـــا ظلـــت المنطقـــة طلســـما وكتابا مغلقا محاطا برصد التقاليد ، وتمـــائم التعـــاويذ .

كما أنها لم تلـــق إلا الإهمـــال مـــن الحكومـــات المتتابعـــة فـــى الشمال فى العهود القريبة ، ثم الغـــزوات المتعاقبـــة والقتـــال كـــرا وفرا ، مدا وجزرا فى العصور التى سلفت ، ممـــا أصـــاب النـــاس بالرهق والوهن ، وبما لم يدع وقتـــا لاســـتثمار ذلـــك الـــثراء فـــى بعديـــه الحضـــارى والبشـــرى ، واســـتنيموا دهـــرا ، ولـــم يصـــح الأحفاد إلا على وقـــع النكبـــات الموجعـــة التـــى زلزلـــت الكيـــان ، وهزتهم بعنف ، وحملتهم عنـــوة إلـــى حيـــث محبـــس الجـــن فـــى صحراء كوم امبو كما زعمـــوا .

على كل حال هناك أدب : شـــعر ونـــثر نوبيـــان ، ولكنـــه أدب تشده التفاصيل الدقيقـــة والـــهموم المتضمنـــة والأوجـــاع المجســـدة والآمال والأمانى المتخيلة فيه إلى بيئـــة النوبـــة المســـتغرقة للزمـــان

والمكان فيما قبل وفيما بعد ، ووشائج قربى وصلة معايشة فى إنسانيته إلى الوطن الأم ــ وكما أسلفت ــ لا أستطيع أن أضع يدى على تاريخ مفصل بجدول تطور هذا الأدب النوبى ، كما هو مثلا عند عبد المحسن طه بدر فى (تطور الرواية العربية فى مصر) ، أو صنيع إبراهيم السعافين فى (تطور الرواية الحديثة فى بلاد الشام) ، وغيرهما ممن رصدوا مسيرة هذا الأدب عند اليفاعة حتى الاستواء على سوقه كفن مستقل له خصائصه وسماته ، ومع هذا فإنه من اليسير جدا أن نتابع النماذج النوبية فى الرواية ، تلك التى بلغت حد النضج الفنى ، واحتلت مكانها بين مثيلاتها من إبداعات الأساتذة والأتراب فى الشمال بالدراسة والتقويم .

ولعل كاتب هذا البحث هو أول من يمهد الطريق لمثل تلك الدراسات ويضرب بقلمه فى حقل ما زال بكرا ، وبمعوله فى تربة بعد لم يستكشف عن الحديث فى التطور والكم بتسليط الضوء على إشكالية الأدب النوبى من حيث اللغة والمضمون من خلال دراسة بعض الروايات النوبية التى وقعت فى يدى .

ولى أن أسأل هنا ، ما الرواية النوبية ؟ هل ما أقرؤه فى (الشمندورة) لخليل قاسم ، أو (الكشر) لحجاج أوول ، أو (دنقلة) لإدريس على أو غيرهم من كتاب النوبة يختلف ويمتاز عما

أقرؤه لنجيب محفوظ والسحار والشرقاوى وخورشيد وسعد مكاوى وغيرهم ؟ وإن كان فما الفرق ؟ مع الوضع فى الاعتبار رؤية كل فى عمله واتجاهه وأسلوبه الخاص فى معالجة قصيدته ، وطريقته فى إحكام البناء الدرامى لروايته ، وأثر ثقافته على كل ذلك .

أقول للإجابة على هذه التساؤلات ، مما هو معلوم سلفا أن الفكرة أيا كانت هذه الفكرة ، لكى تنقل إلى الغير (المتلقى) لابد لها من وسيلة للإفصاح عنها أولا ، ثم التفاعل بها ومعها ثانيا ، وهذه الوسيلة تتمثل فقط فى اللغة ، ودور اللغة يبدو متعاظما هنا فى إشكالية الأدب النوبى وذلك فى وضوح وصراحة شديدين لأن الأدب فى جانب منه مرتبط بالمجتمع ارتباطا عضويا عن طريق مادة النص الأدبى أى اللغة ، إذن اللغة هى التى تكسب العمل الأدبى الهوية المستقلة ، ولا تتحقق هذه الغيرية فى ظنى إلا من خلال تباينها ، فهل لنا بعد ذلك أن نعد البيئة بأبعادها مثلا أو عناصر الرواية الأخرى من السمات الفارقة التى تقيم حاجزا واحدا بين روايتين كتابهما من وطن واحد ، ينتميان إلى عرقين ويكتبان بلغة واحدة ؟ أميل إلى أن الفرق الجوهرى لا يكمن إلا فى المادة (اللغة) أداة الخطاب ووسيلة البيان ، إذ الإنسان يفكر باللغة ويعبر بالحروف ، بغض

النظر عما يتشابك من مداخـلات مـع هـذا السـياجس ، مـن مثـل ترجمة أثر أدبى من لغة إلى أخــرى ، لأن الفــرق هنــا واضــح ، فالعمل الأدبى المـترجم لـن ينخلـع بالترجمـة حرفيـة كـانت أم محورة عن هويته الأصلية ، ويصبــح مــن نسـيج اللغــة المــترجم إليها ، فقط الانتساب بالنقل ، والنقل ليـــس مـبررا للانعتــاق عــن الأصل ، ومعلوم أن الأدب أو العمل الأدبى عنـــد الترجمـة والنقـل يتخلى عن كثير يعد من خصوصيـــات الهويـة ــ علـى الأقـل ــ فيما يتصل فى الإحساس باللغة أعنى تذوق اللغـــة الخـاص وكيفيـة التعاطى لها والتعامل معها وتوظيفها فى الترجمـة عـن المعـانى .

إن وسـيلة التعبـير عــن الرؤيـة وتجسـيد المواقـف وتنميـة الشخصيات من خـلال السـرد أو الوصـف أو التقنيـات الأخـرى المتعددة للرواية فى روايات كتـاب النوبـة هـى اللغـة العربيـة ، هذه اللغة التى تعمقت دقائق التفاصيل ، ووســعت البنـاء الدرامـى لقصصهم ، و بلــورن الأحاسـيس ، سـمة عامـة بـل خصيصـة مشتركة ، بل دعامة رئيسـية وإطـار هـو لروايـات القصصيين المصريين جميعا مع فارق بسـيط بيـن لغـة الجميـع فصاحـة أو تخففا منها ، اللهم إلا فيما يلجأ إليـه القـاص النوبـى أحيانـا فـى الاستعانة بمفردات نوبية فى بعـض الجزئيـات لدلالاتـها المتنوعـة التراثية والصوتية والرمزية والأدائيـة ، وكسـر الرتابـة وتكثيـف

الحدث ، هذا التوظيف ـ في اعتقادى ـ لا يخرج بالروايات من إطارها العربى التى تعالج هموم وقضايا ومشاكل قطاع عريض من أبناء الوطن أو شريحة منه إلى إطار آخر ، وطبيعى أن يكون المضمون المعالج والبيئة التى تتحرك فيها الشخصيات بمسمياتها منتزعة من ذات البيئة النوبية من كنى وألقاب وأسماء نجوع وقرى وزمامات .

أضف إلى ذلك أن كثيرا من سمات الشخصية يمكن أن تكون مشتركة بين شخصيات الروايات على امتداد خارطة الوطن ، لا فرق في ذلك بين كاتب في بر مصر أو النوبة إلا ما يعزى للعامل الجيوجغرافى ، لم يبق بعد ذلك من العناصر الفاعلة في العمل الروائى عموما.

• والرواية النوبية خاصة إلا البيئة بأبعادها المختلفة زمانية كانت أو مكانية مع كل ما تشتملان عليه من متحرك أو ساكن ، ناطق أو صامت ، متغير أو ثابت ، هذه البيئة فى الرواية النوبية تعد ممتدة تستغرق مساحة كبيرة بل كل المساحة أحيانا من بيئة كتاب العاصمة ، فإذا اختزلنا الجزء اليسير من بيئة الشمال الذى لم يكن متحركا ومؤثرا فى بيئة الرواية النوبية ، وجدنا أن زمان ومكان الأحداث والشخصيات فى قصص النوبيين واقعية متطابقة غير متخيلة تفاعل معها الإنسان وارتبط

بها النوبى ، وطبيعى أن تبدأ أحداث الرواية منها ثـم تنتـهى إليـها والعكس صحيـح .

هنا نضع أيدينا على الفـارق الوحيـد المميـز لـهذه الروايـات على غيرها من روايـات أبنـاء الوطـن فـى الشـمال ، إذن هـى خصوصية تتمثل فى البيئـة المحركـة والداعمـة لمراحـل العمـل القصصى صعودا إلى النهاية أو تدرجا فى تناهيـها نحـو الغايـة .

وعندما تؤطر الجهود التـى يبذلـها طائفـة مـن أبنـاء النوبـة المهتمين وفى مقدمتهم الأستاذ محمـد جدكـاب وصحبـه وتتبلـور رؤاهم فى التعريف باللغة النوبيـة ويتواصـل زخـم المـد والحيـاة فى إرث الدكتور كبـاره رحمـه الله فـى فريدتـه (كيـف نكتـب اللغة النوبية) ، وترسخ فـى الأذهـان صورتـها ، ويسـهل علـى الأقلام رسمها ، خاصة بعـد أن قعـدت وقيـدت حروفـا ، حتـى صارت تكتب فـى يسـر وسـهولة عنـد نفـر قليـل جـدا مـن المتخصصين ، وعندما تكتب الرواية النوبية بلغتـها ، أو ينقـل مـا فى الساحة منها إليها ــ وهو حادث الآن ولكـن فـى بـطء ــ فـى جهد مواز لتعلمها عندئذ فقط تكـون الروايـة النوبيـة قـد وجـدت قالبا وإطـارا وفـى مضمـون إنسـانى بخصوصيـة نوبيـة قلبـا وفحـوى.

وفى دراسة سريعة مستنبطة لبعض ما فى يـدى مـن روايـات

كتبها أدباء نوبيون نجد أن : حجاج أدول في مجموعته "ليالي المسك العتيقة" يصدر فيها عن ثنائية تتبدى في توظيف الأسطورة والتراث يجمع بينهما خيط دقيق من الواقع ضام لشخصيات المجموعة على تنوعها يكاد جميعها كما في غيرها من الروايات الأخرى ، يؤكد تعريف الذات وتوصل الهوية وتحاول استيعاب الأزمة ـ على شدتها ـ ومعايشتها ، وتقبل التفاعل مع الطارئ على مضض مستتكف ، تمرد سرعان ما يصطدم بالحقيقة فيغوص في أعماق الماضي في جدلية مع الذات تستمرئ تعاطي المفتقد تخيلا وذكرى .

هذه المجموعة وغيرها تحصي الآثار السالبة للتهجير ، وما ترتب عليه ، وما نتج عنه من انفراط العقد ، وانمحاق كل ما هو جميل في نظر القاص ، واندثار مجموع القيم الذي نشأ عليه وغذت مكوناته .

الهجرة هاجس مفزع يؤرقه دائما هجر الأرض بالجسد ، والروح لا تزال متشبسة بها ، والرحلة إلى الشمال ضياع وذوبان وهلاك .

في الرحيل إلى ناس النهر ، تتبدى خصوصية البيئة ، "فانا" محور الأحداث وقطبها الذي تدور حوله ، الفتاة الأسطورة ، بنت البيئة التي من مفرداتها "الفاركي" شريان فرعي للنيل يمد

الأرض والإنسان النوبى بالحياة مقامـــات الأوليـــاء مـــلاذ العـــائذين والمستجيرين من تقلبات الأحوال عنـــد البســـطاء ، (آمـــون تـــو) ، (آمون دجر) قطبى الحياة لا يلتقيـــان ولا يفترقـــان (الخـــير والشـــر) وهما (ناس النهر" ، ثم (آشا آشرى) عائشـــة الجميلـــة ، صيـــام ... الخ ، حزمة من الخطوط تتعـــامد علـــى المأســـاة ، الخارطـــة فـــى أقصى طرفها الشمالى نتوء مفزع يلجم النيـــل ويكبـــح جماحـــه أيـــام الفيضان ويدرأ عن أهل الشمال أضراره ، خـــزان عمـــلاق يحجـــز الماء المتدفق فى ثورة ، فيهب الشمال بالازدهـــار ، ثـــم يرتـــد إلـــى الخلف غولا كاسرا يقتطع فى أحشـــائه جـــزءاً مـــن أرض الجنـــوب بلاد النوبة ، لن يعود أبدا ، ويقذف بأهلها إلـــى المتاهـــات ، تتجـــدد المأساة كلما ارتفع الخزان قامة بالتعلية ، فتنقلـــع قريـــة نوبيـــة مـــن جذروها ويتبعثر أهـــلا .

هـــذه المنطلقـــات الرئيســـة يعتمدهـــا الروائـــى حجـــاج أدول ويوظفها مع واقع مرفود بالأسطورة الممزوجـــة بحكـــى الجـــدات ، وطقوس المناسبات الدينية والاجتماعية وموروث ثقـــافى أكـــثر مـــا يعتمد على ما تلقفه النوبى شفاهة من أجيـــال تعاطتـــه عـــبر أزمنـــة متقادمة حتى وصل إلى أذنه واســـتقر فـــى ذهنـــه ، يخلـــص منـــها إلى إنزواء الأمل وانقطاع حبل الماضى المشـــرق وانحســـاره عـــن التواصل إلى حاضر بئيس تنفصم عراه وينتـــهى مـــع آخـــر شـــهقة

لآشار أشرى التى تؤثر ناس النهر ملائكة كـــانوا أم شـــياطين علـــى ناس البر الذين ألفوا التفريط وأدمنـــوا عـــدم الوفـــاء ، ثـــم خلفـــت وراءها مأتما مقيما فى قلوب أهلها ، يحســـم الروائـــى حجـــاج أدول النهاية بغرق أشـــار أشـــرى[١] (عائشـــة الجميلـــة) معـــادل النوبـــة القديمة ، للدلالة على انبتات الصلة بيـــن القيـــم المثلـــى التـــى كـــان يعتد بها وما يتسرب إليها بعد الهجرة من إحباطـــات ، نـــاس النـــهر تعبير عن حجب الإرث وحرمان الـــوارث منـــه .

وفى (أديلاجدتى)[٢] وهى واحدة مـــن ثـــلاث قصـــص قصـــيرة ضمنتها (ليالى) أدول ، يطرح فيـــها الكـــاتب فكـــرة التمـــرد علـــى أعراف المجتمع النوبى ، وكســـر تقـــاليده الموروثـــة ، يتمثـــل كـــل ذلك فى ابن النوبة الـــذى يـــتزوج مـــن (جورمانيـــة) غريبـــة مـــن الشمال ، وينجب منها محمدا الذى يعيش صراعا حـــاد يتمثـــل فـــى نزوعه إلى عرقين مختلفين وأصليـــن فـــى عـــرف أهـــل النوبـــة لا يلتقيان أو هكـــذا نفـــخ الكبـــار ــ كمـــا ؟؟؟ ــ فـــى آذان الأجيـــال المتتابعة ، الأحداث تتحـــرك وتـــدور فـــى أرض المـــهجر ، إلا أن البيئة المتحكمة حقيقية فى تنامى الصـــراع ومســـارب القصـــة هـــى

---

(١) ناس النهر ، حجاج أدول ، صـــ ١٠٤ .

(٢) ليالى المسك العتيقة ، حجاج أ دول ، صـــ ٣٢ .

(الجدة) ، إذا عدوناها مكونا اعتباريا أصيلا للبيئة بما تمثله ، فهى همزة الوصل بين القديم والجديد الذى لم تألفه بعد ولم تنسجم معه ولا تقبله ، حتى كادت عروقها تجف تحت جلدها من الحزن فتتكفئ على ذاتها رافضة لكل شيء، وجدت نفسها نتبة غريبة قامت فى الهواء بلا ساق ولا جذور ، تستمطر حفيدها (الجيل الثانى) المهجن نتاج الغربة والانعتاق عن الأصل ، ابن الجورمانية تستمطره اللعنات بسبب وبدون سبب ، وتصب عليه حنقها وجام غضبها ، فهو عندها الجديد الطارئ والمحدث المرفوض والغربة التى تستشعرها ، وهو نبت الأرض التى لم تألفها ومن باب أولى الحياة الجديدة برمتها .

إنه الصدام الماثل فى عينيها بين ما هو قديم موروث ينسحب من الحياة فى عجل ، وجديد يزحف بقوة ويتسرب إلى واقع نكد تسخر منه الجدة ولا تقبل معايشته ، ولذا ترضى بالسجن الاختيارى الذى بنته لنفسها إلى أن يوافيها أجلها ، وبموتها يعلن الكاتب كما فى (الرحيل إلى ناس النهر) انقطاع الصلة بين ماض جميل وحاضر لا يؤذن بخير (أديلا جدتى) مع السلامة .

وإذا كان حجاج أدول قد طرح فكرة مفادها أن زواج النوبى من غير جنسه خرق للعرف وخروج عن التقاليد العشائرية

ومجتمع النوبة القبلى لا يسمح به ، وفى الوقت نفسه بسط إشكالية الاغتراب المزدوج النوبى بالهجرة إلى الشمال ، ثم الاقتران بجورمانية ، إغتراب خارجي وداخلى ، ظاهرى ونفسى فى إطار من التآلف الحذر بين حدى القضية وطرفى المعادلة ، غاضا النظر عن قانون صارم ، وحكم مبرم لا يمكن نقضه ، لأنه موروث رئيس من جملة الأعراف والتقاليد السياجية ، تمرس خلفها الإنسان النوبى عهدا ليس بالقصيد يتمثل فى أن الزواج بأجنبية (جورمانية) يعد موتا،من يقدم عليه يخلع من القبيلة ويصير نسيا منسيا ، فإن الكاتب حسن نور يطرح فى المقابل فى روايته : "بين النهر والجبل" فكرة أكثر جرأة ، وسلوكا أشد تمردا ، لا يعد مقبولا بحال من الأحوال على الأقل فى البيئة الأصلية المحافظة والمتزمتة جدا ، ناهيك عن الاعتراف به إلا إذا عددنا ذلك نوعا من الحدس استبق به الروائى واقعا معاشا إلى معطيات مستقبل أضمر فى نفسه كثيرا من المفارقات .

إن ما طرحه حسن فى راويته (بين النهر والجبل) ضمن ما تناول ، فكرة أن تتزوج الفتاة النوبية من أجنبى ـ معتاد أهل النوبة أن يصفوا من ليس نوبيا بالأجنبى ـ (جورباتى) ، ليكون النتاج مقرفا كما هو فى قاموس الأنساب عند العرب (عبدون)

يكسر هذا الطوق المحكم ويعرض مبادرا ابنتـــــه (ســـامحة)[١] علـــى (الغريب) هكذا الاسم منقول من الصفة وليس له اســـــم يعيـــن بـــه ، لم يكن الكاتب متعصبا كما هـــــو أكـــثر أهـــل النوبـــة ، ولا منغلقـــا يحشر نفسه في زقاق العرف الضيق ، لكنـــه يظـــهر إمكانيـــة تقبـــل الغير ومعايشته ، بمعنى آخر هـــــو نـــوع مـــن التنـــازلات الكثـــيرة التى قدمها النوبى عبر المسيرة الطويلـــة إلـــى مـــا بعـــد التـــهجير ، وهذه القضية بالذات حـــــاضرة فـــى كـــل روايـــة نوبيـــة تقريبـــا ، وهاجس يؤرق ، وإن لم تكن محورية فهى على الأقـــــل تنبثـــق مـــن ثنايا الأحداث فى ومضات مؤثرة علـــى مجرياتـــها .

الكاتب حسن نور يمهد بـــهذا ــ فـــى الوقـــت نفســـه ــ بحاســـة الأديب أرضية المجتمع ويهيئـــها إلـــى مـــا يمكـــن أن يحـــدث مـــع الزمن ــ والأيام حبلى بالمفاجآت ــ والروائـــــى المبـــدع يستشـــرف الغد ويتوقع المتخيل وينظر من كوة خاصة إلـــــى المســـتقبل أرتـــأى المتوقع من اختلاط وتداخل ، والتخلى عن كثير ممـــا كـــان يتمســـك به وارتكاب ما يخالفه يعد عارا وعيبـــا لا يمحوهمـــا الزمـــن ، أراد أن يعد هذا المجتمع لتقبل مـــا يمكـــن أن ينحطـــم مـــن المـــوروث ، كذلك التنبيه على أن ما سيقع على الـــرأس مـــن مطـــارق الحدثـــان

---

[١] بين النهر والجبل ، حسن نور ، صـــ ٨٢ ـــ ٨٣ .

ربما أشد وأكثر إيلاما مما سبق فبنـى لحمة الرواية على هذه القضية وجعل متشعباتها روافد تنمى الصراع وتزكيه ، حتى تصل الرواية بتضافر عناصرها إلى النهاية التى خطط لها الكاتب مسبقا .

ويلحظ هنا على رواية "بين النهر والجبل" عنوانها بدلالاتها الثرية ورمزيته التى تشف عن كثير من معطياته ، وتنم بهذا التقابل عن فحوى الرواية ، ذلك بأن الناس هم أولا سكان ما بين النهر والجبل ، وهذا حدث واقعى موثق لطبيعة المكان فى الرواية والبيئة المؤطرة للأحداث التى تجرى على سطحها فإذا تركنا هذا المفهوم وغادرناه وانتقلنا إلى دلالة أخرى سنجد النهر رمز العطاء والحياة حتى قبل (مصر هبة النيل) يوحى بحياة النوبى قبل التهجير فى سلام ورغد آمن وطمأنينة وتواصل والجبل رمز القسوة ، والواقع المعاش فى المهجر ، والمعاناة والهواجس والخوف من الغد وما يأتى به وأيا ما كانت المعطيات والمفاهيم فإن المضمون المعالج يسترفد شقى العنوان ويقوم عليهما .

وفى (دوامات الشمال) يجسد الكاتب حسن نور حياة إنسان تضافرت الظروف ضده ، وألقته فى معترك الحياة وهو ما زال غصن الإهاب لين العريكة لم تره إلا وجهها العابس ، تلقفته

بدواماتها العاتية فيحاول الفرار ولكنها تترصده ، بدأت القصة ببطلها يجرى مفزوعا لا يكاد يلتقط أنفاسه حتى يسرع إلى مجهول مكدودا ضائعا ، يحاول القفز على نتوءات الحياة ويغض النظر عن تجاعيدها ، ولكنه لا يفلت من المطاردة ، فالعدو والقفز لازمتان لا تفارقانه مع ملاحظة أن الأحداث فى معظمها تجرى فى الشمال والقاهرة ، ويصل مدها إلى بيئة البطل موجا هائجا لا يحمل فى طياته إلا كسوف الآمال وبؤس الواقع .

ذو النون البطل وحشد الشخصيات الرئيسة والثانوية والمسطحة والفاعلة أغلبها تنتمى إلى البيئة الأم انتقلت بتقاليدها وعاداتها منذ زمن إلى العاصمة لتحتل موقعها فى قاع المجتمع مثل أكثر أفراده ، تتفاعل لدفع الحدث ورفده بمقومات التنامى ، الذى يتمحور ثم يتحرك صعودا ، ليرتد فجأة إلى نقطة سبقت يتخذها الحدث دعامة جديدة لمد آخر ، وهكذا تظل الرواية مندفعة بالأحداث إلى الأمام ثم تعود فى انسحابية إلى الوراء تنطلق إلى الحاضر الذى تنتمى إلى تفاصيله الدقيقة إلى جزئية سابقة مضت .

هذا الأسلوب التبادلى لسرد الأحداث يساعد على التوضيح والتكثيف والإضافة والبناء ، على أنه من الممكن أن نضع

استدعاء الماضى والتذكـــر ودلالاتـــهما وفقراتـــها التعبيريـــة التـــى تعترض المد الطبيعى لتسلسل أحداث الرواية بيـــن قوســين تقــترب المساحة بينهما وتضيق أحيانا إلـــى صفحـــة أو صفحـــة ونصــف ، أو تتسع إلى عـــدة صفحـــات حســبما يســتوعب بينـــهما وعلاقتـــه بالحدث الآتى ودلالاته وما يرمز إليه ، ولولا براعــــة القـــاص فـــى توظيف هذا النمط من الأسلوب وتمكنـــه مـــن إيجــاد الصلـــة بيـــن خطين متعاكسين والربط المحكـــم بيـــن (الارتـــدادات والانطلاقـــات) بين هذا الكسر المتعمد لتسلســــل الروايـــة وبيـــن تناميـــها لأصيــب النسيج القصصى بالترهل والانفـــراط ولكـــن دقـــة العـــرض وفنيـــة انسحابية التفاصيل إلى الـــوراء لإضفـــاء الإضـــاءة الكاشـــفة علـــى مجريات الأحدث ، ثم إيجاد العلاقـــة بيـــن خطيـــن نـــافرين أخـــرج الرواية من دائرة الإحباط الفنى إلى نوعيـــة مـــن الحبكـــة أســـهمت فى سبك مكونات الرواية الفنية بعناصرها فى إطــــار بـــانٍ .

يهتز ارتباط البطـــل وانتمـــاؤه إلـــى الأرض باستشـــعاره الظلـــم وإحساسه بالاغتراب فى العاصمـــة يـــدور فـــى أزقتـــها وحواريـــها باحثا عن الاســـتقرار والمخـــرج ، تظـــل بطحـــاء القـــاهرة قطـــب الرحى فى القصة ومركزها الجـــاذب لا الطـــارد ، دائـــرة الدوامـــة التى دوخت البطل ، ولا تزال تتســـع ، وتتكـــالب عليـــه المصـــائب وتتصارع فى أعماقه الأحاسيس ، لتطفو علـــى الســـطح ، ويـــترجم

إلى ثورة وتمرد ، حزمة الأعـــراف والمواضعـــات لا يشـــذ عنـــها أحد ، وطقوس متوارثة فى مواقف بعينها تزخـــم بمـــد زاخـــر مـــن المعتقدات الدينية والأسطورية والآنية ، مـــع إحســـاس كـــامن فـــى اللاشعور تستثيره نظرة الاستخفاف مـــن الآخريـــن ، تتحـــول إلـــى سباب صريح ما هذا ؟ مـــع بربـــرى ... كلـــب حقـــير [١] تســـتفذه النخوة ويدخـــل فـــى معركـــة لا يـــهم أن يكـــون هـــو الخاســـر أو المنتصر المهم أن يقاوم ويدافع ويثبت ذاته ، إثبـــات الـــذات وتـــأكيد الهويـــة يدفعانـــه إلـــى أن يمقـــت التحيـــيز والعنصريـــة ، خاصـــة والبطل طموح يستشرف غدا أفضـــل ويمنـــى النفـــس بـــأن يكـــون شيئا مذكـــورا ، يحـــب العلـــم ولكـــن الظـــروف حـــالت بينـــهما ، عبد الدايم كشكول الثقافـــة أغـــراه بـــها فقـــرأ فـــى نـــهم واتســـعت مداركه ، استوعب الحيـــاة وقوانينـــها ، وعـــرف منـــاهج السياســـة والاقتصـــاد ، ظلـــم الحـــاكم وضيـــاع حقـــوق الرعيـــة ، وزيـــف الشعارات ، دس أنفه فى كل شئ ، ولكن الواقـــع يتـــأبى أن يكـــون نموذجا للعدل الذى يحلم به ؟ مـــن أن يكـــون مـــرآة يعكـــس عليـــها مفاهيمه فيزداد ضيقا بالحياة ، وتبرمـــا بـــل تمـــردا وثـــورة ، مـــن قبل صدم بوفاة أبيه فى عز عافيته ، اسودت الدنيا فـــى عينيـــه كـــاد يشك فى الحياة وجدواها ، يتساءل ذو النون عـــن المـــوت وفلســـفته

---

[١] دوامات الشمال ، حسن نور ، صـــ ٤ .

سؤال عفوى يتردد على لسانه فى ساعات الضنك والضيق ، عندما تنعقد دائرة محكمة لدوامة لا تنتهى بل تبلغ ذروتها "لماذا نستسلم هكذا للموت دون مقاومة ؟ أهو مخيف إلى هذا الحد قوى لا يقهر ؟ .

وفى موضع آخر : "ألهذا الحد يبلغ الهوان بأعظم مخلوق على وجه الأرض ، يموت فيتساوى بالتراب ، لماذا يكون الموت ؟ ولماذا يموت ؟"

الإحساس بالفناء يستغرق ذى النون البطل ويسترجع طقوس ما بعد الموت فى تتبع دقيق ومفصل للحقائق ؛ وكل مفردات هذه الطقوس من لحظة الموت حتى الانتهاء بيوم الرحمة ثالث أيام الوفاة وما يعقب هذه المراسيم من خصوصيات تتميز بها النوبة فى هذه المواقف يدور الكاتب بكاميرا لاقطة شديدة الحساسية ، ترصد التقاليد ، فى حيزها الضيق قطاع من النوبة عاشت فى العاصمة طلبا للرزق الواسع وطن ذى النون فى مهجر أهل النوبة ، والأوسع الوطن بأكمله ، حجرة تلقى فى صفحة ماء الحياة الآسن ، فتنعقد سريعا عشرات الدوائر تغرى غيرها وتنتهى إلى دوامة مذهلة .

يقوم القاص حسن نور بتوظيف العنصر التراثى بدلالاته اللامتناهية والرمزية فى توليد المعانى التى تتداعى من اللحن

الجنائزى للتعديد ، والأغانى تعبيرا عن الحزن العميق الذى استشعره بفقد أبيه ، ثم ضياعه وسط زحام العاصمة ، ثم تبدد الأمانى باستحالة تحقيقها (لا واسطة له) ، سواء آماله الخاصة فى أن يجد عملا يقتات منه ، أو آمال محيطة فى استقرار الوضع السياسى للبلد ، يسجل ما عاصره من الأمور السياسية وأحوالها وتقلباتها ومؤامرتها ودور التنظيمات والأحزاب فى عدم استقرار البلاد وانقلابات العكسر ومكائده فى الأخذ بالشبهة والاعتقال وتغييب الرأى الآخر واحتكار السلطة ، وبشاعة التعذيب والانحدار الخلقى لزبانيته ، يؤخذ ذو النون إلى المعتقل لمجرد أنه صديق عبد الدايم التنظيمى النشط ويزج بهما مع كل التيارات الفكرية والسياسية فى السجون ، ينال ذو النون حظه من التعذيب بالضرب والتقييد وإطالة أمد التحقيق وتلفيق التهم والإدانة بالاعتراف الكاذب على جريمة لم يرتكبها رماه حظه العاثر فى طريق هذه الهوجة البوليسية ، كان الكرباج ينغرس فى ظهرى ، ويمحو جلدى ... سال دمى ، أغرق ساقى، غبت عن الوعى فلم أحس بشئ، لما أفقت جاءنى أحد الضباط ... قال : لن يفيدك العناد ، والأفضل أن تعترف على صاحبك وتوقع على الورقة التى قرأتها حتى نتركك تذهب لحال

سبيلك ، هاه ... ستوقع ... أليس كذلك ؟[١]

يفضح الكاتب أساليب البطش والترهيب الغاشم ، يقول الكاتب على لسان الضابط بعد أن أصر البطل على عدم معرفته بشيء مما يسأل عنه : "والله ستموت ولن تعرف أمك لك طريقا" دلالات شتى تنبثق من هذه الجملة "أحسست بكل جزء في جسدي متورما ، كدت أقع وأتمدد على بلاط الغرفة... أظلمت الدنيا حولي ، ولم أستطع أن أميز بين الأشياء ، لم أعد أحس بشيء، هاتوه ... سمعت الصوت آتيا من الخارج ... سحبوني وراءهم ... وجدتني أقف أمامه مرة ثانية"[٢] ، وتنطلق الأسئلة تترصاص من فمه ، ماذا تعرف عن عبد الدايم ؟ والمنشورات؟ أين يطبعها ... الخ .

والبريء يصر على عدم معرفته شيئا ، ويستقوي على الموقف الرهيب باستدعاء بعض المقولات التي حفظها ووعتها ذاكرته تقفز من عقله الباطن ماثلة أمام عينيه : "أنت الذي تصنع نفسك وليس الآخرون وعباس العقاد علم نفسه ... بين

---

[١] رواية دوامات الشمال ، حسن نور ، صـ ١٧٤ .

[٢] السابق ، صـ ١٧٥ .

الموت والحياة لحظة والمـــوت أفضـــل مـــن الحيـــاة الذليلـــة" [١] ، عامل مساعد على الصمود فـــى لحظـــات يكـــون ذو النـــون فيـــها أقرب إلى الانهيار منه إلى المواجهة والتشـــبث بالحيـــاة .

يأتى صوت الضابط مدويـــا : "ألـــن رأســـك ولا تركبـــها" ، لـــم أجد غير الصمت ألوذ به ... احتـــد ... احمـــرت عينـــاه وانتفخـــت عروق رقبته وهو يزعق : "تكلم يـــا شـــرموط" .

يتخذ الكـــاتب الوصـــف الدقيـــق للشـــخصية مســـتندا لتوضيـــح أبعادها الظاهرة والباطنة ، وكذلـــك فـــى تحديـــد الملامـــح النفســـية لهذه الشخصية المؤهلة بطبيعتها لدورهـــا ، والمدربـــة جيـــدا علـــى القيام بوظيفتها حتى غدت الشخصية مـــن خـــلال الوصـــف وحشـــا كاسرا يتهيأ لافتراس ضحيتـــه .

وفى الوقت نفسه يختزن الروائـــى معانـــاة البـــاحث فـــى تقويـــم هـــذه الشـــخصية وتحليـــل أغوارهـــا ، وحـــدس الانتمـــاء الخلقـــى والعرقى والبيئى المكـــون لذراتـــها وخلاياهـــا فـــى جملـــة واحـــدة صدرت من الضابط "تكلم يـــا شـــرموط" ويـــترك للقـــارئ مســـاحة شاسعة للتفكير والاستدلال والاســـتنتاج لمـــا يمكـــن أن يكـــون مـــن عطاءات هذا الحوار الذى دار بين رجـــل البوليـــس والضحيـــة .

---

[١] السابق ، صـــ ١٧٦ .

على كل حال (مصيبة أهون من أختها) تتقـذه حمـى ألمـت بـه في المعتقل من أسره ، ألقى بـه خارجـه مخافـة أن يلفـظ أنفاسـه بين أيديهم وخيرا أن يموت بعيـدا عنـهم ، يعـود ذو النـون إلـى أهله يجتمعون حوله يقرعونه تأنيبا على فعلتـه : "مـالك والسياسـة يا ولدى ... ليس لنا فيـها والله ... ليـس وراءهـا غـير الخـراب وهذه هى النتيجة ... العسكر وما أدراك مـا العسـكر ؟"[١]

فى خاتمة الرواية يخلص الكاتب إلى مسـلمات ونتيجـة مفادهـا أن النظام استطاع بذكاء خبيث صرف أنظـار النـاس عنـه بـزرع الانهزامية المزهدة فى ممارسـة السياسـة ، ورعـى ذلـك الـزرع زمنا طويلا ، وتعهده حتى آتـى ثمـاره نكوصـا وانصرافـا مـن الشعب عنها وعنه ليحتكر السلطة وشئون الأمة فـى غيبـة منـها ، يترجم عن ذلك التغييب ما يتردد على لسان نـاس النجـع : "مـالك والسياسة يـا ولـدى ... ليـس لنـا فيـها والله..."[٢] يؤيـد ذلـك الاستنتاج عودة ذى النون إلى موطنه الأصلـى بيـن أمـه وأخواتـه خاوى الوفـاض كاسـف البـال محبطـا ، أدار ظـهره لدوامـات الشمال وعقابيلها وإن كـان لا يـزال يتجـرع آراءه فـى السياسـة

---

[١] دوامات الشمال ، صـ ١٧٧ .

[٢] السابق ، صـ ١٧٧ .

الإسقاط عند توظيف أحداث ووقائع تاريخية مدونة مع الشخصيات الحقيقية الفاعلة لذلك التاريخ على أحداث معاصرة أو معايشة قصد التمويه والبوح بالنقد وتحليل الواقع وحصر سلبياته وتقويم مجرياته وتجسيد كبوات القائمين على الأمر ، وإذا كان الأمر كذلك فإن الروائى حسن نور فى رواية (دوامات الشمال) اتصف بقدر كبير من الواقعية إن لم تكن الرواية واقعية كلها ، وإن كان الصدق فى نقل الوقائع كما هى إلى العمل الأدبى يصطدم بآراء بعض النقاد الذين يقللون من شأن فنية التعامل بالصدق المطابق لما هو حادث فى الواقع فى العمل الإبداعى لأنه ينتقص من قيمته ، فإن رواية (دوامات الشمال) قد نأت بنفسها عن هذا المأخذ مع أنها تعاملت مع واقع حقيقى يكاد ينقل نقلا إلى صفحات الرواية وثناياها ولعل المرجع فى ذلك هو السرد الفنى المتقن فى إطار الحبكة الدرامية واللغة الموظفة فى طواعية لتصوير مجريات الرواية والأسلوب المشار إليه سابقا فى طريقة العرض وعلى سبيل المثال :

من البيئة : عابدين ــ دهميت ــ قورته ، الشلال ــ البلافسة ــ شارع شركس ... الخ .

ومن الشخصيات : أولا البطل : (ذو النون) علم نوبى لا

يجهله مثقف رمز لــه دلالاتــه العميقــة ومعطياتــه وإشــاراته ، إذا تركنا هذه الشخصية نجد غيرها : (عم حســانين) شــخصية حقيقيــة عطار فى الموسكى مرجع أهل النوبة فــى العطــارة ومــا إليــها ، (جعلصة) المعلمة معروفة ومشهورة فى شــارع البلاقســة بعــابدين من أعلام المنطقة رأيتها تديــر كشــكها لتعيــش منــه ، توفاهــا الله الآن ، (سيد حنفى الدخــاخنى) ، و (بحبــح)[١] وغــيرهم كثــير إلا أن الكاتب استطاع أن يضفى على كل ذلك ظلالا مــن وشــى قلمــه ويسكب عليها فنية من تفاعله وانتقل بــها إلــى بوتقــه ومعملــه ثــم أعادها إلى الواقع فى سبيكة جديدة وحيوية دافعــة فــى إطــار مــن الخلق الفنى وإعادة صياغة الواقع فى ســياق خــاص يختلــف كليــة عما يتراءى للإنسان العادى علــى الطبيعــة .

أما (زينب أبو رتى)[٢] فى ليــالى أدول ، فــإرث ثقيــل ، قــدر كل جيل أن يلحق بــه مــن شــططها الكثــير ، وأن يصــاب مــن فكرها وشرها بنصيب ، عدتها كتــاب (شــمس المعــارف الكــبرى) وعقدتها وجه قبيح مقــزز ، وشــكل قمــى أزهــد الرجــال فيــها ، فتحالفت مع الشيطان ، وظيفتها الإفساد والإرهـــاب ، تصــب جــام

---

[١] رواية دومات الشمال ، صـــ ١٢٨ ـــ ١٢٩ .

[٢] ليالى المسك العتيقة ، حجاج أدول ، صـــ ٧١ .

غضبها على أهل القرية ، والانتقام لنفسها ولعنوسة أدركتها منذ سن الزواج ورافقتها حتى استغرقت عمرها ، مهمتها (العمل الردئ) وعقابيل السحر بمعاونة الجن (كاكوكى) الملعون يعقد معها حلفا وصفقة ويبايعها على عمل الشر وإلحاق الأذى بأهلها (أبورتى) يعنى الرماد ، وعقيدة النوبى أن الرماد مأوى الشياطين وملجؤهم المفضل ، ولذا يحظر على الجميع أن يطأوا الرماد أو يسيروا عليه خاصة الأطفال ، ولكن يستعان بعجينة (خليطه بالماء) فى تلطيخ الوجه والشعر استفزازا وإعلانا لمشاعر الحزن العميق عند فقد عزيز ، باعت (زينب أبورتى) محور الأحداث فى القصة التى عنونت باسمها من مجموعة (ليالى المسك العتيقة) وهى بطلتها كذلك الشخصية الرئيسية على مدارها باعت روحها وجسدها للشيطان ، وتوظيف الشيطان فى الأعمار الأدبية قديم وفى أدبنا العربى مشهور ، ومعروف دور الجن فى الشعر الجاهلى ، ولا داعى للاستطراد – من أراد المزيد يطالع المراجع التى اهتمت برصد الشعر الجاهلى – تاريخه وفنونه – كذلك فى الأعمال الأدبية الأخرى،

ولكن أهم ما يلفت النظر هنا أن بين هذه القصة وما كتبه جوته[1] فى (فاوست) تلاق مع فارق جوهرى بين فاوست

---

[1] فى الأدب المقارن ، زهران محمد جبر ، صـ ١٨٨ .

وزينب أبو رتى ، الأخير شر كلــــها عجينـــة مـــن حقــد وكراهيـــة وضغائن ، عمرها على امتــــدادهلــم يتســع إلا للســوء والإفســاد ، دفعت حياتها فى أبشع صورة ثمنا لخزلان (كـــاكوكى) لـــها ، بينمـــا (فاوست) شخصية طيبة المعــدن يشــوبها ضعــف ، يتغلــب عليــه هذا الضعف البشرى ردها مـــن الزمـــن ، إلا أن ضـــلال جســـده لا يتجاوزه إلى روحه ، ولذا ينقذ مـــن الشــيطان فـــى آخـــر لحظـــة ، كذلك مسرحية (عبد الشيطان) لمحمــــــد فريـــد أبـــى حديـــد ، علـــى المستوى نفسه من فكرة ســـابقتيها ، حيـــث يعقـــد (طوبـــوز) اتفاقـــا مع الشيطان يمنحه بموجبه خاتمـــا بـــه يتمكـــن مـــن تحقيـــق لحـــل رغباته ، يسدى لـــــه النصـــح ويرشـــده[١] ، وفـــى نهايـــة المطـــاف يتخلى الشيطان عنـــه ويغـــادره مقهقـــها يســـخر منـــه ويزدريـــه ، ويستغرق الخاتم كل جسد طوبوز فيصير شـــيطانا لا أمـــل فيـــه .

قصة (زينب أو رتى) طرح يســـتبطن هـــذه الشـــخصية الحـــاقدة ويســـتجلي أغوارهـــا ويفضـــح أدواتـــها ، ويعطـــل تلـــك الأدوات ويحطمها ، ويقى أهل القرية إرهابها ، فقـــد أقســـمت أن تنتقـــم مـــن الناس ، وتبدأ بشيخ الخفـــر فتربطـــه (أى تعجـــزه مـــن أن يمـــارس حقوقه الشرعية فى معاشــــرة زوجتـــه) ، ثـــم تربـــط كـــل رجـــال

---

(١) مجلة فصول ، عدد الأ... ... ، مصطفى ماهر ، صـ ١٣٨ .

القرية، يرهبها الجميع ويمقتوهـــا ، تعيـــش فـــى معـــزل مـــن أهـــل القرية على قرن جبل محاطة بكل ما هو مرعـــب وبشـــع ومخيـــف، تلقى الفزع فى قلوب الناس ، تحيل القرية إلى خـــراب يطـــول كـــل أنحائها ، أناسا وحيوانات وجوامد ، تصاب كـــل مفـــردات الطبيعـــة بخلل فتتحول إلى مصـــائب تـــتربص بالقريـــة أو تنقلـــب ســـحنتها ويلا ، فيهجرون القريـــة بحثـــا عـــن مـــلاذ آمـــن ، بعيـــدا عـــن أبورتى، ينقض الشيطان عـــهده معـــها ، تفقـــد ســـيطرتها عليـــه ، تذهب سطوتها ، وتضمحل قوتها ، تتضاءل تتكـــور علـــى نفســـها ، يتناقص حجمها ، تأكل فى نفســـها ، تمـــوت منزويـــة وحديـــة فـــى معزل يلتهمـــها وحـــش كاســـر ، فتنقشـــع الغمـــة ويفســـد الســـحر ويبطل، يعود كل شئ فـــى القريـــة إلـــى مـــا كـــان عليـــه ، لكـــن الكابوس يظل يطـــارد أهـــل القريـــة ، ولـــن ينجلـــى لأن البـــاب لا يزال مفتوحا لمن يقع الكتاب النجس فى يـــده أن يلجـــه ثانيـــة إلـــى دنيا الإرهاب والسحر ، وهذه قصة يميزها النهاية التـــى لـــم تضـــع أوزارها بعـــد.

فى هذه المجموعة عموما والتـــى تضـــم إلـــى جـــانب (زينـــب أبورتى) كلا من (الرحيل إلى ناس النهر) وقد تناولناهـــا مـــن قبـــل، و(أديلا جدتى) كذلك أشرنا إليها مـــن قبـــل ، يتخـــذ الكـــاتب فيـــها التراث دعامـــة فـــى بنـــاء قصصـــه الدرامـــى وإحكـــام حبكتـــها ،

ومعلوم أن عناصر بناء الرواية تتشكل فـي مفـهوم الروائـي وفـق المضمون والغايـة مـن روايتـه عـبر التقنيـات الفنيـة الأخـرى المتعددة التي يستعين بها الكاتب لإبـراز قضايـاه وتجسـيد مشـاكل مجتمعه إلى جانب وسيلتين هما في غاية الأهمية فـي هـذا العمـل: النص والشـخصية .

ويلاحظ فيما كتبه محمد خليل قاسم خاصـة والكتـاب النوبيـون للرواية عموما المزج فى كتاباتهم بين أنماط عـدة للشـخصية منـها التراثية الحقيقيـة : الشـيخ (شـبيكة الولـى) فـى الكشـر الأول ، ومنها الشخصية ذات الأبعـاد التراثيـة والتاريخيـة : (هـابى) الـه النيل عند أدول كذلك منـها الأسـطورية المتخيلـة مثـل : (آمـون تو) ، (آمون دجر) فى الكشـر أيضـا ، ومنـها الواقعيـة الحقيقيـة المعاصرة كما فى (دوامات الشمال) لحسـن نـور .

هذا الصنيع فى التعامل مع الشـخصية وتوظيفـها يـؤدى إلـى حيوية الدور المنوط بالشـخص أداؤه كذلـك يـؤدى إلـى التفـاعل الإيجابى بين الشخصيات جميعـها إذ إن عصـب العمـل الروائـى يتمثل فى الحدث والشخصية والنص ، وإذا كنـا قـد نوهنـا بأهميـة خاصة التراثى منه ، لأن الكاتب يوظـف النـص الـتراثى بدلالاتـه المتعددة ، وتعدد دلالات النص يعد من أهم المقومـات الفنيـة التـى تؤدى إلى حركية النص خاصة أن هذا التعـدد للـدلالات والمعـانى

يعطى النص حركيـــة علـــى مســتوى المعنـــى ، لأن المعنـــى فـــى النص المتحرك يكون دائما فى حالة تغــــير مســتمر[١] .

وقد شاع الاتكاء على النصوص الشعبية فـــى قصـــص روائيـــى النوبة ، بل يعد ذلك التوظيف ملمحا رئيسيا وقاســما مشــتركا بيــن كل الروايات أو معظمها على الأقل ، هذه النصـــوص التـــى تتمثـــل فى الأغانى والمواويل ، وبقـــدر مـــا يكــون الكــاتب موفقــا فـــى استدعاء النص التراثى فى مكانـــه المناســب مــن العمـــل ، يكــون ذلك النص أكثر دلالة وأعمق أثرا ، وأكمـــل فنيـــة وأوثـــق علاقـــة بالعمل ككـــل ، إشـــعاعه يتضـــافر مـــع الرؤيـــة الجامعـــة لأبعـــاد الرواية، وسياقها العام وبنائها الهندسى فـــى تكـــامل عضـــوى بيـــن الشكل والمضمون ، والإطـــار والفحـــوى .

ولقد شكل ذلك التوظيف اتجاها فنيا بارزا ومشـــتركا فـــى بنـــاء الروايات النوبية ، ومما يلحظ هنا فيما يتصل بلغـــة تلـــك الروايـــات أنها إذا تضمنت سطرا شعريا ، غالبـــا مـــا يكــون باللغـــة النوبيـــة يجتهد الكاتب فى إيداعه حروفا عربية فيرســـمه علـــى ذلـــك النمـــط الذى يقرؤه غير النوبى فلا يفهم له معنـــى ، ممـــا يضطـــر القـــاص إلى أن يعقبه بترجمة عربية يفقد معـــها الســطر الشــعرى جرســه

---

(١) العناصر التراثية فى الرواية العربية فى مصر ، مراد مبروك ، صـ ١٤٥ .

وموسيقاه ووقعه وربما يتخلى عن كثير من الإيحاءات التي لا يملكها إلا النص في لغته النوبية ، لأن هذه الإيحاءات ترفد المعاني ثراء ووضوحا وعمقا ، وعدم فهم النص المدون باللغة النوبية في هذه الروايات ليس مقصورا على القارئ العربي بل يتجاوزه إلى النوبي نفسه لأنه ورث هذه اللغة مشافهة لا كتابة ، وهي لغة محادثة لا قراءة حتى الآن ، ظاهرة صوتية لم تقولب بعد للتدوين وإن اصطلح على حروفها واتفق عليها ، فإن النوبي كغيره في حاجة إلى تعلمها كتابة والدربة والمرانة حتى يتقنها ويتعامل معها .

وهذا محك مهم أيضا في إشكالية اللغة (لغة الرواية النوبية) لأنه لما لم يكن من الممكن كتابة الرواية بالنوبية مباشرة ــ لما سبق ــ وكذلك لانعدام الجمهور القارئ في حال كتابتها بالنوبية ــ افتراضا ــ استعاض الروائي النوبي عن ذلك باللغة العربية ــ اللغة المشتركة والمقروءة والتي يفهمها الجنسان ــ ألا أن المواقف الخاصة جدا والتي لا تقوم فيها العربية مقام النوبية في آداء الموقف وتصويره وتجسيد المعنى يضطر الكاتب إلى التعبير عما يريد بلغته في إطار الحرف العربي الذي يكد ويجتهد في أن يضع الكلمة أو الجملة في صورة منطوقة تكون أقرب إلى الصواب في حرف عربي حسب ظنه ، خاصة عندما

تقتضى الرواية مزج نسيجها بموال شـــعبى ، فيــأتى هــذا المــوال على لسان شـــخصيته لتكــون أداة تعبيريـــة عــن الواقــع فيحملــه الكاتب أبعادا معاصرة ، تتعدد دلالاتها بتعــدد الأبعــاد الرمزيــة .

ليس هذا فقط ولكن بعــض كتــاب النوبــة ينوعــون فــى لغــة الحوار ، فتأتى المحادثة بأكملـــها أو مقــاطع منــها باللغــة النوبيــة خاصة عندما يكون أحــد أطــراف الحــوار شــخصيته لــم تغــادر النوبة قط ولم تعــرف إليــها العربيــة طريقــا (الأجــداد والجــدات والأمهات كبيرات السن أو الأميون الذيــن لــم ينــالوا مــن التعليــم قسطا) طبيعى أن يكون حديثها بلغتــها ، أو بتحريــف العربيــة فــى صورة تمسخها إلى النوبية بقلب حــرف إلــى آخــر ، أو اســتبدال جملة بأخرى أو اخــتزال حــروف الكلمــة ، أو تذكــير المؤنــث ، وتأنيث المذكر ، ففى رواية "دوامات الشــمال" لحســن نــور تصــر أم جمال على التحادث بلغتـــها ، وتــرك الروائـــى الفــهم للمتلقـــى حسبما تقتضيه مسارات (المـــونلوج) :

سأل ذو النون أم جمال : أين عم دهب ؟[١]

ـ نظرت إلى غاضبة وسألتنى لماذا لا أتكلم النوبية ؟[٢]

---

[١] دوامات الشمال ، حسن نور ، صـ ١٢٩ ـ ١٣١ .

[٢] أشرت إلى معانى الجمل العربية مترجمة .

ـ إرما نوبيجى آبيميــه ؟

ـ لقد جئت مصر المدينة صغــــيرا .

ـ هل والداك نوبيـــان ؟

ـ نعم .

اسعت حدقتا عينيها دهشا ... عيناهـــا واســعتان ـ أســودان... كحيلتان ... أصرت أن لا تتكلم إلا لغتـــها التـــى جــاءت بـــها مـــن قراها الهاجعة هناك وراء الشـــلال .

وأين جمال ... ؟ ســألتها .

ـ إر جمالجا واللا وهبكي آبرجى ؟ (من تريــد جمــال أم دهــب).

ـ إيا منهما ... جمال أو العم دهـــب .

نادت على جمال : جمال ووجمـــال (وو : يـــا : آداة نـــداء)

ـ وجاء صوته من وراء جدار : أيووويو (نعم يـــا أمـــى)

ـ تــابيينو (تعـــال)

وفى موضع آخر تقول ربيعـــة ابنـــة حليمـــة جـــارة عمـــى ذى النـــون[١] :

قالت : ما رأيك ... نحكى حواديـــت ؟

---

[١] دوامات الشمال ، حسن نور ، صـ ١٥ .

سمعت صمتى فقالت : فانه ونجدنـــا كمـــح ججرمـــا ... ؟ (هـــل سمعت حكاية فانه ونجـــد) .

ونموذج آخـــر : دار هـــذا الحـــوار بيـــن ذى النـــون وصليحـــه حسين زوج جد ذى النـــون الطـــاعن فـــى الســـن عندمـــا تحـــاول الدخول على ذى النون فـــى دورة الميـــاه والظـــلام دامـــس يحيـــط بالمكان بحجة أنها تريد كنس وتنظيـــف دورة الميـــاه .

تقول صليحة بلكنتها المضحكة : إتـــأورى ألـــى كـــده ... (كـــل يوم أنا أكنس بـــالليل) .

قال لها بالنوبية : فجركى كاليكا (اكنســـى الصبـــح) .

قالت : الصبح أشان الطبية (علشـــان الطبيـــخ)

ثم سألتنى بعد أن وضعت الطعام أمامه "مش هنـــا كلـــى"[١] .

وإذا كانت ضرورة السياق ومقتضيات الواقعيـــة دعـــت الكـــاتب حسن نور إلى أن يلجأ فى النص إلى توظيف لغتـــه النوبيـــة ، فإنـــه لجأ أيضا إلى إيراد نصوص شعبية تدعـــم الموقـــف وتـــبرز دلالات معنوية تتوالى من النـــص ، ســـأل ذو النـــون جـــاره فـــى البوســـتة (الباخرة) عن المحطة القادمة التى سترســـو عندهـــا .

---

[١] السابق ، صـــ ٦١ .

قال : دهميت ، ثم سألني عن قريتـــــى .

قورته . لا قورتـــه ... ربمـــا نصلـــها فـــى منتصـــف الليـــل أو الفجر ثم سرح بعينيه إلى البعيد ، أضناه الشـــوق إلـــى أحبـــة غـــاب عنهم طويلا ، فوجد أصابعه تنقـــر علـــى الســور الحديـــدى الـــذى يسور سطح البـــاخرة ، تـــواءم النقـــر ودقـــات قدمـــه اليمنـــى ... إنساب صوته رخيما دافئـــا :

أمباب كندى ويك كـــاجى
كندى دهبيدى ويك كـــاجى

التقطت الآذان إيقاعه ، فبدأت الأقـــدام تزحـــف نحـــو مبعثـــها ، أحاطته الأجساد التى وجـــدت نفســـها تـــهتز علـــى الإيقـــاع الـــذى جسدوه بخبطات أكفهم ، يرتفع صوت المطـــــرب تدريجيـــا .

قارى وأريس نـــارى
مندره فجر شينبو لـــو
شباك ستة جومبولـــو
هيه يا ... سابيدا نيللى يـــا

تقافزت الأجساد مع إيقاعات الأكف ، لكـــن صوتـــا زاعقـــا أخـــرس الجمع فعم الصمـــت[1].

---

(1) دوامات الشمال ، صـــ ٣٠ ـــ ٣١ .

نلاحظ هنا أن هذه الأحداث للرفودة بالنصوص التراثية تجرى على ظهر السفينة (البوستة) التى تقل النوبيين من الشلال متجهة إلى قراهم المتناثرة على ضفتى النيل إلى الجنوب ، بعد أن يصلوا إلى الشلال بقطار الدرجة الثالثة من أزقة العاصمة وحواريها ، وأسطح عماراتها ، وبدروماتها ، كادت السفينة تصل إلى قرية المطرب بعد تجاوزها لعدة قرى أفرغت خلالها بعض ما كان فى بطنها ويهيج الشوق جار ذى النون فى البوستة الذى أضناه الاغتراب واستثاره اللقاء القريب المرتقب فراح يرفع صوته بالنصوص السابقة .

والمعطى القريب المباشر لتلك الكلمات أنها تدل فى ظاهرها على الفرح والابتهاج بلقاء من غاب عنهم طويلا وشاركه الفرحة والطرب بقية السفر ، إلا أن هذه النصوص فى سياقها التعبيرى كجزئية من الأسلوب العام الذى ينتظم الرواية كل عناصرها ، لها دلالاتها الخفية وإيحاءاتها المتنوعة منها التوجس والخوف من الارتحال إلى الشمال مرة أخرى وفى دوامة لا تنتهى من الاغتراب ببعديه النفسى والظاهرة ، كذلك إن مضمون تلك النصوص أزكى نار الحزن والأسى فى قلوب طائفة من ركاب الباخرة فقدوا عائلهم ، واستعادوا بها (المشهد المأسوى) الذى استدعته الذاكرة بالتوازى .

وهنا نضع أيدينا على وسيلة من وسائل تأكيد المعنى الذى ينساب عبر الصمت وهى (تعاكس الانفعالات) أو (تضاد المشاعر) إزاء مثير واحد ، التقت المشاعر عند نقطة واحدة أو موقف جزئى متمثل فى غناء المطرب بتلك الكلمات ولكن مشاعر كل طائفة أخذت اتجاها معاكسا ، فبينما استشعر القادمون لقضاء الإجازة بمحض إرادتهم بين الأهل نفس ما أحسه المطرب ، نجد ذا النون وأهله يقبعون فى ركن من البوستة ، يجترون أحزانهم على فقيدهم الذى قدموا لتلقى العزاء فيه ، وشتان ما بين الموقفين وإن كان الذى أهاج هذه المعانى المتضاربة بين الطائفتين فعل واحد ، ومع هذا التضاد الظاهر فى رد الفعل إلا أن علاقة خفية ومعنى دقيقا يربط بين الفرح والحزن ، ذلك لأن فرح الطائفة الأولى استشعار طارئ وموقف نشأ فى الأساس عن حزن متغلغل فى الأعماق ومتأصل بالتجربة المكرورة بالاغتراب ودوامته ، وحزن الطائفة الثانية ناشئ عن طارئ مفاجئ يتمثل فى فقد العائل سرعان ما يطويه النسيان ويعود الأهل إلى سابق عهدهم إلى جانب أن تلك النصوص أظهرت تهيؤ النوبى بطبعه إلى الطرب المركوز فى جبلته والتجاوب السريع مع النغم والصوت الشجئ مع أن غرق النوبة ترك فى أعماقه آثارا لا تمحى مع مر الزمن ، إلا أنه ظل يغنى :

تارى وأريس تــارى
تارى وأريس تــارى

وفى رواية "الشـمندورة" لخليـل قاسـم ، يعتمـد البنــاء علــى استلهام النصوص الشعبية النوبية ، التى يعـبر فـى معنـاه الظـاهر عن الفرحة بعودة الغـائب ، وفـى معنـاه الإيحـائى عـن الحـزن والألم الذى انتاب "شريفة" وأمها على الغائب الذى لـم يـأت بعـد ، لذلك عندما يعود "أحمد عودة" خال حامد فى الروايـة مـن القـاهرة يسمعون أغنية شعبية نوبية تعـبر عـن فرحتـهم بعودتـه ، وفـى الوقت نفسه تعبر عن الحسرة على الغائبين الذيـن لـم يـأتوا بعـد ، تقول كلمات الأغنيـة :

أبن أيدنا بالنتون فبايمونـا
برو وش المرايا بالنتون فبايمونـا

وعندما لا يفهما حسن المصرى يترجمها لـه المـأذون :

لن يغيب عن خاطرى إلى الأبد لـن يغيـب
الفتاة ذات الوجه الناعم مثل المرآة لـن تغيـب

يعبر النص عن الفرحة التـى تغمـر المحـب بمحبوتـه عندمـا يفوز بلقائها ، حينئذ لا تغيب صورتها عنها ، مـهما تبـددت الأيـام والسنون فالرجال يرحلون ، وقد لا يأتون ، لكـن وجـه محبوباتـهم فى ديارهم بالنوبة لا يفارقـهم ولا يغيـب .

وفى الوقت نفسه يعبر هذا النـــص عــن مــرارة الغربــة التـــى يعانيها الرجال الغائبون عن ديارهم وأهلهم ، شـــلالى فـــى (دنقلـــة) لأن الأزمة واحدة ، وهى عصب الصـــراع ومحـــوره فـــى الروايـــة النوبية ، جمال لا يحمل من محبوبته على غـــير رغبـــة منـــه فقـــط ليعود إلى الغربة وقد رضيـــت أمـــه عنـــه ، لذلـــك يحمـــل النـــص الشعبى معنيين متناقضين ، لكنـــهما يســـهمان فـــى حركيـــة النـــص الروائى والتراثى معـــا .

و(الشمندورة) مثلها مثل (دوامات الشـــمال) تلجـــأ إلـــى توظيـــف النص الشعبى النوبى بلغته لأن ذلـــك أدل علـــى التعبـــير ، وأحكـــم للبناء الفنى للرواية ، واســـتبدالها بنـــص عربـــى يترجمـــه لا يقـــوم مقامه ، ولا يؤدى دلالاتـــه وإيحاءاتـــه ، وكمـــا أســـلفت فـــإن هـــذا الأسلوب الفنى يعد إحدى طرائـــق وأســـباب التميـــيز بيـــن الروايـــة النوبية وغيرهـــا .

والكاتب حسن نور فى روايته "بيـــن النـــهر والجبـــل"(١) أيضـــا يستلهم الأغنية فى بناء الرواية حيث تتعـــدد المعطيـــات ، وتتداعـــى المعانى وتتوالى فى انبثاق ثـــرى يقـــول :

أيجا أيجالنا وو يويو نلو لأيجـــا

---

(١) رواية بين النهر والجبل ، حسن نور ، صـــ ١٠٧ .

نلو سكارن شرتبات تلاج لأيجـــا

ينقر المغنى على الدف فـــى إيقـــاع آخـــاذ ســـريع تلتقـــط الآذان فيردد الجميع فى صوت واحد ...... أيجـــا أيجـــا ...

لى الفرحة يا أماه لــــى

بمذاق السكر الحلو كالشربات لــــى

تتثال المعـــانى وتتداعـــى فـــى النـــص تعبـــيرا عـــن الفرحـــة والانتشاء بالفرصة ، والحركة الدائبـــة لحلقـــة الرقـــص فـــى قـــوة بادية ، يستلهم من ذلك كله الروائى ما يجعـــل النـــص ينبســـط نحـــو الماضى وينحســـر نحـــو الحـــاضر ، نتيجـــة لاســـتحضار الصـــور المتعددة فى وقت واحد ، مـــع الحيويـــة التـــى تـــدب ظـــاهرة فـــى الرواية عبر النـــص.

وفى (دنقلة) يرصد الروائـــــى إدريـــس علـــى فـــى طـــرح واع قضية شاب مثقـــف مـــن النوبـــة (عـــوض شـــلالى) ابـــن مرحلـــة سياسية عاصرها باحثا عن قيم يؤمن بها مـــلأت رأســـه ، وتملكـــت كيانه ، وشب على شعارات العدل والمســـاواة والحقـــوق ولكنـــه لـــم يجدها فى الواقع ، ولأنه ذو طبع حـــام وصراحـــة حـــادة اصطـــدم وتمرد وثار ، واجـــه كغـــيره مـــن الشـــباب المطـــاردة والملاحقـــة البوليسية لكنه لـــم يـــهادن ولـــم تخمـــد حركتـــه وتضعـــف ثورتـــه فطورد وســـجن لأن أفكـــاره عـــن الحريـــة والمســـاواة لا تعجـــب

السلطة ، مع أنها مصدر تلك الشعارات وصاحبتـــها ، ولكــن يبـدو أن الشباب صدق هذه الفريـــة الكـبرى وغــرر بــه إلا أن عــوض شلالى لم يستسلم وكأن هناك ثأرا بائتا بينــــه وبيــن الســلطة ، فلــم تنطل عليه الخدعة فطن إليها ولمـــس أن الواقــع يكـذب ادعــاءات السلطويين ويفضح نفاقهم ، فساح فــــى أرض الله يبشــر بافكــاره ، ويعلنها بين أترابه ينشد تحقيق تلـــك الشــعارات وتطبيقــها خاصــة المساواة والعدل ، هذان الشعاران اللـــذان لــم يستشــعرهما أبــدا ، ولم يتحققا منــذ وعــى الحيــاة وخــبر دروبــها وعــرك عقابيلــها وروض فأقرها ولما يئس واصطدم بالحقيقــــة المــرة أعلــن كفــره بكل ما على الأرض فى المساحة التى يطفو عليـــها الوطــن المنشــأ والمنتمى إليه ، ورفض الواقع المستسلم وبلغ بـــه الرفــض ذروتــه فتمرد وقرر أن يهجر البيئة التى احتضنته ولم تثمــر غــير الزقــوم والحنظــل ، وأن يطلــق الوطــن بالثلاثــة ، ويــترك كــل شـــىء وراءه فالضيــاع لا يتمــايز ، ويؤثــر الرحيــل إلـــى مـــا وراء البحار والمحيطـــات .

(عوض شلالى) الذى ترجم الرفض إلى الـــهجرة والثــورة إلـــى قرار ، كانت مشكلته فى غايـــة التعقيـد ســببت لــه آلامــا نفســية وبدنية لا تطاق ، وقضيته لم يجد لـــها حــلا ، ففــوق أنــه مطــارد من السلطة لعشقه الحرية التى ارتضعها وتربى عليـــها بيــن أهلــه،

فهو منبوذ ممن ينتمي إليهم بالهوية مـــن أهــل الشــمال ، يوســعونه سخرية وتهكماً للون بشـــرته علـــى حـــد تعبـــير الروايـــة ، وعلـــى لهجته التي صارت مصدر شقاء له ، وهـــو متحفـــز دائمـــا تســتفزه مجرد النظرة غير البريئـــة ، فينـــبرى مدافعـــا عـــن نفســـه طالمـــا سنحت بذلك الفرصة وإن لم يكن بيديـــه فـــبردود غـــامزة مثلـــه فـــى ذلك مثل بحـــر جزولـــى الثـــائر والتنظيمـــى ابـــن خـــال عـــوض شـــلالى.

سمع عوض شلالى صول قسم بـــولاق وهـــو يـــهم بـــالانصراف بعد التحقيق معه ... انتظر ... مـــاذا قلـــت ؟ الواحـــات ... تقصـــد المعتقل ... آه بالسلامة . سمع الصول يقـــول لعريـــف بجـــواره إن هذا الأفندى من الحمـــر إيـــاهم رغـــم وجهـــه الأســـود ... التفـــت عوض شلالى ورد عليـــه بغضـــب عنيـــف ... نـــهار أبـــوك هـــو الأسود ومؤخرتك هى الحمـــراء[١] .

وفى موضع آخر يرد عوض شـــلالى فـــى القســـم نفســـه علـــى متطاول أسمعه كلاما جارحا قال : آخر زمن ... كـــان عنـــد جـــدى عشرة من هـــذا الصنـــف غـــير الذيـــن اعتقـــهم لوجـــه الله ، ولـــم أتصور أن يأتى يوم يتطاولون فيه على أســـيادهم يـــرد بقولـــه : أى

---

[١] دنقلة ، إدريس على ، صـــ ٢٧ .

أجدادك تعنى ... ؟ الذى كـان يلعـق أحذيـة المماليك ؟ أم الـذى كان يورد النساء لعساكر نـابليون ؟[١]

سعى عوض شلالى حثيثا فى البحث عن والده الذى سبقه إلى الضياع فى الشمال فى بر مصر بما يوازى البحث عن الهوية فى البيئة المحتدة التى تستغرق مصر والنوبة والسودان، ولأن ميوله وهواه وقف على نوبيته فهو شديد الحساسية مفرطها حيال من ينتقص منها ، عاد أدراجه إلى قريته ولكن قوة بوليسيه تعتقله يحدث نفسه : أبدا لن يتركوه فى حاله هؤلاء الأغبياء ، رغم خروجه من الملعب واختياره لمنفى الجنوب .

سأله الشرطى : اسمك بالكامل .

لابد من التصادم ، رد متحديا .

اسمى الحقيقى تريد ؟ طبعا .

اكتب عندك اسمى التاريخى طهراقة ، موطنى بلاد النوبة ، من أكلة أوراق التاريخ ، كنا وجعلتونا لا نكون ، وقد جئت إليكم لرفع دعوى قضائية ضد بناة الخزان والسد ومطالبا بحدودى القديمة من أسوان حتى دنقلة العجوز لإقامة حكومة مؤقتة ، وحددت لون علمنا بالأسود وسطه حدقة ونبل ، وليس

---

(١) السابق ، صـ ٢٨ .

لدينا مانع من الاتحاد مع الشمال ، وسنطرح ذلك على مائدة المباحثات اكتب يا شاويش" [١]

هذه الفقرة تترجم بوضوح فكرة الرواية ، وما يعتمل في صدر عوض شلالي من ثورة ورفض لكل ما هو شمالي في اعتزاز باد بالجنوب وأهله ولأنه أصيب بالإحباط في الشمال وخبر أهله واستقر في نفسه أنهم ليسوا أهل عشرة ولا وفاء حمل عبء الدعوة إلى انفصال الجنوب عن الشمال ، ولأفكاره المتمردة والثائرة ظل مطاردا في كل مكان حتى هم بالفرار إلى داخل حدود السودان ، إلى أهله في جلفا ودنقلة شجعته حوشية بعد رفض وامتناع خوفا عليه يذهب مع الإدلاء يتهربون من دوريات الحدود يتحايلون ، يصلون إلى (أبو حمد) ، داخل حدود السودان بعد رحلة دامت أربعة عشر يوما بلياليها ، ثم يعود إلى قريته تنعقد له جلسة محاكمة من أجاويد البلد يطفش بعدها هربا بهمومه التي أثقلت كاهله إلى خارج هذا العالم المحدود والمكدود الذي أجهض أفكاره وقتل فيه طموحه .

(دنقلة) رواية من ثلاثة فصول الأول منها بعنوان : (المنفصل) والثاني بعنوان (محاكمة عوض شلالي) والثالث

---

[١] دنقلة ، إدريس علي ، صـ ٤٣ .

بعنوان (أحــزان حوشــيته وحلميــة) ، الروايــة بفصولــها تتــوزع ثورة عوض جزولـــى ، وتتقاســم آراءه والثــالث خــامدة ، نتيجــة حتمية لمـــا دار مــن أحــداث فـــى الفصليــن الســابقين ، تتلاقـــى الأحداث وتتعقــد تبعــا لحركــة شــخصيات ثلاثــة تعــد رئيســية ومحوريـــة فـــى الروايـــة ؛ عــوض شـــلالى وحوشــية وحليمـــة ، ويمكن إضافة بحر جزولـــى كقطــب رابــع فــاعل فـــى الأحـــداث الأسلوب الغالب على الرواية السرد الداخلى البيئـــة تتســع لمســاحة شاسعة ، أتاح الكـــاتب أن يســتغل أبعادهـــا المختلفـــة فـــى إثـــراء الحركة ، والانتقال البطىءمن وإلـــى ، وتتبــع التفــاصيل الدقيقـــة ، وحصر المظاهر الحياتية المشـــتركة بيــن النوبييــن داخــل حــدود مصر والسودان ، كل ذلك توســلا لإثبــات الهويــة الواحــدة التـــى عانت المأساة نفسها بالهجرة جنوبا وشـــمالا والصـــراع يحتــدم فـــى استغلالية فى كل فصل حتى نهاينـــه ، ويبلــغ ذروتـــه فـــى الفصــل الثالث ، تقتلــع حوشــية النــور اقتلاعــا مــن أرض تشــبثت بـــها طويلا، ويلقى بها فى أرض لـــم ترهـــا مــن قبــل ، ومــع الأرض فقدت الزوج والولد الـــذى أهمــل بــدوره حليمـــة التـــى تزوجـــها لإرضاء أمه ثم هجرها كصنيــع أبيـــه مــع أمـــه ، وتطــول غيبـــة عوض شلالى ، وتحترق حليمـــة فـــى نفســها جــوى ، وتقــع فـــى المحظور منقادة بالشيطان مــع معــدول الصعيــدى هكــذا ، الــذى أنقذها من حلم فظيع نهش فيه الرجال جســـدها وتبادلوهـــا عاريـــة ،

صورة قاتمة ونهاية تنذر بالثورة ، علـى وضـع مـزر لـم يؤلـف من قبل ، وصرخة زاعقة على الأرجـح لـن تجـد لـها صـدى ، واستنهاض لثأر وثورة لم تكن مـن طبيعـة أهـل النوبـة ولا فـى طبعهم ، وهمة بعد لم تقو علـى مجابهـة الصعـاب ولـم تعـرف حب المغـامرة .

على أية حـال إن هـذه العجالـة لا يمكـن أن تكـون مصبـاح ديوجين الذى يكشف لنا أكثر مما قلناه فـى الروايـة النوبيـة التـى لن يضيرها ولـن يضـير الكتـاب النوبييـن أن تكـون إبداعاتـهم عربية الهوية ، إنسـانية المضمـون ، نوبيـة القضايـا والـهموم ، تسهم بالروافد فى بحـر لجـى متلاطـم الأمـواج يـزداد إتسـاعا وعمقا مع مرور الزمن ، فقط ما أود أن أشـير إليـه هنـا أن كـل عنصر فى هذه الروايات يحتاج إلى دراسة مسـتقلة للتعـرف علـى طرق الروائيين فـى توظيفـه لأداء مهامـه الفنيـة مـع التقنيـات الأخرى وما يميز روايـة عـن أخـرى أو كاتبـا عـن آخـر فـى الطريقة والأسلوب الذى يتعامل بـه مـع العنصـر منفـردا أو مـع العناصر جميعها فى مشـروعه القصصـى .

أ.د. زهران محمد جبر عبد الحميد
أستاذ الأدب والنقد
كلية اللغة العربية ـ أسيوط

النخيل
في شعر فوزي العنتيل
(دراسة موضوعية وفنية)

الدكتور
أحمد محمد علي شومان
الأستاذ المساعد في كلية اللغة العربية بأسيوط

النخيـل في شعر فـوزى العنتيـل (دراسة موضوعية وفنية)

للدكتور
أحمد محمد علي شومان
الأستاذ المساعد فى كلية اللغة العربية بأسيوط

مقدمـة :

الحمـد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلام علـى أشـرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمـة الله للعـالمين سـيدنا محمـد خـير خلق الله أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تأدب بأدبـه وسـار علـى هديه واتبع سنته إلى يوم الديـن .

وبعـــد....،

فقد وفقني الله عز وجل إلى كتابة هذا البحـث وموضوعـه :
النخيل فى شعر فوزى العنتيل "دراسـة موضوعيـة وفنيـة"

فوضعت خطـة لكتابتـه واسـتعنت بـالله علـى الغـوص فـى أعماقه والإلمام بشتى جوانبه ومناحيـه وهـو موضـوع ينبغـى أن يقسم إلى فصول متعددة ونظرا لضيق الوقت قسـمته إلـى مبـاحث راجيا أن أعالج فى هذه المبـاحث مـا تعالجـه الفصـول وأن ألـم بكل جوانبه وجزئياتـه .

وأهم هذه المبـــاحث :

تمهيــــــــد : النخلة فى القرآن والحديـــث والشـــعر .

المبحث الأول : أضواء فى حياة فـــوزى العنتيـــل .

المبحث الثانى : الدراسة الموضوعيـــة للنخيـــل فـــى شـــعر فـــوزى العنتيـل .

المبحث الثالث : الدراسة الفنية للنخيل فى شـــعر فـــوزى العنتيـــل .

وقد ورد ذكر " النخيل" فـــــى القــرآن الكريـــم والســـنة النبويـــة الشريفة وفى الشعر العربى فى مختلـــف عصـــوره .

وعرض للنخيل الشـــعراء بـــالوصف وإبـــراز مواطـــن الجمـــال وبيان المنافع والفوائـــد .

أما (النخيل) عند فوزى العنتيـــل فقـــد أحـــس تجاهـــه إحساســـا قويا، فهو الأم الحنون التى يلجأ إليها من متـــاعب الحيـــاة .

وهو الذى يبادل الشاعر وفاء بوفاء فلا تخيـــب لـــه الظـــن فـــى زمن كـــان فيـــه الإقطـــاع شـــحيحا علـــى الفقـــراء وبخيـــلا علـــى المحرومين ، ولكن عطاء النخيـــل متصـــل لا ينقطـــع ، ودائـــب لا يتوقف ومعين ثر لا ينضـــــب، فـــهو يحظـــى مـــن الوفـــاء بـــأوفى نصيـب .

تمهيد

النخلة فى
القرآن الكريم والحديث النبوى والأدب

أهمية النخلة :

النخلة من أعظم الأشجار ، وهى رمز من الرموز البارزة فى الصحراء العربية ، ووجدت فى كثير من أماكنها لأنها تقاوم العطش ولا تحتاج إلا للقليل من الماء ، ويزداد النخيل ويكثر حيث يكثر الماء.

وللنخلة أهمية كبرى فى حياة الإنسان فهو ينتفع بثمرها وخشبها وخوصها وجريدها وليفها ويستظل بظلها من لفح الشمس ولها كثير من الفوائد الأخرى فضلا عن كونها زينة للناظرين .

يقول الشيخ ابن سينا من بعض منافع النخلة وفوائدها :

"الجمار ينفع فى خشونة الحلق ويقبض الإسهال والنزف وينفع من لسع الزنبور ضمادا ، والبلح يفرز البول وإذا شرب بخل

يمنع سيلان الرحم ونــزف البواســير"[١] .

ويقول الإمام الفخر الــرازى : النخلــة وحدهــا نعمــة عظيمــة تعلقت بها منافع كثيرة فمنها الانتفـــاع بجمارهــا وبــالبر والرطــب فثمرتها فى أوقات مختلفة كأنها ثمــرات مختلفــة فــهى أتــم نعمــة بالنسبة إلى غيرها من الأشجار ، وينتفع بليفـــها وأغصانـــها وقلبـــها ونواها ، ويكفى أن الله سبحانه وتعـــالى أمــر مريــم حيــن جاءهــا المخاض وولدت المسيح عليه السلام بأن تهز النخلـــة وتــأكل منــها فى قوله تعالى : (وهزى إليك بجزع النخلـــة تســاقط عليــك ر طبــا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا)[٢] ، ولـــولا فائدتــها العظمـــى لمــا جعلها طعاما لمريم فى ذلك الوقــت لأنـــه أعلــم بمخلوقاتــه وأعلــم بما ينفعــهم[٣].

النخلــة فــى القــرآن الكريــم :

ورد ذكر النخلة فى القرآن الكريم عشـــرين مــرة ، ومــن هــذه الآيات قول الله تعالى : (أيود أحدكم أن تكون لـــه جنــة مــن نخيــل

---

[١] نهاية الأدب للنويرى ، حـ ١١ ، صـ ٣٦٥ .

[٢] الآية ٢٥ من سورة مريم وبعض الآية ٢٦ من نفس السورة .

[٣] التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى ، حـ ٩ ، صـ ٩٣ .

وأعناب تجرى من تحتها الأنهار)[١] ، وقوله تعالى : (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات)[٢]، وقوله : (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا)[٣] ، وقوله : (أوتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا)[٤] .

وقد ورد ذكر النخيل فى القرآن الكريم عشرين مرة فى هذه السور فقد وردت فى البقرة الآية (٦٦) ، والأنعام الآيتين (٩٩، ١٤١) وفى النحل الآيتين (١١ ، ٦٧) وفى الإسراء الآية (٩١) ، وفى الكهف الآية (٣٢) وفى مريم فى الآيتين (٢٣ ، ٢٥) وفى طه الآية (٧١) والمؤمنون الآية (١٩) ، والشعراء الآية (١٤٨) ، ويس الآية (٣٤) ، وق الآية (١٠) ، والرحمن الآيتين (١١ ، ٦٨) ، والحاقة الآية (٧) ، وعبس الآية (٢٩) ، والرعد الآية (٤) ، والقمر الآية (٢٠) .

---

(١) من الآية ٢٦٦ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ١١ من سورة النحل .

(٣) من الآية ٦٧ من سورة النحل .

(٤) الآية ٩١ من سورة الإسراء .

النخلة فى السنة النبوية :

ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أوجه الخير وجماع منافع النخلة وشبهها بالمؤمن فى عموم النفع وتمام الفائدة ، وذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم : (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثونى ما هى ؟ فوقع الناس فى شجر البوداى يقول عبد الله بن عمر بن الخطاب ووقع فى نفسى أنها النخلة فإستحييت ثم قالوا : حدثنا ما هى يا رسول الله ؟ قال : هى النخلة[١].

النخلة فى النثر العربى :

وردت النخلة فى الأدب شعره ونثره .

فمما ورد عنها فى النثر : عن الشعبى قال كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب إن رسلى أخبرونى أن بأرضك شجرة كالرجل القائم يفلق عن مثل آذان الحمر ثم تصير مثل اللؤلؤ ثم تعود كالزمرد الأخضر ثم تصير كالياقوت الأحمر والأصفر ثم ترطب فتكون كأطيب فالوذج اتخذ ثم يجف فتكون عصمة للمقيم، وزادا للمسافر فإن كان رسلى صدقونى فهى الشجرة التى نبتت على مريم بنت عمران فكتب إليه عمر بن الخطاب

---

(١) صحيح البخارى ، جـ ٧ ، صـ ١٠٤ . ط الشعب بالقاهرة .

رضى الله عنه : إن رسلك صدقوك وهـى شـجرة مريـم فـاتق الله ولا تتخذ عيسى إلها مـن دون الله[١] .

ودفع الاهتمام بالنخلة وثمرها كثير مـن اللغويين إلـى التـأليف فيها ومن بين هؤلاء أبو عمرو الشـيباني ، وأبـو زيـد الأنصـارى والأصمعى وابن الأعرابى وأبو نصر أحمد بـن حـاتم وأبـو عبـد القاسم بن سلام وأبو هـلال العسـكرى ، والثعـالبى ووضـع أبـو حاتم السجستانى كتابا فى النخلة تحدث عن مكانـة النخلـة ثـم بيـن مواطن وجود النخل فى الدنيا وخلو بـلاد الشـرك منـها ، وأفـرد قسما صدره بذكر النـوى وأوصافـه وأجزائـه ومنافعـه وطريقـة زرعه وانتقل إلـى حيـاة للنخلـة ، ومراحـل نموهـا المختلفـة ، ونضج البر وأغراضه وأنواع التمر ومرابـده وجماعـات النخـل ، ثم ختم الكتاب بالأخبار عن الأراضى التى ينبـت فيـها النخـل[٢] .

النخلـة فـى الشـعر :

ورد الحديث عن النخلة من الشعراء فى مختلـف العصـور .

ففى العصر الجاهلى نجد الأعشـى يقـول :

وأيـام حجـر إذ يـحرق نخلـه ثأرنـاكم يومـا بتحريـق أرقـم

---

[١] ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى ، حـ ٢ ، صـ ٣٩ ، ط الأميرية بولاق .

[٢] مجلة المورد وزارة الثقافة والإعلام ، العدد الثالث ، صـ ١٠٧ .

كأن نخيل الشط غب حريقه ... مآتم سود سلبت عند مأتم

وكان العرب إذا غلب قوم قوما أحرقوا نخيلهم فيصير[١] كنساء قائمات في مأتم قد لبسن الحداد كما سبق في تصوير الأعشى .

وكانت المواطن المليئة بالنخيل والزروع مدعاة للفخر لأنها تمثل أساس الحياة الإقتصادية التي تمكنهم من التفوق والسيادة والبقاء يقول الأعشى في ذلك :

ألم تر أن العرض أصبح بطنها ... نخيلا وزرعا نابتا وفصافصا[٢]

أما امرؤ القيس فهو يشبه شعر المرأة في طوله وتداخله وغزارته بشماريخ النخلة فيقول :

وفرع يزين المتن أسود فاحم ... أثيث كقنو النخلة المتعثكل[٣]

فامرؤ القيس يتغزل في محبوبته ويصف شعرها في التوائه وغزارته بعذق النخلة المتداخل .

ويقول من قصيدة أخرى واصفا شعر محبوبته بشماريخ النخلة :

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت ... هصرت بغصن ذي شماريخ ميال[٤]

---

(١) ديوان الأعشى ، صـ ١٦٣ .

(٢) ديوان الأعشى ، ١٩٥ .

(٣) ديوان امرئ القيس ، ٤٤ ، ط دار صادر بيروت .

(٤) ديوان امرئ القيس ، ١٤١ .

وشبه امرؤ القيس شعر ناصية فرسه بسعف النخلة المتفرق فيقول:

وأركب فى الروع خيفانة … كسا وجهها سعف منتشر[1]

وفى العصر الأندلسى حين فتح العرب الأندلس كانت من أنضر البلاد وأبهاها تبدو كروضة كبيرة يجرى فيها الماء وترتفع الجبال الخضراء وكانت طبيعتها جذابة ولكن هذا الجمال وتلك الجاذبية لم تفتن بعض الفاتحين فقد رأى عبد الرحمن الداخل نخلة منفردة وحيدة وحينئذ تحركت مشاعره وأحس أنها تشاركه الغربة وتتفاعل معه فى غربته فتشعر بشعوره وتحس بأحاسيسه وتعيش وجدانه فأنشأ يقول :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة … تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهى فى التغرب والنوى … وطول التنائى عن بنى وعن أهلى
نشأت بأرض أنت فيها غريبة … فمثلك فى الاقصاء والمنتأى مثلى[2]

فعبد الرحمن الداخل أحس بالوحدة والغربة بعيدا عن وطنه وأهله فنظر إلى النخلة نظرة وجدانية تعكس ما فى داخله فى وحيدة غريبة تشبه حاله وتعيش معاناته ووحشته .

وقريب من هذا الموقف موقف مسلم بن الوليد عندما حضرته الوفاة وهو بجرجان وقد نظر إلى نخلة بالقرب منه وكانت النخلة

---

(١) ديوان امرئ القيس ، ١٦٣ .

(٢) نفح الطيب للمقرى ، ٥٤ .

تشبه نخل الجزيرة العربية المألوف فأحس نحوها بألفة روحية وكأنها وقفت تشاركه آلام غربته فراح يخاطبها قائلا :

ألا يا نخلة بالسفح من أكناف جرجان

ألا إنى وإياك بجرجان غريبان[1]

وفى العصر الحديث نجد أمير الشعراء أحمد شوقى الذى عاش فى القصر وكانت حياته حياة ترف ونعيم يعدد فوائد النخلة وصنوف منافعها ففيها الغذاء وفيها الفاكهة فضلا عن كونها زينة للناظرين ويعيب على أدباء العربية هجرهم الحديث عن النخلة وبيان منافعها وخلو كتاباتهم من الحديث عنها ، وقد أفرد أحمد شوقى لها قصيدة كاملة فى ديوانه "الشوقيات" فنجده يقول:

أرى شجرا فى السماء احتجب — وشق العنان بمرآى عجب

مآذن قامت هنا أو هناك — ظواهرها درج من شذب

وليس يؤذن فيها الرجال — ولكن تصيح عليها الغرب

وباسقة من بنات الرمال — نمت وربت فى ظلال الكثب

كسارية الفلك أو كالمسلة — أو كالفنار وراء العبب

تطول وتقصر خلف الكثيب — إذا الريح جاء بها أو ذهب

تخال إذا اتقدت فى الضحى — وجر الأصيل عليها اللهب

وطاف عليها شعاع النهار — من الصحو أو من حواشى السحب

وصيفة فرعون فى ساحة — من القصر واقفة ترتقب

قد اعتصبت بفصوص العقيق — مفصلة بشذور الذهب

وناطت قلائد مرجانها — على الصدر واتشحت بالقصب

وشدت على ساقها مئزرا — تقصر من رأسها للذنب

---

[1] الفتوح الإسلامية ، د. النعمان القاضى ، صـ ٢١٠ .

أهـذا هـو النخـل ملـك الريـاض   أمـير الحقـول عـروس العـزب
طعـام الفقـير وحلـوى الغنـى   وزاد المسـافـر والمغتـرب
فيـا نخلـة الرمـل لـم تبخلـى   ولا قصـرت نخـلات التـرب
وأعجـب كيـف طـوى ذكركـن   ولم يحتفـل شعـراء العـرب
أليـس حرامـا خلـو القصـا   ئـد من وصفكن وعطـل الكتب ؟
وأنـتن فـى الهاجـرات الظـلال   كـأن أعاليكـن القـبب
وأنتن فى البيـد شـاة المعيـل   جناهـا بجـانب أخـرى حـلب
وأنتـن فى عرصـات القصـور   حسـان الدمـى الزائنـات الرحـب
جناكـن كالكـرم شـتى المـذاق   وكـالشهـد فى كـل لـون يحـب[1]

فالشاعر أحمد شوقى أعجـب بمنظـر النخلـة وطولـها وكأنـها مآذن انتشرت فى كل مكان ولها أدراج من السـلالم علـى قشـرتها الخارجية ، ولكن لا يؤذن عليـها المؤذنـون وإنمـا يصيـح فوقـها الغربان وهى مرتفعة تنمو عادة فى الرمـال وتزدهـر فـى خـلال الكثبان تشبه سارية السفينة من مسافة بعيـدة أو المسـلة الفرعونيـة العالية أو الفنار على الميناء يهدى السـفن مـن أنحـاء بعيـدة فـى البحر والنخلة أشبه بوصيفة أحد ملوك الفراعنـة تقـف فـى سـاحة قصره مترقبة تستجيب لما يطلبه وقـد عصبـت رأسـها بفصـوص حمراء من العقيق أشـبه بـالبلح الأحمـر ، وقـد تزينـت بـأحلى الملابس كزينـة الوصيفـة التـى ارتـدت عقـود المرجـان علـى الصدر واتشحت بالجواهر من أولها إلى آخرهـا ، ويصـف النخـل بأنه (ملك الرياض وأمير الحقول وعـروس العـرب) ، فـهو الأول

---

(١) الشوقيات لأحمد شوقى ، صـ ٦٤ .

دائما والمفضل دوما ويسوق بعض فوائد النخل ومنافعه فهو طعام الفقير وفاكهة الغني وزاد المسافر والغريب عن دياره فضلا عن كونه زينة للناظرين والنخيل زينة في القصور أو في ساحتها يزين الأرض الواسعة مثل القبب وثماره مثل العنب متعدد المذاق وكالشهد حلو الطعم في جميع الأحوال .

المبحث الأول
أضواء فى حياة الشاعر فوزى العنتيل

نحاول فـــى هـــذا البحـــث ــ بعـــون الله وتوفيقـــه ــ أن نلقـــى الضوء على حياة هذا الشاعر والأديب الـــذى لا يخفـــى علـــى أحـــد فى الأوساط الأدبية والعلمية والثقافيـــة .

اسمـــه :

هو فوزى محمد فهمى أحمد سليمان العنتيـــل والشـــاعر فـــوزى العنتيل ينتمى إلى أسرة مـــن مجمـــوع الأســـر التـــى تقطـــن قريـــة (علوان) وكان والد الشـــاعر هـــو رب الأســـرة وعميدهـــا ، وقـــد حصل والده علـــى قسـط مـــن التعليم أهلـــه لأن يكـــون معلمـــا بالمدارس الأوليـــة والإلزاميـــة والإبتدائيـــة وترقـــى حتـــى أصبـــح ناظرا ، وكان والده يشتغل بـــالتعليم وشـــغوفا بمهنـــة آبائـــه وهـــى الزراعة وقد تزوج والده من إحدى القرى المجـــاروة لقريتـــه وهـــى قرية (منقباد) وأنجب ثلاثـــة أولاد وبنـــت واحـــدة ، ويعـــد الشـــاعر فوزى العنتيل أكبر أبنائـــه .

بيئتـــه :

ولد الشاعر فوزى العنتيل ونشأ فى قرية "علـــوان" وهـــى قريـــة صغيرة ترقد وســـط الحقـــول المتراميـــة شـــمالى مدينـــة أســـيوط

بحوالى عشرة كيلومترات ويبلغ عدد سكانها أربعة آلاف نسمة، وتنساب نحوها من الناحية الشرقية الترعة الإبراهيمية المنسابة من مياه نهر النيل وأبرز ما يميز هذه القرية فى حضن الحقول أنها محاطة بغابات كثيفة من أشجار النخيل الشامخة فى تيه واعتزاز وأشجار الكافور الضخمة وأشجار النبق والسنط وأعواد الغاب وبضع حدائق يفوح منها أرج الليمون ورائحة المانجو ، وتسطع فيها زهور البرتقال وحبات الرمان[1] .

وإلى هذه البيئة يشير العنتيل فى إحدى قصائده الشعرية بعنوان : (فى قطار الجبال)[2]:

وزفر القطار زفرتين فرق فى الضلوع طائر الحنين
الليل طال يا حبيبى وطال بالمحبين السهر
العاشق البعيد لا يزال يحلم بالرمان
فى حضن بساتين الصعيد المشمسة
وأرج الليمون يصفو فى ضحى أبريل
وجدول الماء الذى راح يلون الأصيل
وقمر الحصاد يغزل الحرير للحقول

مولده ونشأته :

ولد الشاعر فوزى العنتيل فى قرية علوان سنة ١٩٢٤م ،

---

(١) العنتيل شاعرا لعبد الحليم سلطان ، صـ د .

(٢) رحلة فى أعماق الكلمات للشاعر فوزى العنتيل ، ٤٧ .

وحفظ القرآن الكريم فى الكتاب والتحق بالتعليم الأولى والتحق بالأزهر فى معهد أسيوط الدينى وحصل على الثانوية الأزهرية فى سنة ١٩٤٦م ، ثم التحق بكلية دار العلوم فى نفس العام ، وحصل على ليسانس فى آداب اللغة العربية والدراسات الإسلامية سنة ١٩٥١م ، ثم حصل على دبلوم معهد التربية العالى للمعلمين سنة ١٩٥٢م ، واشتغل بالتدريس فى المدارس الحكومية لمدة أربع سنوات وفى سنة ١٩٥٦م عين سكرتيرا للجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ثم سكرتيرا للجنة الفنون الشعبية ، وظل يعمل بالمجلس حتى سنة ١٩٧٩م ، وإن كانت قد تخللت هذه المدة بضع بعثات خارج الوطن وهو الآن عضو اتحاد الكتاب ، وعضو لجنة الشعر ، ولجنة الفنون الشعبية ، ولجنة الدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ورئيس المكتب التنفيذى لمشروع المكتبة العربية[١] وفى منتصف سنة ١٩٧٩م نقل للهيئة العامة للكتاب .

وفوزى العنتيل الشاعر المصرى المعاصر تعرفه الأوساط الأدبية شاعرا مجددا يتغنى بالقرية والفلاح والحرية والحب وكل مبتغى الأدب يعرفون فوزى العنتيل فى الرسالة والثقافة

---

[١] العنتيل شاعرا لعبد الحليم سلطان ، ٩ .

ويعرفونه موظفا مرهقـــا فـــى المجلــس الأعلـــى للفنـــون والآداب ويعرفونه مسهما إسهاما مفيدا فى كثير مـــن المناقشـــات التـــى تثـــار على الصعيد الأدبى وفـــى نطـــاق مشـــكلة الشـــعر الحـــر والشـــعر التقليدى بوجه خـــاص[١].

وقد اتفق أصدقاؤه على الكشف عن جملة مزايـــاه وأهمـــها : حبه لأهل القرية وشغفه بسماع السير والحكايـــات الشـــعبية وولعـــه بالقراءة المتوالية المتنوعة كما كان من هواة الجلـــوس مـــع فلاحـــى قريته الطاعنين فى الســـن ، وكـــان كثـــير الـــتردد علـــى المقـــاهى ويتميز بالطبع الحاد العنيد والتمســـك بـــالرأى فـــى صلابـــة ، وقـــد عرف بين زملائه بأنه ينظم الشـــعر وشـــهد لـــه أســـاتذته بالبراعـــة فيه بدليل أنه مثل معهد أســـيوط الدينـــى فـــى حفـــل تـــأبين شـــيخ الأزهر الراحـــل الشـــيخ المراغـــى ســـنة ١٩٤٥م ، وقـــد حـــازت قصيدته التى رثى فيـــها الشـــيخ المراغـــى إعجـــاب الحـــاضرين ، وكان من بينهم الشاعر عزيز أباظة ، وكانت هـــذه المناســـبة ســـبب المعرفة بين فوزى وعزيز أباظة الذى كـــان مديـــرا لأســـيوط فـــى ذلك الوقـــت[٢].

---

[١] من مقال الدكتور شكرى فيصل عن العنتيل فى صحيفة الوحدة ، صـــ ٣ ، العدد ٥٧ ، بتـاريخ ٢٤ مايو ١٩٥٩ .

[٢] العنتيل شاعرا لعبد الحليم سلطان ، صـــ ٦ .

ثقافتـــــه :

يتحدث الشاعر فـوزى العنتيـل عــن ثقافتـه وتكوينـه الأدبـى فيقـول :

"بدأت تجربتى الشعرية فى مطلـع الأربعينيـات وكنـت فـى ذلـك الوقت أعيش فى أسيوط قريبا من مسقط رأســى طالبـا فـى بدايـة المرحلة الثانوية ، وكان طبيعيـا أن أتعـرف علـى المنفلوطـى وأن تغمر وجدانى فى لغة الدموع في المآسى التـى قـام بتعريبـها مثـل "ماجد ولين" و"العـبرات والنظـرات" وفـى هـذه الحقبـة تعرفـت بالصدفة على الرافعى فى رسائل الأحزان ووحـى القلـم وغيرهـا، وفى هذا الإطار تشكلت عواطفـى المبكـرة فكـانت بدايـة عشـقى لـلأدب وكـان الاطـلاع المنتظـم لمجلتـى الرسـالة والثقافــة ، بالإضافة إلى قراءات غير منتظمـة للشـعر العربـى فـى مختلـف عصوره وللنثر الفنى عند أعلام كتابه مثـل الجـاحظ وابـن المقفـع والمبرد وابن رشيق ونماذج لأدبـاء العصـر الكبـار أمثـال طـه حسين ، وهيكل والمازنى والعقاد وزكـى مبـارك .

وفى العصر الحديث قـرأت لشـوقى وحـافظ وعلـى محمـود طه، وأعجبت كثيرا فى هـذه الحقبـة بمحمـود حسـن إسـماعيل ، وأعجبت كثيرا بأدباء المـهجر وبخاصـة جـبران وأبـى مـاضى وميخائيل نعيمة، هذه قراءاتـى المبكـرة قبـل أن تصبـح القـراءة

حرفة لا مجرد إمتاع للنفس"[١].

رحلاته :

لم يعرف الشاعر فوزى العنتيل الارتحال بعيدا عن قريته فى سنين حياته الأولى إلا ما كان من رحلات إلى القاهرة أما أنه سافر فى رحلة خارجة الوطن فلم يحدث هذا حتى أواخر سنة ١٩٥٩م عندما سافر فى بعثة إلى إيرلندا لدراسة الفلكلور فكانت فرصته الذهبية ليطوف بالعديد من الأقطار الأوربية حتى سنة ١٩٦١م ، وتوالت بعد ذلك رحلاته عن طريق البعثات وهو يشرح ذلك باستفاضة تامة فى مقدمة الديوان الثانى (رحلة فى أعماق الكلمات) .

ويرحل الشاعر مرة أخرى إلى إفريقية فى سنة ١٩٧١م ليعمل أستاذا مساعدا فى جامعة "إبيدان" فى قلب إفريقية ويعيش فى غاباتها وأعاصيرها وأمطارها الرعدية التى تكتسح الأشجار أمامها فيتملكه الرعب والفزع خاصة وأنه لم يألف مثل هذا المناخ فى مصر ، وتسيطر عليه فكرة الموت وما يصاحبها من قلق وخوف فيكتب قصيدتيه (بكائيات قديمة) ، و(فى أعماق الغابات) ، وفى الثانية يقول :

---

[١] العنتيل شاعرا لعبد الحليم سلطان ، صـ ١٥ .

الموت الأخضر يركض في الغابات المذعورة
في ليل العاصفة المجنونة اللهب الذهبي سيوف البرق
ودماء الأشجار تسيل[١]

وقد قطع الشاعر بغتته عقب كتابة هذه القصيدة والمشاهدات المفزعة وعاد إلى أرض الوطن ، وبخاصة أنه قد ترك ابنه الوحيد مريضا في مصر ، وفي ليلة سابقة على أحداث العاصفة رأى حلما أفزعه فلما هبت تلك العاصفة أحس بالخوف على ابنه من سطوة الموت .

وفي سنة ١٩٧٧م يسافر الشاعر إلى المجر ليعمل أستاذا لمادة الأدب العربي في جامعة (بودابست) وهذا غير العديد من رحلاته المتوالية إلى الأقطار العربية ... .

كما نال الشاعر من المحيطين به منزلة عالية ، وتعد آراؤهم في شعره بمثابة شهادات التقدير التي منحت للشاعر من كبار الأدباء والنقاد ونال الشاعر فوزي العنتيل شهادات تقدير من معاصريه تدل على مكانته الأدبية وعلى رفعة قدره وعلى موهبته الشعرية ونال شعره ثناء مستطابا من كبار الأدباء والنقاد في عصره ، وأهم آراء النقاد في شعر فوزي العنتيل :

---

[١] رحلة في أعماق الكلمات ، ٤٥٠ .

أولا : يثنى الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى على ديوان الشاعر فوزى العنتيل "عبير الأرض" فيقول : وديوان عبير الأرض يحكى لنا صرخة مصر وقصتها الطويلة ووثبتنا العنيدة ونضالها الجبار فى سبيل الحرية والتقدم والنهضة والبحث[١] .

ثانيا : يثنى الأستاذ الدكتور محمد مندور على شعر الشاعر فوزى العنتيل فيقول : لم أستشعر ذلك الجو الخاص الذى يوحى به الريف المصرى إلا فى (عبير الأرض) حيث الحقول وسنابل القمح والليالى المقمرة وصوت السواقى وأحاديث أهل الريف فى سذاجتهم وواقع حياتهم بعد أن رفعه الشعر إلى مستوى الجمال الفنى .

ثالثا : ويرى الأستاذ الدكتور عبد القادر القط فى الشاعر فوزى العنتيل أحد رواد الرومانسية فى الشعر العربى فيقول : فوزى العنتيل أحد الرواد الذين تحولوا بالرومانسية من مجرد العواطف الذاتية إلى الإحساس الوجدانى بواقع المجتمع المصرى خاصة فى الريف وهو من الشعراء القلائل الذين لم يتحولوا تحولا مفاجئا إلى الشعر الحر إلا بعد أن تثقفوا ثقافة

---

[١] دراسات فى الأدب والنقد ، د. محمد عبد المنعم خفاجى ، صـ ١٩٩ .

واسعة فى التراث العربى القديم ومارسوا الإبداع فى الأشكال التقليدية بروح عصرية فى الإيقاع والمعجم الشعرى وبناء العبارات الشعرية.

رابعا : ويثنى الأستاذ صلاح عبد الصبور عن ديوان (عبير الأرض) فيقول : لن تجد ديوانا معاصرا يمثل الريف فيه بهذا الوضوح فالنخل والأغصان والطيور عناصر شعرية واضحة، والشاعر منفعل بالريف مستمد لصوره منه حتى وهو فى المدينة فأنت تحس بأعماق قلبه رجعة إلى الريف وخفوقا دائما إليه وصورة جمالية خلابة لطبيعته حتى لكأنه واحة المتعبين الطيبة[1].

وأرى أن الشاعر فوزى العنتيل رأى فى الريف واحة يأوى إليها المكدود من صحراء الحياة وهجيرها فتفاعل معه وعشقه وأخذ معجمه الشعرى وقاموسه اللغوى ومفرداته من معين الريف الذى لا ينضب وعطائه المتصل ونهره الفياض فحق له أن يسمى شاعر الريف أو شاعر الطبيعة أو شاعر الضعفاء والمحرومين .

---

(١) مجلة روزاليوسف ، صـ ٣٥ لسنة ١٩٥٦ من مقال لصلاح عبد الصبور بعنوان "شاعر الريف والطبيعة والمستضعفين" .

تراثه الشعرى ومؤلفاته الادبية :

للشاعر فوزى العنتيل عدد من المؤلفات الشعرية والنثرية والمسرحيات المترجمة عن الأدب الإنجليزى وأهمها :

١ ــ الأعمال الكاملة لفوزى العنتيل فى الشعر (الجزء الأول) وتشمل ديوانى شعره الأول (عبير الأرض) ، والثانى (رحلة فى أعماق الكلمات) وهما طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٥م.

٢ ــ الأعمال الكاملة لفوزى العنتيل فى الشعر (الجزء الثانى) وهو مختارات من الشعر المجرى بعنوان الحرية والحب طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥م .

٣ ــ التربية عند العرب مظاهرها واتجاهاتها طبعة المكتبة الثقافية مايو ١٩٦٦م .

٤ ــ المحراث والنجوم مسرحية من الأدب الإنجليزى وقام بترجمتها إلى العربية الشاعر فوزى العنتيل .

٥ ــ الفلكلورما هو ؟ دار النهضة العربية ١٩٦٥م .

٦ ــ بين الفلكلور والثقافة الشعبية مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م .

المبحث الثانى
الدراسة الموضوعية
للنخيل فى شعر فوزى العنتيل

يحق لنا أن نطلق على فوزى العنتيل شاعر القرية أو شاعر الريف المصرى أو شاعر النخيل فقد ظفرت القرية وصور الحياة فيها ومشاهد الطبيعة والعلاقات بين أهلها وذكريات الشاعر فيها بعدد كبير من قصائد الديوانين تبلغ اثنتى عشرة قصيدة ومن هنا كان حديثه عن النخيل بجانب حديثه عن الأرض ، السواقى ، الفأس ، الطيور ، السنابل ، الأغصان ، الدجاج ، موسم الحصاد والربيع ، حاملة الجرة ، الكوخ ، ... الخ .

فحبه للأرض حرك فى نفسه الشعور بالحنين والاشتياق إلى صور القرية ومشاهد الحياة والطبيعة فيها فهو ما زال يذكر ويحن إلى صور من صور الريف البديعة التى تثير فى نفسه الحنين إلى أيام صباه بين الصبايا وتحت ظلال النخيل وبين أحضان الحقول فيقول[1] :

مزجت أشواق عمرى ... بأغنيات الصبايا
فى الحقل والظل ... عرش ممهد وحشايا

---

[1] ديوان عبير الأرض لفوزى العنتيل ، صـ ١٤٠ .

من التـراب بنتهـا　　عند الضحى كغايـا
والنخـل قصـر سمـوق　　مسقـف بالرايـا
هنـاك وسـدت رأسـى　　صـدرا أحـب هوايـا

والنخلة إحدى المعالم المميزة للقرية وهـي معلم رئيسي في الصورة الريفية عند العنتيل وتكاد تحتـل ركنـا فسيحا فـي قلـب الشاعر فهو يحن إليها وإلى ماضيه معـها وإلـى ذكرياتـه الحلـوة وإلى ترحيبها به وفرحها بعودته مـن الغربـة .

وقد ورد ذكر (النخيل) في شـعر فـوزى العنتيـل فـى قصـائد عدة من ديوانه "عبير الأرض" ، و "رحلـة فـي أعمـاق الكلمـات" فقد ورد ذكر "النخيل" فـي شـعر فـوزى العنتيـل فـي قصيدتـه "عندما أيقظني الشعر" وفيها يقـول(١) :

أطيفـك هـذا الـذى　　يرتمـى علـى وحدتـى ؟
كنخـلات قريتنـا الوادعـة

وهو يتحدث عن طيف الشعر الذى زاره بعـد أن انقطـع عنـه سنوات معدودات فجمع مـن الحدائـق باقـة زهـر ومـن النسـيم خصلة عطر وارتمى على وحدته كنخلات قريتـه الوادعـة الهادئـة الآمنة فآنس وحشته وأبهج حياتـه وأدخـل السـرور علـى نفسـه وقلبه.

وفى قصيدتـه "العـودة" بعـد أن سـافر إلـى بعثـات متعـددة

---

(١) ديوان رحلة في أعماق الكلمات لفوزى العنتيل ، صـ ٥١ .

واغترب عن بلدته وحن إلى قريته الحالمة وإلى جمالها وإلى نخيلها وإلى بساتينها عاد إليها فأحسنت استقباله ورحب به فيها كل شئ النخيل والأشجار والكافور والسبسبان والصفصاف والماء المنساب ...

ويبدأ قصيدة العودة بقوله[1]:

عذبني الشوق إلى جنتي — بعد الذى قاسيت فى غربتي
فمددت وثاب المنى ناشرا — أجنحتي البيضاء في الظلمة
أجنحة الحب التي لونت — آفاقي الزرقاء بالفرحة
ثم تراءت جنة الملتقى — ترش نور الفجر فى واحتي
فاستقبلتني ذكرياتي التي — زرعتها بالأمس فى قريتي
ممدت ولكن الذى لم يعد — عمرى الذى ذاب على مهجتي

ومن بين الذين أحسنوا استقباله فى قريته (النخيل) بتعاليه وكبريائه وشموخه وجريده وسعفه الذى يتماوج فى الهواء مرحبا بحبيبه القديم وعشيقه الأول وصديقه فى الزمن الماضى:

فعانقتني قريتي مثلما — يعانق العاشق خطو الحبيب
وأذرع النخل وراء الربا — أجنحة تسبح تحت الغروب
أومت وحيت فى جلال — سرى حنينه الدافق عبر الدروب
وصافحت روحى بأنسامها — وأغرقتني فى شذاها الرطيب
استقبلتنا قريتي النائمة — تحت سفوح الجبال الصاعدة
تثاءبت فى حضنه وارتمت — تائهة فى حلمه الخالد
والترعة السمراء طافت بها — ترضعها من صدرها الناهد

---

(١) ديوان رحلة فى أعماق الكلمات ، صـ ٦٧ .

والنخـــل أطفـــال على شطـهـــا   يعبثـن فى مزمارهـــا الشـــارد[1]

عانقته قريته عناق العاشـــق الحبيـــب وأذرع النخـــل وراء الربـــا العالية قدمت له عظيـــم التحايـــا والتجلـــة والإكـــرام ورحبـــت بـــه وأذاقته من دفئ الحنان وأعربت له عن وافر الشـــوق ورحبـــت بـــه الترعة والنخل على حافتها أشـــبه بأطفـــال ينشـــدون لحـــن التحيـــة الخالد وسيمفونية الاستقبال الرائعـــة .

ويتحدث الشاعر عـــن العلاقـــة الحميمـــة وللروابـــط الوشـــيجة التى تربط بينه وبين النخيـــل .

فالنخلة الســـمراء مبـــهورة الأنفـــاس باســـتقبال حبيبـــها العـــائد وتستلهم ذكرياتها من رؤيته فقد عشـــقها وعشـــقته وتبـــادلت الحـــب والغرام معه زمنا طويـــلا .

ونخلتـــى السمـــــــراء فى صمتها   مبهـورة الأنفــــاس بين السهـول[2]
تصغى وراء الأفـــق عـبر المـــدى   لعـــأشق روى أساهـــا الطويـــل
مـــر بها تحت جنـــاح القـــــر   ذات مســـاء شاعـــرى جميـــل
فـــذاب فى الليـــل صـــدى لحنـــه   بنـــات خـــوفـــو شاعرات الحقول

وإذا كان من أحب شيئا أكثر مـــن ذكـــره فنجـــد الشـــاعر يعيـــد ويزيد ويبدأ ويعيد على مسامعنا ذكـــر نخلتـــه الوفيـــة وأمـــه الـــرؤم

---

[1] ديوان رحلة فى أعماق الكلمات لفوزى العنتيل ، صـــ ٦٩ .

[2] ديوان رحلة فى أعماق الكلمات ، صـــ ٧٠ .

وعشيقته الوالهة ومحبوبته الهائمة فيناديها ويخاطبها ولا يمل من مخاطبتها فهى جنته ، وهى عرس أفراحه وهى فجره البعيد كم ألفها وألفته وشاقها واشتاقت إليه فى عمر الصباح الوليد وكم رددا لحن الغناء الخالد فى الروابى ، وفى الظلال الخضراء لحنا يمرح فيه الوجود فالنخلة جزء لا يتجزأ من ذكريات الشاعر العنتيل وصباه وطفولته فهو يجرى تحتها وهو يستظل بظلها وهو يلتقط الرطب وهو يلعب مع الفتيان أترابه ومن هم فى عمر الزهور .

وتتجسد فى صباه ذكرياته وعلاقاته بالناس والأشياء هناك منذ أن كان طفلا فشابا يملأ الزمان والمكان بحركته الحرة الطليقة ينفعل بكل شئ ويختزن كل صورة وتتجسد أمامه الرؤى منها فى انفعال يأسى له ويفرح به .

يا نخلتى السمراء يا جنتى ... يا عرس أفراحى وفجرى البعيد
كم عانقت نجواك أشواقنا ... ونحن فى عمر الصباح الوليد
على ذراعيك أناشيدنا ... ترقص فى صمت الروابى السعيد
وفى الظلال الخضر كانت لنا ... أرجوحة يمرح فيها الوجود

ثم يدير الحديث ويعقد الحوار مع نخلته السمراء وذكرياتها المليئة بالحب والإكبار والإعجاب والهيام فيسألها هل تذكرين الصبية الضاحكين وهم يعبثون بالمياه ويؤرقون نومها ، وهم يقنصون الطيور ويصيدونها من أوكارها فى فرحة عظيمة وهم يرشقون الغيم بحصاهم وهم يسمرون تحتها فى قصص بريئة

تستغرق جوانحهم وخواطرهم وخيالاتهم ، ثم يسأل نخلته أين مضوا رفاقه ؟ وفى أى درب سلكوا ؟ لقد تفرقوا وانفض عقد السمر ، لقد بلغ بهم السير منتهاه والتعب مداه ، والأمل غايته وأجهدت أرواحهم عواصف تعوى وريح تمر ، وهكذا الحياة .

هل تذكرين الصبية الضاحكين ... يؤرقون الجدول النائما؟
ويقنصون الطير من عشه ... فى فرحة تستغرق العالما
ويرشقون الغيم فى سيره ... حصا يرش الأفق الغائما
ويعبرون الليل فى قصة ... خضراء فوقها عائما
يا جنتى أين رفاق الصبا؟ ... نعدو كما كنا وراء القمر
ونحصد الليل بأحلامنا ... ونزرع الأوهام فى المنحدر
أين مضوا . . ؟ ... فى أى درب ترى ؟
تفرقوا . . . . وانفض عقد السمر
هل أجهدت أرواحهم مثلنا ؟ ... عواصف تعوى وريح تمر
تدفعهم للحقل فى قسوة ... ليبذروا آمالهم للقدر[1]

فالشاعر فوزى العنتيل ابن القرية أحبها وأحب كل شئ فيها، ولم يكن حبه قاصرا على النخلة وله ذكريات عديدة فيها كموسم الحصاد ، وذكرياته مع أعمامه وجلسائه تحت جنح الظلام أو على ضوء قمر ليالى الصيف ، فكل شئ فى القرية يجذبه إليها بشدة ، والقرية جزء من تكوينه وجزء من حياته .

هناك نهر حياتى وجنتى وربيعى

وعندما يبتعد الشاعر عن قريته يحن إليها وتبدأ أشواق قلبه

---

(١) ديوان رحلة فى أعماق الكلمات ، صـ ٧١ .

تخفق على البعد ويتليف على العودة في لهفة المحب الذاكر الذى أحس أن عمره فى المدينة صحراء مجدبة فيستدير إلى واحة العمر يناجيها :

يا واحة العصر الجديب على الطريق الساحر[١]
أنا عائد يوما إليك مع الربيع الزاخر
فى نسمة الشمس الوضيئة فى النسيم العابر
فى موكب الزرزور يحملنى جناحا طائر
فى لهفة خفقت بها روح المحب الذاكر

ويعلق عيسى الناعورى على هذه الأبيات بقوله : "وذكريات القرية وصورها ورؤاها كثيرة وبين رؤاها الحلوة والمرة وهى تختلط أحيانا فتختلط معها حدود الإنسانية وحدود الوجود فإذا لا حدود ولا فوارق ولا أوطان ولا غرباء[٢] .

وفى ديوان (عبير الأرض) لا ينسى النخيل وقصة الألف عام التى توارت وراء ليل الحياة .

تدفق الفجر فيها وذاب فى الكائنات
والنهر جر خطاه وانداح فى الظلمات
فإتحد الماء والنور فى عروق النبات[٣]

وهى قصيدة طويلة تحكى علاقته مع الأرض وحبه لها

---

(١) ديوان عبير الأرض لفوزى العنتيل ، صـ ٤٩ .

(٢) شاعران من وادى النيل لعيسى الناعورى ، مجلة الديار اللبنانية .

(٣) ديوانه " عبير الأرض" لفوزى العنتيل ، صـ ١٣٥ .

وعشقه إياها وكيف كان جده وقد عاش حياته قبله في ضمير الحقول ، فأرضه حياته ، جنته ، ربيعه ، أمله .

وفى قصيدة (نشيد النيل) يتحدث عن النخلة وأثرها الفعال على جمال النيل فالنخيل يمتد على ضفاف النيل يزين منظره ويزيد من جماله وبهائه ويتواصل معه في العطاء وإغداق الخير للبشر وللناس أجمعين .

هنالك نخلتى السمراء	**فى السفح تناديني**
تراها تذكر الأمس الذى	**ما زال يدعونى**
أوافيها فتضحك لى	**وأسألها فتعطيني**
إذا ما جئتها فى الصيف	**ردت ناره دوني**
ومدت ظلها الأخضر	**إن نمت يغطيني**

فهذا شعور عميق بالحب مرجعه كما توحى الأبيات إلى التجاوب الذى كان يجده الشاعر فى نفسه تجاه النخلة مما يخلق إحساسا بالشعور المتبادل بينهما ، فالنخلة تناديه والنخلة تضحك له ولقد ترجمت النخلة هذا الإحساس إلى حقيقة مادية ملموسة هى العطاء أسألها فتعطيني وهذا الإحساس بالتجاوب بينهما إنما يمثل تجاوبا وحنانا بين الإنسان والطبيعة طبيعة بلاده[1] .

وتقول الدكتورة نعمات أحمد فؤاد في تعليقها على الأبيات السابقة "لقد ارتفعت النخلة على نفسها فغدت أما رؤوما ليا

---

[1] النيل ، د. نعمات أحمد فؤاد ، صـ ٩١ .

سمات الأمـــيات ... ثـم التصويـر الكلـى الـذى استوفى كـل خصائص الأم من مشاعر وكـــلام وحركـــة وخصوصيـات تتفـرد بها الأنثى عن الرجـــل كالحنـان الـذى يبـدو فـى مدهـا الظـل الأخضر على الشاعر إذا نام ومن قبلـــه تـذب عنـــه نـار الصيـف بالإضافة إلى الأمس الذى يدعوه فكـــأن مشـــاعر الزمـان والمكـان توحدت نحو الشـــاعر"(١).

فنخلته تشتاق إليـــه فتناديـه وتذكـر ذكريـات الأمـس فتدعـو ويوافيها فتضحك لـــه ويســألها فتعطّيـه وكـم لـها عليـه منـن لا تحصى وإياد بيضاء فلا ينسى الشاعر نخلته وقـت أن كـان يـأوى إليها من حرارة الشـمس فتكـون كالواحـة يـأوى إليـها المجـهود فيستريح والجائع فيطعم والقلق فيطمئــــن .

إنها أشبه بالأم الحانية على طفلها يجد فـــى أحضانـــها كـل مـا يأمله ويرجوه ويتطلع إليه ويحبـــه .

وفى قصيدة "ليلة فـــى الغربـة" يذكـر المعانـاة التـى يعانيـها الفلاحون وكدحهم الدائـــب وتعبـهم المتواصـل وعنـاؤهم الشـديد وهم يسمعون القصـــص العجيبـة الغريبـة أشـبه بقصـة هـارون الرشيد وقصـــره المصبـوغ بـالعطر النـدى ، وعـن المصـابيح

---

(١) لنيل ، د. نعمات أحمد فؤاد ، صـ ٩٢ .

الملونة العيون ترش بالأحلام بيت الحاكم .

ومدينة تحت الثرى مطمورة
ذهبية الحيطان والأبهاء

والنخل شاهد على هذه الذكريات ويعايش هذه الآلام وتلك المنى والأحلام وهو شاهد صدق .

وسمعت قصة ألف عام لم تزل
تطوى لتنشر في الشتاء القادم
عن ليل هارون الرشيد
وقصره المصبوغ بالعطر الندى الهائم
وعن المصابيح الملونة العيون
ترش بالأحلام بيت الحاكم
ومدينة تحت الثرى مطمورة
ذهبية الحيطان والأبهاء
والنخل يخفق في حنان ناشرا
أغصانه في القبة الزرقاء
وخوار أبقار تصعد في السماء
يشكو إليها قصة الضعفاء
وهنا غراب تائه متنقل
يطوى عقود النخلة السمراء
وانقضّ سامر ليلة شرقية
في الريف بين مواكب البسطاء[1]

---

[1] ديوان عبير الأرض ، صـ ١٦٦ .

المبحث الثالث
الدراسة الفنية
للنخيل في شعر فوزى العنتيل

الألفاظ والأساليب :

إذا كانت الكلمات هي العناصر الأولى في لغة الشاعر فإن على الشاعر أن يحرص على إختيار الكلمات التي تساعده على التعبير عن الصورة التي يريد أن يقدمها ، والمطالع للغة العنتيل يلاحظ أنه ينتخب الألفاظ التي تتلاءم وتجربته الفنية ونوعية الصورة فهو يميل إلى الألفاظ الرشيقة ذات الخفة على اللسان وحسن الوقع في الأذن وذات الامكانيات الموسيقية الصافية الهامسة البعيدة عن الصخب الخطابي ، وفوزى العنتيل جمع في شعره بين القديم والجديد بين الكلاسيكية والرومانسية ، ولذلك فشعره يرتكز كله أو أكثره على الجديد القديم فألفاظه واضحة وضوح أهل الريف وأساليبه سلسة سهلة عذبة عذوبة ماء النيل الذى يجرى على أطراف قريته ، وليس هذا غريبا على شاعر كالعنتيل نشأ في الريف وأحبه حبا جما .

ويكاد يكون لفوزى العنتيل معجمه الفني الخاص به إذ تراه يتجه إلى القرية فيغترف ألفاظه من رؤاها اغترافا كما يغترف من النهر مثل كلمات النخيل ... الجداول ... الساقية ...

الفأس ... الكوخ ... الترع ... السيسبان وكلها أصوات تحكى صوت الواقع أو ترسم حركة فى غيرّ عامية أو ابتذال فأسلوب فوزى العنتيل ليس فيه تقعر ، فهو يستعمل مفردات اللغة الصحيحة السهلة الرقيقة والدقيقة دون تحريف فيها ، وهذا دليل على مقدرته الفنية ومهارته الأسلوبية .

وفى مجال الأسلوب يحس القارئ لقصائد العنتيل أن أسلوبه يتميز بالسلاسة والوضوح من حسن تآلف الألفاظ وعدم غرابتها ومع عدم إبتذالها وإنسجامها مع روح التجديد .

ونستطيع أن نجمل خصائص أسلوبه فيما يأتى :

١ ــ الحوار .

٢ ــ الاقتباس والتضمين .

٣ ــ قاموسه الشعرى يبعد عن الغرابة والغموض والتقعر .

٤ ــ التكوار .

٥ ــ استعمال الأساليب الإنشائية التى تدل على التجدد والحدوث .

وتتجسد خصائص أسلوبه السابقة فى حديثه عن النخيل فتشمل خصائص أسلوبه كلها ، فهو يعمد إلى الأسلوب الإنشائى الذى يثير التجدد والإستمرار والحدوث كالإستفهام والنداء والأمر والنهى والتعجب واستعمال الفعل المضارع .

١ ــ فهو يعمد إلى استعمال أساليب الإستفهام واستعمال أدواته مثل : هل ، الهمزة ، أين .

فهو يتساءل عن أثر طيف الشعر فى إيناس وحدته :

أطيفك هذا الذى يرتمى على وحدتى ؟
كنخلات قريتنا الوادعة

وهو يستفهم عن قصة الغرام والحب والهيام بينه وبين نخلته فى عمر الصباح الوليد وفى فجر حياته السعيده وتتداعى ذكرياته مع نخلته فيثير أشجانها باستفهامه (هل) :

هل تذكرين الصبية الضاحكين يؤرقون الجدول النائما
ويقنصون الطير من عشه فى فرحة تستغرق العالما
ويرشقون الغيم فى سيرد حصا يرش الأفق الغائما
ويعبرون الليل فى قصته خضراء فوقها عائما

ويستفهم عن رفاق صباه وأحبته ، أين مضوا ؟ وفى أى درب سلكوا ؟ وهل للاجتماع بهم من سبيل ؟

أين مضوا ...... ؟ وفى أى درب ترى
تفرقوا . ؟.......... وانفض عقد السمر
هل أجهدت أرواحهم مثلنا عواصف تعوى وريح تمر ؟

٢ ــ وهو يعمد إلى أساليب النداء لبيان العلاقة الوثيقة بينه وبين النخيل والوشائج الممتزجة بينهما .

يا نخلتى السمراء يا جنتى يا عرس أفراحى وفجرى البعيد

فنخلته السمراء جنته وعرس أفراحه فهو يناديها ويناجيها ويسألها ويخاطبها إظهارا لروح المودة بينهما .

يـــأ جنتـــى أيـن رفــاق الصبـــا؟ نـحــدو كمـــا كنـــا وراء القمـــــر

وكما ينادى نختله ويحن إليها فإن نخلته تناديـــه وتتجــاوب معــه وتبادله نفس المشاعر والأحاســيس .

هنالـك نخلتـــــى السمــــراء فـــى السفــــح تناديـنــــــى

٣ ــ وهو يعمد إلى أسلوب التكرار إظهارا للتلـــذذ وإظــهار للحــب والشوق بينه وبين النخيـــل :

يا نخلتــى السمــراء يا جنتــــى يا عـــرس أفراحـــى وفجرى البعيد

ويقـــول :

هنالـــك نخلتــــى السمـــــراء فـــى السفــــح تناديـنــــــــى

ويكرر ثالثة لفظ النخل فيقـــول :

والنخـــل قصــــر ســمــــوق مسقـــــف بالمرايــــــــا

ويعيدها على مسامعنا رابعة فيقـــول :

ونخلتــى السمـــراء فـى صمتهـــا مبهـورة الأنفـــاس بين السهـــول

ولا يمل من تكرار (النخل) فهو معشـــوقه ومحبوبـــه .

والنخـــل أطفـــال علـى شطـــهـا يعبثن فى مزمارهــــــا الشــارد

والنخل شاهد على ذكريات صباه .

والنخـل يخفــق فى حنـــان ناشرا أغصانــــــه فـــى القبـــة الزرقـاء

وطيف الشعر آنس وحدته .

كنخلات قريتنـــا الوادعـــه

وهكذا يكون تكرار اللفـــظ للتلــذذ بذكـــره أو لإظـــهار أهميتـــه وبيان شأنه ، والنخيل شئ محبب إلـــى نفـس العنتيـــل فـــهو شـــاهد على صباه وله معه ذكريات أحبها وبقيت عالقـــة فـــى ذهنـــه حتـــى

بعد أن ترك قريته فإنه لن يترك ذكرياته .

والعنتيل فى ألفاظه وأساليبه يبعث الحياة فى الكائنات ويبعث الأمل فى الجمادات ويجعل من الكائنات الجامدة ذوات متحركة لها أحاسيس ومشاعر وانفعالات وتجاوب مشترك ولنتأمل هذه القطعة من شعره حيث يقول :

هنالك نخلتى السمراء فى السفح تنادينى
تراها تذكر الأمس الذى ما زال يدعونى
أوافيها فتضحك لى وأسألها فتعطينى
إذا ما جئتها فى الصيف ردت نار دونى
ومدت ظلها الأخضر إن نمت يغطينى

فهو يستعمل الألفاظ الموحية والعبارات المؤثرة ويبعث الحياة فى ألفاظه فيتعامل معها تعامله مع الكائن الحى فالنخلة تناديه والأمس يدعوه وهو يوافيها فتجيبه ضاحكة ، ويسألها فتعطيه وهى تبسط ظلها عليه .

ومن خلال إحساسه بها والتعامل معها تكونت اللوحة فاكتسبت ذاتيتها وجدتها وأصالتها فلم يستمدها من محفوظاته ، وإنما هى تجسيد وخلق جديد لرؤيا داخلية تشخص الطبيعة فكون النخلة تناديه ويسألها فتعطيه صورة لا وجود لها فى الواقع ولكن لها وجود فى وجدانه فهو يصفها وصفا فنيا حتى يتمكن من البوح بمشاعره لها وصفا حسيا يبرز اللون أو الحجم.

وأيضا اللجوء إلى اللفظ السهل الممتلئ الذى يكون صورة فى حد ذاته بالدلالات الشعورية التى تكتسب من السياق كلفظة (تعطينى) فهى على بساطتها مترعة بمعانى نجد لها فى قلب الشاعر تجاوبا فهى تعطيه التمر والظل والوفاء والحنان ، وقد أوحى بهذا عدم تقييده العطاء ، إن لفظة (تعطينى) فى موضعها غنية سخية موحية ، وكذلك لفظة (تضحك) التى توحى بالحب والسرور والبهجة فالضحك لا يكون إلا عن صلة قوية قائمة تختزن الحب وتختزل الوفاء وتبعث البهجة والسرور والحبور ، وكذلك (مدت ظلها الأخضر) فهى مؤئل للراحة وهى راحة المكدود وهى بساط المتعبين وهى عرش المجهد ، وفى قوله (إن نمت تغطينى) فهى أم رؤوم تحنو على صغارها تهيئ لهم أسباب النوم ووسائل الراحة وعوامل الدفء والحنان .

والنخلة جزء لا يتجزأ من ذكريات العنتيل وصباه وطفولته فهو يجرى تحتها وهو يستظل بظلها وهو يلتقط الرطب وهو يلعب مع الفتيان أترابه ولداته ومن هم فى عمر الزهور .

والنخل يشارك أهل القرية المعاناة التى يعانونها والآلام التى يرزحون تحت نيرها نلمح ذلك فى تعبيره بقوله والنخل يخفق فى قوله :

والنخل يخفق فى حنان ناشرا أغصانه فى القبة الزرقاء

وهكذا جسد لنا النخلة وجعلها كائنا يحيا يشعر بشعور

الآخرين ويشاركهم معاناتهم وآلامهم يفرح لفرحهم ويسر بسرورهم ويحزن لأحزانهم فهى تضحك وهى تخفق ، وهى تنادى وهى الأم العطوف والصدر الحنون والواحة التى يفئ إليها المكدودون المتعبون .

ونلمح فى خصائص أسلوب فوزى العنتيل ثقافته الأدبية التاريخية الواسعة والمامه بشتى عصور الأدب فيضمن شعره وأساليبه ألوانا من أحداث ووقائع العصور المختلفة .

الصورة الفنية :

لا نجد شاعرا أحب الريف بنخيله وأشجاره وعادات أهله مثل فوزى العنتيل ، ولم يبدع شاعر فيما أبدع من وصف مثلما أبدع فوزى العنتيل فى وصف النخيل .

فالعنتيل يهتم بالقرية ومرائيها البشرية والطبيعية وواقعية الحياة فيها وألوان المعاناة التى شكلت حياة الريف وأهله .

ولذلك يقول الأستاذ صلاح عبد الصبور عن شعر فوزى العنتيل "لن نجد ديوانا معاصرا يمثل الريف فيه بهذا الوضوح فالنخل والأغصان والطيور عناصر شعرية واضحة والشاعر منفعل بالريف مستمد لصوره منه حتى وهو فى المدينة فأنت تحس بأعماق قلبه رجعة إلى الريف وخفوقا دائما إليه وصورة

جمالية خلابة لطبيعته حتى لكأنه واحة المتعبين الطيبة" .

والصورة الفنية عند العنتيل مستمدة من البيئة الريفية وليس هذا غريبا على شاعر كالعنتيل نشأ فى الريف وأحبه حبا شديدا فأحيانا ينقل فوزى العنتيل مظهرا ريفيا ليسلكه مع شئ آخر عن طريق التشبيه أو الإستعارة صانعا بذلك صورة ريفية فتتآزر الصور الجزئية فى شعر فوزى العنتيل ليخلق مشهدا كليا ينحصر فى المكان أحيانا ليرسم لوحة فنية تتحرك وتتلون وتتكلم .

ويقول عيسى الناعورى عن العنتيل إن جميع صوره منتزعة من صميم الريف من عمل الفلاح الطيب من قلب الأرض القروية السخية التى تجعل البذور تنبت وتورق من هناك أخذ العنتيل صوره الشعرية ورؤاه واستعاراته واعيا أو غير واع ولكن لا وعيه فى مثل هذا يجعله أصدق فى حبه العميق للريف وحياته وأصدق فى تعبيره عن تجربته الإنسانية والإجتماعية هذه .

ولا شك أن الإنسان ابن بيئته وينفعل بما يراه ويشاهده ويصوره تصويرا ينسق مع تجربته الإنسانية وعاطفته المشبوبة بحب الريف وأهله .

وشاعرنا العنتيل له ريشة فنان يجيد رسم الصور ويستمدها

من واقع بيئته التى عشقها وأحبها وفتن بها وهـام بـها ، ونسـتطيع أن نقطف من أزاهير بستانه الشعرى بعض الصـور البيانيـة التـى أبدع فيها وانتظمت مشاهده ومرائيـه .

الصـورة الأولى :

يقول فوزى العنتيـل :

أطيفـك هـذا الـذى يرتمـى علـى وحدتـى ؟
كنخـلات قريتنـا الوادعـه

فهو يصور طيف الشعر وقد عاوده بعد انقطـاع فبـدد وحشـته وأزال غربته وفتح له آفاقا واسعة من الحيـاة والتجـدد والإينـاس ، وقد جاءه هادئا منسابا رقيقا رقراقا كنخلات قريتـه الوادعـة فـأثلج صدره وبعث فيه الطمأنينة وحل بنفسه الحبـور والسـرور .

الصورة الثانيـة :

وفيها يتحدث عن عودته إلى قريته بعدمـا غـاب طويـلا عنـها فاشتاق إليها واشـتاقت إليـه وفتحـت لـه أذرعـها وأخذتـه فـى أحضانها وعانقته بقبلاتها الحارة وكـان النخيـل أحـد معـالم هـذا الاستقبال الحار العنيف ولنتأمل معه فى رسـم هـذه الصـورة .

يقول العنتيـل :

فعانقتنـى قريتـى مثلمـا يعانق العـاشق خطـو الحبيب
وأذرع النخـل وراء الربـا أجنحـة تسبـح تحت الغـروب
أومـت وحيـت فى جـلال سرى حنينـه الدافق عبر الدروب

وصافحت روحـــى بأنسامهـــا ... وأغرقتنـى فى شذاها الرطيـــب

وهو يصور عناق قريته واستقبالها له استقبال العاشقين ومن بينها النخيل الذى أومأ بالترحاب وأشار فى حب وحيـا فى جلال بأجنحته التى تسبح تحت غروب الشمس .

الصورة الثالثة :

وفى صورة ثالثة يصور النخيل بأطفال اصطفوا صفوفا وقد شاركوا فى استقباله وهم ينشدون أناشيد الترحاب والتحايا ويعزفون الموسيقى الحالمة الآمنة الوادعة فرحا بمقدمه واستبشارا بطلعته .

يقول العنتيل :

استقبلتنـا قريتـى النائمـة ... تحت سفوح الجبال الصاعدة
تثاءبت فى حضنه وارتمـت ... تائهـة فى حلمه الخالـد
والترعـة السمراء طافت بها ... ترضعها من صدرها الناهـد
والنخل أطفال على شطها ... يعبثن فى مزمارها الشارد

الصورة الرابعة :

وفى صورة أخرى يصور النخلة بعاشقة انقطعت أنفاسها عند رؤية عاشقها ، وعندما رأته تجددت الذكريات وتداعت لها أحاديث الصبا والغرام وطفت على السطح تباريح الهوى والهيام، فهى لم تنس هذا الشاعر الذى نعمت بالقرب منه زمنا طويلا ، وهو يروى أساها بعشقه الطويل وحبه المبدع الآخاذ

وتوهج مشـــاعره .

يقول العنتيل فى هذه الصـــــورة :

ونخلتـــى السمـــراء فـى صمتـها — مبـهورة الأنفـاس بـين السهـــول[1]
تصغى وراء الأفـق عبر المـــدى — لعـــاشق روى أساهـــا الطويـــل
مـــر بها تحت جناح القمـــر — ذات مســـاء شاعـــرى جميـــل
فـذاب فى الليـــل صـدى لحنـه — بنـــات خـــوفـــو شاعرات الحقول

الصـورة الخامســـة :

وفى هذه الصورة تكثر التشـــبيهات وتتعـــانق الـــرؤى والظـــلال ويرسم لوحة متكاملـــة فنخلتـــه جنتـــه التـــى يجـــد فيـــها ســـروره وأفراحه وهناءتـــه وســـعادته ونخلتـــه عـــرس أفراحـــه ، وواحتـــه الفيحاء التى يجد فيها المكدود راحته ويفئ فيها إلـــى الظـــل الظليـــل والغدق النمير فكم عانقت أشـــواقه وســـمعت نجـــواه وألقـــى علـــى مسامعها الأناشيد ورتـــل المزامـــير وطـــرب هـــو والزمـــان وفـــى ظلالها الخضر مرح وفرح الوجـــود معـــه .

يقول العنتيل فى هذه الصـــــورة :

يا نخلتـــى السمـــراء يا جنتـــى — يا عـرس أفراحـــى وفجرى البعيد
كـم عـــانقت نجـواك أشواقنـــا — ونحن فى عمـــر الصبـــاح الوليد
علـــى ذراعيـــك أناشيدنـــا — ترقـص فى صمـت الروابـى السعيد
وفى الظـلال الخضر كـانت لنـــا — أرجوحة يـمـــرح فيهـــا الوجـــود

---

(١) ديوان رحلة فى أعماق الكلمات ، صـــ ٧٠ .

الصــورة السادســة :

وفى هذه الصورة يصور ظـــل النخــل بـــالعرش الـــذى يــتربع عليه ويصور النخل بـــالقصر الســموق المرتفــع مســقف بالمرايـــا وتحته وسد رأسه وقرت عينه واطمـــأن خـــاطره .

وفى تصويره النخلة بالقصر السموق ما يدل علـــى علــو شــأنها ورفعة قدرها فقد كـــان القصــر بالنســبة للريفــى شــيئا مرهوبــا وعظيمـــا لأنـــه غــير مملــوك إلا للإقطـــاعي أو الحــاكم فالنخلـــة عزيزة فى منالـــها كعـــزة الإقطـــاعى ومتعاليـــة كتعاليـــه وســـاطعة شامخة كقصره الذى تشرئب العيون إلـــى النظـــر إليـــه ، والنخلـــة تطاول عنان السماء فى تيه واعـــتزاز .

يقول العنتيـــل فى هذه الصــــورة :

فـــــى الحقــــــل والظـــــــل	عـــرش ممهـــــــد وحشايـــــــأ
مـــــن التـــــراب بنتهـــــــــأ	عنـــد الضحـــــى كفايـــــأ
والنخـــــل قصـــــر سمـــــوق	مسقـــــف بالمرايــــــــــــا
هنــــــاك وســــــدت رأســـــى	صـــدرا أحـــــب هوايـــــا

هذه نخلة العنتيل ظل ظليل لمن يســـتظل بـــها وقصـــر ســموق مسقف بالمرايا ينتفع بها الجميع ويستمتع بـــالنظر إليـــها .

أما نخلة الشاعر محمود حســـن إســـماعيل فـــهو يراهـــا حبيســـة القصور فلا يستمتع أحد بها فـــــهى صــــورة مـــن ظلــم الإقطـــاعى وجبروته ينظر الناس إليها فلا يســـتظلون بظلـــها ولا ينعمـــون مـــن

خيرها ولا يلتقطون من رطبها فلا وصول إليها لأنها حبيسة القصر الذى لا يصل إليه ولا إلى إصحابه أحد ، فهى عابسة مثلهم ومكشرة مثلهم .

يقول الشاعر محمود حسن إسماعيل فى وصف النخلة :

ونخلة فوقك تهدى الجنى والظل يستذرى بها العابر
تهتز للسارى ونخل الودى فى القصر مرهوب الحمى كاشر

الصورة السابعة :

وفى هذه الصورة يصور النخيل وهو شاهد على الذكريات الأليمة والمعاناة القائمة والآلام التى لازمت الريف المصرى وأهله فى زمن المستعمر الغاشم والإقطاع الظالم ، فيرسم هذه الصورة فالنخل يتفاعل ويتجاوب مع هذه المعاناة التى يعيشها الفلاح فينشر أغصانه فى القبة الزرقاء وخوار الأبقار يصعد فى السماء فيشكى قصة الضعفاء وغراب تائه متنقل فى ظلمة الليل البهيم يطوى عقود النخلة السمراء أشبه بالإنسان التائه فى هذه الحياة الذى لا نصير له .

إنها قصة الإنسان المظلوم والفلاح المحروم الذى لا يجد له ناصرا أو معينا إلا الله فيرفع شكواه إليه ويبسط راحتيه إليه ، فيراه فى الظلماء وينصره فى اللأواء ويعينه على البلواء .

يقول العنتيل فى هذه الصورة :

والنخل يخفق فى حنان ناشرا

أغصانـــــــه فـــى القبـــــــة الزرقـــــاء
وخــــوار أبقـــاْر تصعــــــــد فـــى السمـاء
يشكـــو إليهـــا قصـــــة الضعفـــــــاء
وهنـــــا غـــــراب تائــــه متنقـــــل
يطـــوى عقــــــود النخلـــــة السمـــراء

الصورة الثامنـــة :-

وفى هذه الصورة يعقد حوارا مــــع النخلـــة فيصورهـــا بإنســـان مدغدغ المشاعر مرهف الأحاســـيس والوجـــدان .

والنخلة تناديه وتناجيه ، وهي تضحك لــــه عندمـــا تـــراه مقبـــلا وهي تعطيه عطاء سخيا وهي ترد عنــــه نـــار الصيـــف وحرارتـــه الشديدة ، وهي تمد ظلــــها الأخضـــر فتغطيـــه وتســـتره ، إنـــها الأم الحنون التي لا تبخل على بنيـــها ، والتـــي تبـــذل بســـخاء لأولادهـــا والتي تعودت العطاء فلا تبخل بــــه .

يقول العنتيل في هذه الصــــورة :

هنالــك نخلتــــى السمــــــراء   **فـــــى الســـــفح تناديـنـــــــــى**
تراهــا تذكـــر الأمـــس الـــذى   **مــــا زال يـــدعــــو نـــــى**
أوافيهـــــا فتضحــــك لــــــــى   **وأسألهــــــا فتعطينـــــــــــى**
إذا مــا جئتهـــا فـــى الصيـــــف   **ردت ثـــــــاره دونــــــــــــى**
ومـــــدت ظلهـــــا الأخضــــر   **إن نمــــــــت يغطينـــــــــى**

الموسيقـــا :

الموسيقا كما يقـــول الســـحرتي : "جنـــدى مـــن جنـــود التعبـــير الشعرى" ، والشعر يحلو بالموســـيقي الجيـــدة ويضعـــف شـــأنه إذا

كانت موسيقاه غير جيـــده[١].

والموسـيقا العروضيـة يقصـد بـها الأوزان والقوافـي أو مـا يسمى الموسيقا الخارجيـة .

وفوزى العنتيل جمع فى قصائده بين الشـعر التقليـدى والشـعر الحر فقد نظم ديوانه الأول عدا قصيدتيـن منـه ، وبعـض قصـائد ديوانه الثانى شعرا عموديا وحافظ على وحدتـى الـوزن والقافيـة، ونظم من الشعر المقطوعى الذى حـافظ فيـه علـى وحـدة الـوزن مع تنوع القافية أكثر شـعره ، ولـم يلـتزم وحـدة القافيـة والـتزم القافية ذاتها ، ونوع فى القوافى دون نظـام مسـبوق علـى حسـب ما يتوفر له النفس الشعرى الطلق وما يتطلبـه المعنـى[٢] .

وفى مجال الشـعر العمـودى يؤثـر الشـاعر فـوزى العنتيـل النظم فـى الغـالب مـن البحـور القصـيرة كـالمجتث والـهزج ومجزوء الكامل ومجزوء الرمل ومجـزوء الرجـز .

فالنوع الأول الـذى سـار فيـه الشـاعر فـوزى العنتيـل فـى قصائده هو النظام التقليـدى ؛ أى التقييـد ببحـور الشـعر العربـى وبالأوزان العروضيـة.

---

[١] الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للسحرتى ، صـ ١٠٩ .

[٢] مجلة روزاليوسف "شاعر الريف والطبيعة والمستضعفين" ، صـ ٣٥ .

وهذه الطريقة ليست مثار تساؤل بل قد تكون موضع رضا الكثير من النقاد لأنها اقتفت خطا التراث الشعرى والأوزان العروضية المعروفة .

أما النوع الثانى فهو الشعر الحر . والشعر الحر : هو الذى لم يلتزم فيه الشاعر بوزن أو قافية أو روى .

وهذه الطريقة موضع جدل بين الدارسين بين رافض لها ومؤيد .

ويمثل فريق الرافضين الأستاذ عيسى الناعورى الذى راح يعيب على الشاعر فوزى العنتيل هذا الإتجاه ويأخذه عليه لما فيه من تفكيك الشعر وتخليعه في أسطر متلاحقة لا تنسجم فيها التفاعيل ولا تتناغم ويستطرد قائلا ولعله فعل ذلك ظنا منه أن هذا الترتيب هو موضة العصر التى لا يرضى القراء بغيرها وهو ظن خاطئ إلى حد بعيد[١] .

وأنا أوافق هذا الإتجاه وأؤيده فالشعر الحر هدم بناء الأوزان العروضية وقضى على بحور الشعر العربى بزعم التجديد والتطور وسيرا على اتجاه أبى العتاهية الذى كان يقول : أنا أكبر من العروض.

---

[١] شاعران من وادى النيل لعيسى الناعورى فى جريدة الديار اللبنانية ، صـ ١ .

أما الفريق المؤيد فيمثله الدكتور عبد السلام عبد الحفيظ الذى يقول : "وحسبانى أن فوزى حين كتب قصائد ديوانه بطريقة الشعر الحر ، كان يريد أن يجعل الكتابة جزءا من القصيدة أو من مكوناتها الفنية على الصحيح" [١].

وهذا حسبان لا مبرر له فالقصيدة عند العنتيل بصفة عامة (عمودية أو حرة) فالعنتيل عاش الحالتين : الصورة التقليدية بوزنها وقافيتها والصورة الحرة مع تهدلها وفوضويتها .

[١] صورة من الشعر الحديث ، د. عبد السلام عبد الحفيظ ، صـ ٦٠ .

الخاتمـــة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتتوج الأعمال بالقبول

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله .

الحمد لله الذى أعان على الدرس ويسر البحث وعبد الطرائـــق وذلـــل الصعاب وسهل العقبات وفتح الأبواب ونجح المقصد ووفق ـ سبحانه ـ لما يحب ويرضى .

ونصلى ونسلم على الحبيب الشفيع الرؤوف الرحيم ســيدنا محمــد صلى الله عليه وسلم سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه ومـــن تأدب بأدبه وسار على هديه واتبع سنته إلى يوم الدين .

وبعـــــــــــد... ،

فقد كشف هذا البحث عن علم من أعلام الصعيد وأديب من أدبائـــه وشاعر من شعرائه واستقصى ظاهرة فى شعره هى (النخيل فى شـــعر فوزى العنتيل) .

وبدا لنا أن فوزى العنتيل ظاهرة فنية لبيئة أسيوط وأنه جمع فـــى شعره بين الشعر التقليدى والشعر الحر ، وأن قصائده تعبر عن القرية وآلامها ومعاناتها ، وأنه متأثر فى صوره بالريف الذى منحه كل حبـــه وولائه ، وهو يعمد إلى الرومانسية والتعامل مع الطبيعة والعيش فـــى

كنفها ورحابها وأن أسلوبه سلس عذب واضح عذوبة ماء النيل الـــذى يجرى بواديه ويحيط بقريته ، ويغترف منه اغترافا وأن صوره الفنيــة مستقاة من الريف ومأخوذة من واقع حياته .

وأنه أبدع فى وصف النخيل إبداعا تميز به على نظرائه وأشـــباهه من الشعراء .

ومن الله استمد العون وأسأله التوفيق والســـداد والقبـــول والأخـــذ بنواصينا إلى الخير والهدى والتقوى وهو حسبى ونعم الوكيـــل نعـــم المولى ونعم النصير .

المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم (سبحان من أنزله) .

٢ـ الأدب وفنونه للدكتور محمد مندور ، دار نهضة مصر للطباعة ، الفجالة، القاهرة .

٣ـ الأدب وفنونه للدكتور عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي ، ١٩٧٦م ، طبعة سادسة .

٤ـ الأسلوب لأحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٣م ، طبعة ثانية .

٥ـ البناء الفني للقصيدة العربية للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

٦ـ ديوان الأعشى .

٧ـ ديوان إمرؤ القيس ، دار صادر ، بيروت .

٨ـ ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى ، الطبعة الأميرية ، بولاق .

٩ـ دراسات فى الأدب والنقد للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، طبعة دار الطباعة المحمدية ، ١٩٥٦ .

١٠ـ ديوان عبير الأرض لفوزى العنتيل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥.

١١ـ ديوان رحلة فى أعماق الكلمات لفوزى العنتيل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ .

١٢ـ ديوان الجمال والحرية والحب لفوزى العنتيل (مختارات من الشعر المجرى) ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ .

١٣ـ الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للأستاذ مصطفى السحرتى ، مطبعة النهضة ، مصر .

١٤ـ الشعر العربى المعاصر للدكتور عز الدين إسماعيل ، طبعة دار العلم للملايين ، بيروت .

١٥ - الشوقيات للشاعر أحمد شوقى ، طبعة دار صادر ، بيروت .

١٦ - صحيح البخارى للإمام البخارى ، طبعة الشعب ، القاهرة .

١٧ - صور من الشعر الحديث للدكتور عبد السلام عبد الحفيظ عبد العال ، مطبعة الإيمان ، أسيوط ، ١٩٨٠ .

١٨ - الفتوح الإسلامية للدكتور النعمان القاضى ، طبعة دار الفكرى العربى ، القاهرة .

١٩ - الفلاح فى الأدب العربى للأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، مطبعة الثقافة ، بيروت .

٢٠ - فوزى العنتيل شاعرا للمرحوم الدكتور عبد الحليم سلطان (رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة بكلية اللغة العربية بأسيوط) ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠ .

٢١ - نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب للمقرى ، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

٢٢ - نهاية الأرب للنويرى ، مصورة دار الكتب المصرية ، القاهرة .

٢٣ - النيل فى الأدب المصرى للدكتورة نعمات أحمد فؤاد ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

روضة الفصاحة
ليس للثعالبى ، بل لزين الدين الرازى

للأستاذ الدكتور

عبد المنعم سيد عبد السلام الأشقر

أستـــاذ البلاغـــة والنقـــد

كلية اللغة العربية بأسيوط

روضة الفصاحة
ليس للثعالبى ، بل لزين الدين الرازى

للأستاذ الدكتور
عبد المنعم سيد عبد السلام الاشقر
أستاذ البلاغة والنقد
كلية اللغة العربية بأسيوط

عرف زين الدين الرازى بين أهل العلم بأنه من اللغويين وأصحاب المعاجم العربية ، المعنية بتتبع المواد اللغوية ، وبيان معانيها ، وأن له كتابا مشهورا فى هذا المجال ، سماه (مختار الصحاح) ، لأنه اختصر فيه كتاب (تاج اللغة وصحاح العربية) لأبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى ، ت ٣٩٨ هـ .

ولكن لا يعرف غالبية العلماء أنه من البلاغيين أيضا ، فلم يشر إليه الأستاذ أحمد مصطفى المراغى ، فى كتابه (تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها) ، كما لم يشر إليه غيره من المؤلفين الذين عنوا بالبحث فى نشأة هذا العلم ، وتتبع أطواره ، وطبقات رجاله ، ومؤلفاتهم البلاغية عبر العصور .

مع أن لهذا العالم اللغوى الجليل كتابا فى البلاغة سماه (روضة الفصاحة) وزعم فى مقدمته أنه كتاب متفرد ، لا نظير له فى بابه ، (لم يوضع مثله فى شرف نثره ونظمه ، على

صغر قدره وحجمه) ، كما أشار فى مقدمتـــه أيضـــا إلـــى عـــزوف الناس عن هذا العلم فى زمانه ، وزهدهم فيـــه ، حتـــى عـــم الجـــهل به ، وكثر الخلط فيه ، وعبارته فى ذلـــك "كـــان النـــاس قـــد ألقـــوا ألواحـــه ، وأطفـــأوا مصباحـــه ، ودرســـوا معالمـــه ، وطمســـــوا مراسمه ، حتى إن أكـــثرهم لا يفـــرق بيـــن اســـمه ومســـماه ، ولا يميز بين حقيقة لفظه ومعناه" ، فلهذا أحـــب زيـــن الديـــن الـــرازى أن يضع فى هذا العلم كتابا (مختصرا)، وصفـــه بأنـــه (جـــامع بيـــن الإيجـــاز المعجـــز ، والإعجـــاز الموجـــز ، والأمثلـــة الفائقـــــة ، والأشعار الرائقة ، والعبـــارات الرشـــيقة ، والإشـــارات الدقيقـــة) ، وحدد هدفه من تأليف هذا المختصــــر ، واتصافـــه بـــهذه الصفـــات بقوله : (ليكون سببا لإحياء معالم هـــذا العلـــم ورســـومه ، ووســـيلة إلى إظهار مضمره ومكتومــــه)(١)

وقد ظـــل كتـــاب (روضـــة الفصاحـــة) للـــرازى مجـــهولا ، لا يعرف عنه طلاب البلاغة شيئا ، ربمـــا لأن أصولـــه ومخطوطاتـــه ظلت حبيسة إحدى خزائـــن الكتـــب فـــى (قونيـــة) بتركيـــا ، دهـــرا طويلا ، حتى نهض المرحوم الدكتور أحمـــد النـــادى شـــعله لنشـــره وتحقيقه ، بعد أن قدم له بدراسة موجـــزة ، مشـــيرا فيـــها إلـــى مـــا

---

(١) يراجع (روضة الفصاحة) لزين الدين الرازى ، صـ ٥٤ ـ ٥٦ ، ت : د/ شـعلة ، ط الأولى ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

وقع بين يديه من مخطوطات الكتاب ، وما اعتمده من هذه المخطوطات في تحقيق نصه ، وتحرير لفظه ، وما تشكك فيه منها .

وبهذا العمل العلمى الذى قام به الدكتور شعلة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ، خرج كتاب روضة الفصاحة إلى النور ، وأضيف إلى المكتبة البلاغية والنقدية ، منسوبا إلى زين الدين الرازى (أحد علماء القرن السابع الهجرى) ، بعد أن طال احتجابه واختباؤه وتواريه ، لأسباب قد يتضح لنا بعضها من خلال هذا البحث .

وفى سنة ١٩٩٤م ـ أى بعد ثمانى سنوات تقريبا ـ تحدث مفاجأة مذهلة ، إذ يفاجأ الدارسون للبلاغة ، بنشر الكتاب مرة أخرى ، ولكن السيد المحقق الذى أعده للنشر ، وقدم له ، وادعى أنه قد حققه وعلق عليه ، قد نسبه هذه المرة إلى أبى منصور الثعالبى ، ت ٤٢٩هـ ، وهذا المحقق هو محمد إبراهيم سليم .

أما المكتبة التى طبعته ونشرته وتولت توزيعه هذه المرة وعلى تلك الكيفية فهى مكتبة القرآن بالقاهرة ، وهى مكتبة لها وكلاء موزعون فى كثير من البلاد العربية كالسعودية ، والمغرب ، والإمارات ، والبحرين ، وليبيا ، ومن هنا تأتى

خطورة نشر الكتاب على هذا النحو المذكور (منسوبا إلى الثعالبى) ، لأن نسبته إلى هذا العالم الجليل لا تستقيم بحال ، ولا تتفق مع المنطق العقلى والحس التاريخى ، كما سيتضح ذلك عند تصفح الكتاب ، والتعرف على محتوياته ، فضلا عن أن من ترجموا للثعالبى ، لم يذكر واحد منهم أن له كتابا بهذا العنوان مع تتبعهم الكامل ، وسردهم الواعى لمؤلفاته ورسائله[1]، ثم إن من أبسط قواعد تحقيق التراث ، أن يضع المحقق بين يدى القارئ صورا ضوئية لبعض الصفحات المهمة ، من المخطوط المراد تحقيقه ، كصفحة العنوان ، والصفحة الأولى ، والصفحة الأخيرة ، وغير ذلك مما يتيح للقارئ مشاركة المحقق ، فى متابعة عمله العلمى ، وليتأكد القارئ بنفسه من صحة عنوان الكتاب ، وصحة نسبته إلى صاحبه ، وتاريخ كتابه نسخ المخطوط ، وغير ذلك .

وهذا ما تحقق على أكمل وجه فى تحقيق الدكتور شعلة للكتاب ، ولم يتحقق شئ منه فى تحقيق السيد محمد إبراهيم سليم ، يقول الدكتور شعلة عن مخطوطات الكتاب : (وقد وجدت منه ثلاث نسخ بدار الكتب المصرية ، ونسخة واحدة

---

(١) ترجمته فى (وفيات الأعيان) ، (٣ : ٣٧٨ : ٣٨٠) ، ومعجم المؤلفين (٥ : ١٨٩ ـــ ١٩٠) ، والأعلام ، ١٦٣/٤ .

بمكتبة الأزهر) ، وأردف بوصف كل نسخة من هذه النسخ الأربع ، معززا ذلك بصورة ضوئية لصفحات بعينها من كل نسخة ولزيادة التأكيد والتسديد نقل الدكتور شعلة كلام أصحاب التراجم ، ففى كشف الظنون (روضة الفصاحة) فى البيان والبديع لزين الدين بن محمد السراج بن أبى بكر بن عبد القادر الحنفى الرازى ، وأوله : الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلمه البيان ...... الخ ، وأضاف أن صاحب (معجم المؤلفين) ، وصاحب (معجم المطبوعات العربية والمعربة) ، قد ذكرا مثل ذلك ، كما ذكره الأستاذ حسن السندوبى فى مقال له بمجلة الرسالة عن (الرازى) ، كما أورده الأستاذ عبد الله مخلص ، فى رسالة له بعنوان : (صاحب مختار الصحاح) ، وذكر فيها أيضا أنه قد جاء فى مجلة تصدرها إحدى كليات الجامعة الأمريكية ببيروت أن من كتاب روضة الفصاحة لزين الدين الرازى نسخة بمكتبة الجامعة فى الخزانة المعلوفية[1] .

ولاشك أن زين الدين الرازى لم ينل شهرة الإمام الكبير (فخر الدين الرازى) ت ٦٠٦هـ ، صاحب مفاتيح الغيب ،

---

[1] يراجع (معجم المؤلفين) ، ٩ : ١١٢ ، و (معجم المطبوعات) ، و (مجلة الرسالة) ، السنة الثامنة ، العدد ٣٨٩ ، سنة ١٩٤٠م ، و (صاحب مختار الصحاح) ، صـ ٦ ، و (روضة الفصاحة) ، تحقيق د. شعلة ، صـ ٣٢ .

ونهاية الإيجاز ، وغيرهما ، وهذا يفسر ما نجده على غلاف نسخة مكتبة الأزهر ، من كتاب روضة الفصاحة ، فقد جاء على غلافها : (كتاب روضة الفصاحة في علم البلاغة ، تأليف الشيخ فخر الدين الرازى الحنفى رحمه الله آمين)[١] .

والمعروف أن لقب الرازى ، مؤلف (روضة الفصاحة) هو زين الدين ، وليس (فخر الدين) ، وقد نبه الدكتور شعلة إلى هذا ، بل لقد لقب صاحبنا زين الدين الرازى بلقب (فخر الدين) على سبيل الخطأ أيضا ، فى كثير من الكتب ، حتى لقد نسب بعض الكاتبين كتابيه : (مختار الصحاح) ، و (شرح مقامات الحريرى) إلى الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى ، بل ولكون محمد بن حاتم (ت ٣٢٠هـ) معروفا بالرازى ، ومنسوبا إلى الرى ، فقد نقل المؤرخون كتابيه (الأسماء والصفات) ، و (آداب الشافعى ومناقبه) ، من خانته إلى خانة فخر الدين محمد بن عمر الرازى أيضا ، والأمثلة على هذا كثيرة[٢] .

---

(١) ينظر (روضة الفصاحة) ، صـ ٣٣ .

(٢) يراجع تقديم الدكتور بكرى شيخ أمين لكتاب (نهاية الإيجاز) للفخر الرازى ، صـ ١٤ ، ١٥ ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ ، دار العلم للملايين .

فإذا نظرنا فيما صنعه محمد إبراهيم سليم ، بين يدى تحقيقه لكتاب (روضة الفصاحة) ، الذى نسبه إلى أبى منصور الثعالبى، لم نجد شيئا ، ففى صـ ١١ من هذه الطبعة عنوان : (مخطوط هذا الكتاب) ، يقول تحته : (لقد ظل مخطوط هذا الكتاب مرجعا للباحثين والدارسين ، يرجعون إليه ، ويذكرونه بين مراجعهم ، حتى هيأ الله لى أن أعكف على تحقيقه ، بعد أن قدمت للثعالبى (الكناية والتعريض) ، و (لطائف المعارف) ، و (أحسن ما سمعت) ، والمخطوط رقم (١٢٨ بلاغة) ، دار الكتب المصرية .

ولقد اقتبس الإمام السيوطى فى كتابه (جنى الجناس) فقرات من (روضة الفصاحة) للثعالبى ، وأشار إلى ذلك ، وربما اختلط الأمر على الكثيرين ، بسبب إطلاق هذا الاسم (روضة الفصاحة) ، على ثلاثة كتب للأقدمين :

أولها : (روضة الفصاحة) للإربلى ، ذكر ذلك السيوطى فى شرح بديعيته .

الثانى : (روضة الفصاحة) للإمام زين الدين أبى عبد الله محمد ابن أبى بكر الرازى الحنفى المتوفى بعد سنة ٦٦٦هـ ، وهى مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم (١٧ش) ، وقام الدكتور شعلة بتحقيقها .

أما الثالث : فهو كتابنا هـــذا (روضـــة الفصاحـــة) لأبـــي منصـــور الثعالبى ، صـــاحب يتميـــة الدهـــر ، والمتوفـــى ســـنة ٤٢٩هـــ ، فتعال إلى روضة الثعـــالبى[1] !!

ولى على هذا الكلام الملاحظـــات الآتيـــة :

١ ــ أن هذا المحقق لما صادف اسم الثعالبى علـــى غـــلاف يحمـــل عنوان (روضة الفصاحة) ، لم يـــدر بخلـــده أدنـــى شـــك فـــى نسبة هذا الكتـــاب إلـــى الثعـــالبى ، كيـــف وهـــو يـــرى علـــى الغلاف اســـم أبـــى منصـــور واضحـــا جليـــا ؟ ثـــم إن نقـــل السيوطى عن هذا المخطوط معزوا للثعالبى قـــد أكـــد لـــه مـــا رآه ، فلم لا يسارع إلى نشر الكتاب ، بعـــد اصطنـــاع تحقيقـــه والتعليق عليه ، ليضاف هذا الكتاب إلـــى الكتـــب الثلاثـــة التـــى أخرجها من كتب الثعـــالبى ؟!

٢ ــ أن هذا المحقق كان يعلم وهـــو يقـــدم علـــى تحقيـــق الكتـــاب ونشره على هذا الوضع أن الدكتور أحمـــد النـــادى شـــعلة قـــد سبقه إلى (روضة الفصاحة) لـــزين الديـــن الـــرازى ، بـــل قـــد اطلع على هذا الكتاب المحقق ، كما يدل كلامـــه الســـابق .

٣ ــ ونحن لا يعنينـــا هنـــا أن للإربلـــى كتابـــا بعنـــوان (روضـــة

---

[1] المرجع ، صـــ ٩ .

الفصاحة) ، وإنما يعنينا أن المخطوط الذى نسب إلى الثعالبى من هذا الكتاب ليس له ، وإنما هو لزين الدين الرازى ، فمن يتصفح (روضة الفصاحة) المطبوع ، لا يجد فرقا بين الطبعة الأولى التى نسبت إلى الرازى ، والثانية التى نسبت إلى الثعالبى ، إلا ما يكون من فروق تقع بين نسخ ومخطوطات الكتاب الواحد .

٤ ــ وأول ما يلقاك فى هذا الكتاب من قرائن ، تنفى كونه للثعالبى ، وتدعم كونه لزين الدين الرازى ، أن مؤلفه قد وضعه برسم السلطان المؤيد المنصور نجم الدين أبى الفتح غازى بن قرة أرتق أرسلان الأرتقى ، الذى يذكر المؤرخون أنه قد تسلم عرش أبيه فى ملك (ماردين) سنة ٦٩١هـ = ١٢٩١م ، وتوفى سنة ٧٠٢هـ = ١٣١٢م ، وإذا كان الثعالبى قد عاش فى أواخر القرن الرابع عشر الهجرى، وأوائل القرن الخامس ، حيث توفى ٤٢٩هـ فكيف يستقيم أن يكون هو الذى ألف هذا الكتاب ؟ نعم لقد نص المؤلف على ذلك فى المقدمة ، فضلا عن أنه قد جاء فى فهرست الخديوية (١ : ١٤٧) أن زين الدين الرازى هو مؤلف (روضة الفصاحة) ، وأنه قد ألفه باسم السلطان المؤيد المنصور نجم الدين غازى بن قرة أرسلان الأرتقى،

ثم إننا نرى المؤلف يتمثل فى مواضـــع مختلفــة مــن الكتــاب بأبيات شعرية ، وفقـــرات نثريـــة ، أنشــأها فـــى مــدح هــذا السلطان ، أو فـــى مـــدح غـــيره مــن ملــوك القـــرن الســـابع الهجرى وأعيانه ، فمن ذلك قولــــه فـــى التضـــاد : وقولـــى ـــ من أبيات ـــ فى مولانا الســـلطان الملــك الســعيد نجــم الديــن والدنيا ، أعز الله ملكــه :

بك أصبح الدين الحنيف مفضضـا والمذهب الحنفى أصبح مذهبـــا[١]

يريــد المؤلــف أن ينــوه بنصـــرة الســلطان للديـــن بعامــــة ، وبمســـاندته للمذهـــب الحنفـــى بخاصـــة ، والمقصـــود بالاستشـــهاد الطباق الذى بين (مفضضا) و (مذهبا) ، ومـــن ذلــك أيضــا قــول المؤلف مادحا آخر ملوك بنـــى أيــوب ، وحفيــد صــلاح الديــن ، مستشهدا للتشبيه المطلـــق :

(وقولى فى مولانــــا الســـلطان الملــك النــاصر أبـــى المظفــر يوسف بن الملك العزيز ، خلد الله دولته ، مــــن قصيـــدة :

فيوسف يوسف فى حسن صورتــه وفى مهابته العظمى سليمـــــان[٢]

والملك الناصر توفى سنة ٦٥٩هـــ ، وهـــو يوســف (النــاصر) بن محمد (العزيز) ، بن الظاهر غازى بن النـــاصر صـــلاح الديـــن

---

[١] (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ٢٣٧ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ ١١٥ .

[٢] (المرجع) ، تحقيق د/ شعلة ، صـــ ٧٣ ـــ ٧٤ .

يوسف بن أيوب ، والمقصود بالاستشهاد تشـبيه المؤلـف للممـدوح بسيدنا يوسف عليه السلام فـي جمالـه وحسـن طلعتـه ، وبسـيدنا سليمان عليه السلام في مهابتـه وجلالـه .

ومما ينفي كون هذا الكتاب للثعالبي ، ويدعم كونـه لأبـي بكـر الرازي ، أنه اشـتمل علـى شـواهد أخـرى (شـعرية ونثريـة) ، لرجال من أهل القرن الخامس والسادس والسـابع الـهجري ، فقـد استشـهد المؤلـف ببيتيـن ينسـبان لأبـي الحسـن الفـارقي ـ ت ٤٨٧هـ[١] ـ كمـا استشـهد ببيـت لأبـي المظفـر الأبيوردي ـ ٥٠٧هـ ـ خلال تناوله للـترصيع ، وهـو قـول الأبيـوردي :

يروح عليهم عازب الحمد وافيـا ويغدو عليهم طالب الرفد عافيـا[٢]

كما استشهد المؤلف بشواهد عديـدة مـن مقامـات الحريـري ، المتوفى ٥١٦هـ ، وأبياته الشعرية أيضـا ، ويكـاد يكـون القاسـم ابن علي الحريري أكـثر أصحـاب الشـواهد البلاغيـة ورودًا فـي (روضة الفصاحة) ، فقد استشـهد مؤلفـه بسـطور مـن مقاماتـه ، وأبيات من قصائده في أكثر من خمسـة وأربعيـن موضعـا ، كمـا

---

(١) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ١٧٠ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٧٨ .

(٢) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ٢٠١ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٩٥ .

استشهد المؤلف بشواهد لرشيد الدين الوطواط[١] ، المتوفى ٥٧٣هـ ، وعند تناوله للاشتقاق يقول : (وقال الرشيد الوطواط: صناعة الاشتقاق عند البلغاء والأدباء من التجنيس ، وعد منه قوله عليه الصلاة والسلام : (اللهم سلط عليهم الطعن والطاعون) ، وقول سيدنا على رضى الله عنه : (يا صفراء اصفرى ، ويا بيضاء ابيضى غرا غيرى ...)[٢] .

وهذا فى الحقيقة معنى كلام الوطواط ، حيث يقول فى الاشتقاق : (ويعتبره أصحاب البلاغة نوعا من أنواع التجنيس ...)[٣] ، كما نقل مؤلف روضة الفصاحة عن (المطرزى) المتوفى ٦١٠هـ فى هذا الموضع أيضا[٤] ، كما استشهد ببيتين له فى (الترصيع) ، وهما قوله :

وزند ندى فواضله ورى … وزند ربا فضائله نضير
ودر جلاله أبدا ثمين … ودر نواله أبدا غزير[٥]

---

[١] (روضة الفصاحة)تحقيق د/ شعلة،صـ٧٦ ، ٢٨٠ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٣٠ ، ١٤٢ .

[٢] (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ١٩٨ ــ ١٩٩ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٩٤ .

[٣] حدائق السحر فى دقائق الشعر) للوطواط ، صـ ١٠٣ ــ ١٠٤ ، ترجمه عن الفارسية إلى العربية ، د/ إبراهيم أمين الشواربى .

[٤] (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ١٩٨ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٩٤ .

[٥] (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ٢٠٤ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٩٦ .

كما استشهد ببيت له فى (الاشتقاق) ، وهــو قولــه :

وإنى لأستحيى من المجــد أن أرى ... حليف غــوان أو أليــف أغانـــى[١]

كما نقل المؤلف عن (الزمخشــرى) المتوفــى ٥٣٨هــــ ، فــى الإيهام والتخييل[٢] ، وفى الطباق ينقل المؤلـــف عــن (أســامة بــن منقذ) المتوفى ٥٨٤هـــ ، فيقول : (وقال أسامة بـــن منقــذ : أخفــى مطابقة فى القرآن الكريم قوله تعـــالى : (ممـــا خطيئاتـــهم أغرقـــوا فأدخلوا نارا) (سورة نـــوح : ٢٥)[٣] .

وفى (الاقتباس المذموم) يستشـــهد المؤلـــف بقـــول (ابـــن النبيــه المصرى) المتوفى ٦١٩هـــــ :

قمت ليل الصـــدود إلا قليـــلا ... ثم رتلـــت ذكركـــم ترتيـــلا

وهو مطلع قصيدة لهذا الشـــاعر ، عـــدد أبياتـــها ثمانيـــة عشــر بيتا ، كل بيت منها ــ كما يقول المؤلـــــف ــ يشــتمل علــى آيــة ، أو بعض آية ، نعوذ بالله من ذلـــك ، فإنـــه مذمـــوم فـــى الشـــرع ، وإن كان محمودا فى الشـــعر[٤].

---

(١) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ١٩٦ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ ٩٢ .

(٢) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ١١٨ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ٥٠ .

(٣) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ٢٣٤ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ ١١٤ ، وينظـــر (البديع فى نقد الشعر) لابن منقذ ، صـــ ٣٦ .

(٤) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ١٤٥ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ٦٠ ، والبيت فى=

وفى (تأكيد المدح بما يوهم الذم) يستشهد المؤلف بقول البهاء زهير ، المتوفى ٦٥٦هـ :

ما فيه من عيب سوى فتور عينيه فقط[1]

وفى عكس الجمل استشهد المؤلف بقول (ابن الفارض) ، المتوفى ٦٣٢هـ :

ولولا زفيرى أغرقتنى أدمعى ولولا دموعى أحرقتنى زفرتى[2]

وفى إيهام التناسب استشهد المؤلف بقول (ابن منير) ، المتوفى ٥٤٨ هـ :

قالت لنا ألف العذار بخده فى ميم مبسمه شفاء الصادى[3]

وفى التشبيه العقلي يقول المؤلف : (والقاضى الأرجانى رحمه الله تعالى زاد على جميع المتأخرين ، وأكثر المتقدمين ، في اختراع التشبيهات العقلية ، ومن تصفح ديوانه علم صحة ذلك ، وقد أوردت أحسن ما قاله في ذلك ، في كتابى المسمى

=(ديوان ابن النبيه) ، صـ ٣٩٧ ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٩م ، تحقيق عمر محمد الأسعد .

(1) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ٢٥٢ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ١٢٤ ، و (ديوان البهاء زهير) ، صـ ١٥٠ ، ط الثانية ، دار المعارف ، ١٩٨٢م .

(2) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ١٤٨ ، ١٤٩ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٦٣، و (ديوان ابن الفارض) ، صـ ٧٢ ، ط الأولى ، ١٩٩٠ ، دار الكتب العلمية ببيروت .

(3) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـ ١٢٣ ، وتحقيق محمد سليم ، صـ ٥٣، و (وفيات الأعيان) لابن خلكان (١ : ٣٩) ، و (أنوار الربيع) (٣ : ٢٢٣) .

دوحة البلاغـــة)[١] .

والمعروف أن القاضى الأرجانى قـــد توفـــى ٥٤٤ هــــ ، وقــد استشهد المؤلف بأبيات مختلفة من شـــعره ، فـــى (التناســـب)[٢] ، و (حسن التعليل)[٣] ، و (القلـــب المســـتوى)[٤] ، و (التجـــاهل)[٥] ، و (الجمع والتفريق)[٦] ، و (حســـن التخلـــص)[٧] .

وفى (القلب المســـتوى) أيضـــا يقـــول المؤلـــف : (ومنـــه قـــول العماد الأصفهانى للقاضى الفاضل : (ســـر فـــلا كبـــابك الفـــرس) ، لما قال له القاضى : (دام عـــلا العمـــاد)[٨] .

والمعروف أن العماد الأصفهانى قد توفـــى ٥٩٧ هــــ ، وقبلـــه بعام واحد توفى القاضى الفـــاضل ٥٦٩هــــ .

---

[١] (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ٧١ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ ٢٨.

[٢] (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ١٢١ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ ٥٢ .

[٣] (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ١٢٧ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ ٥٥ .

[٤] (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ١٥١ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ ٦٥ .

[٥] (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ٢٧٢ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ ١٣٥ .

[٦] (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ٢٨٢ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ ١٣٤ .

[٧] (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ٢٨٩ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ ١٥٠ .

[٨] (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ١٥٢ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ ٦٥ ، و (وفيـــات الأعيان) ، ٢ : ٤٧ ، ٣٣٣ ، و (شذرات الذهب) ، ٤ : ٣٢٤ .

وفى الاســـتعارة يستشـــهد المؤلـــف بقـــول (ابـــن حمـــد يـــس الصقلى) المتوفى ٥٢٧هـــــ :

باكر إلى اللـــذات واركب لها ... سوابـــق اللهـــو ذوات المـــراح
من قبل أن ترشف شمس الضحـا ... ريق الغوادى من ثغور الأقـــاح(١)

وفى التجنيس المركب يستشهد بقول (ابـــن الشـــجرى) المتوفـــى ٥٤٢ هـــ :

وحديقـــة صبحتهـــا بحديقة ... من فتيـــة والطير فى أوكارها
كم ماجـــنٍ فيها وكم متعفـــفٍ ... قد صـــار يمجن طائعا أو كارهـا(٢)

وفى (الاقتباس المذموم) استشهد المؤلـــف بقـــول (ابـــن عربـــى الموصلى) ، المتوفى ٦٨٦ هـــــ :

أفـــدى الـــذى ناديتـــه ... وركـــابـــه بيـــد النـــوى
مـــولاى حبـــك نيتـــى ... ولكـــل عبـــد ما نـــوى(٣)

ففى البيت الثانى اقتباس مـــن قولـــه صلـــى الله عليـــه وسـلم : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ مـــا نـــوى ... الحديـــث) .

---

(١) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ١٠١ ـــ ١٠٢ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ ٤١ ، و (ديوان ابن حمد يس) ، صـــ ٥٨ ، طبعة بيروت .

(٢) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ١٦٩ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ ٧٧ ، وينظـــر (الدر النفيس) ، صـــ ٧٨ ، مخطوط بدار الكتب .

(٣) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ١٣٦ ، وتحقيق محمد سليم ، صـــ ٦٠ ، وينظـــر (الدر النفيس) ، صـــ ١٧٣ ، و (فوات الوفيات) ، صـــ ٢ : ١٥٨ .

وفى (التضمين) يستشهد المؤلف بقول (ابـــن خلكــان) المتوفــى ٦٨١ هـــ :

كـم قلـت لما أطلعت وجناتــه حـول الشقيق الغض روضة آس
أعــذاره الســارى العجول ترفقا مـا فى وقوفك ساعة من بـاس[١]

فقد ضمن البيت الثانى شطرا من بيت لأبى تمــام ، هــو مطلــع قصيدة مدح بها (أحمد بن المعتصــم) ، وهــو :

مـا فى وقـوفـك ساعة من باس نقضى حقــوق الأربــع الأدراس

٦ ــ هذا ، ويضاف إلى ما ســبق أن مــن شــواهد الكتــاب قــول الشــاعر :

وإذا البلابــلُ أفْصَحَتْ بِلُغَاتِهَــا فَانْـفِ البلابِـلَ باحتساء بَلَابِلِ[٢]

وهذا البيت للثعالبى[٣] ، ومؤلــف الكتــاب عندمــا أورده قــال : (وقول الآخر) وفى طبعة سليم : (وقـــال آخــر)، ومعنــى هــذا أن البيت ليس من شعر المؤلــف ، وإلا لكــان ينبغــى أن يــدل علــى ذلك ، بأن يقول : (وقولى ... كذا) ونحــوه ، فــهذه القرينــة تؤكــد أيضا ألا يكون الكتـــاب للثعــالبى ، وتدعــم نسـبته لزيـن الديـن

---

(١) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صـــ ١٣٣ ، وتحقيق محمد سليم ، صــــ ٥٨ ، وينظــر (معاهد التنصيص) ، صــ ٤ : ١٦٥ ، و (النجوم الزاهــرة) ، صــــ ٧ : ٣٥٣ ، و (هديــة العارفين) ، صــ ١ : ٩٩ .

(٢) (روضة الفصاحة) تحقيق د/ شعلة ، صــ ٢٢١ ، وتحقيق محمد سليم ، صــ ١٠٦

(٣) (معاهد التنصيص) ، صــ ٣ : ٢٦٦ .

الرازى .

٧ ـ ومن أغرب ما صادفته فى نشر الأستاذ محمد إبراهيم سليم للكتاب ، منسوبا إلى الثعالبى المتوفى ٤٢٩هـ ، أن وجدته عند ورود اسم القاضى الأرجانى فى النص ، قد علق فى الحاشية بإيراد ترجمة لهذا الشاعر ، ذكر فيها أنه ولد سنة ٤٦٠ هـ ، وتوفى سنة ٥٤٤ هـ ، كما وجدته أيضا فى موضع آخر من الكتاب ، عند ورود اسم (الحريرى) فى النص، قد علق فى الحاشية بإيراد ترجمة للحريرى ، ذكر فيها أنه ولد فى حدود سنة ٤٤٦هـ[١] ، ولست أدرى كيف استقام عند محقق كهذا ، أن يشتمل كتاب الثعالبى المتوفى ٤٢٩هـ ، على شعر لشاعرين أحدهما ولد سنة ٤٦٠هـ ، والآخر ولد فى حدود سنة ٤٤٦ هـ !! وهل كان هذا المحقق غافلا عن مقارنة تاريخ وفاة المؤلف (الثعالبى) بتاريخ ولادة ووفاة الشعراء والعلماء الذين اشتمل على شواهدهم الكتاب ؟

ومع هذا التناقض الواضح ، والخلل الفاضح ، فقد نَشَرَ هذا الذى يقف فى طابور محققى التراث كتابَ رَوْضَةِ الفصاحة ، منسوبا إلى (الثعالبى) ، وهو يعلم أن كتابا بهذا العنوان قد سبق

---

[١] (روضة الفصاحة) ، تحقيق محمد سليم ، صـ ٢٨ ، ٥٨ .

نشره ، منسوبا إلى زين الدين الرازى ، المتوفى بعد سنة ٦٦٦هـ ، ولو أنه قارن بينهما ، وتصفحهما بحس المحقق الأمين ، والباحث المدقق ، لعلم أن ورود اسم الثعالبى على مخطوطة الكتاب الوحيدة ، التى اعتمد عليها فى نشره ، خطأٌ محض ، وسهوٌ من النساخ ، لأنه لا يتفق مع المنطق العقلى ، والحس التاريخي اللذين ينبغي أن يتحلى بهما كل من يتصدى لنشر التراث العربى الإسلامى ، والمشكلة أن الطبعة المحققة تحقيقا صحيحا ، من هذا الكتاب ، والتى حققها الدكتور شعلة غير متداولة بين الناس ، ولا موجودة فى المكتبات ومنافذ بيع الكتب فى مصر ، ولعل المرحوم شعلة قد اكتفى بطبع عدد محدود من النسخ ، يتم بها غرضه ، وهو الحصول على درجة علمية ، من درجات أساتذة الجامعة ، وهو هدف قريب ، يكفى للحصول عليه طباعة عشر نسخ من هذا العمل العلمى الجليل ، توزع على أعضاء اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة ، فى جامعة الأزهر الشريف ، وليت الرجل أعطى دراسته وتحقيقه للكتاب لدار نشر عامة ، توزعه على القراء ، وتتولى إعادة طبعه كلما نفدت نسخه ، وتحققت الحاجة إليه ، حتى يتسع تداوله ، ويعم نفعه بين الدارسين .

أما الطبعة الأخرى التى سجلنا عليها ما سجلناه من

ملاحظات فقد طبعت كما ذكرنا فى ــ مكتبة القرآن بالقاهرة ــ وهى مكتبة لها حضورها وانتشارها فى مدن كثيرة بالسعودية ، والإمارات ، والبحرين ، وليبيا ، والمغرب ، ولهذا فإن السكوت على تداول هذه الطبعة ، بعد أن اتضح ما عليها من ملاحظات، وما فيها من خطأ فاحش يعد سلبية منكرة ، وتواريا عن مواجهة الباطل مع وضوح بطلانه ، أما التمادى فى هذه السلبية، والتهوين من خطورة هذا الأمر فخطيئة لا تغتفر ، فى حق تراثنا العربى الإسلامى ، فى وقت ترتفع فيه أصوات المحبين لهذا التراث ، الذائدين عنه ، بالدعوة الكريمة إلى دراسته دراسة جادة ، وتحقيقه تحقيقا دقيقا ، يجلى مقاصده ، ويحرر نصوصه ، ويستبعد ما عسى أن يكون قد اختلط بأصوله ، من فعل النساخ ، أو من تحريفات دخيلة ، تقف وراءها مآرب خبيثة تسعى لتشويه ماضينا ، وطمس معالم ذخائرنا العلمية والأدبية ، من قديم الزمان .

والواقع أن الخطأ فى مثل هذا المجال وارد ، يغفل عنه ، ولا يتنبه إليه الباحثون أحيانا ، فالدكتور بدوى[1] طبانة قد نسب إلى الإمام فخر الدين الرازى (ت ٦٠٦هـ) كتابا فى شرح

---

(١) البيان العربى ، صـ ٢٠٨ .

شواهد كتـــاب (الإيضـــاح) للخطيــب القزوينـــى (ت ٧٣٩هــــ) ! وهذا ما لا يعقلــــه عـــاقل مـــن الطـــلاب المبتدئيـــن ، لا البـــاحثين المرموقين ، والبلاغيين المتخصصين ، أمثـــــال المرحـــوم طبانــــة ، إذ كيف يعقل هذا عاقل ، وهو يدرك لأول وهلـــــة أن القزوينـــى قــد وُلد ٦٦٦ هــ ، أى بعد وفاة الإمــــام فخــر الديــن بســتين ســنة ، فكيف تصح نسبة كتاب للـــــرازى (فـــى شـــرح شـــواهد الإيضــــاح) للقزوينـــى ؟!

لقد اتفق صاحبنا محمد إبراهيم سليم مــــع المرحـــوم طبانــــة فـــى نوع الخطأ ، لكن الأول تمادى فـــى خطئـــه ، حتـــى بـــات خطيئــــة بالغة القبح والســـوء .

حياة زيـن الديـن الـرازى

من المؤسف له أن حياة هذا العـــــالم اللغـــوى البلاغـــى الأديـــب الكبير لم تأخذ حقها مـــن عنايـــة المؤرخيـــن وأصحـــاب الـــتراجم ، ولعل هناك أسبابا تتعلق بحياته ، حالت بينهم وبيـــن مـــا يشـــتهون ، من ذكر ترجمته بين تراجم مؤلفى اللغة العربيــــة ، وذكــر آثــاره ، ووصف حياته ، وشيوخه ، وتلاميـــذه ، وغـــير ذلـــك مـــن ملامـــح الشخصية العلمية ، ومظــــاهر حركتـــها وتفاعلـــها مـــع المجتمـــع ، الذى نشأت فيـــه .

ولكننا سنحاول أن نلــــم مــــا تنــاثر ، ونجمــع مـــا تفــرق مـــن

معلومات قليلة ، عن هذا العالم الجليل .

فهو زين الدين أبو عبد الله محمد بن شمس الدين أبي بكر ابن عبد القادر الرازي الحنفي ، وصفه المؤرخون بأنه كان إماما في اللغة ، حسن السيرة ، زاهدا في الدنيا ، موغلا في العبادة ، وحب السنة ، ونصرة الشريعة .

ولد بمدينة (الري) ، وهي مدينة كبيرة بفارس ، تقع بين (قومس) و (الجبال) من بلاد الديلم ، وقد أنجبت هذه المدينة كثيرا من العلماء والأدباء ، وكانت محط أنظارهم ، ومركز اجتماعاتهم ، ومداخلاتهم العلمية طوال عدة قرون .

و (الرازي) : بفتح الراء المهملة ، وبعد الألف زاي ، نسبة إلى (الري) على غير قياس ، والزاي زائدة فيها ، كما زادوها في (المروزي) نسبة إلى مرو[1] .

وقد أطلقت هذه التسمية على كثير من أبناء هذه المدينة ، لمجرد انتمائهم إليها وولادتهم فيها ، فكل عالم أو أديب نشأ في هذه المدينة ، غير صاحب (روضة الفصاحة) سمي (الرازي) ، ومن هؤلاء العلماء (أبو حاتم الرازي) ، المتوفى ٢٧٧هـ ،

---

(١) وفيات الأعيان ، ١ : ١٣٤ ، لابن خلكان ، ت : محي الدين في ترجمة أحمد بن فارس بن زكريا الرازي ـ ط (دار السعادة) بالقاهرة .

وأبو سلم الرازى ، المتوفى ٢٩١هـ ، وأبو بكر محمد بن زكريا الرازى ، الفيلسوف والطبيب المشهور ، المتوفى ٣١١هـ ، والإسماعيلى الرازى ، المتوفى ٣٢٢هـ ، وأبو الفتح الرازى ، المتوفى ٤٤٧هـ ، والإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى ، المتوفى ٦٠٦هـ ، المفسر الكبير ، المعروف بابن الخطيب ، أو ابن خطيب الرى ، لأن والده كان خطيب مسجد الرى . وغير هؤلاء العلماء الأجلاء ، كالحنفى الرازى ، المتوفى ٦١٥هـ ، والقطب التحتانى ، المتوفى ٧٦٦هـ .

ولا نعرف متى ولد زين الدين الرازى ، وكل ما نعرفه من معلومات عن نشأته أنه قد تلقى تعليمه الأولى فى مدينة الرى ، وأنه أقام بمصر حينا من الدهر ، متنقلا بين أرجائها ، آخذا عن علمائها ، مفيدا طلابها ، وإن كان السيوطى لم يذكره ، فيمن وفد إلى مصر من العلماء والأدباء ، أو من الحنفية ، لكن المقريزى ذكر أنه وصف بركة الحبش ، بمدينة القاهرة ببيتين من الشعر ، وهما :

إذا زينُ الحسناءَ قُرْطٌ فَهَذِهِ ... يُزَيِّنُهَا مِنْ كُلِّ ناحيةٍ قُرْطُ
ترقرق فيها أدمعُ الطَّلِّ غدوةً ... فقلت : لآلٍ قد تضمنها قُرْطُ

وبعد أن أقام بمصر فترة ـ لم يحددها المؤرخون ـ رحل إلى الشام ، وانقطعت أخباره عن أهل مصر ، حتى غلب على ظنهم أنه قد لقى ربه هناك ، فى دمشق ، بينما كان قد رحل

إلى (قونية) وهى ولاية كبرى بتركيا ، تتميز بكونها مقر شيخ المولوية ، والمولى هو الشيخ الذى عَهِدَ إليه الأتراكُ حيناً من الدهر ، بتقليد خلفاء آل عثمان سيفَ السلطنة ، فى حفلات تتويجهم . كان ذلك قبل أن يتضعضع ملك العثمانيين ، ويُقْضَى عليهم ، وعلى الطريقة المولوية من بعدهم ، وإلى هذه الولاية ينسب العالم البلاغى شمس الدين القونوى ، المتوفى ٧٨٨هـ ، صاحب شرح تلخيص المفتاح ، للخطيب القزويني[١] ، وكذلك الشيخ العالم المحقق صدر الدين القونوى ، الذى التقى به زين الدين الرازى فى (قونية) ، وصحبه ، وسمع عليه كتاب (جامع الأصول فى أحاديث الرسول) ، لابن الأثير الجذرى الموصلى.

ويظهر أنه ظل مقيما بها ، أو بما جاورها من بلاد الروم (الأناضول) ، وبقى هناك ، حتى أدركته المنية ، ولكن لا يعلم أحد بالضبط متى كانت وفاته ، فالمقريزى يذكر أنه توفى ٦٥١ هـ ، وحاجى خليفة يذكر أنه من رجال القرن الثامن الهجرى ، ويذكر أيضا فى عدة مواضع من كتابه (كشف الظنون) أن وفاته كانت ٦٧٢هـ ، ويذكر فى موضع آخر أنه توفى بعد سنة ستين وستمائة ، ويذكر فى موضع آخر أنه قد

---

(١) تاريخ علوم البلاغة للمراغي ص ١٥٠

فرغ من كتابه (مختـــار الصحــاح) . عشـية يـوم الجمعــة سـنة ٧٦٠هــ ستين وسبعمائة هجرية . وأنه توفى بعد ســـنة مــن ذلــك، والزركلى يقول : أنه كان فى قونية ســــنة ٦٦٦هــــ . وهــو آخــر العهد به ، وعمر رضا كحالة يذكر أنه كان حيـــا سـنة ٦٦٦هــــ وصاحب معجم المطبوعـــات العربيـــة والمعربـــة يذكـــر أنـــه مـــن علماء القرن الثامن الـــهجرى . وأنـــه كـــان موجـــودا ٧٥٨هـــــ . ولعل هذا منقول عن كشف الظنون . فـــى موضـــع مـــن المواضـــع التى تعرض فيها لذلك ، أو لعله منقول عـــن (فهرســـت الخديويـــة). فقد ذُكِرَ هناك نَسَـــبُهُ ، وأنـــه كـــان موجـــودا ٧٦٨هـــــ . ويذكـــر السبكى أنه توفى ٦٧٣هــ ، ويرجح الأســـتاذ/ عبـد الله مخلـص . مؤلف رسالة : (صاحب مختار الصحاح) أن الـــرازى مـــن علمـــاء القرن السابع الهجرى ، مستدلا بأنه كـــان معـــاصرا لصـــدر الديـــن القونوى ، الذى توفى ٦٧٣هــ ، وأنه كان علـــى قيـــد الحيـــاة ســـنة ٦٦٦هــ ، ويرجح المرحوم الدكتـــور شـــعلة أن يكـــون قـــد توفـــى ٦٦٦هــ ، ويرى الأستاذ حسن السندوبى أنـــه توفـــى فـــى أواخـــر القرن السابع الهجرى ، بينما يـــرى (جورجـــى زيـــدان) أنـــه مـــن رجال القرن الثامن الـــهجرى . ويـــرى المستشـــرق الإنجلـــيزى ــ مرجيلوث ــ أنه اطلع على كتاب صغـــير لزيـــن الديـــن الـــرازى . بمكتبة كليته . يتضمن (الأبيات المتمثـــل بـــها) . ويذكـــر أن مـــن الشعراء الذين ذكر لهم أمثلـــة وشـــواهد فـــى هـــذا الكتـــاب (ابـــن

الصائغ) المتوفى سنة ٧٢٢هـ ، ذكر ذلك ابن شاكر الكتبى ، ويدل هذا على صحة الرأى القائل بأن الرازى من رجال القرن الثامن الهجرى[1].

وإنى أستبعد أن تكون وفاته سنة ٧٦١هـ ، ٧٦٨هـ ، فبين هذين التاريخين وبين التواريخ التى وردت فى هذا السياق ، وهى ٦٥١هـ ، ٦٦٦هـ ،٦٧٢هـ ، ٦٧٣هـ فرقٌ كبير ، يكاد يصل إلى تسعين سنة ، والاختلاف فى هذا الشأن عادة ينحصر فى نطاق أضيق كثيرا من هذا ، بل لا ينبغى أن يتعدى خمس سنين ، أو عشرا على الأكثر ، أما الرأى القائل بأنه من رجال القرن الثامن فيمكن قبوله إذا كان المراد بذلك أنه قد أدرك هذا القرن بعشرين عاما ، أو أكثر قليلا ، فلقد رأيناه فى روضة الفصاحة يستشهد ببيتين لابن عربى الموصلى المتوفى ٦٨٦هـ ، ويستشهد أيضا ببيتين لابن خلكان المتوفى ٦٨١هـ، كما أنه قد ألف الروضة باسم السلطان المنصور نجم الدين غازى بن قرة أرتق أرسلان ، المتوفى ٧٠٢هـ ، وإذا صح أن له هذا الكتاب الذى تضمن أبياتا لابن الصائغ ، المتوفى ٧٢٢هـ ، فإنه يحق لنا أنه نرجح أنه عاش إلى نهاية القرن السابع الهجرى ، وامتد به العمر إلى أوائل القرن الثامن.

---

[1] يراجع (فوات الوفيات) (٢: ١٨٨) ، و(روضة الفصاحة) ت : شعلة ، ص١٤-٢٣.

آثار زين الدين الرازى :

أما آثاره أو مؤلفاته ، فمنها :

١ـ مختار الصحاح :

وهو أشهر كتبه على الإطلاق ، وربما كان أكثر معاجم اللغة العربية تداولاً ، لكونه أسهلها استعمالاً ، وهو اختصار لكتاب (الصحاح) للجوهرى (المتوفى ٣٩٨هـ) ، وعلى ترتيبه، فى إيراد الكلمات بحسب أواخرها ، وقد اقتصر فيه على ما لابد منه فى الاستعمال ، وضم إليه كثيراً من الفوائد التى أخذها من كتاب (التهذيب) للأزهرى ، المتوفى ٣٧٠هـ ، و(ديوان الأدب) للفارابى ، المتوفى ٣٥٠هـ ، و(المجمل) لابن فارس ، المتوفى ٣٩٥هـ ، و(تاج المصادر) للبيهقى المتوفى سنة ٥٤٤هـ ، و(المفصل) للزمخشرى ، المتوفى ٥٣٨هـ ، و(الفصيح) لثعلب ، المتوفى ٢٩١هـ ، و(المغرب فى ترتيب المعرب) لناصر الدين بن عبد السيد بن على المطرزى ، المتوفى ٦١٠هـ ، و(الغريب المصنف) لأبى عبيد القاسم بن سلام، المتوفى ٢٢٤هـ ، وغير ذلك .

وإذا كان زين الدين الرازى قد رتب (مختار الصحاح) على ترتيب أصله ، وهو (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهرى،

المتوفى٣٩٨هـ ، فإن وزارة المعارف العمومية فى مصر ، كانت قد عهدت أخيرا للأستاذ محمود خاطر بتغيير ترتيبه ، ومراعاة الحرف الأول والثانى وما بعدهما ، رغبة فى تسهيل الكشف عن معانى المفردات اللغوية ، لطلاب وتلاميذ المدارس الثانوية[١].

٢ـ غريب القرآن :

وهذا الكتاب ألفه استجابه لطلبة العلم ، وحملة القرآن ، حيث طلبوا منه تأليف كتاب فى تفسير (غريب القرآن) ، مرتبا على ترتيب الجوهرى ، وقد فرغ من تأليفه ٦٦٧هـ[٢].

٣ـ تحفة الملوك والسلاطين :

فى الفروع ــ وهو مخطوط موجود بمكتبة جامع أيا صوفيا بالقسطنطينية[٣].

٤ـ كتاب فى الأبيات التى يتمثل بها :

وهو محفوظ بمكتبة كلية الآداب بجامعة (اكسفورد)

---

(١) يراجع (المعاجم العربية) ، د/ عبد المنعم بشناتى ، ص ٦٤ .

(٢) يراجع (هدية العارفين) ، ٢ :١٢٢ ، و(كشف الظنون) ١٣٨٠.

(٣) (صاحب مختار الصحاح) ، لعبد الله مخلص ، ص ١٧ ، و(روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ،ص ٢٧ .

بإنجلترا، وقد سبق ذكر ما لاحظه المستشرق (مرجليوس) من خلال اطلاعه على هذا الكتاب ، وأنه يحتوى على شواهد ، من بينها أبيات لابن الصائغ ، المتوفى ، ٧٢٢هـ .

٥. أنموذج جليل فى أسئلة وأجوبة من غرائب آى التنزيل:

ويشتمل على ألف ومائتى مسألة ، وقد طبع بعنوان (مسائل الرازى وأجوبتها من غرائب آى التنزيل) ، تحقيق وتصحيح إبراهيم عطوة عوض ، وقد نسبه إلى الرازى كل من ترجموا له ، أو تكلموا عن كتبه .

٦. دقائق الحقائق فى التصوف :

ورد ذكره فى (إيضاح المكنون) (١: ٤٧٥) ، و(معجم المؤلفين) (٩ : ١١٢) .

٧. كنوز البراعة فى شرح مقامات الحريرى :

ورد ذكره فى (فهرست الخديوية) (٤ : ٢٧٥) ، و(معجم المؤلفين) (٩ : ١١٢) .

٨. دوحة البلاغة :

وهذا الكتاب لم يذكره أحد ممن ترجموا للرازى ، والمصدر الوحيد فى الدلالة عليه هو كتابه (روضة الفصاحة) ، فقد ذكره

فيه غير مرة ، وأشار إلى أنه يعالج ثلاثة فنون بلاغية ، هي : التشبيه ، والاستعارة ، والتورية ، يقول : (ولا يحتمل هذا المختصر في التشبيه أكثر من هذا الكلام ، ومن أراد الزيادة على ذلك فعليه بكتابي الذى ألفته في الفنون الثلاثة خاصة ، وهي التشبيه والاستعارة والتورية وسميته (دوحة البلاغة) ، فإنه كتاب شريف ، وفيه من الأمثلة اللطيفة ، من النثر والنظم للمتقدمين والمتأخرين ، من المشارقة والمغاربة أحسن ما وقع منها ، وإنما جعلته مقصورا على هذه الفنون الثلاثة لأنها أشرف فنون علم البيان ، وصناعة البديع ، وألطفها عند كل ناقد بصير ، وفاضل تحرير)[1] .

٩- حدائق الحقائق في الأخلاق والمواعظ :

ورد ذكره في (هدية العارفين) (٢ : ١٢٧) ، و(معجم المؤلفين) (٩ : ١١٢)[2] ، ويشتمل على أحاديث وآثار ومواعظ، يغلب عليها المشرب الصوفي.

١٠- الذهب والإبريز في تفسير الكتاب العزيز :

---

[1] (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، ص ٨٨ ــ ٨٩ ، وت : سليم ، ص ٣٤.

[2] وذكر أحمد تيمور باشا أن هذا الكتاب موجود بخزانته ، في ٣٧ صفحة ، وينظر (صاحب مختار الصحاح) ، ص ١٧.

ورد ذكره في (معجم المؤلفين) (٩ : ١١٢) ، و(فهرست الخديوية) (٤ : ٢٧٥) والأعلام (٩: ٢٧٩) .

١١ـ روضة الفصاحة :

وهو محور هذا البحث وموضوعه ، وقد طبع كما ذكرت طبعتين ، إحداهما بتحقيق د/ أحمد النادى شعلة ، سنة ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م ، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ، والأخرى بتحقيق محمد إبراهيم سليم ، سنة ١٩٩٤م ، مكتبة القرآن بالقاهرة ، وقد اعتمد المحقق الأول على أربع نسخ ، من مخطوطات الكتاب ، بينما اعتمد الثانى على نسخة واحدة، وكانت تعليقاته على النص سيئة ، وتحريره للنص بالغ السوء والاضطراب ، أما ثالثة الأثافى فهى أن نسب هذا السفر البلاغى الذى ظل مجهولاً مختبئاً زمناً طويلاً ، إلى أبى منصور الثعالبى ، لا إلى زين الدين الرازى ، موهماً القارئ أن المخطوطة التى نشرها غير الكتاب الذى طبعه الدكتور شعلة ، منسوباً إلى الرازى ، مع أن هذه هى ذاك ، ولهذا أَقْتَرِحُ على المسئولين عن الثقافة فى مصر بعامة ، ونشر وطباعة وتوزيع كتب التراث العربى الإسلامى بخاصة حجب النسخ المطبوعة من هذه الطبعة عن أيدى القراء ، وإعدامها ، والسعى لإعادة نشر الطبعة الأولى ،

والتعجيل بذلك لإمكان تداولها ، ليعم النفع بالكتاب على الوجه الصحيح .

هذا ، ويذكر بروكلمان كتباً أخرى لزين الدين الرازى ، منها (المختار من كتاب التحبير) للقشيرى ، وكتاب الأمثال والحكم ، وكتاب معانى المعانى ، الذى ذكر أنه كتاب فى النقد الأدبى ، وغير ذلك[١] .

محتويات الكتاب :

يحتوى هذا الكتاب على ثلاثة وستين لوناً بلاغياً ، هى التشبيه ، والاستعارة والتورية ، والتناسب ، والتشابه ، وحسن التعليل ، والتضمين ، والإيداع ، والاستعانة ، والعنوان ، والاقتباس ، وعكس الجمل ، والقلب ، والتجنيس ، والاشتقاق ، والترصيع ، والتسجيع ، ورد العجز على الصدر ، والتضاد ، والإعنات ، والتضمين المزدوج ، وحسن الطلب ، والمدح المفرع ، والمحتمل للضدين ، وتأكيد المدح بما يوهم الذم ، والالتفات ، وسياقة الأعداد ، وتنسيق الصفات ، والاعتراض ، والرجوع ، والتوشيح ، والتجاهل ، والتلميح ، والسؤال

---

[١] ينظر (تاريخ الأدب العربى ، بروكلمان (٦ : ٦٣١) ، وكتاب (مختار الصحاح) للرازى ، تقديم د/ عبد الفتاح البركاوى ، ص ١٧ ــ ١٩.

والجواب ، والإغراق فى الصفة ، واللف والنشر ، والتفسير ، والجمع والتفريق ، والمتزلزل ، والردف والرديف ، والاستدراك ، وحسن المطلع ، وحسن التخلص ، وحسن المقطع ، والموشح ، والمربع ، والمسمط ، والملمع ، والمقطع، والموصل ، والحذف ، والرقط ، والخيف ، والتصحيف ، والترجمة ، والمعمى ، واللغز ، والمواردة ، والمصالته ، والنقل ، والسلخ ، والمسخ ، والاحتذاء ، فهذه ثلاثة وستون لوناً، والستة الأخيرة منها لا تعد من الألوان البلاغية أو البديعية، وإنما هى من قبيل السرقات الشعرية ، ولذلك تناولها زين الدين الرازى تحت عنوان (فصل فيما يقع بين الشعراء) .

وقال : (وإن لم يكن من محاسن الشعر) ، وهذا يعنى أنه يعرف أن هذه الأنواع الستة ليست من البديع ، وربما يكون قد ألحقها بالأنواع الأخرى مجاراة لبعض المؤلفين الذين سبقوه إلى التأليف فى البلاغة ، فالزنجانى ٦٦٠هـ ، قد أورد هذه الأنواع فى القسم الثالث من كتابه (معيار النظار) ، ضمن ما أورده فيه من ألوان بديعية أو بلاغية[١] ، فلعل الرازى قد تأثر به فى ذلك ، على أن الطبعة الثانية من (روضة الفصاحة) ، التى

---

[١] (معيار النظار) للزنجانى (القسم الثالث فى البديع) ، ص ٢٦٧ــ٢٧٦، تحقيق د/ عبد المنعم سيد عبد السلام ، ط الأمانة ، ١٩٩٥م.

طبعها المدعو محمد إبراهيم سليم قد سقط منها أربعة ألوان بديعية ، وهى : التشابه ، والإيداع ، والاستعانة ، والعنوان ، ثم إن الكتاب فى كلتا الطبعتين قد اشتمل على مقدمة لطيفة ، وفصل فى معنى الفصاحة والبلاغة والوجازة والبيان ، ويحسن بنا أن نصحب المؤلف فى محتويات كتابه التى أجملناها.

لقد ضمن زين الدين الرازى مقدمة كتابه التنويه بأهمية علم البلاغة ، بين علوم الأدب ، فله دوره المتميز فى التعرف على ملامح التحدى ، ومظاهر الإعجاز فى آى الذكر الحكيم (فهو العلم الذى أصبح لخزائن أسرار القرآن العزيز مفتاحا ، ولسالكيه نجما هاديا ومصباحا ، وهو الطريق الواضح إلى معرفة بدائع إعجازه ، وبلاغة إيجازه) .

ثم إن علم البلاغة هو محك نقد الشعر ، الذى هو ديوان العرب ، وعنوان الأدب ، ولولاه لم تَرَ لِسَانًا يحوك الْوَشْيَ ، ويصوغ الْحَلْيَ ، ويَلْفُظُ الدُّرَّ ، وينفث السحر ، ولأظلمت آفاق البلاغة ، واستمر السِّرارُ بِأَهِلَّتِهَا ، واستولى الخفاء على تفاصيلها وجملتها ، به يميز ضعيفُ الكلام ومتينُه ، وغَثُّهُ وسَمِينُهُ ، فهو العلم الذى تمت حسناته ، ودَلَّتْ على إعجازه سورُهُ وآياتُه ، وكان الناس قد ألقوا ألواحه ، وأطفأوا مصباحه، ودرسوا معالمه ، وطمسوا مراسمه ، حتى إن أكثرهم لا يفرق

بين اسمه ومسماه ، ولا يميز بين حقيقة لفظه ومعناه .

فلهذه الأسباب وضع الرازى فى هذا العلم (مختصرا) ، سماه (روضة الفصاحة) ، (جامعا بين الإيجاز المعجز ، والإعجاز الموجز ، والأمثلة الفائقة ، والأشعار الرائقة ، والعبارات الرشيقة ، والإشارات الدقيقة) ، وهنا لاحت الفرصة للرازى أن يباهى بهذا المختصر أقرانه ، من علماء البلاغة والنقد فوصف مختصره هذا بأنه : (لم يوضع مثله فى شرف نثره ونظمه ، على صغر قدره وحجمه ، ليكون سببا لإحياء معالم هذا العلم ورسومه ، ووسيلة إلى إظهار مُضْمَرِهِ ومكتومِهِ) .

ولا يخفى عليك ما فى أسلوب الرازى هنا من سجع وموازنة ، وتقسيم موسيقى بين الجمل ، لكن ذلك يأتى طائعا ، فى الأعم الأغلب ، فلذلك تميز كتابه بحسن العرض ، واستواء العبارة ، ودقة الأسلوب وبلاغته ، فهو فيه بَلِيغٌ فى شَرْحِهِ ، بَلَاغِيٌّ فى طَرْحِهِ ، ومادته البلاغية والنقدية ، ولا يخفى عليك تأثره الواضح بعبد القاهر والزنجانى[1] ، فيما نذكره من أهداف لدراسة البلاغة ، وإن كان لم يذكرهما فى هذا الموضع ، بل

---

[1] راجع (دلائل الإعجاز) ، صـ ٥ ـ ٧ ، و (معيار النظار) ، القسم الثالث ، صـ ٣ .

ولا فى غيره من صفحات كتابه ، مع أنـــه صـــرح بذكـــر غيرهمـــا من البلاغيين ، مثل : رشيد الدين الوطواط ، وأبـــى العـــلاء محمـــد بن غانم المعروف بالغانمى ، وأبى الفتح نـــاصر بـــن عبـــد الســـيد المطرزى ، وأسامة بن منقذ ، وجـــار الله الزمخشـــرى.[١]

ثم إن الرازى قد وصف كتابه بأنـــه (مختصـــر) ، وكـــرر هـــذا الوصف فى غير موضع من كتابه ، ومن قبلـــه وصـــف الزنجـــانى كتابـــه (المعيـــار) بذلـــك ، ويبـــدو أن طبيعـــة عصـــر الزنجـــانى والرازى كانت تدفـــع العلمـــاء إلـــى تـــأليف (المختصـــرات) فـــى مختلف العلوم ، ففى طليعة المؤلفات المختصـــرة فـــى علـــم النحـــو كتاب (الإيضـــاح) لأبـــى علـــى الفارســـى (ت ٣٧٧هـــ) ، هـــذا الكتاب الذى حمله إلى (عضد الدولـــة البويـــهى) ، فاســـتخف بـــه ، فوضع الشيخ أبو علـــى كتابـــه (التكملـــة) ، وضعـــا صعـــب فيـــه المسائل ، فقال عضد الدولـــة : (غضـــب الشـــيخ ، وجـــاء بمـــا لا نفهمه نحن ولا هـــو)[٢] .

ومن (المختصـــرات) النحويـــة والصرفيـــة أيضـــا (المفصـــل) للزمخشرى ، المتوفى ٥٣٨هـــ ، و (الكافيـــة) ، و (الشـــافية) لابـــن

---

[١] راجع (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صـــ ٧٦ ، ١٤٤ ، ١٥٧ ، ٢٣٤ .

[٢] راجع (معجم الأدباء) ، صـــ ٧ : ٢٣٨ .

الحاجب (المتوفى ٦٤٦هـ) ، و (الهادى) للزنجانى ، المتوفى ٦٦٠هـ .

أما (المختصرات) فى مجال البلاغة والنقد ، فيأتى فى طليعتها كتاب (الكافى) فى العروض والقوافى ، للخطيب التبريزى (المتوفى ٥٠٢هـ) ، الذى اشتمل فى أواخره على جملة من الألوان البلاغية ، والفنون البديعية ، أو ردها بطريقة تعليمية مختصرة ، وجاراه فى هذا اللون من التأليف رشيد الدين الوطواط ، المتوفى ٥٧٣هـ ، فى (حدائق السحر) ، والفخر الرازى ، المتوفى ٦٠٦هـ فى نهاية الإيجاز ، وابن منقذ (ت ٥٨٤هـ) ، فى كتابه التفريع فى البديع ، أو (البديع فى نقد الشعر) ، ويأتى كتاب (المعيار) للزنجانى ، و (روضة الفصاحة) لزين الدين الرازى ضمن هذه المنظومة من المختصرات البلاغية[1] .

ويتناول الفصل الأول من كتاب (روضة الفصاحة) معنى الفصاحة والبلاغة والوجازة والبيان ، فيذكر المؤلف أن أكثر العلماء لا يفرقون بين البلاغة والفصاحة ، بل يستعملونهما استعمال الاسمين المترادفين ،

---

[1] راجع (معيار النظار) ، القسم الثالث فى البديع ، صـ ٢٠ ، تحقيق كاتب هذه السطور .

ومنهم الجوهـري .

لكن زين الدين الرازى لا يلبث أن يـدع استقصاء الآراء فـى هذا الموضوع ، لأنه سيخرج به عن خطتـه فـى كتابـه ، وهدفـه منـه ، فقـد أراد أن يكـون (مختصـرا) وعبارتـه فـى ذلك : (وللعلماء فى الفرق بيـن الألفـاظ الأربعـة كـلام طويـل لا يحتمله هذا المختصـر)[١] .

ثم يقول الرازى : وأحسن مـا قيـل : إن الفصاحـة : خلـوص الكلام من التعقيد ، ومنه قولهم : فصـح اللبـن ، إذا أخـذت عنـه رغوته ، قال الشـاعر :

وتـحت الرغـوة اللـبن الفصيـح

وليست الفصاحة عند المدققين مـن أربابـها ، والمحققيـن مـن أصحابـها اسـتعمال اللفـظ الـذى لا يفـهم ، والغريـب الـذى لا يعلـم[٢]، أمـا البلاغـة عنـد الـرازى فـهى (أن يبلـغ الرجل بعبارته حقيقة ما فى قلبـه ، مـع إيجـاز بـلا إخـلال ، أو إطالة مـن غـير إمـلال) ، وأمـا (البيـان) عنـده فقريـب مـن الفصاحـة .

---

(١) (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صـ ٥٧ .

(٢) المرجع ، صـ ٥٨ .

والـرازى فـى هـذا يسـتمد مـن كـلام الفخـر الـرازى ، والزنجـانى[١] .

وإذا كان قد جعل (البيان) هنا قريبا مـن الفصاحـة ، فإنـه فـى مقدمة كتابه بعد حمد لله والصلاة والسـلام علـى رسـوله الكريـم يقول : (وبعـد فلمـا كـان علـم البيـان ، الـذى يسـميه بعـض المتأخرين (صناعة البديع) فى وجنـة علـم الأدب كـالخفر ، وفـى مقلته كالحور ... ، أحببت أن أضع فيه مختصـرا مسـمى روضـة الفصاحة...) ، فلفظ (البيـان) هنـا بمعنـى (البلاغـة) ،ولا غرابـة فى عصر الرازى فـى إطـلاق لفـظ (البيـان) علـى (البلاغـة) ، وإطلاق (البديع) عليها أيضا ، فقد ظـل نفـر مـن البلاغيين فـى القرن السادس والسابع متمسكين بـاصطلاح سـابقيهم ، فـى كـون علم البيان ، وعلـم البديـع ، وعلـم البلاغـة ثلاثتـها سـواءً فـى المعنى ، مع أن السكاكى ت ٦٢٦هـ ، كان قد قسـم البلاغـة إلـى علميـن : المعـانى والبيـان ، وجعـل للبيـان معنـى اصطلاحيـا محددا، ينحصر فـى نطـاق التصويـر البيـانى ، وإيـراد المعنـى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالـة عليـه .

وبـهذا يتبيـن أن الـرازى كـان يسـتعمل مصطلـح (البيـان)

---

[١] (نهاية الإيجاز) ، صـ ٨٩ ، و (معيار النظار ، القسم الثالث ف البديع) ، صـ ٤ ـ ٥ .

استعمال المتقدمين ، أى بمعناه الواسع ، الـــذى يعنـــى (البلاغـــة) ، يدلك على ذلك أنه عندما فرغ من تنـــاول الفنـــون التســـعة ، التـــى يراها أشرف فنون هذا العلم قال : (وهـــذا آخـــر الفنـــون التســـعة، التى هى أشـــرف فنـــون علـــم البيـــان)[١] ، وعـــن كتابـــه (دوحـــة البلاغة) الذى عالج فيه ثلاثة فنـــون بلاغيـــة فقـــط يقـــول : (وإنمـــا جعلته مقصورا على هذه الفنون الثلاثة ، لأنها أشـــرف فنـــون علـــم البيان وصناعة البديع)[٢] ، إذن فعلـــم البيـــان عنـــده ، وكـــذا علـــم صناعة البديع ، كلاهما هو علـــم البلاغـــة .

ويمضى الرازى فى (روضة الفصاحة) ، فيقســـم الإيجـــاز إلـــى قسميه : إيجاز القصر ، وإيجاز الحـــذف ، ويستشـــهد لكـــل منـــهما بما يذكره البلاغيون من شواهد قرآنية ونبويـــة فـــى هـــذا البـــاب ، ثم يترك هذا إلى (فصل) آخـــر عـــن (أشـــرف فنـــون البلاغـــة) ، وهـــى عنـــده (التشـــبيه ، والاســـتعارة ، والتوريـــة ، والتناســـب ، والتأكيد ، والتضمين ، والاقتبـــاس ، وعكـــس الجمـــل ، والقلـــب ، والتجنيس) فهذه عشـــرة أنـــواع ، بنـــاء علـــى أن التضميـــن شـــئ والاقتباس شئ آخر ، لكن من يطلع على كلام الـــرازى فـــى هذيـــن

---

[١] (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صـــ ١٩٣ .

[٢] المرجع ، صـــ ٨٩ .

النوعين لا يجد أدنى فرق بينهما ، فما عرف به هذا هو ما عرف به ذاك ، كما أن الشواهد هنا هى الشواهد هناك ، فلهذا يصح أن نجعل هذه الأنواع تسعة ، لا عشرة .

وقد أفرد الرازى لكل نوع منها فصلا ، بادئا بالتشبيه ، الذى عرفه وجعله أصلا للتمثيل والاستعارة ، ثم قسمه إلى قسمين : تشبيه صريح ، وتشبيه عقلى ، ويقصد بالصريح : ما كان وجهه أمرا مشتركا بين الطرفين ، لا يحتاج إلى تأول ، وهذا التفسير ينطبق على مفهوم (التشبية) غير التمثيلى عند عبد القاهر ، أما التشبيه العقلى عند الرازى فهو التشبيه التمثيلى عن الشيخ عبد القاهر ، وقد أورد الرازى فرقا من الفروق التى ذكرها الشيخ بين القسمين ، فقال زين الدين : (والفرق الظاهر بينهما أنك فى التشبيه الصريح يمكنك جعل الأصل فرعا ، والفرع أصلا ، بأن تقول : (المصابيح كأنها نجوم) ، وإن شئت قلت : (النجوم كأنها مصابيح) ، وفى التشبيه العقلى لا يمكن ذلك)[1] .

ثم يقسم التشبيه العقلى إلى (مفرد ومركب) ولست أدرى لماذا لم يقسم التشبيه الظاهر إلى هذين القسمين أيضا ، وينوه

---

[1] المرجع صـ ٦٧ ، وراجع (أسرار البلاغة) ، صـ ٩٠ وما بعدها ، تحقيق أ/ شاكر .

الرازى ببراعة القاضى الأرجــانى فــى التشــبيهات العقليــة ، وأن من تصفح ديوانه علم صحة ذلك ، وأنه قــد أورد أحســن تشــبيهاته العقلية فى كتابه (دوحة البلاغـــة) ، ثــم يســتطرد فيذكــر للتشــبيه بعامة أقســاما أخــرى ، هــى : التشــبيه المطلــق ، والمشــروط ، وتشبيه التفضيل ، والتشــبيه المؤكــد ، وتشــبيه العكــس ، وتشــبيه الإضمار ، وتشبيه التسوية[١] ، ويورد لكل قسم مــن هــذه الأقســام السبعة شواهد مــن القــرآن والســنة والشــعر العربــى ، وأحيانــا متعددة يستشهد بشعره هو ، فى مــدح الســلطان نجــم الديــن ، أو مدح غيره من السلاطين والملــوك والأعيــان .

وهــذه الأقســام قــد وردت فــى كتــاب (حدائــق الســـحر)[٢] للوطواط (ت ٥٧٣هـ) ، ولا أعلم أن أحدا قــد أوردهــا قبلــه مــن بيــن البلاغييــن العــرب ، وقــد نقلــها عنــــه الزنجــانى (ت ٦٦٠هـ)[٣]، ولا يبعد أن يكون الــرازى قــد نقلــها عــن (حدائــق السحر) ، فى أصلــه الفارســى ، أو عــن الزنجــانى فــى (معيــار النظــار) .

---

(١) (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صــ ٧٢ ــ ٨٩ .

(٢) (حدائق السحر) ، صــ ١٣٩ ــ ١٤٨ .

(٣) (معيار النظار) ، القسم الثالث فى البديع ، صــ ٤٤ ــ ٥٤ .

وفي الشواهد التي أوردها الرازي للأقسام السبعة ما هو من قبيل الإستعارة ، كقول الوأواء الدمشقي :

فَأَمطَرَتْ لُؤْلُؤاً مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَرْداً وَعَضَّتْ على الْعُنَّابِ بِالْبَرَدِ

وقول الحريري :

يَفْتَرُّ عَنْ لُؤْلُؤٍ رَطْبٍ وَعَنْ بَرَدٍ وَعَنْ أَقَاحٍ وَعَنْ طَلْعٍ وَعَنْ حَبَبِ

فالأصل فأمطرت دمعا كأنه اللؤلؤ ، من عين كأنها النرجس، ومثل هذا يقال في بيت الحريري ، والرازي قد أورد هذين الشاهدين في أحد هذه الأقسام السبعة ، وهو التشبيه المؤكد ، ووصفه بأنه قسم من الاستعارة ، إذ قال : (القسم الرابع : التشبيه المؤكد ، وهو تشبيه الشئ بالشئ مَعْنًى وإرادةً، من غير أداة التشبيه ، وهو قسم من أقسام الاستعارة) .

ولعل الرازي كان يرى رَأْيَ الرماني[1] ، في إطلاق اسم الاستعارة على التشبيهات التي لا تذكر فيها الأداة لفظا ، ولو كانت منوية تقديرا ، بدليل أنه أضاف إلى هذين الشاهدين شاهدين آخرين ، وهما قول المتنبي :

بَدَتْ قَمَراً وَمَاسَتْ خُوطَ بَانٍ وَفَاحَتْ عَنْبَراً وَرَنَتْ غَزَالَا

وقول (الرازي) نفسه ، من قصيدة له ، في مدح السلطان الناصر :

---

[1] راجع (النكت في إعجاز القرآن) ، صـ ٨٥ ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، و (المجازات النبوية) ، صـ ١٨٤ ـ ١٨٥ ، و (الطراز) ، ١ : ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

وَأَحْوَى حَوَى مِنْ حُسْنِهِ وَجَمَالِهِ فُنُونًا لَهَا فِى قَلْبِ كُلِّ امْرِئٍ أَمْرُ
فَخَدَّاهُ تُفَّاحٌ وَعَيْنَاهُ نَرْجِسٌ وَعَارِضُهُ آسٌ وَرِيقُهُ خَمْرُ

فكأنه قد عاد بقضية الفرق بين (التشبيه والاستعارة) إلى عصر الرمانى ، مع أن البلاغيين كانوا قد حرروا هذه المسألة، ابتداء بالقاضى الجرجانى ، وعبد القاهر ، والزمخشرى، حتى سعد الدين التفتازانى[١].

وينتقل الرازى بعد ذلك إلى فصل فى (الاستعارة) ، فيعرفها بأنهاتشبيه حذف منه حرف التشبيه ، لفظا وتقديرا ... ، فقولك: (رأيت أسدا) ، وقولك : (زيد أسد) ، كلاهما عنده استعارة ، وهذا ما مشى عليه الرمانى كما قلت ، وجاراه فيه الرازى .

ثم يقسم الرازى الاستعارة إلى تصريحية ومكنية ، ويذكر أن من شروط حسن الاستعارة وضوح العلاقة بين المستعار والمستعار له ، كما يشير إلى قرينة الاستعارة ، وعنده أن قوله تعالى : (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) (سورة البقرة : ١٨٧) ، من الاستعارة ، كما أن قول ابن خفاجة :

وَالرِّيحُ تَلْعَبُ بِالْغُصُونِ وَقَدْ جَرَى ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاء

---

[١] راجع (الوساطة) صـ ٤١ ، و (أسرار البلاغة) ، صـ ٣٢٠ ــ ٣٣٢ ، و (الكشاف) ، صـ ١ : ٢٠٤ ــ ٢٠٥ ، و (المطول) ، صـ ٣٤٦ ــ ٣٤٨ .

من قبيل ما أضيف فيه اسم المستعار إلى المستعار له[١] ، والمحققون من علماء البيان على أن الآية والبيت من قبيل التشبيه البليغ .

ثم يواصل تناوله للاستعارة ، فيتكلم عن ترشيحها وتجريدها، وعن الاستعارة المكنية ، ويبدى إعجابه بهذا القسم من الاستعارة ، ثم يتكلم عن (التمثيل والكناية) ، ويرى أنهما كالاستعارة فى كونها مجازا ، وفى كونها فرعا عن التشبيه .

ولا يخفى عليك ما فى هذا الكلام ، لأن (التمثيل) يطلق على: التشبيه التمثيلى ، والاستعارة التمثيلية ، والذى يمكن أن يوصف بأنه مجاز هو القسم الثانى ، دون الأول ، أما كون الكناية مجازا ، ومتفرعة عن التشبيه ، شأنها فى ذلك شأن الاستعارة والتمثيل ، فليس محل إجماع البلاغيين ، فبعضهم يرى أن الكناية حقيقة ، لأنها اللفظ المستعمل فى معناه الحقيقى، لينتقل منه إلى المعنى الكنائى ، والحقيقة أعم من أن يراد باللفظ فيها معناه الحقيقى وحده ، أو مع إرادة المعنى الكنائى ، وبعضهم يرى أن الكناية جزء من الاستعارة ، وأنها معدودة فى المجاز ، فإذا كانت الاستعارة لا تكون إلا بحيث يطوى

---

(١) راجع (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صـ ٩١ ـــ ١٠٢ .

المستعار له ، فإن الكناية أيضا لا تكون إلا حيث يطوى المكنى عنه ، وبعضهم يرى أن الكناية واسطة بين الحقيقة والمجاز ، فهي ليست حقيقة ، لأن اللفظ الكنائي لم يرد به معناه الحقيقي ، بل أريد به لازمه ، وليست مجازا لأن المجاز لابد له من قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي ، وقرينة الكناية لا تمنع[١] .

ويواصل الرازى الكلام ، فيبدى إعجابه باستعارات (ابن خفاجي الأندلسى) ـ ت ٥٣٣هـ ـ كما أبدى قبل ذلك إعجابه بتشبيهات الأرجانى العقلية ، وكرر هنا عبارة ذكرها هناك ، وهي:(ومن تصفح ديوانه علم صحة ذلك ، وقد أوردت أحسن ما قاله فى كتابى المسمى دوحة البلاغة)[٢] .

ثم يتناول الرازى (التورية) معرفا لها ، ومستشهدا بالكثير من الشواهد ، منتقلا إلى فصل آخر فى (التناسب) ، أو مراعاة النظير ، وتناسب الألفاظ بعضها لبعض وتلاؤمها ، وتقاربها ، مستشهدا بالكثير من الشواهد ، منتقلا من هذا إلى إيهام التناسب، والتشابه ، ويعرف هذا الأخير بأنه (أن تكون الألفاظ

---

[١] يراجع (المثل السائر) ، (٣ : ٥٠ ـ ٥٦) ، و (الطراز) (١ : ٣٧٥ ـ ٣٧٩) ، و (المطول) ، ص٤٠٧ ، وما بعدها

[٢] (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صـ ١١٣.

متقاربة فى الجزالة والمتانة ، والرقة والسلاسة ، غير متباينة ولا متنافرة ، وتكون المعانى أيضا مناسبة لألفاظها ، من غير أن تكسو المعنى النفيس لفظا خسيسا ، بل تصوغها صياغة تناسب وتلائم ، حتى (لا)[1] يكون الكلام كما قيل :

وَبَعْضُ قَرِيضِ الْقَوْمِ أَوْلادُ عَلَّةٍ   يَكُدُّ لِسَانَ الْحَافِظِ الْمُتَيَقِّظِ

ثم يتناول الرازى (حسن التعليل) ، الذى يسميه (التأكيد) ، فيعرفه بأنه (تقوية المعنى وتقريره ، إما بإظهار البرهان ، وإما بالعزيمة ، وإما بالتكرار) ، ويفهم من تطبيقاته لهذا التعريف على الشواهد أنه يقصد بالعزيمة (الْقَسَم) ، وقد يستساغ إطلاق اسم التوكيد على تقوية المعنى وتقريره بالعزيمة ، أو بالتكرار ، فأما أن يطلق على هذين القسمين اسم (حسن التعليل) ، فهو مستبعد .

ثم يتناول الرازى (التضمين) ، وما يتصل به من (الإيداع)، و(الاستعانة) ، و (العنوان) ، ويستشهد لكل لون من هذه الألوان، منتقلا من ذلك إلى (الاقتباس) ، الذى يصفه بأنه (قريب من التضمين) ، لكنك لو راجعت كلامه فى هذا وذاك لوجدت أن تعريفه للتضمين هو تعريفه للاقتباس ، والشواهد هنا

---

[1] الزيادة التى بين القوسين من عندى ، أضفتها لحاجة المعنى إليها ، وينظر : (روضة الفصاحة)،= =ت : شعلة ، صـ ١٢٥ .

هى الشواهد هناك ، كما سبق ذكـر ذلـك .

ثم يترك هذا إلى فصل فى عكس الجمـل ، الـذى يعرفـه بأنـه (أن يذكر الشاعر أو الكاتب جملة ، ثم يعيدهـا معكوسـة ، فيجعـل الجزء الأول ثانيا ، والثانى أولا ، فيختلف المعنـى بمجـرد عكـس المبنى ، من غير زيادة شئ آخـر أو نقصانـه)[١]

ويستشهد لذلك ، مشيرا إلى بعض صـور هـذا البـاب ، التـى منها أن يذكر الشاعر أو الكاتب مضافا ومضافـا إليـه ، ثـم يبنـى من المضاف صيغة المضاف إليه ، ومـن المضـاف إليـه صيغـة المضاف ، أو صيغة صفتهما ، كقول ابـن الفـارض :

ولـولا زفيرى أغرقتنى أدمعـى　　　ولـولا دموعى أحرقتنى زفرتـى

ثم يذكر من هذا الباب نوعا تعكـس فيـه الجملـة ، ولا يختلـف معناها ، كقول الشـاعر :

تتركنى كالأسيـر يا سكنـى　　　يا سكنـى كالأسيـر تتركنـى

ثم ينتقل إلى (القلب) ، وهو (أن تذكر كلمـة ، ثـم تذكـر كلمـة أخرى مركبة من حروف الكلمة الأولـى ، مـن غـير نقصـان ولا زيادة ، ويقسمه إلـى :

١ ـ مقلوب مسـتوى .

٢ ـ مقلوب الكـل .

---

[١] المرجع ، صـ ١٤٧ .

٣ ــ مقلوب البعض .

٤ ــ المقلوب المجنح .

ويمثل لهذه الأقسام بمختلف الأمثلة والشواهد ، منتقلا إلى (التجنيس) ، فيقسمه تسعة أقسام وهى : التام ، والناقص ، والزائد ، المركب ، والمكرر ، و المطرف ، وتجنيس الخط ، والمشوش ، وتجنيس الإشارة .

معرفا لكل قسم مكثرا من الشواهد فى هذا الباب ، ولا سيما الشواهد الشعرية ، مبديا إعجابه ، بتجنيس (أبى الفتح البستى) ت : ٤٠٠هـ ، قال الرازى : (وللبستى رحمه الله فى أنواع التجنيسات الباع الفسيح ، واللسان الفصيح ، فمن قصد منها أكثر مما أوردناه فى هذا المختصر فعليه بديوانه)(١) .

ثم ينتقل إلى (الاشتقاق) فيعرفه ، ويكثر من شواهده الفصيحة ، مستطردا إلى (ما يشبه الاشتقاق وليس به) ، وينقل عن (أبى سعيد) أنه يسميه (المشابهة) ، ولست أدرى ، من أبو سعيد هذا ، ولعله (أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن دوست)، أحد أئمة الأدب فى القرن الخامس الهجرى (ت ٤٣١هـ) ، ثم ينقل الرازى عن (المطرزى) ت ٦١٠هـ و (الوطواط) ت

---

(١) (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صـ ١٩٣ .

٥٧٣هـ ، ما قالاه فى عد (الاشتقاق ، وما يشبهه) من قبيل (التجنيس) ، وما قاله المطرزى أيضا فى سبب تناول الاشتقاق فى فصل مفرد ، مستقلا عن الجناس ، وأن ذلك لزيادة فضل فيه ، كما أن الترصيع وهو أحد أنواع السجع ، قد أفرد هو الآخر بفصل خاص به[١] .

والترصيع عند الرازى هو (أن يكون الكلام مشتملا على قرينتين ــ أى فقرتين ــ فما زاد ، وكل واحدة لها ما يقابلها ، وتكون الكلمات متفقة وزنا وتقفية) ، كقوله تعالى : (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) (سورة الغاشية ، ٢٥ ، ٢٦) ، وغيره من الشواهد التى يجتمع في بعضها (الترصيع مع التجنيس) ، أو مع الاستعارة ، أو مع (التجنيس والطباق) ، أو مع التجنيس والاستعارة اللطيفة ، ويتبع هذا بتناول التسجيع ، ويقسمه إلى : متوازى ، ومطرف ، ومتوازن ، وبعد التطبيق لتعريف كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة على الشواهد المتعددة ، يقول الرازى : (ولا يقال لأواخر الكلم فى القرآن أسجاع ، بل فواصل ، كما قال الله تعالى : (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (سورة فصلت : ٣) .

---

[١] (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صـ ١٩٨ .

ثم يدع الرازى هذا إلى (رد العجز علـــى الصـــدر) ، فيعرفـــه ، ويقسمه إلى خمسة وعشرين قســـما ، خمســـة منـــها أصـــول ، بـــدأ بذكرها أولا ، والعشرون الباقيـــة تتفـــرع عليـــها ، ويستشـــهد لكـــل قسم بمختلف الشواهد ، ثم يبدى إعجابه بمـــا صنعـــه فـــى بـــاب رد العجز على الصدر ، فيقول : (وهـــذا البـــاب لا يوجـــد فـــى كتـــاب من كتب علم البيـــان أحســـن ممـــا أوضحتـــه وشـــرحته فـــى هـــذا المختصر)[1] ، ثم يترك ذلك إلى (التضاد) ، فيعرفـــه بأنـــه (الجمـــع بين المتضادين ، مع مراعـــاة المشـــاكلة بينـــهما ، حتـــى لا يكـــون أحدهما اسما والآخر فعلا ، بل يكـــونا اســـمين أو فعليـــن) ، كقولـــه تعالى : (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُـــوا كَثِـــيرًا)(ســـورة التوبـــة : ٨٢) ، وقوله تعالى : (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًـــا وَهُـــمْ رُقُـــودٌ) (ســـورة الكـــهف : ١٨) ، واشتراط التوافق النوعـــى بيـــن المتضـــادين قـــد ورد فـــى كلام فخر الدين ت ٦٠٦هـــ ، والزنجـــانى ت ٦٦٠هـــ ، وذكـــر ابـــن الســـبكى أن هـــذا الشـــرط نقلـــه المطـــرزى ، و الزنجانى[2]

والجديد فى تناول زين الدين الـــرازى للتضـــاد أنـــه نقـــل عـــن

---

(١) (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صـ ٢٣١ .

(٢) راجع (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صـ ٢٣٢ ــ ٢٣٣ ، و (نهاية الإيجاز) ، صـ ٢٨٥، و (معيار النظار) ، القسم الثالث ، صـ ٢١٩ ، و (عروس الأفراح) ، ضمن شروح التلخيص ، ٤ : ٢٨٧ .

بعض البلغاء فرقا لطيفا بين (التضاد والمقابلة) يؤدى إلى كون المقابلة أعم من الطباق ، خلافا لما عليه كلام البلاغيين من كون الطباق أعم من المقابلة ، يقول في ذلك : (وفرق بعض البلغاء بين التضاد والمقابلة ، فجعل المقابلة أعم ، والتضاد أخص ، وحاصل ما ذكره من الفرق بينهما أن المقابلة إذا كانت حقيقية تامة كان ذلك تضادا ، كقوله تعالى : (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) (سورة التوبة : ٨٢) ، وما أشبهه ، وإن كانت مقابلة تقريبية معنوية سمى مقابلة ، كقوله تعالى : (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا) (سورة الأنعام : ١٢٥) ، وقوله تعالى : (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ...)الآية (سورة الليل : ٥ ، ٦) ، ... ولا بأس بهذه التفرقة)[١] .

فكأن هذا الرأى قد ألغى شرط الوحدة في طرفي التضاد ، وشرط التعدد في طرفي المقابلة ، فالمعول عليه في الفرق بينهما هو كون التضاد بين الطرفين حقيقيا أو غير حقيقي ، فمتى كان حقيقيا كان (تضادا) ، ولو تعدد طرفاه ، كهذا البيت الذى استشهد به زين الدين الرازى :

نَهَارُ غُرَّتِهِ الْبَيْضَاءِ أَرْشَدَنِي وَلَيْلُ طُرَّتِهِ السَّوْدَاءِ أَغْوَانِي

---

(١) (روضة الفصاحة) ، ت : شعلة ، صـ ٢٣٨ .

فهو على ضوء هذا الفرق المذكور من قبيل (الطباق) ، على الرغم من تعدد طرفيه ، ولكن الذى جرى عليه جمهور البلاغيين فى الفرق بين الطباق والمقابلة :

١ ـ أن الطباق يكون بين ضدين اثنين فقط ، أما المقابلة فيشترط ألا يقل طرفاها عن اثنين ، بأن تكون بين اثنين واثنين ، أو بين ثلاثة وثلاثة ، أو بين أربعة وأربعة ، أو بين خمسة وخمسة ، أو بين ستة وستة ، وهذا الأخير أقصى ما يصل إليه التعدد فى بابها .

٢ ـ أن الطباق يكون بالأضداد الحقيقية فقط ، أما المقابلة فتتحقق بالأضداد الحقيقية والأضداد التقريبية[١] .

وعليه فإن البيت الذى ذكرناه قبل قليل من قبيل المقابلة عند جمهور البلاغيين وإن كان من (الطباق) على الرأى الذى نقله الرازى ، ووصفه بأنه لا بأس به .

ثم ينتقل الرازى إلى (الإعنات) أو لزوم ما لا يلزم ، ويستشهد له بشواهد من الشعر والنثر ، ويدع هذا ليتناول (تضمين المزدوج) ، وهو على الجملة من قبيل السجع ، وشعبة من شعبه ، ثم يتناول (حسن الطلب) ، ثم (المدح المفرع) ،

---

[١] راجع (تحرير التحبير) ، صـ ١٧٩ ، و (أنوار الربيع) ، صـ ١ : ٢٩٨ .

ومعناه عنده : (أن يصف الشاعر ممدوحه بصفة حميدة ، يلزم منها المدح بصفة أخرى حميدة أيضا) ، كقول المتنبي :

نَهَبْتَ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ ... لَهُنِّئَتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ

فقد مدحه في المصراع الأول بالشجاعة ، وكثرة ما قتل من الأعداء ، وفرع من ذلك مدحه بأن الدنيا تفخر ببقائه ، ولهذا قال الواحدي : هذا من أحسن ما مدح به ملك ، وهو مدح موجه ، أي ذو وجهين .

وكان القزويني يطلق على هذا النوع (الاستتباع) ، وسُمِّيَ عند غيره بأسماءَ أخرى ، قال زين الدين الرازي : (وبعض البلغاء يسمي هذه الصناعة (المدح الموجه) ، وكأنه يريد أن له وجوها في المدح ، وتسميته بالمفرع أولى وأحسن) ، ثم ينتقل الرازي إلى (المحتمل للضدين) ، ويستشهد له ، وهو الذي يطلق عليه المتأخرون (التوجيه) ، ثم ينتقل الرازي إلى (تأكيد المدح بما يوهم الذم) ، ثم (الالتفات) ، ويذكر المغزى البلاغي العام له ، وهو تطرية إصغاء السامع ، وتجديد نشاطه ، وصيانة خاطره عن الملل والضجر ، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه وفكره ، ويذكر أن من علماء البيان من يجعل الالتفات عبارة عن (تعقيب الكلام بجملة تامة ، ملاقية له في المعنى على جهة التمثيل ، أو الدعاء ، أو نحو ذلك تتميما لذلك المعنى) ، ويورد شواهد على كلا التعريفين ، والجمهور على

أن هذا التعريف الثانى هو تعريف التذييل ، ثم ينتقل الرازى إلى سياقة الأعداد ، ثم تنسيق الصفات ، ثم (الاعتراض) ، ثم (الرجوع) ، ثم (التوشيح) ، وهو : أن يبنى الشاعر أبيات القصيدة على قافيتين من بحرين ، أو ضربين فى بحر واحد ، فإذا وقف على القافية الأولى كان شعرا مستقيما ، لكن من ضرب آخر ، ثم يتناول (التجاهل) ، أو تجاهل العارف ، ثم (التلميح) ، ثم (الإغراق فى الصفة) ، ثم (اللف والنشر) ، ثم (التفسير) ، ويعرفه بما عرف به المتأخرون (الجمع مع التفريق والتقسيم) ، والشواهد هنا هى الشواهد هناك ، ثم يتناول الرازى (الجمع مع التفريق) ، ثم (المتزلزل) ، ثم يفرق بين (الردف) ، و (الرديف) ، ثم يتناول (الاستدراك) ، ثم (حسن المطلع) ، ويعرفه بما عرف به البلاغيون (براعة الإستهلال) ، ثم ينتقل إلى (حسن التخلص) ، ثم (حسن المقطع) ، ثم (الموشح) ، ثم (المربع) ، ثم (المسمط) ، ثم (الملمع) ، ثم (المقطع) ، ثم (الموصل) ، ثم (الحذف) ، ثم (الرقط) ، ثم (الخيف) ، ثم (التصحيف) ، ثم (الترجمة) ، ثم (المعمى) ، ثم (اللغز) ، ثم يتناول تحت عنوان (ما يقع بين الشعراء) ستة من أنواع السرقات وهى : المواردة ، والمصالتة ، والنقل ، والسلخ ، والمسخ ، والاحتذاء ، ثم ينوه ــ تحت عنوان فصل من دقائق البلاغة ــ بضرورة حفظ مراتب (التقديم والتأخير) فى الكلام ،

ومعرفة (الفصل والوصل) ، لما له من شأن عند البلغاء ، ولذلك جعله بعضهم (حد البلاغة) ، فقال : البلاغة معرفة الفصل والوصل ، وما ذلك إلا لغموضه ، ودقة مسلكه ، وبهذا ينتهي الكتاب .

وبعد ... فهذا هو كتاب (روضة الفصاحة) لزين الدين الرازى، وهذه هى أهم محتوياته ، وفى الختام نحب أن ننوه بأهم محتويات البحث ونتائجه وتوصياته ، فى كلمات محددة ، وبنود مركزة ، وعبارات مجملة ، فأهم هذه النتائج ما يأتى :

١ ــ أن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون للثعالبى ، وأن نسبته إليه فى طبعته التى طبعتها مكتبة القرآن بالقاهرة ، بتحقيق محمد إبراهيم سليم خطأ فادح ، يجب المبادرة إلى تصحيحه فورا ، ولهذا يهيب البحث بالمسئولين عن النشر والطباعة فى مصر والعالم العربى باتخاذ الإجراءات اللازمة لتصحيح هذا الخطأ المزرى ، وسحب نسخ هذه الطبعة من المكتبات ، وإعدامها لأن مؤلف الكتاب هو زين الدين الرازى ، المتوفى على الراجح فى أواخر القرن السابع الهجرى ، وأوائل الثامن ، وليس الثعالبى ، المتوفى ٤٢٩هـ ، وقد تتبع البحث الأدلة والقرائن التى تدل على ذلك .

٢ ــ كشف البحث عن دور الرازى فى مجال البلاغة ، من خلال إلقاء الضوء على كتابه (روضة الفصاحة) ، والتنويه بكتابه الآخر (دوحة البلاغة) ، ونأمل فى العثور على نسخة من هذا الكتاب الأخير ، ليتم تحقيقه وطبعه ، وإخراجه إلى النور ، حتى يستعيد الرازى مكانته ، ويتضح دوره البلاغي والنقدى ، بعد أن ظل هذا الدور مفقودا مجهولا ، غير مذكور ، لما كان كتابه المذكور غير معروف لمن أرخوا للبلاغة ، وعرفوا بأشهر رجالها ، وأهم المؤلفات فيها عبر تاريخها الطويل .

٣ ــ كشف البحث عن شغف الرازى بالشواهد ، فقد أكثر من الاستشهاد بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، فى كتابه، كما أكثر من الاستشهاد بالأبيات الشعرية لشعراء متقدمين عليه ، وقريبين من عصره ، والأهم من هذا أنه كان للمؤلف وقفات نقدية إزاء بعض هذه الشواهد الشعرية ، كإعجابه بتشبيهات القاضى الأرجانى (العقلية) ، وإعجابه باستعارات ابن خفاجة الأندلسى ، وإعجابه بتجنيسات أبى الفتح البستى ، وهو فى كل مشهد من هذه المشاهد يحيل القارئ على ديوان الشاعر ، إذا كان يريد المزيد ، وهذا هو المنهج العلمى الأدبى التذوقى ، فضلا عن أنه قد

استشهد كثيرا بأبيات من شعره هو ، وكان أكثرهـــا فـــى مـــدح أعيان دولته وسلاطينها ، وهى أشعار على درجـــة عاليـــة مـــن البلاغة والروعة ، ولعلها تجد باحثاً يجمعها مـــن مظانـــها .

٤ ــ كشف البحث عن مواقف وآراء بلاغية طريفـــة لزيـــن الديـــن الرازى ، منها ما لا تكاد تجده فى كتاب مـــن كتـــب البلاغـــة ، كتفريقه بين (الطبـــاق والمقابلـــة) الـــذى يختلـــف تمامـــا عـــن تفريق البلاغييـــن بينـــهما ، ومنـــها عَـــدُّهُ نحـــو (زيـــد أســـد) استعارة ، مـــع أن هـــذا الأســـلوب يُعَـــدُّ تشـــبيها بليغـــا عنـــد المحققين من علماء البيان ، ومنـــــها عَـــدُّهُ (التمثيـــل والكنايـــة) مجازاً،وَذِهَابُهُ إلى أنهما كالاســـتعارة فـــى كونـــها فرعـــاً عـــن التشبيه ، وقد نـــاقش البحـــث هـــذه الآراء ، علـــى ضـــوء مـــا تقرر عند جمهور البلاغييـــن .

٥ ــ كشف البحث عن بعـــض مظـــاهر التـــأثر ، عنـــد الـــرازى ، مشيرا إلى أن هـــــذا أَمْـــرٌ ضـــرورى فـــى المســـيرة العلميـــة والأدبية ، لأن الإنسان ابن بيئتـــه ، وقـــد أورد البحـــث أســـماء البلاغيين الذين نَـــصَّ زيـــنُ الديـــن الـــرازى عليـــهم ، ونقـــل أقوالهم صراحة فى كتابـــه ، وهـــم (جـــار الله الزمخشـــرى ت ٥٣٨هـــ) ، و (أسامة بـــن منقـــذ ت ٥٨٤هـــــ) ، و (رشـــيد الدين الوطواط ت ٥٧٣هــــــ) ، و (نـــاصر الديـــن المطـــرزى

ت ٦١٠هـ) ، و (أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمى) .

لكن البحث قد أشار إلى أن الرازى قد أفاد من كلام بلاغيين آخرين ، غير هؤلاء ، وإن لم يذكر المؤلف أسماءهم فى كتابه، فمنهم على سبيل المثال الشيخ عبد القاهر ت ٤٧١هـ ، أو ٤٧٤هـ ، وفخر الدين الرازى (ت ٦٠٦هـ) ، وعز الدين الزنجانى (ت ٦٦٠هـ) .

٦ ــ كشف البحث عن منهج الرازى فى عرض الموضوعات البلاغية ، وأنه منهج أصحاب (المختصرات) العلمية التى دفعت إليها طبيعة عصره ، حتى إننا وجدناه يطلق على (البلاغة) مصطلحات : (الفصاحة ، والبيان ، وصناعة البديع) ، فكتابه (روضة الفصاحة) ، وكتابه (دوحة البلاغة) ، كلاهما فى (علم البيان) ، الذى هو (علم صناعة البديع) ، وقد جاء عرضه لمباحث الكتاب سهلا تقريريا ، فى لغة مستوية ، مبتدئا بما وصفه بأنه أشرف فنون البلاغة ، وهى الفنون التسعة التى ابتدأت بالتشبيه ، والاستعارة ، وانتهت بالتجنيس ، ثم تابع بعد ذلك بقية الفنون البديعية التى بدأت بالاشتقاق ، والترصيع ، وانتهت بستة أنواع من قبيل السرقات الشعرية ، ويؤخذ على

الرازى أنه ضمن كتابه بعض الفنون التى ليس لها كبير جدوى فى الدراسة البلاغية ، كالمتزلزل ، والموشح ، والمربع ، والمسمط ، والملمع ، والمقطع ، والموصل ، والحذف ، والرقط ، والخيف ، والتصحيف ، والترجمة ، والمعمى ، واللغز .

وهذه الأنواع أكثرها أورده الوطواط ، والفخر الرازى ، والزنجاني ، وأكثر شواهدها من شعر الحريرى ، ومقاماته ، ولعلها من مظاهر تأثر البلاغة العربية بالبلاغة الفارسية ، ولعل الأيام القادمة تكشف عن دراسات متخصصة وكتب بلاغية فارسية تؤكد ذلك .

المصادر والمراجع

١ـ أسرار البلاغة للشيخ عبد القاهرة ، تحقيق شاكر ، دار المدنى ، ١٩٩١م .

٢ـ الأعلام للزركلى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثامنة ، ١٩٨٩م .

٣ـ أنوار الربيع لابن معصوم المدنى ، طبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ١٩٦٩م.

٤ـ البديع فى نقد الشعر لابن منقذ ، ط (الحلبى) ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م .

٥ـ البيان العربى ، د/ بدوى طبانة ، الطبعة الثانية ، مطبعة الرسالة ، ١٩٥٨م .

٦ـ تاريخ علوم البلاغة للمراغى ، الطبعة الأولى ، الحلبى ، ١٩٥٠م .

٧ـ تحرير التحبير لابن أبى الإصبع ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٣٨٣هـ .

٨ـ حدائق السحر للوطواط ، تعريب د/ إبراهيم الشواربى ، ط لجنة التأليف ، ١٩٤٥م .

٩ـ دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر ، ت شاكر ، ط (الخانجى) ، والمدنى ، ١٩٨٤م .

١٠ـ ديوان البهاء زهير ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .

١١ـ ديوان ابن حمد يس ، ط (بيروت) .

١٢ـ ديوان ابن الفارض ، شرح مهدى محمد ناصر الدين ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٣ـ ديوان ابن النبيه ، ت : عمر محمد الأسعد ، ط (الأولى) ، ١٩٦٩م .

١٤ـ روضة الفصاحة ، زين الدين الرازى ، ت : د/ أحمد النادى شعلة ، ط (المحمدية) ، بالقاهرة ، ١٩٨٢م ، والطبعة الأخرى من الكتاب ، التى نسب فيها خطأ للثعالبى ، ط (مكتبة القرآن) ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ت : محمد إبراهيم سليم .

١٥ ـ شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، ط : القدسي بالقاهرة ، بدون .

١٦ ـ صاحب مختار الصحاح ، عبد الله مخلص ، رسالة مودعة بدار الكتب المصرية .

١٧ ـ الطراز للعلوى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٨ ـ عروس الأفراح ، للسبكى ، ضمن شروح التلخيص ، ط : الحلبى ، بدون .

١٩ ـ فوات الوفيات ، لابن شاكر الكتبى ، ط : بولاق .

٢٠ ـ كشف الظنون ، لحاجى خليفة ، ط : استانبول ، ١٩٤٣م = ١٣٦٢هـ .

٢١ ـ الكشاف للزمخشرى ، ط : دار الفكر ، ط (الأولى) ، ١٩٨٣م = ١٤٠٣هـ .

٢٢ ـ المثل السائر ، لابن الأثير ، تحقيق د. الحوفى ، ود/ طبانة ، ط : نهضة مصر .

٢٣ ـ المجازات النبوية للشريف الرضى ، ت : طه الزينى ، ط : الحلبى ، ١٩٦٧م.

٢٤ ـ مجلة الرسالة ، السنة الثامنة ، العدد ٣٨٩، ١٦ / ١٢/ ١٩٤٠م .

٢٥ ـ مختار الصحاح ، لزين الدين الرازى ، ط (دار المنار) ، تقديم د/ عبد الفتاح البركاوى .

٢٦ ـ المطول على التلخيص ، لسعد الدين التفتازانى ، ط : (مطبعة أحمد كامل ، ١٣٣٠ هـ) .

٢٧ ـ معاهد التنصيص للعباسى ، ت : محى الدين ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٧٦هـ = ١٩٤٧م .

٢٨ ـ معجم الأدباء ، لياقوت الحموى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، بدون .

٢٩ ـ معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، بدون .

٣٠ ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة ، لإلياس سركيس ، ط سركيس .

٣١ ـ معيار النظار فى علوم الأشعار ، (القسم الثالث فى البديع) ، لعز الدين الزنجانى ، مطبعة الأمانة (الأولى) ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م ، تحقيق : د/ عبد المنعم سيد عبد السلام .

٣٢ ـ النجوم الزاهرة ، لابن تغرى بردى ، ط : دار الكتب .

٣٣ ـ النكت فى إعجاز القرآن ، لأبى الحسن الرمانى ، ضمن (ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن) ، تحقيق الأستاذين : خلف الله ، وزغلول سلام ، ط : دار المعارف (الثانية) ، ١٣٨٧هـ = ١٩٦٨م .

٣٤ ـ نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز ، للفخر الرازى ، تحقيق د/ بكرى شيخ أمين ، ط (الأولى) ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٥م .

٣٥ ـ هدية العارفين ، لإسماعيل البغدادى ، ط : إستنابول .

٣٦ ـ الوساطة بين المتنبى وخصومه ، للقاضى الجرجانى ، ط : الحلبى ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، وعلى البجاوى .

٣٧ ـ وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، ط : دار الرسالة ، ت : محى الدين .

الأسرار البلاغية فى سورة الضحى

دكتور
عبد الحافظ محمد عبد الحافظ حامد
أستاذ البلاغة والنقد المساعد
كلية اللغة العربية بأسيوط ـ جامعة الأزهر

الأسرار البلاغية في سورة الضحى

للأستاذ الدكتور
عبد الحافظ محمد عبد الحافظ حامد
أستاذ البلاغة والنقد المساعد
كلية اللغة العربية بأسيوط- جامعة الأزهر

سورة الضحى:

هى مكية بالإجماع ، وهى السورة الثالثة والتسعون فى ترتيب المصحف بعد الليل وقبل الشرح ، والعاشرة فى ترتيب نزول المكى ، نزلت بعد الفجر وقبل الشرح[١] ، "وعدت هذه السورة حادية عشر فى ترتيب نزول السور نزلت بعد سورة الفجر وقبل سورة الإنشراح"[٢]، "وهى الثانية عشرة فى ترتيب السور التى افتتحت بالقسم وعددها خمسة عشر سورة"[٣].
وسميت هذه السورة فى أكثر المصاحف وفى كثير من كتب

---

[١] الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١٣/١ دار عالم المعرفة بدون البرهان فى علوم القرآن للزركشى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٩٣/١ ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، والتحبير فى علم التفسير للسيوطى ، تحقيق أ.د/ فتحى عبد القادر فريد ، ص ٤٥ ، دار المنار ، ١٤٠٦هـ ـــ ١٩٨٦م .

[٢] التحرير والتنوير لسماحة الطاهر بن عاشور ، ٣٩٤/٣٠ ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م.

[٣] البرهان فى علوم القرآن للزركشى ١٧٩/١.

التفسير وفى جـــامع الـــترمذى[١] "ســـورة الضحـــى" بـــدون واو ، وسميت فى كثير من التفاسير وفـــى صحيـــح البخـــارى[٢] "ســـورة والضحى" بإثبات الـــواو"[٣].

عـــدد آياتهـــا :

وعـــدد آياتـــها إحـــدى عشـــرة آيـــة[٤]، وكلماتـــها أربعـــون ، وحروفها مائة واثنان[٥] وهى أول ســـورة فـــى قصـــار المفصـــل[٦] عند ابن عبـــاس، وســـمى مفصـــلاً لكـــثرة فصولـــه بالبســـملة[٧] ، وأقصر آية فيه والضحى ثم والفجـــر كـــل كلمـــة خمســـة أحـــرف تقديراً ثم لفظاً ، ســـــتة رســـما[٨] نزلـــت بمكـــة ، جميعـــها محكـــم

---

(١) سنن الترمذى تحقيق الأستاذ إبراهيم عطوة عوض ٤٤١/٥،ط٣ مطبعة مصطفى البابى الحلـــبى ،= ١٣٩٥هـــ ـــ ١٩٧٥م .

(٢) صحيح البخارى بحاشية الســـندى ، ٢١٧/٣ مطبعة مصطفى البابى الحلبى بدون .

(٣) التحرير والتنوير لسماحة الطاهر بن عاشور ، ٣٩٢/٣٠.

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٣٩٤/٣٠.

(٥) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز ابادى ص ١٩١، ط٢ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البـــابى الحلبى وأولاده ، ١٣٧٠هـــ ـــ ١٩٥١م .

(٦) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٣٩٤/٣٠.

(٧) الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز للعز بن عبد السلام ، ص٢٢٢ ، دار الحديث ، القـــاهرة، بدون.

(٨) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ، ٢٥٢/١.

ليس فيها ناسخ ولا منسوخ[١] .

سبب نزولها :

ورد فى روايات كثيرة[٢] أن الوحى فتر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبطأ عليه جبريل ـ عليه السلام ـ فقال المشركون : إن إله محمد ودعه وقلاه . عندئذ نزلت هذه السورة ، نزل هذه الفيض من الود والحب والرحمة والإيناس والقربى والطمأنينة واليقين"[٣].

وجه ارتباطها بما قبلها :

لما ذكر ـ سبحانه ـ فيما قبلها (وسيجنبها الأتقى)[٤] وكان سيد المتقين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عقب سبحانه ذلك بذكر نعمه ـ عز وجل ـ عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

[١] الناسخ والمنسوخ للواحدى بهامش أسباب النزول له ص ٣٢٩ مكتبة المتنبى بدون .

[٢] يراجع ذلك فى أسباب النزول للسيوطى ، تحقيق الأستاذ/ قرنى أبو عميرة ، ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ مكتبة نصير بدون ، أسباب النزول للواحدى ص ٣٣٧ : ٣٣٩ ، مكتبة المتنبى بدون ، صحيح البخارى بحاشية السندى ٣/٢١٧ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٥٢٢ وما بعدها ، مكتبة دار التراث ،بدون .

[٣] أهداف كل سورة ومقاصدها فى القرآن الكريم ، ا.د/ عبد الله محمود شحاته ، ص ١٩٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩م .

[٤] الليل : ١٧ .

وقال الإمام لما كانت الأولى سورة أبـــو بكــر ــ رضـــى الله عنـــه ــ وهذه سورة رسول الله ــ صلـــى الله ــ تعـالى ــ عليـه وسـلم عقب ــ جل وعلا ــ بها ولم يجعـــل بينـــهما واسـطة ليعلـم أن لا واسطة بين رســـوله ــ صلـــى الله عليــه وسـلم ــ والصديــق ــ رضى الله تعالى عنـــه[1].

غـرض الســورة:

"هــذه الســورة بموضوعــها وتعبيرهــا ومشــاهدها وظلالــــها وإيقاعها لمسة من حنان ونسمة من رحمة وطـــائف مــن ود ، ويــد حانية تمســح علــى الآلام والمواجــع وتنســم بــالروح والرضـــى والأمل ، وتسكب البرد والطمأنينـــة واليقيــن إنــها كلــها خالصـــة للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كلها نجاء لـــه مــن ربــه وتســرية وتسلية وترويح وتطمين ، كلها أنســـام مـــن الرحمـــة وأنــداء مــن الود وألطاف من القربـــى وهدهــدة للــروح المتعــب ، والخــاطر المقلق ، والقلب الموجـــع"[2].

ففى السورة "إبطال قـــول المشــركين إذ زعمــوا أن مــا يــأتى

---

[1] روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى ، ١٥٣/٣٠ ، ط٤ ، دار إحياء الـــتراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـــ ـــ ١٩٨٥م .

[2] فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب ، ٣٩٢٥/٦ ، ط١٠، دار الشروق ، ١٤٠٢هـــ ـــ ١٩٨٢م.

من الوحى للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد انقطع عنه ، وزاده بشارة بأن الآخرة خير له من الأولى ، وأنه سيعطيه ربه ما فيه رضاه وذلك يغيظ المشركين ، ثم ذكره الله بما حفه به من ألطافه وعنايته فى صباه وفى فتوته وفى وقت اكتهاله ، وأمره بالشكر على تلك النعم بما يناسبها من نقّع لعبيده وثناء الله عليه بما هو أهله"[١].

ومن الاستعراض السريع لأهداف السورة ومقاصدها تبدو الألوان المتعددة فى مشاهد السورة ، فكل لفظة فى القرآن الكريم لها فى سياقها دلالة معبرة وها نحن نحيط اللثام ونكشف عما فى السورة من مضمون يعين على توضيح بلاغتها واللطائف التى توحى بها الآيات وفق الدلالات التى هى ولائد السياق وقرائن الأحوال فنقول ، ومن الله ـ تعالى ـ تستمد العون "لقد أطلق التعبير جوا من الحنان اللطيف والرحمة الوديعة والرضاء الشامل والشجا الشفيف ... ذلك الحنان وتلك الرحمة وذاك الرضا وهذا الشجى تتسرب كلها من خلال النظم اللطيف العبارة ، الرقيق اللفظ ، ومن هذه الموسيقى السارية فى التعبير ، الموسيقى الرتيبة،الحركات الوئيدة،الخطوات الرقيقة

---

[١] التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٣٠٤/٣٠.

الأصداء الشجية الإيقـــاع"[١].

ولكى يضوع عطر هذه العناية الربانية ، وتستنشـــق مـــا يفـوح به من أسرار نعمد إلى التحليل البيـــانى الكاشـــف كـــى نتنسـم هــذا العطر الندى ونلمس تلك المناجاة الحبيبة "وهذا الفيـــض مــن الـــود والحب والرحمة والإيناس والقربى والأمـــل والرضـــى والطمأنينـــة واليقيـــن"[٢].

بسم الله الرحمن الرحيم
(والضحى ﴿١﴾ والليل إذا سجا ﴿٢﴾ ما ودعك ربك وما قلى ﴿٣﴾ وللآخرة خير لك من الأولى ﴿٤﴾ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴿٥﴾)

فى الآيات بحـــوث :

الأول : سر مناسبة السورة لما قبلها :

ذكرت ــ آنفًا ــ وجه ارتباط السورة بمـــا قبلـــها ، وهنـــا أقـــول فى إيجاز "قدم هنا الضحى على الليل ، وفـــى الســـورة قبلـــها قـــدم الليل؛لأن لكل منهما أثرًا فى صلاح العالم ، ولليـــل فضيلـــة الســـبق وللنهار فضيلة النور ، فقدم هذا تارةً، وهذا أخـــرى ، أو أنـــه قـــدم

---

[١] التصوير الفنى فى القرآن للشهيد / سـيد قطـب ، ص ١٠٥ بتصـرف ط١٠ ، دار المعـارف ، ١٩٨٦م.

[٢] فى ظلال القرآن للشهيد / سيد قطب ، ٦/٣٩٢٥.

الليل فى سورة أبى بكر؛لأن أبا بكر سبق له كفر ، وقدم الضحى فى سورة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ؛لأنه نور محض،ولم يتقدمه ذنب"[١].

الثانى : لقطات لغوية :

(الضحى) والضحو والضحوة والضحية كعشية ارتفاع النهار ، والضحاء بالمد إذا قرب انتصاف النهار ، وبالضم والقصر يطلق على الشمس أيضاً"[٢] "وسجا" سجا الشئ من باب سما : سكن ودام وقوله ــ تعالى ــ: (والليل إذا سجا)[٣] أى: دام وسكن، ومنه البحر الساجى وطرف ساج أى ساكن ، وسجى الميت تسجيةً : أى مد عليه ثوباً"[٤].

وقيل : سجا أى أدبر ، وقيل : بعكسه ، وقال الفراء : أظلم... وهو من ذوات الواو... كالضحى فإنه من ذوات

---

[١] الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية المعروف بحاشية الجمل على الجلالين ٥٤٩/٤ ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وأولاده ، وينظر أسرار ترتيب سور القرآن للسيوطى ، تحقيق د/ عبد القادر أحمد عطا ، ص ١٥١،١٥٢ ، ط٢ ، دار الاعتصام ، ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م .

[٢] القاموس للفيروز آبادى ، دار الجيل ، بيروت ــ لبنان ، بدون

[٣] الضحى : ٢ .

[٤] مختار الصحاح للرازى ، ص ٢٥٣ ، مكتبة لبنان ــ بيروت ، ١٩٨٩م .

الواو-أيضاً"[١].

ويقال : سجا الليل سَجْوا بفتح فسكون ، وسُجُوّا بضمتين وتشديد الواو إذا امتد وطال مدة ظلامه مثل : سجو المرء بالغطاء إذا غطى به جميع جسده"[٢]. وقوله ـ تعالى ـ (ما ودعك) التوديع عند الرحيل ، والاسم : الوداع بالفتح ، وقوله ـ تعالى ـ (ما ودعك ربك)[٣] قالوا : ما تركك"[٤].

"(وما قلى) : أى ما أبغضك ، قلاه يقليه فى المضارع ، وطئ تقول : قلاه يقلاه بالفتح"[٥].

ويقال : "قلى الحب واللحم ونحوهما قلياً : أنضجه على المقلاه ، وفلاناً قلى : أبغضه وهجره ، وفى القرآن الكريم (ما ودعك ربك وما قلى)[٦]..."[٧].

---

(١) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى ، تحقيق الشيخ على محمد معوض وآخرون ٥٣٧/٦ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٤م.

(٢) التحرير والتنوير لسماحة الشيخ الطاهر بن عاشور ، ٣٩٥/٣٠.

(٣) الضحى : ٣ .

(٤) مختار الصحاح للرازى ، ص ٦٣٠.

(٥) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى ، ٥٣٧/٦.

(٦) الضحى : ٣ .

(٧) المعجم الوجيز ص ٥١٤ ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٩٣م.

"وقليته قليا ، وقلوته قلوا من بابى ضرب وقتل، وهو الإنضاج فى المقلى ، وهى يفعل بالكسو"[١].

الثالث : لطائف بلاغية :

افتتاح السورة بهذا القسم المظهر لتأكيد الخبر، ردا على زعم المشركين أن إله محمد ودعه وقلاه، وفيه بيان شرف المقسم به وعلو قدره عند الله ـ تعالى ـ فهو من الفواتح البديعة لما فيه من أسلوب عزيز غير مألوف ، وذلك لسلوكه مسلك التعريض بالمشركين ، أما الحبيب المصطفى، فلا يتردد فى وقوع ما يخبره الله بوقوعه ، ففى هذا القسم فيض من الحنان يمسح الآلام والمواجع ويسكب الرضا والأمل ، والطمأنينة واليقين .
قال سماحة الشيخ الطاهر بن عاشور : "القسم لتأكيد الخبر ردًا على زعم المشركين أن الوحى انقطع عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين رأوه لم يقم الليل بالقرآن بضع ليال ، فالتأكيد منصب على التعريض المعرض به، لإبطال دعوى المشركين ، فالتأكيد تعريض بالمشركين ، وأما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا يتردد فى وقوع ما

---

[١] حاشية الجمل على الجلالين ، ٤/٥٥٠.

يخبره الله بوقوعه"(١).

ويضيف السيوطي – رحمه الله – لطيفة أخرى في هذا القسم ، يقول : "ومن لطائف القسم قوله (والضحى والليل إذا سجى) ...الآيات(٢) أقسم الله – تعالى – على إنعامه على رسوله وإكرامه له ، وذلك متضمن لتصديقه له ، فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه في الآخرة ، فهو قسم على النبوة والمعاد ، وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته ، وتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذى يوافي بعد ظلام الليل المقسم عليه وهو نور الوحي الذى وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه : ودع محمدًا ربه ، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه"(٣) .

"والقصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده"(٤) وأيضا يراد بالقسم: "بيان شرف المقسم به)وعلو قدره"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير لسماحة الشيخ الطاهر بن عاشور ، ٣٠/٣٩٤.

(٢) الضحى : ١ إلى ٥ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، ٢/١٧١ ، ١٧٢ .

(٤) المرجع السابق ، ٢/١٦٩.

(٥) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن لابن القيم الجوزية ، ص ١١٧ ، مكتبة المتنبي – القاهرة – بدون – مقدمة تفسير ابن النقيب ، ص ٢٣٩ ، ط الخانجي .

"وقوله تعالى : (ما ودعك ربك) هذا جــواب القســم"[١] وينبــه السمين الحلبى ــ رحمه الله ــ على دقيقــة فــى قولــه ــ تعــالى ــ (وللآخرة) وقولـــه تعــالى ــ (ولســوف) وهــى أن الــلام فيــهما جواب القسم ، ولا ينافى هذا كلام الزمخشـــرى الــذى قــدر مبتــدأ بعد قوله (ولسوف) أى؛ ولأنت ســـوف يعطيــك".

يقول "قوله (وللآخرة) الظاهر فــى هــذه الــلام : أنــها جــواب القسم وكذلك فى (ولســـوف) أقســم الله ــ تعــالى ــ علــى أربعــة أشياء : اثنان منفيـــان ، وهمــا توديعــه وقــلاه ، واثنـــان مثبتـــان مؤكدان وهما : كون الآخرة خير لـــه مــن الدنيــا ، وأنــه ســوف يعطيه ما يرضيـــه"[٢].

أشرت ــ آنفـــًا ــ إلــى أن القســم بــالضحى والليــل لتحقيــق الخبر وتوكيده أو بيان شرف المقســم بــه وعلــو قــدره[٣]، ويــأتى هنا سؤال : لم القسم بالضحى والليل؟ يقول الطـــاهر بـــن عاشـــور: "ومناسبة القسم بـــ (الضحـــى والليـــل) أن الضحـــى وقـــت انبثـــاق نور الشمس ، فهو إيمـــاء إلـــى تمثيـــل نـــزول الوحـــى،وحصـــول الاهتداء به ، وأن الليل وقت قيام النبـــى ــ صلـــى الله عليـــه وســـلم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ، ٩٢/٢٠، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٥٩ــ ١٩٤٠م .

(٢) الدر المصور فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى ٥٣٨/٦.

(٣) البحث ص ٢٦٤ ، ٢٦٥.

ــ بالقرآن ، وهو الوقت الذى كان يسمع فيه المشركون قراءته من بيوتهم القريبة من بيته ، أو من المسجد الحرام".

فإن قلت : لم أطلق الضحى ، وقيد الليل بالظرف ؟ أجيبك قائلا " (تقييدًا لليل) بالظرف (إذا سجا)؛لأنه ذلك وقت قيام النبى ــ صلى الله عليه وسلم . قال ــ تعالى ــ (قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلا)[١] ..."[٢].

وفى تخصيص وقت الضحى بالذكر دون باقى ساعات النهار فيه بشارة للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتكريم له وبيان لفضله ــ صلى الله عليه وسلم . يقول الفخر الرازى :"لم خص وقت الضحى بالذكر ؟ الجواب : فيه وجهان : أحدهما أنه وقت اجتماع الناس وكمال الأنس بعد الاستيحاش فى زمان الليل ، فبشروه أن بعد استيحاشك بسبب احتباس الوحى يظهر ضحى نزول الوحى .

وثانيهما : أنها الساعة التى كلم فيها موسى ربه ، وألقى فيها السحرة سجدًا،فاكتسى الزمان صفة الفضيلة لكونه ظرفًا ، فكيف فاعل الطاعة ، وأفاد ــ أيضًا ــ أن الذى أكرم موسى لا

---

(١) المزمل : ٢،٣.

(٢) التحرير والتنوير لسماحة الطاهر بن عاشور ، ٣٠/٣٩٤، ٣٩٥.

يدع إكرامك ، والذى قلب قلوب السحرة حتى سجدوا يقلب قلوب أعدائك"[١].

وفى (الضحى) مجاز مرسل،وهو الأنسب بنظم الكلام ومقتضى المقام خلافًا لما يفهم من قول الشيخ إسماعيل حقى فى روح البيان : (والضحى) هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار... أو على تقدير المضاف"[٢].

والذى يفهم من كلام صاحب روح البيان : أن فى قوله (أو على تقدير المضاف) أن فى الكلام مجازًا بالحذف ، ومجاز الحذف "قد يطلق على كلمة تغير حكم إعرابها بحذف لفظ أو زيادة لفظ"[٣] وهذا الكلام مبنى على تفسير معنى (الضحى) ويجمل الفخر الرازى أقوال أهل التفسير فى معنى كلمة (الضحى) يقول : لأهل التفسير فى قوله ـ تعالى ـ (والضحى) وجهان :

أحدهما: أن المراد بالضحى : وقت الضحى ، وهو صدر النهار حين

---

[١] مفاتيح الغيب للرازى ، ٤٦٦/٣١ ، ط١ ، دار الغد العربى ، ١٤١٢هـ ـــ ١٩٩٢م.

[٢] روح البيان فى تفسير القرآن للشيخ إسماعيل حقى البروسوى ٤٥٢/١٠ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بدون .

[٣] شرح السعد المسمى مختصر المعانى فى علوم البلاغة للتفتازانى ، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، ١٥٦/٤ ، مطبعة محمد على صبيح وأولاده . بدون .

ترتفع الشمس وتلقى شعاعها.

وثانيهما : الضحى : هو النهار كله بدليل أنه جعل فى مقابلة الليل كله[١].

فعلى التوجيه الأول يكون فى الكلام مجاز مرسل بعلاقة الحالية "وتعرف بتسمية المكان باسم ما يحل فيه ويقع فى ضمنه"[٢]. يقول الشيخ إسماعيل حقى : (والضحى) هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار ، أريد بالضحى الوقت المذكور على المجاز بعلاقة الحلول والظرفية ، فإن الزمان ظرف لما فيه"[٣].

وعلى الوجه الثانى من تفسير الفخر الرازى لمعنى (الضحى) يكون فى الكلام مجاز مرسل علاقته الجزئية ، وهى "تسمية الشئ باسم جزئه"[٤].

يقول الجمل فى حاشيته على الجلالين : "قال "أو كله" ... يكون فى الكلام مجاز من إطلاق اسم الجزء وإرادة الكل ،

---

(١) مفاتيح الغيب للرازى ، ٤٦٤/٣١.

(٢) مواهب الفتاح لابن يعقوب للمغربى ضمن الشروح ، ٤١/٤، دار السرور ، بيروت ، لبنان.

(٣) روح البيان فى تفسير القرآن ، ٤٥٢/١٠.

(٤) الإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى ، تحقيق ا.د/ محمد عبد المنعم خفاجى ، ٢٥/٥ ، ط٢ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٨٤م .

وقرينته مقابلته بـــالليل"[١].

والنظم الشـــريف محتمـــل لكـــل ذلـــك ، فالنكـــات البلاغيـــة لا تتزاحم (والليل إذا سجى) وفى إســـناد الســـجو إلـــى الليـــل مجـــاز عقلى علاقته الزمانية . فمعنـــــى (ســـجى) ســـكن أهلـــه[٢] ، فـــهو مجاز عقلـــــى حيـــث أســـند الســـكون لليـــل"[٣] . وينـــص الشـــيخ إسماعيل على حقي على نوع العلاقة وأنـــــها الزمانيـــة يقـــول : (إذا سجا) : أى اسكن أهله على المجاز مـــن قبيـــل إســـناد الفعـــل إلـــى زمانه[٤] والنظم الشريف يحتمل حمـــل الكـــلام علـــى الحقيقـــة : فيحمـــل الكلام على تقدير مضـــاف ... ونحـــوه مـــا روى عـــن قتـــادة : أى سكن الناس والأصوات فيه"[٥]. وشاع ليـــل ســـاكن أو ســـاج لمـــا لا ريح فيه ، ووصفه بذلك : أعنى الســـكون ، قيـــل : علـــى الحقيقـــة كما إذا قيل ليل لا ريح فيه ... أو لتضمنه عـــدم الريـــح لا الـــهواء. قيل : ليل ساج وساكن وصف الليـــل علـــى الحقيقـــة : أى لا إســـناد

---

(١) حاشية الجمل ، ٤/٥٥٠.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبى السعود ١٦٩/٩ ، دار إحياء الـــتراث العـــربى ، بيروت ، بدون .

(٣) حاشية الجمل ، ٤/٥٥٠.

(٤) تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقى البروسوى ، ٤٥٣/١٠.

(٥) روح المعانى للألوسى ، ١٥٣/٣٠.

فيه إلى غير ملائم ، علـــى أنـــه يحتمـــل أن يجعـــل الســـكون بـــهذا المعنى حقيقة عرفيـــة"[١].

ويمكن توجيـــه النظـــم الشـــريف علـــى الاســـتعارة التبعيـــة أو المكنية إذا قلتـــا إن معنـــى ســـجا : ركـــد ظلامـــه ــ أى ــ اشـــتد ظلامه ... وأصل الركود عدم الجريـــان فـــى المـــاء ، فتجـــوز بـــه عما ذكر ، وعلى هذا ففى (ســـجا) اســـتعارة تبعيـــة أو مكنيـــة"[٢]. ولا يخفى حسن وجمال ذلـــك المجـــاز ــ العقلـــى ــ أو الاســـتعارة التبعية أو المكنية ، وهذا "أحسن مـــن تقديـــر المضـــاف فيـــه مـــع جـــوازه"[٣].

وبعد هذا الكـــلام الأنيـــق وإبـــراز هـــذه المعـــانى الحســـنة ، لا يخفى على القارئ الفطن تشبيه الليل بـــالبحر وحـــذف المشـــبه بـــه والرمز إليه بشئ من لوازمه وهو الســـجو بمعنـــى ركـــود أمواجـــه وهذا فى الاستعارة المكنية ، أمـــا التبعيـــة ، فقـــد اســـتعرنا الســـجو للركود واشتققنا منه سجا بمعنى ركـــد.

"قوله تعـــالى : (والضحـــى والليـــل إذا ســـجا)[٤] الضحـــى ــ

---

[١] المرجع السابق ، ١٥٤/٣٠.

[٢] حاشية الشهاب على البيضاوى ٣٧٠/٨ ، دار صادر بيروت ، بدون .

[٣] المرجع السابق ، ٣٧٠/٨.

[٤] الضحى : ١ ، ٢.

سجى من ذوات الواو وكتبت في المصحف بالياء لمَراعاة رؤوس الآى ، وللمناسبة فى مقاطع الفواصل لما له من أثر فى اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس "قوله : سجا ... وهو من ذوات الواو ، وإنما أميل لموافقة رؤوس الآى كالضحى فإنه من ذوات الواو أيضًا"[١]. وقال الزركشى – رحمه الله –:"واعلم أن إيقاع المناسبة فى مقاطع الفواصل ... مؤثر فى اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها فى مواضع : ... الحادي عشر : إمالة ما أصله أن لا يمال كإمالة ألف (والضحى والليل إذا سجى)[٢] ليشاكل التلفظ بهما التلفظ بما بعدهما ، والإمالة أن تنحو بالألف نحو الياء ، والغرض الأصلى منها هو التناسب"[٣].

(ما ودعك ربك وما قلى ﴿٣﴾)

سبقت الإشارة إلى أن الآية جواب القسم[٤] ، وفيها رد على المشركين . وبشارة للنبى – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى : ٦/٥٣٧.

(٢) الضحى : ١ ، ٢.

(٣) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ١/٦٠ ، ٦٧.

(٤) البحث ص ٧ .

وبيان لسبب احتباسِ الْوحي عنه وأنه للتربيـــة والإرشـــاد : أى "مــا قطعك قطع المودع وما تركك بالحط عن درجـــة الوحـــى والقــرب والكرامـــة ... وأيضـًـا ــ نزلــت الآيـــة "رداً علـــى المشـــــركين وتبشيراً له ــ عليه السلام ــ بأن الحبيـــب لا يقلـــى الحبيـــب وأنـــه ــ تعالى ــ يواصله بـــالوحي والكرامـــة فـــى الدنيـــا مـــع أن مـــا سيؤتيه فى الآخرة أجل وأعظم مـــن ذلـــك كمـــا تنبـــئ عنـــه الآيـــة الآتية[١] ...وفيه إشارة إلى أنه ــ عليـــه الســـلام ــ وقـــع منـــه مـــا هو ترك الأولى، ولذا لم يكن ممقوتـــاً ولا مبغوضـــاً وإنمـــا احتبـــس عنه الوحى للتربية والإرشـــاد"[٢].

وفى (ودع) استعارة تصريحيـــة تبعيـــة ، وهـــى مناســـبة لنظـــم الكلام ومقتضى الحال؛لأن فيها "مبالغة فى الـــوداع وهـــو الـــترك ، لأن من ودعك مفارقاً فقد بالغ في تركك"[٣] قـــال الراغـــب :"أصـــل التوديع من الدعة ... وعبر به عن الـــترك فـــى الآيـــة ، والمعنـــى ما قطعك قطع المودع ومـــا تركـــك بـــالحط عـــن درجـــة الوحـــى

---

(١) هى قوله ــ تعالى ــ (وللآخرة خير لك من الأولى).

(٢) روح البيان فى تفسير القرآن للشيخ اسماعيل حقى ١٠/٤٥٤.

(٣) الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل فى وجوه التـــأويل للزمخشـــرى ، ٤/٢٦٣ ، مكتبـــة ومطبعة البابى الحلبى ، ١٣٩٢هـــ ــ ١٩٧٢م.

والقرب والكرامة ففيه استعارة تبعية"[١].

ويكشف الطاهر بن عاشور عن قرينة الاستعارة ، ويبرز حسنها وجمالها . يقول "والتوديع تحية من يريد السفر ، فاستعير فى الآية للمفارقة بعد الاتصال تشبيهاً بفراق المسافر فى انقطاع الصلة ، حيث شبه انقطاع صلة الكلام بانقطاع صلة الإقامة ، والقرينة إسناد ذلك إلى الله الذى لا يتصل بالناس إتصالاً معهوداً ، وهذا نفى لأن يكون الله قطع عنه الوحى"[٢].

وفي بيان القيمة الفنية والجمالية لهذه الإستعارة البديعة يقول الشهاب ـ رحمه الله ـ :"قوله (ما قطعك قطع المودع) يعنى : أن التوديع مستعار استعارة تبعية للترك ، وفيه من اللطف والتعظيم ما لا يخفى ، فإن الوداع إنما يكون بين الأحباب ومن تعز مفارقته . كما قال المتنبى :

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا   فلم أدر أىّ الظاعنين أشيع"[٣]

وإيثار لفظ الرب مضافاً إلى ضمير النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوحى بالتبشير بالكرامة الحاصلة والمترقبة فضلاً عن

---

[١] المفردات فى غريب القرآن للراغب ، تحقيق/ محمد سيد كيلانى ، ص ٥٤٤، طبعة أخيرة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، ١٣٨١هـ ــ ١٩٦١م.

[٢] التحرير والتنوير ، ٣٩٥/٣٠.

[٣] حاشية الشهاب ، ٣٧٠/٨.

ما يفيده اسم الرب من التربية وبلوغ الكمـال . يقـول العلامـة أبـو السعود حين قال المشركون : إن محمداً ودعه ربـه وقـلاه "نزلـت رداً عليهم وتبشيرًا لـه — عليـه الصـلاة والسـلام — بالكرامـة الحاصلة والمترقبة كما يشعر به اسم الـرب المنبـئ عـن التربيـة والتبليغ إلى الكمـال"[1].

والعطف في قوله — تعالى — "وما قلـى" مـن عطـف السـبب على المسبب للتعليل[2] ، وفى الآية إيجـاز بـالحذف حيـث حـذف مفعول (قلى) لطفاً وشفقة به — صلـى الله عليـه وسـلم — ولنفـى صدور الفعل عن الله — عز وجل — أو لدلالة مـا قبلـه عليـه مـع ما فيـه مـن المحافظـة علـى رؤوس الآى . يقـول الألوسـى — رحمه الله —:"(وما قلى) أى وما أبغضك ، وحـذف المفعـول لِئـلا يواجه — عليه الصلاة والسلام — بنسبة القلى وإن كـان فـى كـلام منفى لطفاً به — صلى الله عليـه وسـلم — وشـفقة عليـه — عليـه الصلاة والسلام — أو لنفى صدوره عنه — عـز وجـل — بالنسـبة إليه — صلى الله — تعالى — عليه وسـلم — ولأحـد مـن أصحابـه ومن أحبه — صلـى الله — تعـالى — عليـه وسـلم — إلـى يـوم القيامة ، أو للاستغناء عنه بذكره مـن قبـل مـع أن فيـه مراعـاة

---

(١) الإرشاد لأبى السعود ٩/١٦٩.

(٢) ينظر روح البيان ، ١٠/٤٥٤.

للفواصل"[١] .

(وللآخرة خير لك من الأولى ﴿٤﴾)

في الآية بحوث :

الأول : سر مناسبتها لما قبلها :

ترتبط الآية بما قبلها ارتباطاً وثيقاً . يقول جار الله الزمخشري ــ رحمه الله ــ : "فإن قلت : كيف اتصل قوله : "وللآخرة خير لك من الأولى" بما قبله ؟ قلت : لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحي إليك وأنك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجل منه ، أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجل ، وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله وشهادة أمته على سائر الأمم ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية"[٢] .

الثاني : لقطات لغوية :

"الآخرة : مقابل الأولى ، ودار الحياة بعد الموت"[٣]، والآخرة : مؤنث الآخر ، والأولى : مؤنث الأول ، وغلب لفظ الآخرة في

---

[١] روح المعاني ، ٣٠/١٥٦.

[٢] الكشاف ٤/٢٦٤.

[٣] المعجم الوجيز ، ص٨ .

اصطلاح القرآن على الحياة الآخـــرة ، وعلـــى الـدار الآخــرة ، كمــا غلب لفظ الأولى على حياة الناس التى قبل انخـــرام هـــذا العــالم "[١].

الثالث : لطائف بلاغيـة :

اللام فى قولـــه ــ تعـــالى ــ وللآخـــرة لام الابتـــداء جـــئ بـــها لتوكيد مضمون الجملة[٢] ولام التعريف فـــى قولـــه ــ تعـــالى ــ : "وللآخرة ــ الأولى" تحتمل توجيهات عدة منـــها : أن الـــلام فيـــهما لام الجنس "أى كل آجل أمره هو خير من عاجلـــه فـــى هـــذه الدنيـــا وفى الأخـــرى"[٣].

ويمكن أن تكون اللام فيهما للعهد "قال ابـــن عطيـــة وجماعـــة : يحتمل أن يراد بـــهما نهايـــة أمـــره ــ صلـــى الله عليـــه وســـلم ــ وبدايتـــه"[٤].

ويمكن أن تكون اللام عوضاً عـــن المضـــاف إليـــه "أى لنهايـــة أمرك خير من بدايته"[٥] وفى التـــأويلات النحميـــة "يعنـــى أحـــوال نهايتك أفضل من أفعال بدايتك كما أخبر بقوله (اليـــوم أكملـــت لكـــم

---

(١) التحرير والتنوير ٣٩٧/٣٠.

(٢) البحر المحيط لأبى حيان ، ٤٨٦/٨.، ط٢ ، دار الفكر ، ١٤٠٣هــ ــ ١٩٨٣م .

(٣) التحرير والتنوير ، ٣٩٧/٣٠.

(٤) روح المعانى للآلوسى ، ١٥٨/٣٠.

(٥) روح المعانى للآلوسى ، ١٥٨/٣٠.

دينكم...)[١] ، لأنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يزال يطير بجناحي الشريعة والطريقة في جو سماء السير ويترقى في مقامات القرب والكرامة وهكذا حال ورثته"[٢].

هذا تفسير صوفي رائق للآية ، فيه شفافية الروح وسمو الهمة وفناء الذات ، واحتمال ذلك كله وارد ؛ لأن النظم الشريف لا يأباه ، فضلاً عن أنه لا تعارض في ذلك وإن كان الاحتمال الأول أظهر وأولى فتحمل الآية على خيرات الدنيا والآخرة "وفي بعض الأخبار المرفوعة ما هو أظهر في الأول أخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس ــ رضي الله ــ تعالى عنهما ــ قال : قال ــ رسول الله ــ صلى الله ــ تعالى ــ عليه وسلم ــ عرض على ما هو مفتوح لأمتي بعدي فسرني ، فأنزل الله ــ تعالى ــ (وللآخرة خير لك من الأولى)[٣]..."[٤] والأحاديث المروية في ذلك كثيرة .

وتنكير (خير) للتعظيم والتفخيم : أي خير عظيم لا يعلم كنهه إلا الله ــ عز وجل ــ ولما كان سياق النظم الشريف

---

[١] المائدة : ٣.

[٢] روح البيان : ١٠/٤٥٤ ، ٤٥٥.

[٣] الضحى : ٤.

[٤] روح المعاني ، ٣٠/١٥٨.

واردا فى مقام تكريم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتشريفه وتعظيمه كان فى قوله ـ تعالى ـ : (لك) قصر يقول الشهاب ـ رحمه الله ـ:(وقوله لك) على هذا لبيان اختصاصه بالخيرية فيهما دون من آذاه وشمت بتأخر الوحى عنه"[١] ويضيف الآلوسى ـ رحمه الله ـ دقيقة لطيفة توضح القصد الذى أشار إليه الشهاب وهى أن القصر إضافى يقول : "والاختصاص الذى تقتضيه اللام . قيل : إضافى على معنى اختصاصه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بخيرية الآخرة دون من آذاه وشمت بتأخير الوحى عنه ـ صلى الله ـ تعالى عليه وسلم"[٢] هذا فى وجه ، وفى وجه آخر أن اللام هنا للعموم وليس الاختصاص قصرياً ، وهذا ما رجحه كثير من المفسرين ، وإن كان النظم الشريف يحتملهما ولا مانع من الجمع بينهما؛لأن السياق والمقام لا يأباه. يقول العلامة الألوسى ـ رحمه الله ـ "ولا مانع من عمومه لجميع الفائزين كيف، وقد علم بالضرورة أن الخير المعدله ـ عليه الصلاة والسلام ـ خير من المعد لغيره على الإطلاق ، ويكفى فى ذلك اختصاص المقام المحمود به ـ صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم ـ على أن اختصاص اللام

---

[١] حاشية الشهاب ، ٨/٣٧١.

[٢] روح المعانى ، ٣٠/١٥٨.

ليس قصرياً"(١).

وفى الآية الكريمة كناية رمزية لطيفة أشار إلى ذلك الشهاب فى تعليقه على قول البيضاوى – رحمهما الله – فى تفسير – قوله – تعالى – (وللآخرة خير لك من الأولى)(٢) فإنها باقية خالصة عن الشوائب ، وهذه فانية مشوبة بالمضار كأنطما بين أنه – سبحانه وتعالى – لا يزال يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا وعد له ما هو أعلى وأجل من ذلك فى الآخرة"(٣) قال الشهاب – رحمه الله – : "وقوله : لا يزال يواصله إلخ هذا من نفى التوديع والقلاة ، فإن ذلك صريح فى عدم المفارقة وثبوت المواصلة)مواصلة الله لأحبابه وخاصة أنبيائه بما ذكره ، فلا خفاء فيه سواء جعل كناية عما ذكر أولاً وهذا بيان لاتصال الآية بما قبلها"(٤).

ولا يخفى لطف ما فى النظم الشريف من كناية رمزية عن إدراك العناية الإلهية للنبى – صلى الله – تعالى – عليه وسلم

---

(١) المرجع السابق ، ١٥٨/٣٠.

(٢) الضحى : ٤.

(٣) أنوار التتريل وأسرار التأويل للقاضى البيضاوى ٥٦٤/٢ ، ط٢ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وشركاه ، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م .

(٤) حاشية الشهاب ، ٣٧١/٨.

ـ من نفي التوديع والقلا ومواصلـــة الوحــي للنبــي ـ صلــى الله عليه وسلم ـ وتشريفه وتعظيمه على أن هــذا التشــريف وإن كــان عظيماً فإن ما أعده الله له في الآخرة خــير وأجــل وأعظــم . وقــد ذكر العلامة السكاكي ـ رحمـــه الله ـ الرمــز قسـماً مــن أقســام الكناية . قال : "ثم إن الكناية تتفاوت إلى تعريـــض وتلويـــح ورمـــز وإيماء وإشارة ومسار الحديث يحسر لك اللثام عـــن ذلـــك"[١].

"والرمز ما يشار به إلى المطلوب مــع قلــة الوســائط وخفــاء في الملزوم كعريض القفا ، وعريــض الوســادة ، وســمي رمــزاً ، لأنه الإشارة مــن قــرب علــى ســبيل الخفيــة"[٢] وهــذه الجملــة الخبرية تفيد العموم : أي عموم الأزمنة ، كمــا تــدل علــى تكريــم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتشريفه وتعظيمـــه بمــا أعــد لــه "من الكرامات السنية التي لا تحيط بـــها العبــارات وتقصــر دونـــها الإشـــارات"[٣] .

وبعد هذا الكلام الأنيق وإبراز هـــذه المعـــاني الحســـنة الرائقـــة

---

(١) مفتاح العلوم للسكاكي ، ص ١٩٠ ، ط١ ، مطبعة مصطفــى البــابي الحلــبي وأولاده بمصــر ، ١٣٥٦هـــ ـ ١٩٣٧م .

(٢) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي ، ص ١٠٣ ، مطبعة مصطفى البابي الحلــبي وأولاده بمصر ، ١٣٥٨ـــ ١٩٣٩م وراجع المفتاح ، ص١٩٤.

(٣) روح المعاني : ٣٠/١٥٨.

البديعة لأئمة التفسير نختم كلامنا فى الآيـة بفـائدة لطيفـة ، فنقـول أوثـر خطابـه ــ صلـى الله عليـه وسـلم ــ بـالإفراد بقولـه ــ تعالىـ : (خير لك) دون الجمع ، فلم يقـل : خـير لكـم تكريمـا وتشريفاً للنبى ــ صلى الله عليـه وسـلم ــ ولدفـع شبـهة الكـذب عن القرآن الكريم ، يقول الفخـر الـرازى ــ رحمـه الله ــ : "لـم قال : (وللآخرة خير لك) ، ولم يقل : خـير لكـم ؟

الجواب : لأنه كان فى جماعته من كـانت الآخـرة شـراً لـه ، فلو أنه ــ سبحانه ــ عمم لكان كذبـاً ، ولـو خصـص المطيعيـن بالذكر لافتضح المذنبون والمنـافقون ، ولـهذا السـبب قـال الله ــ سبحانه وتعالى ــ على لسان موسـى ــ عليـه السـلام ــ : (كـلا إن معى ربى سيهدين)[١] ، وأما محمـد ــ صلـى الله عليـه وسـلم ــ فالذى كان معه لما كان من أهل السعادة قطعـاً ، لا جـرم قـال: (إن الله معنا)[٢] إذ لم يكن ثمّ إلا نبـى وصديـق"[٣].

(ولسوف يعطيك ربك فـترضى﴿٥﴾)

فى الآية بحـوث :

---

[١] الشعراء : ٦٢.

[٢] التوبة : ٤٠.

[٣] مفاتيح الغيب ، ٣١/٤٧١.

الأول : سر مناسبتها لما قبلها :

هذه الآية وثيقة الصلة بما قبلها من وجهين يوضح ذلك الفخر الرازي يقول : "واعلم أن اتصاله بما تقدم من وجهين : الأول : هو أنه ــ تعالى ــ لما بين أن الآخرة (خير له من الأولى) ولكنه لم يبين أن ذلك التفاوت إلى أي حد يكون ، فبين بهذه الآية مقدار ذلك التفاوت ، وهو أنه ينتهي إلى غاية ما يتمناه الرسول ويرتضيه.

الوجه الثاني : كأنه ــ تعالى ــ لما قال : (وللآخرة خير لك من الأولى)[١] ، فقيل : ولم قلت : إن الأمر كذلك ؟ فقال : لأنه يعطيه كل ما يريده ، وذلك مما لا تتسع الدنيا له ، فثبت أن الآخرة خير له من الأولى"[٢].

وهذه الآية الكريمة "عدة كريمة شاملة لما أعطاه الله ــ تعالى ــ في الدنيا من كمال النفس،وعلوم الأولين والآخرين ، وظهور الأمر وإعلاء الدين ... وفشو الدعوة والإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، ولما ادخر لنبيه من الكرامات التي لا يعلمها إلا الله ــ تعالى"[٣]. ومفاد هذا التحليل : أن الوعد محمول على عطاء الله له في الدنيا ، أما لو حمل هذا الوعد على العطاء في الآخرة "فقد يمكن حمله على المنافع وقد يمكن حمله على التعظيم .

---

(١) الضحى : ٤ .

(٢) مفاتيح الغيب ٣١/٢٧٣.

(٣) الإرشاد لأبي السعود ٩/١٧٠.

أما المنافع ، فقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : ألف قصر فى الجنة من لؤلؤ أبيض ترابه المسك ، وفيها ما يليق بها.

وأما التعظيم ، فالمروى عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ وابن عباس : أن هذا هو الشفاعة فى الأمة... والأولى حمل الآية على خيرات الدنيا والآخرة"[١].

الثانى : لقطات لغوية :

الواو : حرف يكون عاملاً وغير عامل ... وأما غير العاملة فلها معان : الأول : وهو أصلها ـ العاطفة تشرك فى الحكم الإعرابى ، وهى لمطلق الجمع على الصحيح ، ولا تدل على أن الثانى بعد الأول بل قد يكون كذلك ، وقد يكون قبله ، وقد يكون معه"[٢].

والواو فى الآية بهذا المعنى .

اللام ـ سوف : نص البلاغيون على أدوا تفيد التوكيد مثل : "... لام الابتداء ... وسوف"[٣].

اللام قسمان : عاملة وغير عاملة ، وغير العاملة تجئ لعشرة

---

(١) مفاتيح الغيب ، ٤٧٢/٣١ ، ٤٧٣.

(٢) البرهان للزركشى ، ٤٣٥/٤، ٤٣٦.

(٣) الإسناد أحواله ومقاماته ـ دراسة تحليلية للباحث ص ٤٣ ، ط١ ، مطبعة الأمانة ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

معان : ... ومؤكدة ... وهى الزائدة أول الكلام وتقع فى موضعين: أحدهما : المبتدأ ، وتسمى لام الإبتداء"[١].

"ولام الإبتداء الداخلة على المبتدأ أو الخبر تفيد توكيد مضمون الجملة ، فمن الأول قوله ـ تعالى : (وللآخرة خير لك من الأولى)[٢] ، ومن الثانى قوله ـ تعالى ـ : ... وقوله ـ تعالى ـ : (ولسوف يعطيك ربك فترضى)[٣] هذه اللام داخلة على الخبر ، والمبتدأ محذوف تقديره : لأنت"[٤].

سوف : حرف يدل على التأخير والتنفيس ، وزمانه أبعد من زمان السين لما فيها من إرادة التسويف ... وسوف تستعمل كثيراً فى الوعيد والتهديد ، وقد تستعمل فى الوعد ... وأمثالها فى الوعد : (ولسوف يعطيك ربك فترضى)[٥]..."[٦].

الفاء :

"الفاء ترد عاطفه ، وللسببية ، وجزاء ، وزائدة . الأول : العاطفة ،

---

[١] البرهان للزركشى ، ٤/٣٣٤ ، ٣٣٥.

[٢] الضحى : ٤ .

[٣] الضحى : ٥.

[٤] الإسناد أحواله ومقاماته للباحث : ٤٥ ، ٤٦.

[٥] الضحى : ٥ .

[٦] البرهان : ٤/٢٨٢ ، ٢٨٣.

ومعناها : التعقيب"[١] . وهذا معنى الفاء في قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى)[٢].

الثالث : لطائف بلاغية :

اللام في قوله ــ تعالى ــ : (ولسوف) من أدوات التوكيد ، والغرض من التوكيد بها الإهتمام بالخبر : أى تأكيد الحكم الذى تضمنه الخبر وهو ثبوت الإعطاء لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والرضا لا شبهة في ذلك ، وإنما كان الغرض من اللام توكيد مضمون الخبر أن المخاطب بذلك ، وهو النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليس شاكاً أو متردداً فى ذلك ، كما أنه ليس منكراً ولا منزلاً منزلة المنكر حتى يؤكد له الكلام ، وإنما الغرض من التوكيد ــ كما قلنا ــ محض التقرير والإهتمام بالخبر .

قال صاحب روح البيان : "اللام لام الابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة ، والمبتدأ محذوف تقديره : ولأنت سوف يعطيك ربك"[٣].

وجار الله الزمخشرى ــ رحمه الله ــ جزم بأن اللام في قوله ــ تعالى ــ (وللآخرة ــ ولسوف يعطيك) هى لام الابتداء المؤكدة

---

[١] المرجع السابق : ٢٩٤/٤.

[٢] الضحى : ٥ .

[٣] روح البيان ٤٥٥/١٠.

لمضمون الجملة . قال : (فإن قلت : ما هذه اللام الداخلة على سوف ؟ قلت : هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة ، والمبتدأ محذوف تقديره : ولأنت سوف يعطيك ... وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء ، فلام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد ، فبقي أن تكون لام الابتداء ، ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر ، فلابد من تقدير مبتدأ وخبر وأن يكون أصله ولأنت سوف يعطيك"[١].

وما جزم به صاحب الكشاف محل نظر؛ إذ يحتمل أن تكون اللام للقسم وقد ناقشه في ذلك السمين الحلبي ، وحكى بعض ما ذكرته عن صاحب الكشاف . قال السمين الحلبي : "قوله : (وللآخرة) الظاهر في هذه اللام : أنها جواب القسم ، وكذلك في (ولسوف) أقسم الله ـ تعالى ـ على أربعة أشياء : اثنان منفيان ، وهما توديعه وقلاه واثنان مثبتان مؤكدان ، وهما : كون الآخرة خير له من الدنيا، وأنه سوف يعطيه ما يرضيه"[٢] وقد استحسن الألوسي ذلك وقد تقدم تحرير معنى هذه اللام ، وإنما أعدته هنا لما فيه من كبير فائدة، ثم يؤيد الشيخ كلامه بما أورده أبو حيان في البحر المحيط ، يقول : "وقال الشيخ : واللام في (وللآخرة) لام الابتداء وكدت مضمون الجملة ... ثم قال : ويجوز عندي : أن تكون اللام في

---

[١] الكشاف ٢٦٤/٤.

[٢] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون .

(وللآخرة خير) وفى (ولسوف يعطيك) اللام التى يتلقى بها القسم ، عطفهما على جواب القسم ، وهو قوله : (ما ودعك) فيكون قد أقسم على هذه الثلاثة انتهى"[١] ، ويستنبط السمين الحلبى ــ رحمه الله ــ من تحليل الزمخشرى ما يؤيد به وجهته. يقول : "وتقدير الزمخشرى مبتدأ بعدها لا ينافى كونها جواباً للقسم"[٢].

وهذا من غرر الكلام ودرره إذ ليس هناك ما يمنع أن تكون اللام للابتداء أو للقسم فكلاهما لتوكيد الكلام وتحقيق مضمون الخبر. و(سوف) فى الآية الكريمة "لإفادة أن هذا العطاء الموعود به مستمر لا ينقطع كما تقدم فى قوله ــ تعالى ــ : (قال سوف استغفر لكم ربى) فى سورة يوسف[٣] ، وقوله : (ولسوف يرضى) فى سورة الليل[٤]..."[٥].

وقوله ــ تعالى ــ : (ولسوف) اجتمعت اللام وسوف ، وفى اجتماعهما دقائق ولطائف ، ولهما من الحسن والمزية ما ليس لواحدة منهما على حدها ، وللإفصاح عما فى اجتماعهما من الحسن والمزية نقول : قال جار الله الزمخشرى : "فإن قلت : ما معنى

---

(١) المرجع السابق ، ٦/٥٣٨.

(٢) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى ، ٦/٥٣٨.

(٣) آية : ٩٨.

(٤) آية : ٢١.

(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٣٠/٣٩٨.

الجمع بين حرفي التوكيد والتأخير ؟ قلت : معناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر لما في التأخير من المصلحة"[١]. فلم لم يستغن باللام عن سوف؟

يحسر اللثام عن ذلك الشيخ إسماعيل حقي ـ رحمه الله ـ مجيباً عن هذا التساؤل بعد أن حكى كلام الزمخشري بقوله : "يعني أن لام الابتداء لما تجردت للدلالة على التأكيد ، وكانت السين تدل على التأخير والتنفيس حصل من اجتماعهما أن العطاء المتأخر لحكمة كائن لا محالة ، وكانت اللام لتأكيد الحكم المقترن بالاستقبال"[٢].

"ومختصر كل الأمر أن التأكيد إنما يصار إليه إذا كان الحكم المؤكد مما يهتم بشأنه وأنه مما يحافظ عليه ويعتنى بأمره"[٣].

وفي الآية الكريمة إيجاز بالحذف حيث حذف المفعول الثاني لـ (يعطيك) وهو من حذف متعلقات الفعل لإرادة العموم : أي (ليعم كل ما يرجوه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خير لنفسه ولأمته ، فكان مفاد هذه الجملة تعميم العطاء ، كما أفادت الجملة قبلها

---

(١) الكشاف ٢٦٤/٤.

(٢) روح البيان ٤٥٥/١٠.

(٣) مباحث علم المعاني في ضوء تفسير روح البيان للشيخ/ إسماعيل حقي ، عرض وتحليل ، رسالة دكتوراه للباحث ، ص ١٤٥ ، مخطوط كلية اللغة العربية بالقاهرة ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

تعميم الأزمنـــة"[١].

ومن لطيف حذف المفعول حذف مفعـــول (فـــترضى) لأن الفـــرض الفعل لا المفعول، لتتوفر العناية بالفعل وتقدير المفعـــول (فـــترضى) مـــا تعطاه مما يطمئن به قلبـــك"[٢].

"وحذف المفعول تكثر لطائفـــه ، وتـــدق أســـراره ، وكـــأن المزايـــا فيه أخلب وما يظهر بسببه من الحســـن والرونـــق أعجـــب كمـــا يقـــول عبد القـــاهر"[٣].

ويقول : "..ليس لنتائج ... حـــذف المفعـــول نهايـــة ، فإنـــه طريـــق إلى ضروب من الصنعة وإلى لطـــائف لا تحصـــى"[٤].

ومن لطائف النظم الشريف يذكـــر الفخـــر الـــرازى دقيقـــة لطيفـــة تكشف عن الحسن والمزية فى إيثار سوف علـــى الســـين يقـــول : "مـــا الفائدة فى قوله ــ تعالى : (ولسوف) ولِمَ لمْ يقـــل : وســـيعطيك ربـــك؟

الجواب فيها فائدتـــان :

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٣٩٨.

(٢) روح البيان ١٠/٤٥٥.

(٣) خصائص التراكيب ، دراسة تحليلية لمسائل علم المعانى ، ا.د/ محمد أبـــو موســـى ، ص ٢٧٢ ، ط٢ ، مكتبة وهبه ، ١٤٠٠هـــ ـــ ١٩٨٠م ، وينظر دلائل الإعجاز ، ١٥٣.

(٤) دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجانى ، تحقيق محمود محمـــد شـــاكر ، ص ١٦٣، ط٢ ، مطبعة المدنى ، ١٤١٠هـــ ـــ ١٩٨٩م.

إحداهما : أنه يدل على أنه ما قرب أجله ، بل يعيش بعد ذلك زماناً وثانيهما : أن المشركين لما قالوا : ودعه ربه وقلاه ، فالله – تعالى – رد عليهم بعين تلك اللفظة ، فقال : (ما ودعك ربك وما قلى)[١]، ثم قال المشركون : سوف يموت محمد ، فرد عليهم ذلك بهذه اللفظة فقال : (ولسوف يعطيك ربك فترضى)[٢] ..."[٣].

وتأمل ما فى النظم الشريف من عذوبة اللفظ وحسن موقعه ومزايا الجمال والخلابة التى تستتر فى مطاوى العبارة ، ولا يخفى حسن ما فى النظم الشريف من التعبير بلفظ (يعطيك) بالإفراد دون يعطيكم بخطاب الجمع يكشف الفخر الرازى عن آيات الحسن والجمال فى هذا النظم الشريف ويعلل له يقول : " لِمَ لَمْ يقل : يعطيكم مع أن هذه السعادات حصلت للمؤمنين أيضًا ؟".

والجواب لوجوه :

أحدهما : أنه المقصود وهم أتباع .

وثانيها : أنى إذا أكرمت أصحابك فذاك فى الحقيقة إكرام لك ، لأنى أعلم أنك بلغت فى الشفقة عليهم إلى حيث تفرح بإكرامهم فوق ما تفرح بإكرام نفسك .

---

(١) الضحى : ٣.

(٢) الضحى : ٥.

(٣) مفاتيح الغيب : ٤٧٤/٣١.

وثالثها : أنك عاملتنى معاملة حسنة ، فإنهم حين شجوا وجهك قلت: "اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون" وحين شغلوك عن الصلاة يوم الخندق ، قلت : "اللهم املأ بطونهم ناراً"[١] .

ولما كان سياق النظم الشريف وارداً فى مقام تكريم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ والعناية به وتشريفه عمد النظم القرآنى إلى مزيد من التقرير والتأكيد ليزداد التأثير فى النفس،ويدخل القلب ويتعمق فى الشعور ولهذه القيمة البلاغية ذكر المسند إليه مكرراً فى كثير من أى الذكر الحكيم ليتوثق المعنى فى النفوس ومن ذلك قوله ــ تعالى ــ (ما ودعك ربك وما قلى)[٢] ، وقوله ــ تعالى ــ : (ولسوف يعطيك ربك فترضى)[٣] ، يقول الألوسى ــ رحمه الله ــ: وفى إعادة اسم الرب مع إضافته إلى ضميره ــ عليه الصلاة والسلام ــ ما لا يخفى-أيضًا-من اللطف به ــ صلى الله ــ تعالى عليه وسلم"[٤] أشرت ــ آنفاً ــ إلى دقة النظم الشريف فى تعريف المسند إليه بالإضافة وإيثار لفظ الرب دون اسم الله العلم[٥] ، وهنا أنبه إلى أن النظم القرآنى يجرى على نسق دقيق فى ترتيب المعانى

---

[١] مفاتيح الغيب للفخر الرازى : ٤٧٤/٣١.

[٢] الضحى : ٣ .

[٣] الضحى : ٥ .

[٤] روح المعان : ١٦١/٣.

[٥] البحث ص ٢٧٥.

وثيقة الصلة بغرض الكلام وسياقه ، ترى ذلك جلياً في إيثار لفظ الرب معرفاً بالإضافة إلى ضميره ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون اسم الله العلم لما يدل عليه لفظ الربوبية من إظهار الرأفة واللطف وإدخال الأنس على قلب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأيضًا ـ فيه مزيد عناية وتشريف للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول سماحة الطاهر بن عاشور : "وتعريف (ربك) بالإضافة دون اسم الله العلم لما يؤذن به لفظ (رب) من الرأفة واللطف ، وللتوسل إلى إضافته إلى ضمير المخاطب؛لما في ذلك من الإشعار بعنايته برسوله وتشريفه بإضافته رب إلى ضميره"[١].

ومن أسرار التعبير القرآني إيثار النظم الشريف للتعبير بلفظ (يعطيك) دون التعبير بلفظ نعطيك ـ بالنون ـ الذي يدل على التعظيم فيه تكريم وتشريف لأمين الوحي جبريل ـ عليه السلام ـ وللنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستشف ذلك من قول الفخر الرازي ـ رحمه الله : "كيف يقول الله : (ولسوف يعطيك ربك فترضى)[٢] "؟

الجواب : هذه السورة من أولها إلى آخرها كلام جبريل ـ عليه السلام ـ معه ، لأنه كان شديد الاشتياق إليه وإلى كلامه ، فأراد الله

---

[١] التحرير والتنوير : ٣٩٨/٣٠.

[٢] الضحى : ٥.

ــ تعالى ــ أن يكون هو المخاطب له بــــهذه البشـــارات"[١].

وتأمل دقـــة اســتخدام القــرآن الكريــم لكلمــات اللغــة وحروفـــها استخداماً بلغ الغاية فى دقة التعبير[٢]، فقد آثر النظـــم الشـــريف المجـــئ بفاء التعقيب دون غيرها من حروف العطف ــ كثـــم ــ مثـــلاً ــ الـــذى يشـــير إلـــى دقـــة فـــاء العطـــف وكيـــف نـــهضت بتصويـــر المعنـــى أدق تصويـــو .

يقول سماحة الطاهر بـــــن عاشـــور : "وجـــئ بفـــاء التعقيـــب فـــى (فترضى) لإفادة كون العطاء عاجل النفع بحيـــــث يحصـــل بـــه رضـــى المعطى عند العطاء ، فلا يترقب أن يحصل نفعـــه بعـــد تربـــص"[٣].

"ويمضي سياق السورة يذكـــر الرســـول ــ صلـــى الله عليـــه وســـلم ــ ما كان من ربه معه منــــذ أول الطريـــق ، ليســـتحضر فـــى خـــاطره جميل صنع ربه به ، ومودته له ، وفيضــــه عليـــه ، ويســـتمتع باســـتعادة مواقع الرحمة والود والإيناس الإلهى وهو متـــاع فـــائق تحييـــه الذكـــرى على هذا النحو البديــــع :

(ألم يجدك يتيماً فـــآوى﴿٦﴾ ووجـــدك ضـــالاً فـــهدى ﴿٧﴾ ووجـــدك عائلاً فـــأغنى ﴿٨﴾)

---

(١) مفاتيح الغيب ٣١/٤٧٤ ، ٤٧٥.

(٢) خصائص التراكيب ، ٢٥٧ بتصرف .

(٣) التحرير والتنوير : ٣٠ /٣٩٨.

أنظر في واقع حالك ، وماضى حياتك ، هل ودعك ربك ، وهل قلاك ، حتى قبل أن يعهد إليك بهذا الأمر ؟ ألم تحط يتمك رعايته ؟ ألم تدرك حيرتك هدايته ؟ ألم يغمر فقرك عطاؤه ؟.

لقد ولدت يتيماً فآواك إليه ، وعطف عليك القلوب حتى قلب عمك أبى طالب وهو على غير دينك ! ولقد كنت فقيراً فأغنى الله نفسك بالقناعة كما أغناك بكسبك ومال أهل بيتك ـ خديجة ـ رضى الله عنها ـ عن أن تحس الفقر أو تتطلع إلى ما حولك من ثواء"[1].

وفى الآيات بحوث :

الأول : سر مناسبتها لما قبلها :

ويمضى النظم الشريف يذكر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنعم الله ـ تعالى ـ عليه ، وهذه الآيات ترتبط بما قبلها ارتباطاً وثيقاً

يقول الفخر الرازى : "إن إتصاله بما تقدم هو أنه ـ تعالى ـ يقول : (ألم يجدك يتيماً) . فقال الرسول : بلى يا رب فقال : أنظر أكانت طاعتك فى ذلك الوقت أكرم أم الساعة ؟ فلابد من أن يقال : بل الساعة فيقول الله : حين كنت صبياً ضعيفاً ما تركناك بل ربيناك ورقيناك إلى حيث صرت مشرفاً على شرفات العرش وقلنا لك :

---

[1] فى ظلال القرآن : ٣٠/٣٩٢٧.

لولاك ما خلقنا الأفلاك ، أتظن أنّا بعد هذه الحالة نهجرك ونتركك؟[١]

الثانى : لقطات لغوية :

(ألم يجدك) ... قد وجدك ، والهمزة للاستفهام ، و(لم) جحد ، وفى الاستفهام طرف من الجحد ، وإذا وقع الجحد رجع إلى التحقيق كقوله ـ تعالى ـ : (أليس الله بأحكم الحاكمين)[٢] ومعناه : الله أحكم الحاكمين ، وكذا (أليس الله بكاف عبده)[٣] ومثله قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

المعنى : أنتم كذا "[٤].

(ويجدك) الوجود بمعنى العلم ... وقيل : بمعنى المصادفة[٥] .

و(اليتيم) فى الناس من قبل الأب ، وفى البهائم من قبل الأم ، وكل شئ مفرد يعز نظيره فهو يتيم ، يقال : درة يتيمة"[٦].

و(فأوى) أوى إلى منزله يأوى من باب ضرب أوياً أقام ...

---

(١) مفاتيح الغيب : ٤٧٥/٣١.

(٢) التين : ٨.

(٣) الزمر : ٣٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن القرطبى : ١٠٥/٢٠.

(٥) الإرشاد لأبى السعود ١٧٠/٩.

(٦) مختار الصحاح للرازى : ٦٥٤.

والمأوى بفتح الواو لكل حيوان : مسكنه ..."[1].

و(ضالاً) يقال : الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً يسيراً كان أو كثيراً"[2].

و(عائلاً) : أى فقيراً ... قال جرير :

الله نزل في الكتاب فريضة　　لابن السبيل وللفقير العائل[3]

والعائل الذى لا مال له ، والفقر يسمى عيلة . قال ــ تعالى ــ: (وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء)[4] ..."[5]. واللفاء : مرّبيان معناها[6] وفى معنى الضلال فى الآية ذكرت آراء لا يحسن ذكرها ــ نسأل الله العصمة من الإساءة فى العبارة ــ وقد ذكروا فى معنى الضلال فى هذه الآية وجوها كثيرة ننتخب بعضها:

منها : ما روى عن ابن عباس والضحاك وشهر بن حوشب (وجدك ضالا) عن معالم النعمة وأحكام الشريعة غافلاً عنها فهداك إليها ، وهو المراد من قوله ــ تعالى ــ : (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا

---

(1) المصباح.

(2) المفردات للراغب ، ص ٥٥٠.

(3) الدر المصون للسمين الحلبى : ٥٣٩/٦.

(4) التوبة : ٢٨.

(5) التحرير والتنوير : ٤٠٠/٣٠.

(6) البحث ، ص ٢٨٦.

الإيمان)[١] ، وقوله ـ تعالى ـ : (وإن كنت من قبله لمن الغافلين)[٢] .

ومنها : أنه قد يخاطب السيد ، ويكون المراد قومه ، فقوله : (وجدك ضالًّا) : أى وجد قومك ضلالاً ، فهداهم بك وبشرعك .

ومنها : ضالاً عن القبلة ، فإنه كان يتمنى أن تجعل الكعبة قبلة له ، وما كان يعرف أن ذلك هل يحصل له أم لا ؟ ، فهداه الله بقوله ـ تعالى ـ (فلنولينك قبلة ترضاها)[٣] ، فكأنه سمى ذلك التحير بالضلال.

ومنها : الضلال بمعنى المحبة كما فى قوله ـ تعالى ـ (إنك لفى ضلالك القديم)[٤] أى محبتك ، ومعناه : أنك محب فهديتك إلى الشرائع التى تتقرب بها إلى خدمة محبوبك.

ومنها : ضالًّا عن أمور الدنيا لا تعرف التجارة ونحوها ، ثم هديتك حتى ربحت تجارتك وعظم ربحك حتى رغبت خديجة فيك ، والمعنى : أنه ما كان لك وقوف على الدنيا ، وما كنت تعرف سوى

---

(١) الشورى : ٥٢.

(٢) يوسف : ٣ .

(٣) البقرة : ١٤٤.

(٤) يوسف : ٩٥.

الدين فهديتك إلى مصالح الدنيا بعد ذلك"[١].

وجملة القول أن المراد بالضلال : عدم الاهتداء إلى الطريق الموصل إلى مكان مقصود سواء سلك طريقاً آخر يبلغ إلى غير المقصود، أم وقف حائراً لا يعرف أى طريق يسلك ، وهو المقصود هنا لأن المعنى : أنك كنت فى حيرة من حال أهل الشرك من قومك فأراكه الله غير محمود وكرهه إليك ... وليس المراد من الضلال هنا اتباع الباطل ، فإن الأنبياء معصومون من الإشراك قبل النبوة باتفاق علمائنا"[٢].

الثالث : لطائف بلاغية :

قوله ـ تعالى : (ألم يجدك يتيماً ... إلخ) استفهام ، والسؤال للاستعلام محال على العلام ، فلابد لمجيء الاستفهام فى كلام رب العالمين من فائدة ، فالاستفهام فى الآية خرج عن معناه الأصلى ليفيد معنى آخر : أعنى به أنه استفهام تقريرى على النفى والمقصود التقرير على إثبات المنفى "وهذا التقرير بالهمزة لإنكار النفى وتقرير المنفى على أبلغ وجه كأنه قيل : قد وجدك ... إلخ"[٣].

---

[١] مفاتيح الغيب : ٣١/٤٧٨ : ٤٨٠ بتصرف.

[٢] التحرير والتنوير : ٣٠/٤٠٠.

[٣] روح المعاني : ٣٠/١٦١.

ومعنى التقرير : "حملك المخاطب على الإقرار والإعتراف بأمر قد استقر عنده ... والكلام مع التقرير موجب ، ولذلك يعطف عليه صريح الموجب ، ويعطف على صريح الموجب فالأول كقوله :(ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى) ... ويجب أن يلى الأداة الشئ الذى تقرر بها ... كما يجب فى الاستفهمام الحقيقى ... وحقيقة استفهام التقرير : أنه استفهام إنكار ، والإنكار نفى وقد دخل على المنفى ، ونفى المنفى إثبات..." وجواب الاستفهام التقريرى يكون بنعم أو بلى يقول صاحب البرهان : "والجواب يتوقف على مقدمة ، وهى أن الاستفهام إذا دخل على النفى يدخل بأحد وجهين :

إما أن يكون الاستفهام عن النفى : هل وجد أم لا ؟ فيبقى النفى على ما كان عليه أو للتقرير : كقوله : ألم أحسن إليك ؟ وقوله ــ تعالى ــ : (ألم نشرح لك صدرك)[١] و (ألم يجدك يتيماً)[٢]؟ ، فإن كان بالمعنى الأول لم يجز دخول (نعم) فى جوابه إذا أردت إيجابه ، بل تدخل (بلى) .

وإن كان بالمعنى الثانى ــ وهو التقرير ــ فللكلام حينئذ لفظ

---

[١] الشرح : ١ .

[٢] الضحى : ٦.

ومعنى ، فلفظه نفى داخل عليه الاستفهام ، ومعناه الإثبات ، فبالنظر إلى لفظه تجيبه ببلى وبالنظر إلى معناه ، وهو كونه إثباتاً تجيبه بنعم"[١].

وجعل بعضهم الاستفهام فى الآية للتذكير"[٢].

ولفظة (يجدك) تحتمل توجيهات عدة منها :

المجاز المرسل من قبيل إطلاق اسم الملزوم على اللازم ، وهى من العلاقات التى زادها البلاغيون بعد الخطيب، ويمكن وضعها تحت إدخال السبب على المسبب .

ذكر صاحب عروس الأفراح العلاقات التى ذكرها الخطيب ثم عقب بقوله : (ومنها : مجاز إطلاق اسم الملزوم على اللازم كقوله ـ تعالى ـ (أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون)[٣] أطلق الكلام على الدلالة، لأنها لازمة له ، وفيه نظر ، لأنه دخل فى إطلاق السبب على المسبب"[٤] .

قال البيضاوى فى تحليله للآية : (ويجدك) من الوجود بمعنى

---

[١] البرهان للزركشى ، ٢/٣٣١ : ٣٣٥.

[٢] المرجع السابق ، ٢/٣٤٠.

[٣] الروم : ٣٥.

[٤] عروس الأفراح للسبكى ضمن الشروح ، ٤/٤٣.

العلم و(يتيماً) مفعوله الثاني ، أو المصادفة ويتيماً حال"[١].

وينص الشهاب على أن في كلام البيضاوي في الآية مجازاً مكتفياً بذكر كلمة مجاز دون تحديد لنوعه ، أو لنوع العلاقة يقول : "وقوله ــ أي البيضاوي ــ : أو المصادفة معطوف على العلم ، وهو على هذا مجاز عن تعلق علمه به لأن المصادفة لا تصح في حقه ــ تعالى ــ لأنها ملاقاة ما لم يكن في علمه وتقديره كذا قيل ، وهو على الأول مجاز ، فإن أصل معنى وجدته أصبته على صفة ، ويلزمه العلم كما ذكره الرضي ، وهو يقتضي أن حقيقته المصادفة وأنه في العلم مجاز"[٢].

وفي توجيه معنى المجاز في الآية يقول الشيخ إسماعيل حقي ــ رحمه الله ــ "ويجوز أن يكون الوجود بمعنى المصادفة ، ويتيماً حال من مفعوله : يعني على المجاز بأن يجعل تعلق العلم الوقوعي الحالي مصادفة ، وإلا فحقيقة المصادفة لا تمكن من حقه ــ تعالى"[٣].

---

(١) تفسير البيضاوي ، ٥٦٤/٢.

(٢) حاشية الشهاب : ٣٧٢/٨.

(٣) روح البيان للشيخ إسماعيل حقي : ٤٥٦/١٠.

أو التمثيل واحتمـال ذلـك كلـه وارد ، لأن النظـم الشـريف لا يأباه فضلاً عن أنه لا تعارض في ذلك وإنما هـي وجـهات نظـر. يقول سماحة الطاهر بن عاشـور : "... وفعـل (يجـدك) مضـارع وجد بمعنى ألقى وصـادف ... ومفعولـه : ضمـير المخـاطب ... والكلام تمثيل لحالة تيسير المنافع التي تعسـرت عليـه بحالـة مـن وجد شخصاً في شدة يتطلع إلى من يعينـه أو يغيثـه"[١].

ولا يخفى أن البلاغيين ذكـروا أن اللفـظ الواحـد يصلـح لأن يتضمن أكثر من لون من ألوان البيـان مثـل كـون الآيـة صالحـة لجعلها مجازاً مرسلاً أو تمثيـلاً.

يقول السعد : "إذا أطلق نحو المشفر علـى شـفة الإنسـان فـإن أريد تشبيهها بمشفر الإبل في الغلظ فهو اسـتعارة ، وإن أريـد أنـه إطلاق المقيد على المطلق كإطلاق المرسن على الأنـف مـن غـير قصد إلى التشبيه فمجـاز مرسـل، فـاللفظ الواحـد بالنسـبة إلـى المعنى الواحـد يجـوز أن يكـون اسـتعارة ، وأن يكـون مجـازاً مرسلاً باعتبـارين"[٢].

ومن اللطائف البلاغية في الآية الفصـل بيـن قولـه ــ تعـالى ــ

---

[١] التحرير والتنوير : ٣٩٩/٣٠.

[٢] المطول على التلخيص للتفتازاني ، ص ٣٥٧ ، مطبعة أحمد كامل ، ١٣٣١هـ .

(ألم يجدك يتيماً فآوى) ، وبين قوله ـ تعالى ـ قبله : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) والفصل بين الآيتين لكمال الاتصال ، وإنما كان كمال الاتصال؛لأنه "إذا قويت العلاقة بين الجملتين اتصلتا من ذات نفسيهما وتداخلتا وصارتا كالشئ الواحد ، فإذا أدخلت الواو بينهما فكأنك عمدت إلى جسم غريب وأقحمته بين الشئ ونفسه ، ما لم يكن لك من وراء ذلك مغزى"[(١)].

يقول الآلوسى ـ رحمه الله ـ : "وقوله (ألم يجدك يتيماً فآوى) تعديد لما عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أول أمره إلى وقت النزول من فنون النعماء العظام ليستشهد بالخاص الموجود على المترقب الموعود؛فيزداد قلبه الشريف وصدره الرحيب طمأنينة وسروراً وإنشراحاً وحبوراً ولذا فصلت الجملة"[(٢)].

ومفاد كلام الآلوسى : أن بين الآية والتى قبلها فصلاً لما أن الثانية وافية بالمراد ، والشهاب ـ رحمه الله ـ يلمح إلى صورة الفصل . يقول : "قوله : أى البيضاوى ـ (تعديد ... إلخ) إشارة إلى وجه الفصل ، وأنه كقوله : "أمدكم بأنعام

(١) دلالات التراكيب ، دراسة بلاغية ، ا.د/ محمد أبو موسى ، ص ٣١٢ ، ط ١ ، مكتبة وهبه ، ١٣٩٩ـ ١٩٧٩م .

(٢) روح المعانى للآلوسى : ١٦١/٣٠.

الآيـــة[١] ..."[٢].

فإن قلت : ما صورة الفصل فى الآيـــــة ؟

قلت : هى كمال الاتصال "الـــذى يكـــون بيـــن الجملتيـــن فيمنـــع من العطف إذ عطف إحداهما على الأخـــرى معـــه كعطـــف الشـــئ على نفسه فيتحقق ذلك الكمال بينـــهما لأجـــل ... أو لكـــون الجملـــة الثانية بدلاً منـــها : أى بـــدلاً مـــن الأولـــى ... فكونـــها بـــدلاً مـــن موجبات كمال الإتصال ، ثـــم الـــذى يتحقـــق بـــه الاتصـــال ثلاثـــة أقسام : القسم الأول : بدل الكـــل مـــن الكـــل ... والقســـم الثـــانى : بدل البعض من الكل ، والقسم الثالث : بـــدل اشـــتمال"[٣].

فالآية الكريمة من القسم الثانى الـــذى هـــو بـــدل البعـــض مـــن الكـــل ، وذلـــك لأن قولـــه ــ تعـــالى ــ (ولســـوف يعطيـــك ربـــك فترضى) "وعد واسع الشـــمول لمـــا أعطيـــه النبـــى ــ صلـــى الله عليه وسلم ــ من النصر والظفر بأعدائـــه يـــوم بـــدر وفتـــح مكـــة ودخول الناس فى الدين أفواجاً وما فتـــح علـــى الخلفـــاء الراشـــدين

---

[١] الشعراء : ١٣٣.

[٢] حاشية الشهاب : ٣٧٢/٨.

[٣] مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب ضمن الشروح ٣٠/٣ ، ٤٢،٣٩ ، وينظـر الإيضاح للقزوينى ، ص٨٩ ، مكتبة ومطبعة محمـــد علـــى صبيـــح وأولاده ، ١٤٠٢هـــ ــ ١٩٨٢م.

ومن بعدهم من أقطار الأرض شـــرقاً وغربـــاً"[١] هـــذه مـــن نعـــم الدنيا وأيضًا ــ يحمل هذا الوعد على نعـــم الآخـــرة "فيمكـــن حملـــه على المنافع ويمكن حمله على التعظيـــم ... والأولـــى حمـــل الآيـــة على خيرات الدنيا والآخرة "[٢]. فهذه الآيـــة مســـوقة للتنبيـــه علـــى نعم الله ــ تعالى ــ على نبيه ــ صلـــى الله عليـــه وســـلم ــ وقولـــه ــ تعالى ــ : (ألم يجدك يتيماً فـــآوى)... الآيـــات ، أوفـــى بتأديـــة المراد الذى هو التنبيه على نعم الله ــ تعـــالى ــ؛ لأنـــها تـــدل علـــى النعم بالتفصيل إذ المقام يقتضى الاعتنـــاء بشـــأن هـــذه وتفصيلـــها ، فالعطاء بما ذكر من وجـــوده ــ صلـــى الله عليـــه وســـلم ــ يتيمـــاً فآواه ، وضالاً فهداه ، وعائلاً فأغنـــاه بعـــض عطـــاء الله ــ تعـــالى ــ الذى سوف يرضى نبيه ــ صلى الله عليـــه وســـلم ــ لا محالـــة.

"ووجه حسن هذا الضرب هـــو ... وفـــى المـــنزل منزلـــة بـــدل البعض تفصيـــل وتنصيـــص ... ولا يخلـــو مـــن التوكيـــد؛ لأن فيـــه تكريراً للمعنى وتحقيقـــاً "[٣].

قولـــه ــ تعـــالى ــ : (ووجـــدك ضـــالاً فـــهدى) . قـــال أهـــل التفسير "عطف علـــى مـــا يقتضيـــه الإنكـــار الســـابق ... أو علـــى

---

[١] التحرير والتنوير : ٣٩٨/٣٠.

[٢] البحث ص ٢٨٣،٢٨٤

[٣] دلالات التراكيب ، ا.د/ محمد أبو موسى ، ٣٢٢ بتصرف .

المضارع المنفى بـ لم داخل فى حكمه ـ أى قوله ـ تعالى (ألم يجدك) كأنه قيل : أما وجدك يتيماً فآوى ووجدك غافلاً عن الشرائع التى لا تهتدى إليها العقول ... فهداك ... ووجدك فقيراً ... فأغناك"[1].

فقوله ـ تعالى ـ : (ووجدك ضالاً فهدى) عطف على الجملة الاستفهامية (ألم يجدك يتيماً فآوى)؛لأنها فى معنى : قد وجدك يتيماً فآوى من حيث إن همزة الإنكار إذا دخلت على حرف النفى أفادت التقرير ، وقد قرت تحقيق ذلك[2].

فقوله ـ تعالى ـ (ألم يجدك يتيماً فآوى) ، إنشائية لفظاً خبرية معنى ، وقوله ـ تعالى ـ : (ووجدك ضالاً فهدى) خبرية لفظاً ومعنى ، ولذا وصل بينهما بحرف العطف الواو ، وهذه إحدى صور الوصل للتوسط بين الكمالين : أى ـ كمال الانقطاع بلا إيهام وكمال الاتصال ـ حيث اتحدت الجملتان فى الخبرية معنى فقط ولفظ الأولى إنشاء لفظاً خبر معنى والثانية خبرية لفظاً ومعنى ، وقد وضح العلامة سعد الدين صور التوسط بين الكمالين قال : "... وأما الوصل للتوسط (فإذا

---

(١) الإرشاد لأبى السعود ، ٩/١٧٠ ، ١٧١ ، وينظر روح المعانى : ١٦١/٣٠.

(٢) البحث ، ص٢٩٦.

اتفقتا) ؛ أى الجملتان خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى أو معنى فقط بجامع : أى مع وجود جامع بينهما والاتفاق المذكور إنما يتحقق: إذا كان كلتا الجملتين خبريتين لفظاً ومعنى ، أو إنشائيتين كذلك ، أو كان كلتاهما خبريتين معنى فقط بأن يكونا إنشائيتين لفظاً ، أو تكون الأولى إنشائية لفظاً والثانية خبرية أو بالعكس ، أو كان كلتاهما إنشائيتين معنى فقط بأن تكونا خبريتين لفظاً ، أو تكون الأولى خبرية لفظاً والثانية إنشائية معنى ، أو بالعكس ، فالمجموع ثمانية أقسام"[١].

وفى قوله ــ تعالى ــ (ضالًّا) استعارة ، وهى الأنسب بنظم الكلام ومقتضى المقام ، خلافاً لما يفهم من ظاهر تفسير بعضهم أن الضلال حقيقى . يقول البيضاوى : "... وقيل[٢] : وجدك ضالاً فى الطريق حين خرج بك أبو طالب إلى الشام أو حين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك إلى جدك فأزال ضلالك عن عمك وجدك"[٣] فالضلال على هذا المعنى بمعناه الحقيقى ، ورد هذا بأنه لا يناسب نعم الله على نبيه ــ صلى الله عليه

---

[١] المطول على التلخيص للتفتازانى ، ص ٢٦٢.

[٢] ينظر الكشاف ٢٦٤/٤ ، ٢٦٥ ، والإرشاد لأبى السعود ١٧١/٩ ، ومفاتيح الغيب ٤٧٩/٣١ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ، ٩٧/٢٠ ، وروح البيان للشيخ / إسماعيل حقى ٤٥٧/١٠.

[٣] تفسير البيضاوى : ٥٦٤/٢.

وسلم ــ المذكورة فى السورة . يقول الشهاب ــ رحمه الله ــ ومرضه : "قوله ــ أى البيضاوى ــ وقيل : وجدك ضالاً ...إلخ ، فهو بمعناه الحقيقى ومرضه؛لأن مثله بالنسبة لما قدمه لا يعد من نعم الله ــ تعالى ــ على مثل نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ التى يمتن بها عليه"(١) .

والأولى حمل الكلام على الاستعارة ، فيكون الضلال مستعمل فى غير ما وضع له ، والاستعارة تصريحية تبعية لأنها فى المشتق ، وهو فى الآية اسم فاعل ، ويكون معنى : الضلال : عدم معرفة علم الحكم والأحكام .

يقول الشهاب : "قوله (عن علم الحكم) جمع حكمة ، وهى العلوم الحقة النافعة ، فالضلال مستعار من ضل فى طريقه إذا سلك طريقاً غير موصلة لمقصده لعدم ما يوصله للعلوم النافعة، وهو ما ذكر من الوحى وما بعده "(٢).

وهذا التقديم الذكرى ، وأعنى به تقديم قوله ــ تعالى ــ (ووجدك ضالا فهدى) على قوله ــ تعالى ــ : (ووجدك عائلاً فأغنى) والغرض من هذا التقديم إظهار الإمتنان . قال الشيخ

---

(١) حاشية الشهاب ٣٧٢/٨.

(٢) حاشية الشهاب ٣٧٢/٨.

إسماعيل حقى : (قدم هذا الإمتنان على الأخير؛ لأن ابتداءه بعد زمان اليتم وقت التكليف فإنه ـ عليه السلام ـ كان موفقاً للنظر الصحيح حينئذ ، ولهذا لم يعبد صنماً قط ، ولم يأت بفاحشة"[١].

وأعنى بالتقديم الذكرى ذلك النوع من التقديم الذى لا يتغير معه المعنى قدم أو أخر[٢] .

يقول العلامة ابن الأثير : "النوع التاسع من التقديم والتأخير، وهذا باب عريض يشتمل على أسرار دقيقة ... وهو ضربان : الأول... والثانى : يختص بدرجة التقدم فى الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك ولو أخّر لما تغير المعنى"[٣].

وهذا القسم من التقديم : "لا يختص بالمفردات من الطرفين ومتعلقاتهما"[٤].

---

(١) روح البيان ١٠/٤٥٧.

(٢) مباحث علم المعانى فى ضوء تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقى ، عرض وتحليل رسالة دكتوراه للباحث ، ص ٣١٢ ، مخطوط كلية اللغة العربية بالقاهرة وأسيوط ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

(٣) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ، تحقيق ا.د/ أحمد الحوفى ، وا.د/ بدوى طبانه ٢/٢١٠ ، ط٢ ، دار نهضة مصر ، ١٩٧٣م .

(٤) البلاغة العالية(علم المعانى) للشيخ عبد المتعال الصعيدى،ص ٧٩، المطبعة السلفية ، ١٣٥٥هـ

وفى قوله ــ تعالى ــ : (ألم يجدك يتيماً فــآوى ووجــدك ضــالاً فهدى ووجدك عــائلاً فــأغنى)(١) إيجــاز بــالحذف حيــث حــذف المفعول فى ثلاثة مواضع هى : فــآوى ــ فــهدى ــ فــأغنى وهــذا مما جاء فيه حذف المفعول مشيراً إلى جملــة فوائــد .

يقول ســماحة الطــاهر ابــن عاشــور : "وحذفــت مفــاعيل : (فــآوى، فــهدى ، فــأغنى) للعلــم بــها مــن ضمــائر الخطــاب قبلــها ، وحذفــها إيجــاز ، وفيــه رعايــة علــى الفواصــل"(٢).

ومقصد آخر تــراه وراء حــذف المفعــول فــى الآيــة ، وهــو الدلالة على سعة كرمــه ــ تعــالى ــ وهــذا يعنــى : أن الحــذف لإرادة العموم يذكر ذلك الشهاب فى حاشيته وعبارتــه التــى يشــير فيها إلى ذلك هى "وقيل: إنه لم يذكــر المفعــول فيــها؛ ليــدل علــى سعة الكرم والمراد : آواك وآوى لك وبك ، وهــداك وبــك ولــك ، وأغناك وبك ولــك"(٣).

والحكمة فى ذكر هــذه النعــم "أن لا ينســى نفســه فيقــع فــى

---

(١) الضحى : ٦ –٨ .

(٢) التحرير والتنوير ٤٠٠/٣٠ ، وينظر الحذف البلاغى فى القرآن الكريم ، أ/ مصطفى عبد السلام أبو شادى ، ص ٦٠ ، مكتبة القرآن ، ١٩٩٢م .

(٣) حاشية الشهاب ، ٣٧٢/٨ ، وينظر روح المعانى ١٦٣/٣٠.

العجب"[١] وأيضاً المراد من تعديد هذه النعم ليس الامتنان بل تقوية قلبه ـ عليه السلام ـ للإطمئنان بعد التوديع"[٢]

(فأما اليتيم فلا تقهر ﴿٩﴾ وأما السائل فلا تنهر ﴿١٠﴾ وأما بنعمة ربك فحدث ﴿١١﴾)

فى الآيات بحوث :

الأول : سر مناسبتها لما قبلها :

ترتبط هذه الآيات بما قبلها إرتباطاً وثيقاً . يقول الشهيد/ سيد قطب ـ رحمه الله ـ " وبمناسبة ما ذكره ربه بإيوائه من اليتيم وهدايته من الحيرة وإغنائه من العيلة ... يوجهه ويوجه المسلمين من ورائه إلى رعاية كل يتيم ، وإلى كفاية كل سائل ، وإلى التحدث بنعمة الله الكبرى عليه ، وفى أولها : الهداية إلى هذا الدين"[٣].

الثانى : سبب النزول :

قالوا فى سبب النزول : عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لقد سألت ربى مسألة ، ووددت أنى لم أكن سألته قلت : يا رب إنه قد كانت الأنبياء قبلى منهم من سخرت له الريح ، وذكر سليمان بن داود ، ومنهم من كان

---

(١) مفاتيح الغيب : ٤٨٣/٣١.

(٢) روح البيان : ٤٥٨/١٠.

(٣) فى ظلال القرآن : ٣٩٢٧/٦.

يحيى الموتى، وذكر عيسى بن مريم، صلى الله عليه وسلم، قال : ألم أجدك يتيماً فآويتك ؟ قال : قلت : بلى ، قال : ألم أجدك ضالاً فهديتك ؟ قال : قلت : بلى يا رب ، قال : ألم أجدك عائلاً فأغنيتك ؟ . قال : قلت : بلى يا رب ، قال : ألم أشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك ؟ قال : قلت : بلى يا رب"[١] .

الثالث : لقطات لغوية :

الفاء في قوله ــ تعالى ــ : "فأما ، وفي قوله ــ تعالى ــ : (فلا) والواو في قوله ــ تعالى ــ (وأما السائل ... وأما بنعمة...) واليتيم في قوله تعالى ــ : (فأما اليتيم ...) قد مر تحقيق ذلك وبيان المراد منه فلا حاجة لإعادته[٢] .

وأما (أمّا) في قوله ــ تعالى ــ : (فأما اليتيم ... وأما السائل... وأما بنعمة ...) فقد قال أهل العلم : "أما المفتوحة الهمزة المشددة الميم كلمة فيها معنى الشرط بدليل لزوم الفاء في جوابها ، وقدرها سيبويه بمهما ، وفائدتها في الكلام أنها تكسبه فضل تأكيد"[٣].

---

[١] أسباب النزول للواحدى ، ص ٣٣٨ ، ٣٣٩.

[٢] البحث ص ٢٨٥، ٢٨٦ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧.

[٣] البرهان للزركشى ٤/٢٤٢.

وقد أشار السيوطي ــ رحمه الله ــ إلى دلالة أما بقوله : "أما بالفتح والتشديد حرف شرط وتفصيل وتوكيد ، أما كونها حرف شرط ، فبدليل لزوم الفاء بعدها ... وأما التفصيل فهو غالب أحوالها ... وأما التوكيد ، فقال الزمخشري : فائدة أمّا في الكلام تعطيه فضل توكيد ... ويفصل بين أما والفاء إما مبتدأ ... أو جملة شرط ... أو اسم منصوب بالجواب نحو : (فأما اليتيم فلا تقهر...)[١]"[٢].

والقهر : الغلبة والتذليل معاً ، ويستعمل في كل واحد منهما، قال الراغب : قوله : "فلا تقهر : أي لا تذلله ، وقال غيره : فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه"[٣].

والنهر والانتهار : الزجر بمغالظة : أي فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده رداً جميلاً"[٤].

الرابع : لطائف بلاغية :

نبهت ــ آنفاً ــ إلى معاني الحروف التي جاءت في النظم الشريف ، وهنا أنبه إلى أن "هذه هي معاني النحو لهذه الأدوات

---

(١) الضحى : ٩ .

(٢) الإتقان للسيوطي ١/٢٠٠ ، ٢٠١.

(٣) روح البيان للشيخ / إسماعيل حقي ١٠/٤٥٨ ، وينظر المفردات للراغب ٤٢٩.

(٤) روح البيان ١٠/٤٥٨ ، وينظر حاشية الجمل ٤/٥٥٣.

الروابط ، وبلاغتها فى الكلام راجعة إلى توخى هذه المعاني ، وحسن تنزيلها على حسب الأغراض والمقاصد المؤمة : أى التى يؤمها المتكلم ويتجه إليها ، والاجتهاد فى كشف ملائمات هذه الروابط لأغراضها التى سيقت إليها تجلية لجوانب دقيقة فى بلاغة الكلام ، واتقان بنيته ، وإحكام عقده"(١).

فى قوله ــ تعالى ــ : (فأما اليتيم فلا تقهر) اجتمعت الفاء الفصيحة وأمّا وفاء السببية ، وفى اجتماع هذه الحروف دقائق ولطائف ، وفيه من الحسن والمزية ما ليس لواحدة على حدها ، وللإفصاح عما فى اجتماع هذه الحروف من الحسن والمزية ، نقول : "الفاء فى قوله ــ تعالى ــ : (فأما اليتيم) فصيحة تفصح عن محذوف ، وهذا المحذوف جملة ، ولا يخفى ما فى الحذف من الإيجاز والاختصار ، وقد دل على المحذوف (أما) "وإما تفيد شرطاً مقدراً تقديره : مهما يكن من شئ ، فكان مفادها مشعراً بشرط آخر مقدر هو الذى اجتليت من أجله الفاء الفصيحة ، وتقدير نظم الكلام: إذا كنت تعلم ذلك وأقررت به فعليك بشكر ربك ، ويبين له الشكر بقوله : (فأما اليتيم فلا

---

(١) دلالات التراكيب ، ا.د/ محمد أبو موسى ، ص ٣٦٥ ، ٣٦٦.

تقهر) إلـخ[١] ..."[٢].

وصدر الكلام بأما التفصيلية؛ لأنه تفصيل لمجمل الشكر على النعمة"[٣]. والفاء في قوله ـ تعالى ـ : (فلا تقهر) سببية . يقول الشيخ إسماعيل حقي ـ رحمه الله : "والفاء سببية ليس بمانعة . قال الرضي : يتقدم المفعول به على الفعل إن كان المنصوب معمولاً لما يلي الفاء التي في جواب أما إذا لم يكن له منصوب سواه نحو قوله : (فأما اليتيم فلا تقهر)؛ لأنه لابد من نائب مناب الشرط المحذوف بعد أما"[٤] .

وقد عد ابن رشيق الإصابة في مواقع الفاء أدخل في صنعة المطبوعين من الإصابة في التجنيس والطباق ، وأن الأول أشبه بجزالة الفطرة وصحة الطبع ... والعرب الخلص لم ينظروا في أعطاف كلامهم ليجانسوا أو يطابقوا ، ولكن ليبسطوا معانيه ، ويتقنوا بنيته ويحكموا عروته"[٥].

---

(١) الضحى : ٩ ــ ١١.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور : ٤٠١/٣٠.

(٣) المرجع السابق : ٤٠١/٣٠ .

(٤) روح البيان للشيخ /إسماعيل حقي : ٤٥٨/١٠.

(٥) دلالات التراكيب ، ص ٣٦٦ ، وينظر : العمدة في محاسب الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق ، تحقيق الشيخ / محمد محي الدين عبد الحميد ، ١٢٩/١ ، ط٤ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٢م.

والتقديم في قوله ـ تعالى ـ : (فأما اليتيم...) من تقديم المفعول على الفعل لمراعاة الفاصلة : أي للمحافظة على رؤوس الآي .

يقول ابن الأثير : "وإنما قدم المفعول لمكان حسن النظم السجعي"[1] الذى هو على حرف الراء وكون التقديم لمراعاة الفاصلة لا يأباه النظم الشريف "ولكن هذا القول قد رفضه كثير من البلاغيين لأنه علة ـ كما يقولون ـ لفظية لا ينبغي أن تكون مقصداً فى الأسلوب القرآني الذى بنى على مراعاة المعانى لا الألفاظ"[2].

وقد أدرك أئمة التفسير أن الأسلوب القرآني "حين يراعى الفاصلة ويبقى على تنغيمها إنما يحفظ وسيلة من أقوى وسائله فى التأثير ؛ لأن رنين الكلمات وجرسها وتوافق إيقاعاتها لغة تتغلغل فى النفس والضمير وتسمو بالروح إلى آفاق قدسية فتأخذها نشوة يحسها من يرتل هذه الآيات ... ترتيلاً يتهدج فيه صوته ويتماوج مع ألحانها ثم ينتهى إلى هذه الفواصل ، فيجد عندها القرار"[3]. لذا نجد أئمة التفسير يضيفون إلى المحافظة

---

(1) المثل السائر لابن الأثير ، ٢/٢١٤.

(2) خصائص التراكيب ، ا.د/ محمد أبو موسى ، ص ٢٨٧.

(3) خصائص التراكيب ، ا.د/ محمد أبو موسى ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨.

على رؤوس الآى غرضاً آخر يرجع إلى المعانى "يقوى به الأداء اللفظى دون أن يكون الزخرف الشكلى هو الأصل"[١].

لذا نجدهم يذكرون فى الآية غرضاً آخر للتقديم هو الاهتمام والعناية بالمقدم.

يقول سماحة الطاهر بن عاشور : "واليتيم مفعول لفعل (فلا تقهر) وقدم للاهتمام بشأنه ولهذا القصد لم يؤت به مرفوعاً ، وقد حصل مع ذلك الوفاء باستعمال جواب (أما) أن يكون مفصولاً عن (أما) بشئ كراهية موالاة فاء الجواب لحرف الشرط.

ويظهر أنهم ما ألتزموا الفصل بين (أما) وجوابها بتقديم شئ من علائق الجواب إلا لإرادة الاهتمام بالمقدم ، لأن موقع (أما) لا يخلو عن اهتمام بالكلام اهتماماً يرتكز فى بعض أجزاء الكلام ، فاجتلاب (أما) فى الكلام أثر للاهتمام ، وهو يقتضى أن مثار الاهتمام بعض متعلقات الجملة ، فذلك هو الذى يعتنون بتقديمه"[٢].

وهذا الذى ذكرناه فى قوله ـ تعالى : (فأما اليتيم فلا تقهر)

---

[١] خصائص التراكيب ، ا.د/ محمد أبو موسى ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨.

[٢] التحرير والتنوير : ٤٠١/٣٠.

من حيث دلالة ـ أما وتقديم المفعول وفاء السببية يجرى في قوله ـ تعالى ـ (وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث) والله أعلى وأعلم .

"والتعريف في السائل تعريف الجنس ، فيعم كل سائل : أي عما يسأل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن مثله"(١).

والآية يبينة لجميع الخلق ، لأن كل واحد من الناس كان فقيراً في الأصل فإذا أنعم الله عليه وجب أن يعرف حق الفقراء. قال إبراهيم بن أدهم : "القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة"(٢).

ومن الدقائق البلاغية في الآيات ذلك التقديم الذكرى ـ وقد مر بيان معناه(٣) ـ وأعني به تقديم قوله ـ تعالى ـ : (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر) على قوله ـ تعالى ـ : (وأما بنعمة ربك فحدث) حيث لم يراع فيه تقديم حق الله ـ تعالى ـ على حق العبد ، وإنما قدم حق العبد على حق الله ـ تعالى ـ لمعان لطيفة يهدى إليها السياق ، والسياق له أثر فاعل

---

(١) التحرير والتنوير : ٣٠/٤٠٣.

(٢) روح البيان : ١٠/٤٥٨، ٤٥٩.

(٣) البحث ص ٣٠٩، ٣١٠.

في تحديد الدلالات . وقد ذكروا من أسرار هذا التقديم : أنه سبحانه وتعالى ـ غني عن العالمين أو لتقديم التخلية على التحلية ، أو للترقي ـ من الأدنى إلى الأعلى ـ أو لمراعاة الفواصل ، والنظم الشريف يوحي بجل هذه التوجيهات . يقول الألوسي ـ رحمه الله : "لم يراع الترتيب لتقديم حقوق العباد على حقه عز وجل ـ فإنه سبحانه وتعالى ـ غني عن العالمين، وقيل لتقديم التخلية على التحلية ، أو للترقي ، أو لمراعاة الفواصل ، ونظر في كل ذلك"[١] .

ولا يمكننا أن ندع قول الألوسي ـ رحمه الله ـ "ونظر في كل ذلك " ولذا قلنا بجل ، ولم نقل بكل ، لأن رعاية المحافظة على الفاصلة هنا ـ تتحقق من غير مراعاة هذا التقديم الذكرى، والله أعلى وأعلم .

والنهي في قوله ـ تعالى ـ : (فلا تقهر ... فلا تنهر) والأمر في قوله ـ تعالى ـ : (فحدث) للوجوب ، وهو خطاب للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والحكم عام له ولأمته . قال القرطبي : "الخطاب للنبي والحكم عام له ولغيره"[٢].

---

[١] روح المعاني : ١٦٥/٣٠.

[٢] تفسير القرطبي : ١٠٢/٢٠.

ولا يخفى لطف وجمال وحسن الفاصلة فـــي قولـــه ــ تعـــالى ــ (تقهر ــ تنهر) وهـــو مـــا نبـــه إليـــه السـيوطى ــ رحمـــه الله ــ وعـــده مـــن زياداتـــه بعـــد أن قسـم الفاصلـــة إلـــى : مطـــرف ، ومتوازى، ومرصـــع ، ومتـــوازن . قـــال "بقـــى نوعـــان بديعيـــان متعلقان بـــالفواصل :

الأول : التشريع ...والثانى : الاستلزام وعد مـــن أسـمائه الالـــتزام والإعنات وهو أن يلـــتزم فـــى الشـــعر والنـــثر حرفـــاً أو حرفيـــن فصاعداً قبل الرومى بشرط عـــدم الكلفـــة مثـــال الـــتزام حـــرف : (فأما اليتيم فلا تقهر وأما الســـائل فـــلا تنـــهر) الـــتزم الـــهاء قبـــل الـــراء"[١].

ومما يزيد جمال وحســـن هـــذه الفاصلـــة كمـــا يقـــول العلـــوى اليمنى : "أن تكونا متساويتين فـــى أنفســـهما مـــن غـــير زيـــادة ولا نقصـــان ، وهـــذا كقولـــه ــ تعـــالى ــ : "... وقولـــه ــ تعـــالى ــ (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فـــلا تنـــهر)[٢] ..."[٣] .

---

[١] شرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان للسيوطى ، ص ١٥٤ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البـابى الحلبى وأولاده بمصر ، ١٣٥٨ هـ ـــ ١٩٣٩م ، وينظر الإتقان فى علوم القـــرآن للســيوطى ١٣٣/٢ ، وينظر التحبير فى علم التفسير له ، ص ٣٠٤.

[٢] الضحى : ٩، ١٠.

[٣] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوى ، ٣٥٤/٣،دار الكتب العلمية ،=

والعسكرى يرى : "أن فى القــرآن سـجعاً لكنــه علــى درجــة عالية من البداعة والروعة التى يفــوق بــها سـجع البشــر ، فــهو مؤنس للنفس وممتع للسمع مع تجليــة وخدمــة للمعنــى ، وأنــه لا نهى عن سجع إلا إذا كان متكلفــاً ثقيــلاً"[١] .

يقــول : "لا يحســن منثــور الكــلام، ولا يحلــو حتــى يكــون مزدوجاً، ولا تكاد تجد لبليــغ كلامــاً يخلــو مــن الازدواج ، ولــو استغنى كلام عن الإزدواج لكان القرآن ؛ لأنــه فــى نظمــه خــارج من كلام الخلق ، وقد كثر الازدواج فيه حتــى حصــل فــى أوســاط الآيات فضلاً عما تزاوج فى الفواصــل منــه ... وأمــا مــا زووج بينه بالفواصل فهو كثير"[٢] وذكر منــه الآيتيــن".

وترى دقة النظم الشــريف إذا تــأملت قولــه ـ تعــالى ـ (ألــم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عــائلاً فــأغنى فأمــا اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمــة ربــك فحــدث"[٣]،

=بيروت، بدون .

[١] دراسات وتطبيقات فى علم البديع ، ا.د/ يحي محمد يحي: ٢٣٧ ، ط ١ ، مطبعــة الأمانــة ، ١٤١١هـــ ـ ١٩٩٠م.

[٢] كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى ، تحقيق على محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم: ٢٦٠، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٦هـــ ـ ١٩٨٦م .

[٣] الضحى : ٦ــ١١.

وقد تقدم جملة من هذه المعانى فأغنى عن إعادته ـ هنا[١] ـ ومن هذه المعانى اللطيفة : اللف والنشر ، وبعد مراجعة ما تيسر لنا مما ذكره أئمة التفسير المحدثون والقدماء فى توجيه اللف والنشر فى الآيات الكريمة نجد أن أنظار المفسرين تختلف فى تحديد صورة هذا اللون البديعى الرائق البديع ، فالتفصيل قد يكون على طريقة اللف والنشر المشوش أو المرتب ، وهذا إنما يتوقف على بيان معنى السائل فى قوله ـ تعالى ـ : (وأما السائل فلا تنهر)[٢] ، فإن كان المراد بالسائل سائل المعروف المستجدى يكون هذا التفصيل على طريقة اللف والنشر المشوش ، فيكون الأول من النشر وهو قوله ـ تعالى ـ (فأما اليتيم فلا تقهر) للأول من اللف ، هو قوله ـ تعالى ـ (ألم يجدك يتيماً فآوى) ويكون الثانى من النشر ، وهو قوله ـ تعالى ـ : (وأما السائل فلا تنهر) للثالث من اللف وهو قوله ـ تعالى ـ (ووجدك عائلاً فأغنى) ، والثالث من النشر وهو قوله ـ تعالى ـ : "وأما بنعمة ربك فحدث" للثانى من اللف ، وهو قوله ـ تعالى ـ : "ووجدك ضالاً فهدى" . يقول الآلوسى ـ رحمه الله ـ بعد أن فسر الآيات وبين ما فيها من در المعانى

---

[١] البحث ص ٢٩٥ وما بعدها .

[٢] الضحى : ٩ ، ١٠ .

وغرر البلاغة : "وهذه الجمل الثلاث مرتبة على ما قبلها ، فقيل : على اللف والنشر المشوش ، وحاصل المعنى : أنك كنت يتيماً وضالاً وعائلاً فآواك وهداك وأغناك ، فمهما يكن من شئ ، فلا تنس نعمة الله ــ تعالى ــ عليك فى هذه الثلاث ، واقتد بالله ــ تعالى ــ فتعطف على اليتيم وترحم على السائل فقد ذقت اليتم والفقر ، وقوله ــ تعالى ــ : "وأما بنعمة ربك...) إلخ فى مقابلة قوله ــ سبحانه : (ووجدك ضالاً فهدى) لعمومه وشموله لهدايته ــ عليه الصلاة والسلام ــ من الضلال بتعليم الشرائع وغير ذلك من النعم"[١].

وإن كان المراد بالسائل فى الآية الشريفة طالب العلم لا المستجد يكون التفصيل على طريقة اللف والنشر المرتب ، فيكون الترتيب فى قوله ــ تعالى : (ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى) يماثل الترتيب فى قوله ــ تعالى ــ (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر ، وأما بنعمة فحدث) ، وعلى هذا يكون الأول من النشر للأول من اللف والثانى من النشر للثانى من اللف والثالث من النشر للثالث من اللف .

---

[١] روح المعانى للألوسى : ١٦٤/٣٠ ، ١٦٥ ، وينظر حاشية الشهاب : ٣٧٣/٨، وحاشية الجمل ٥٥٤/٤.

قال الطيبي : "الظاهر أن المراد بالسائل طالب العلم لا المستجد ، وعليه لا مانع من كون التفصيل على الترتيب ، فيقال : إنه ــ تعالى ــ ذكر أحواله ــ صلى الله ــ تعالى ــ عليه وسلم ــ على وفق الترتيب الخارجي بأن يراد بهدايته ــ عليه الصلاة والسلام ــ ما يعم توفيقه للنظر الصحيح في صباه، فقد كان ــ صلى الله ــ تعالى ــ عليه وسلم ــ موفقاً لذلك ، ولذا لم يعبد ــ عليه الصلاة والسلام ــ صنماً ، أو يراد بإغنائه ما كان بعد البعثة ، ثم فصل ــ سبحانه ــ ذلك على الترتيب ، فجعل عدم قهر اليتيم في مقابلة إيوائه ــ تعالى ــ له ــ عليه الصلاة والسلام ــ في يتمه وعدم زجر السائل طالب العلم المتعلم منه في مقابلة هدايته له ، والتحدث بالنعمة في مقابلة الغنى وإن كانت النعمة شاملة له ولغيره"[١]. وهذا كلام من رسخت قدمه في فهم كلام العرب . ولسماحة الطاهر ابن عاشور في هذه الآيات بحث جيد وتوجيه حسن وهو وإن كان لا يخالف من سبقه من المفسرين في توجيه اللف والنشر في الآيات الكريمة على طريقة اللف والنشر المرتب أو المشوش إلا أنه يصرح وينص على رد كل نشر إلى لغة في الآيات . يقول : "وقد قوبلت النعم الثلاث المتفرع عليها هذا التفصيل

---

[١] المراجع السابقة والصفحات نفسها .

بثلاثة أعمال تقابلها ، فيجوز أن يكون هذا التفصيل على طريقة اللف والنشر المرتب ، وذلك ما درج عليه الطيبي ، ويجري على تفسير سفيان بن عيينة (السائل) بالسائل عن الدين والهدى[١]، فقوله : (فأما اليتيم فلا تقهر) مقابل لقوله : (ألم يجدك يتيماً فآوى) لا محالة ، أي فكما آواك ربك وحفظك من عوارض النقص المعتاد لليتم ، فكن أنت مكرماً للأيتام رفيقاً بهم ، فجمع ذلك في النهي عن قهره ... وقوله (وأما السائل فلا تنهر) مقابل قوله (ووجدك ضالاً فهدى) ... والتعريف في (السائل) تعريف الجنس ، فيعم كل سائل أي عما يسأل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن مثله ، ويكون النشر على ترتيب اللف ، فإن فسر (السائل) بسائل المعروف كان مقابل قوله : (ووجدك عائلاً فأغنى) وكان من النشر المشوش ، أي المخالف لترتيب اللف ... "فإن جعل قوله : (وأما السائل فلا تنهر) مقابل قوله: (ووجدك عائلاً فأغنى) على طريقة اللف والنشر المشوش كان قوله : (وأما بنعمة ربك فحدث) مقابل قوله : (ووجدك ضالاً فهدى) على طريقة اللف والنشر المشوش أيضاً ، وكان المراد بنعمة ربه : نعمة الهداية إلى الدين الحق"[٢].

---

(١) تفسير القرطبي : ١٠١/٢٠ .

(٢) التحرير والتنوير لسماحة الطاهر بن عاشور ٤٠١/٣٠: ٤٠٣ بتصرف .

هذا ما ذكره بعض أئمة التفسير في الآيات ، وهو لا يخرج عن كلام أئمة البلاغة في مصطلح اللف والنشر ، فالسكاكي ـ رحمه الله ـ يقول : " ... أن تلف بين شيئين في الذكر ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كلا منهما إلى ما هو له"[١].

وبدر الدين بن مالك يذيل تعريفه بتقسيم اللف والنشر إلى مرتب أو غير مرتب ، فهو عنده : "أن تلف شيئين في الذكر أو أكثر ثم يتبعهما متعلقات بهما إما على الترتيب في اللف ... وإما على العكس..."[٢].

وقد أفاض شراح التلخيص في بيان أقسامه وشواهده وقالوا: (اللف والنشر ، وهو ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من آحاد هذا المتعدد من غير تعيين ... ثقة بأن السامع يرده إليه ... فالأول : وهو أن يكون ذكر المتعدد على التفصيل : ضربان : لأن النشر إما على ترتيب اللف بأن

---

[١] مفتاح العلوم للسكاكي ، ص ٢٠٠ ط(١) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م .

[٢] المصباح في المعاني والبيان والبديع لبدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم ، تحقيق ، د/ حسني عبد الجليل يوسف ، ص ٢٤٦، ط١ ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

يكون اللف من المتعدد فى النشر للأول من المتعدد فى اللف ، والثانى للثانى وهكذا إلى الآخر ... وإما على غير ترتيبه : أى ترتيب اللف سواء كان معكوس الترتيب ... أو مختلطاً ... والثانى وهو : أن يكون ذكر المتعدد على الإجمال..."[١].

والنظم الشريف آثر فحدث على فخبِّر فى قوله ـ تعالى ـ: " وأما بنعمة ربك فحدث"[٢] ليكون ذكر النعمة منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ حديثاً لا ينساه ويوجده ساعة غب ساعة"[٣].

وتأمل رهافة السياق فى قوله ـ تعالى ـ : (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث)[٤] ولماذا خالف نسق الفواصل فى آخر آية ؟ والجواب : أن مخالفة نسق الفواصل إنما كان "لأمر تقتضيه حساسية معنوية بالغة الدقة فى اللطف والإيناس ، هى أن حديثه بنعمة ربه ينبغى أن يكون خافتاً فى نبرته وفى الفرط بعد الفرط حتى لا يذهب به هذا الحديث مذاهب الغرور أو الرياء ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإن كان معصوماً من هذا فإن أمته من ورائه فى

---

[١] ينظر شروح التلخيص على ترتيبها ، ٣٢٩/٤ ، وما بعدها .

[٢] الضحى آية ١١.

[٣] روح المعانى للألوسى : ١٦٤/٣٠.

[٤] الضحى : الآيات ٩ ـ ١١.

كل خطاب إلا ما كان مختصاً بـه ، وهـذا ليس واحـداً منـها : أقول : إن الحديث بالنعمـة جـاء مخالفـاً لنسق الفواصـل فـي السورة لتشير هذه المخالفة إلـى أنـه ليس علـى سجية السـياق الدافق والناهى نهياً وجدانياً متصلاً عن قهر اليتيـم وقـهر السـائل، وإنما هو أمر بإذاعـة النعمـة مشـروط بشـروط نكرهـا علمـاء الملة[١] ، وأساسها أن يكون مقصده بـالحديث عـن النعمـة اللطـف وأن يقتدى به غـيره ، وأمـن علـى نفسـه الفتنـة مـن الغـرور والرياء، أما النهى عـن قـهر اليتيـم وقـهر السـائل فذلـك مـن المعانى التى تستثار لها النفوس حتـى تنفعـل بـها انفعـال طاعـة وانقيـاد"[٢].

وتنتهى هذه السورة ، وسورة الشرح وقـد تركـت فـى النفـس شعورين ممتزجين : الشعور بعظمة الـود الحبيـب الجليـل الـذى ينسم على روح الرسول ـ صلـى الله عليـه وسـلم ـ مـن ربـه الودود الرحيم ، والشـعور بـالعطف علـى شـخصه ـ صلـى الله عليه وسلم ـ ونحن نكاد نلمس ما كان يسـاور قلبـه الكريـم فـى هذه الآونة التى اقتضت ذلك الـود الجميـل"[٣].

---

[١] مفاتيح الغيب : ٤٨٦/٣١.

[٢] خصائص التراكيب ، أ.د/ محمد أبو موسى ، ص ٢٨٩، ٢٩٠.

[٣] في ظلال القرآن : ٣٩٣٠/٦ ، ٣٩٣١.

وسورة الضحى وسورة الانشراح درتان يتيمتـــان غاليتـان لمـا فيهما من الحكم والمعـــارف[١].

هذا ما هدانا إليه المولـــى ــ عــز وجـل ــ فــى هــذا العمـل منبهين إلى أننا لم نستقص كـــل الأســرار البلاغيــة فــى الســورة الكريمة ، ولست فى حاجة إلى أن أنبــه إلــى أن بلاغــة القــرآن لا تنضب ، وإلى أن الكشف عن أسراره ومعانيــه ممــا لا يحيـط بــه العقـل ، فــإن القــرآن العظيـم لا ينضــب معينــه ، ولا تنقضــى عجائبه.

تم بعون الله ــ تعالى ، ونسأل الله ــ تعـــالى ــ أن يجعـل كـل ما نأتيه ونقصده وننتخبــه لوجهــه خالصــاً وإلــى رضــاه ــ عــز وجل ــ مؤدياً ، ولثوابــه مقتضيــاً وللزلفــى عنــده موجبــاً بمنــه وفضله ورحمتــه.

والحمد لله وحده ، وصلواته على ســيدنا محمــد وآلــه وصحبــه وسلامه وهو حسبنا ونعم الوكيـــل.!!

د. عبد الحافظ محمد عبد الحافظ حامد

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

كلية اللغة العربية بأسيوط

جامعة الأزهر الشريف

---

[١] روح البيان ، ١٠/٤٥٩، ٤٦٠.

ثبت بأهم مراجع البحث

١ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، ط٤ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

٣ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود العمادي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان .

٤ـ أسباب النزول للسيوطي ، تحقيق الأستاذ/ قرني أبو عميرة ، مكتبة نصير ، بدون .

٥ـ أسباب النزول للواحدي النيسابوري ، مكتبة المتنبي ، بدون .

٦ـ أسرار ترتيب القرآن للسيوطي ، تحقيق / عبد القادر أحمد عطا ، ط٢ ، دار الاعتصام ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

٧ـ الإسناد أحواله ومقاماته ، دراسة تحليلية ، ا.د/ عبد الحافظ محمد عبد الحافظ حمد ، ط١ ، مطبعة الأمانة ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

٨ـ الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز للعز بن عبد السلام ، دار الحديث ، القاهرة ، بدون .

٩ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي البيضاوي ، ط٢ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢م .

١٠ ـ أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم للمرحوم ا.د/ عبد الله محمود شحاته ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩م .

١١ـ الإيضاح للخطيب القزويني ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

١٢ـ الإيضاح للخطيب القزويني ، تحقيق ا.د/ محمد عبد المنعم خفاجي ، ط ثانية ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٨٤م .

١٣ـ البحر المحيط لأبي حيان ، طبعة ثانية ، دار الفكر ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

١٤ـ البرهان في علوم القرآن للزركشي ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث بالقاهرة ، بدون .

١٥- البلاغة العالية (علم المعانى) للشيخ/ عبد المتعال الصعيدى ، المطبعة السلفية ، ١٣٥٥هـ .
١٦- التحبير فى علم التفسير للسيوطى ، تحقيق أ.د/ فتحى عبد القادر فريد ، دار المنار ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
١٧- التحرير والتنوير لسماحة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م .
١٨ - التصوير الفنى فى القرآن للشهيد ، سيد قطب ، ط١٠ ، دار المعارف ، ١٩٨٦م .
١٩- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، مكتبة دار التراث ، بدون .
٢٠- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروزيادى ، ط٢ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م .
٢١- الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله القرطبى ، ط ١ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م.
٢٢- حاشية الشهاب على البيضاوى ، دار صادر بيروت ، بدون .
٢٣- الحذف البلاغى فى القرآن الكريم ، للمرحوم أ/ مصطفى عبد السلام أبو شادى ، مكتبة القرآن ، ١٩٩٢م .
٢٤- خصائص التراكيب ، دراسة تحليلية لمسائل علم المعانى ، أ.د/ محمد أبو موسى ، ط ٢ ، مكتبه وهبه ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٢٥- الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى ، تحقيق الشيخ على محمد معوض وآخرون ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
٢٦- دراسات وتطبيقات فى علم البديع ، أ.د/ يحيى محمد يحيى ، ط١ ، مطبعة الأمانة ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
٢٧- دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجانى ، تحقيق ، محمود محمد شاكر ، ط٢ ، مطبعة المدنى ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .
٢٨- دلالات التراكيب ، دراسة بلاغية ، ا.د/ محمد أبو موسى ، ط١ ، مكتبة وهبة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
٢٩- روح البيان فى تفسير القرآن للشيخ / إسماعيل حقى البروسوى ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بدون .
٣٠- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للآلوسى ، ط٤، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣١ـ سنن الترمذى ، تحقيق الأستاذ/ إبراهيم عطوة ، ط٢ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

٣٢ـ شرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان للسيوطى ، مطبعة ومكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م.

٣٣ـ صحيح البخارى بحاشية السندى ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، بدون .

٣٤ـ الصناعتين لأبى هلال العسكرى ، تحقيق على محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

٣٥ـ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوى اليمنى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون .

٣٦ـ عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح للسبكى ، ضمن شروح التلخيص ، طبع دار السرور ، بيروت ، لبنان ، بدون .

٣٧ـ العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق ، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٢م.

٣٨ـ الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للجمل ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وأولاده .

٣٩ـ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن لابن قيم الجوزية ، مكتبة المتنبى ، القاهرة ، بدون .

٤٠ـ فى ظلال القرآن للشهيد/ سيد قطب ، ط ١٠ ، دار الشروق ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

٤١ـ القاموس للفيروزآبادى ، دار الجيل، بيروت ،بدون .

٤٢ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .

٤٣ـ مباحث علم المعانى فى ضوء تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقى البروسوى ، عرض وتحليل ، ا.د/ عبد الحافظ محمد عبد الحافظ حمد، رسالة دكتوراه مخطوط كلية اللغة العربية ، القاهرة وأسيوط ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

٤٤ـ المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ، تحقيق د/ أحمد الحوفى ، د. بدوى طبانة ، ط٢ ، دار نهضة مصر ، ١٩٧٣م .

٤٥ـ مختار الصحاح للرازى ، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٩م.

٤٦. مختصر المعاني في علوم البلاغة لسعد الدين التفتازاني ، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، بدون.

٤٧. المصباح في المعاني والبيان والبديع لبدر الدين بن مالك المعروف بابن الناظم ، تحقيق د/ حسني عبد الجليل يوسف ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٤٨. المصباح المنير للرافعي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون .

٤٩. المطول على التلخيص لسعد الدين التفتازاني ، مطبعة أحمد كامل ، ١٣٣١هـ .

٥٠. المعجم الوجيز ، طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٩٢/١٩٩٣م .

٥١. مفاتيح الغيب (المعروف بالتفسير الكبير) للفخر الرازي ، ط١ ، دار الغد العربي ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٥٢. مفتاح العلوم للسكاكي ، ط١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .

٥٣. المفردات في غريب القرآن للراغب ، تحقيق/ محمد سيد كيلاني ، طبعة أخيرة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

٥٤. مقدمة تفسير ابن النقيب، طبعة الخانجي .

٥٥. مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي ضمن الشروح ، ط١ ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، ١٣١٧هـ .

٥٦. الناسخ والمنسوخ للواحدي بهامش أسباب النزول له ، مكتبة المتنبي ، بدون .

في رحاب الإعراب القرآني

للأستاذ الدكتور

علي أحمد طلب

أستاذ اللغويات المتفرغ في

كلية اللغة العربية بأسيوط

وعضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية أساتذة اللغويات

في رحاب الإعراب القرآني

للأستاذ الدكتور
علي أحمد طلب
أستاذ اللغويات المتفرغ في
كلية اللغة العربية بأسيوط
وعضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية أساتذة اللغويات

أولا : في التوابع :

١ ـ النعت :

النعت هو أحد التوابع الأربعة التي تشارك ما قبلها في الإعراب لفظا أو محلا ، وهو من حيث الدلالة حقيقي مثل قرأت الكتاب المفيد ، أو سببي مثل قرأت كتابا منظمةً أبوابُه ، وصادقت رجلا كريما أصلُه ،

ومن حيث اللفظ مفرد مثل جاورت رجلا صالحا ، والمفرد أما مشتق كهذا المثال : فهمت الدرس المشروح ، وهذا رجل صبور ، وشربت ماء عذبا .

أو مؤول بالمشتق مثل : صديقي هذا مخلص ، وسورة البقرة سورة مدنية ، وأحمد رجل ذو مروءة .

أو جملة فعلية مثل : شاهدت رجلا يصلي ، وهذا طالب ذاكر درسه .

أو جملة اسمية مثل: أكلت فاكهةً طعمُها لذيذ .

أو شبه جملة وهو ظرف مثل : غرد عصفور فوق الشجرة.

أو جاء مجرور مثل : هذا رجل من الكرام .

ويجوز حذف المنعوت بالجملة وشبهها ـ قياسا ـ بشرط أن يكون بعض اسم سابق مجرور بـ (مِنْ) كقولهم : "منّا ظعَن، ومنّا أقام" ، وكقوله تعالى : (وما منا إلا له مقام معلوم)[١] ، أو مجرور بـ (فى) مثل : فى الناس دونَ ذلك .

ويتعجب دارس النحو إذ يجد كل هذه الأنواع والأحكام قد اجتمعت شواهدها القرآنية فى آية واحدة من طوال الآيات القرآنية ، فى الآية الخامسة عشرة من سورة ، محمد صلى الله عليه وسلم أو سورة القتال :

(مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنها من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) .

وَلْنَبدَأْ بإعراب الآية الكريمة إعرابا تفصيليا ، ثم نبين ما

---

[١] سورة الصافات ، ١٦٤ .

فيها من أحوال النعت وأحكامـــه .

الإعـــراب :

(مثل الجنة التى وعد المتقـــون) :

مثل : مبتـدأ .

الجنة : مضاف إليـــه[1] .

التى : نعت للجنة مبنى على السكون فى محـــل جـر .

وُعِد : فعل ماضى مبنى للمجـــهول .

المتقون : نائب فاعل مرفوع بـــالواو .

وجملـــة (وعـــد المتقـــون) : لا محـــل لـــها مـــن الإعـــراب صلـــة الموصول ، والعائد محذوف تقديـــره "وُعِدَهـــا" .

وفى خَبر المبتدأ عـــدة آراء :

أ ـ قيل : محذوف تقديره مما يتلـــى عليكـــم مثـــل الجنـــة ، وهـــذا توجيه ســـيبويه[2] .

ب ـ وقيـــل : تقديـــره جنـــة فيـــها أنـــــهار ، وهـــــذا مذهــــب الزجـــلجى[3].

---

[1] انظر التبيان ١١٦١/٢ ، وقيل المثل زائد فتكون الجنة فى موضع مبتدأ ، وانظر الـــدر المصـــون للسمين الحلبى ، ٦٩/٩ .

[2] انظر إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ١٧١/٣ ، الدر اللقيط ٦٩٠/٩ .

[3] انظر معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٩/٥ .

جـ ـ وقيل : الجملة الأسمية "فيــــها أنـــهار"[١] .

د ـ وقيل : "كمن هو خالد فى النار" والكاف اســـم بمعنــــى مثــل ، أى مِثْلُ هؤلاء فــى الخـــير كمثـــل هــؤلاء فـــى الشـــر ، أى هؤلاء كهؤلاء ، وهذا تخريـــج الكســـائى[٢] .

ووافق الزمخشرىُّ الكسائىَّ فى أن خبر المبتـــدأ هــو كمـــن هـــو خالد فى النار ، ولكنه جعل الكلام علـــــى تقديـــر همـــزة الإســـتفهام فقال :

فإن قلت : مـــا معنـــى (مثـــل الجنـــة التـــى وعـــد المتقـــون فيـــها أنهار ، ... (كمن هو خالد فى النـــــار) ؟

قلت : هو كلام فـــى صــــورة الإثبـــات ومعنـــى النفـــى والإنكـــار ، لإنطوائه تحت حكم كلام مصدر بحــــرف الإنكـــار ، ودخولـــه فـــى حيزه ، وإنخراطه فى سلكه ، وهـــــو قولـــه تعـــالى : (أفمـــن كـــان على بينة من ربه كمن زين له سوء عملــــه) ، فكأنـــه قيـــل : أمثـــل الجنة كمن هو خالد فى النار ؟ أى كمثل جزاء مـــن هـــو خـــالد فـــى النـــار؟

فإن قلت : فلم عُرِّىَ من حرف الإنكار ؟ ومـــا فـــائدة التعريـــة ؟ .

---

[١] انظر التبيان ١١٦١/٢ ، والدر المصون ٦٩١/٩ .

[٢] انظر إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ١٧٢/٣ .

قلت : تعريته من حرف الإنكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين المتمسك بدينه والتابع لهواه ، وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التى تجرى فيها تلك الأنهار وبين النار التى يُسْقَى أهلُها الجحيم[١] .

(فيها أنهار من ماء غير آسن) :

فيها : جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم .

أنهار : مبتدأ مؤخر .

من ماء : جار ومجرور متعلق بمحذوف نعت لأنهار .

غير : نعت لـ (ماء) وهو مضاف .

آسن : مضاف إليه .

والجملة الأسمية (فيها أنهار) : تحتمل أن تكون خبر المبتدأ فهى فى محل رفع ، وأن تكون نعتا للخبر المحذوف ، والتقدير جنة فيها أنهار فتكون فى محل رفع أيضا ، وأن تكون مستأنفة فلا يكون لها محل من الإعراب .

(وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) :

الواو : عاطفة .

أنهار : تحتمل أن تكون معطوفة على (أنهار) الأولى ، فيكون

---

[١] الكشاف ٥٣٣/٣ ، وانظر الدر المصون ، ٦٩١/٩ .

الكلام من عطـــف المفــردات ، ويحتمـــل أن تكـــون مبتـــدأ خــبره محذوف تقديره (وفيها أنهار) فيكون الكلام مـــن عطـــف الجمـــل .

من لبن : نعت شبه جملـــة .

لم يتغير طعمه : الجملة الفعلية المنفية فـــى محـــل جـــر نعـــت لـــ (لبن).

(وأنهار من خمر لذة للشـــاربين) :

أنهار : كإعراب أنهار الثانيـــة .

من خمر : نعت أنـــهار .

لـــذة : نعت لخمر مجـــرور .

للشاربين : جار ومجرور متعلق بـــ "لـــذة" لأنـــه وصـــف مشـــتق ، أو بمحذوف نعت لـــه .

(وأنهار من عسل مصفـــى) :

أنهار : كإعراب الثانية والثالثـــة .

من عسل : نعت شبه جملـــة .

مصفى : نعت مجرور علامة جره كسرة مقـــدرة للتعـــذر .

(ولهم فيها من كل الثمـــرات) :

الواو : عاطفـــة .

لهم : جار ومجرور متعلق بمحذوف خـــبر مقـــدم .

فيها : جار ومجرور متعلق بمحذوف حال مـــن ضمـــير الاســـتقرار

المحذوف ، أو متعلق بما تعلق به لــــهم .

ومن كــل الثمـرات : جـار ومجـرور متعلـق بمحـذوف نعـت لمنعوت محذوف تقديره : ولهم زوجـان ، أو صنـف ، وقيـل :

مِنْ : زائـدة .

كل : مبتدأ مرفـوع ، وعلامـة رفعـه ضمـة مقـدرة منـع مـن ظهورها إشـتغال المحـل بحركـة حـرف الجـر الزائـد ، وكـل مضـاف .

الثمرات : مضاف إليـه .

وهذا على مذهب الكوفيين والأخفـش الـذى لا يشـترط تنكـير مجرور (من) الزائـدة .

(ومغفـرة من ربـهم) :

الـواو : عاطفـة .

مغفرة : تحتمل وجـهين[1] :

أ ـ أن تكون معطوفة على المبتـدأ المقـدر .

ب ـ وأن تكون مبتدأ خبره محذوف ، أى ولـهم مغفـرة .

من ربـهم : جـار ومجـرور متعلـق بمحـذوف نعـت لمغفـرة ، وضمير الغائبين مضاف إليـه .

---

[1] انظر التبيان للعكبرى ١١٦٢/٢ ، الدر المصون ٦٩٣/٩ .

(كمن هو خالد فى النـــار) :

الكاف : اسم بمعنى مثل ، خبر مبتدأ محـــذوف تقديـــره : أمـــن هـــو فى هذا النعيم كمن هو خالد فى النــــار[١] ، أو خـــبر المبتـــدأ الـــذى هو مثل الجنة[٢] ، وعليهما فهى فى موضـــع رفـــع .

وقيل : مفعول به لفعل محذوف ، والتقدير "يُشَـــبِّهون" وعلـــى هـــذا فالكاف فـــى موضـــع نصـــب[٣] ، والكـــاف : مضـــاف ، ومـــن : مضاف إليه ، مبنى على السكون فى محـــل جـــر تحتمـــل أن تكـــون اسما موصولا وأن تكون نكـــرة موصوفـــة .

هو خالد : جملة اسمية لا محل لها مـــن الإعـــراب صلـــة "مـــن" إن قدرناها موصولة ، أو فى محل جر صفة "مـــن" إن قدرناهـــا نكـــرة موصوفـــة .

فى النار : جار ومجرور متعلق بــــ "خـــالد" .

(وسقوا ماء حميمـــا) :

الواو : عاطفـــة .

سُقِىَ : فعل ماضى مبنى للمجـــهول ، وواو الجماعـــة نـــائب فـــاعل مبنى على السكون فى محل رفـــع .

---

(١) انظر تفسير الجلالين ١٤٧/٤ .

(٢) انظر تفسير أبى السعود ٩٦/٨ .

(٣) انظر التبيان ١١٦٣/٢ .

ماء : مفعول به ثان منصـــوب .

والجملة الفعلية : معطوفة على الجملة الاســـمية الواقعـــة صلـــة أو صفة .

حميما : نعت منصـــوب .

(فقطع أمعـــاءهم) :

أمعاء : مفعول به ، وضمير الغائبين مضـــاف إليـــه .

والجملة الفعلية : معطوفة بالفاء على الجملـــة الســـابقة .

النعوت فى هذه الآيـة الكريمـة :

١ ــ النعـــت المفـــرد :

أ ــ المشـــتق :

مصفّى : (اسم مفعـــول) .

لذة : مؤنث لذ بمعنى لذيذ[١] ، صفـــة مشـــبهة .

حميما : صفة مشـــبهة .

ب ــ المؤول بالمشـــتق :

التى وعد المتقون : اسم موصول مؤول باســـم المفعـــول .

---

[١] جاء فى المعجم : لذيلذ لذذا ولذاذا ، فهو لذ بمعنى لذيذ وهى لذة .

وقد جاز بعضهم أن يكون "لذة" وصفا مؤنثا بمعنى لذيذة ، وأن تكـــون مصـــدرا ، وعلـــى الإحتمال الثانى فهو نعت مؤول بالمشتق (انظر الفتوحات الإلهية ٤/١٤٧)

غير آسن : غير اسم جامد مؤول بالمشتق .

٢ ـ النعت بالجملة :

أ ـ الجملة الفعلية : "لم يتغير طعمه" .

ب ـ الجملة الاسمية : "هو خالد" على أحد الاحتمالين[١]

٣ ـ شبه الجملة :

من ماء ـ من لبن ـ من خمر ـ من عسل ـ من كل الثمرات ـ من ربهم .

وشبه الجملة ـ فى هذه النعوت الستة ـ جار ومجرور .

وقد اشتملت الآية على حذف المنعوت فى قوله تعالى : (ولهم فيها من كل الثمرات) : إذ التقدير ولهم فيها زوجان من كل الثمرات .

ولم يرد فيها نعت سببى ، ولا نعت بظرف زمان أو مكان .

٢ ـ من ألفاظ التوكيد المعنوى (أجمعون) :

من ألفاظ التوكيد التى تدل على الإحاطة والشمول "كِلَا وكلتا" لتوكيد المثنى ، و "كل وأجمع وعامّة" لتوكيد الجمع ، أو المفرد ذى الأجزاء مثل : جاء الوالدان كلاهما ، وحفظت

---

[١] على احتمال أن يكون (من) نكرة موصوفة بالجملة الأسمية .

السورتين كلتيهما ، وحضر الطلاب كلهم ، وجاءت الطالبات كلهن ، وحفظت القرآنَ كلَّه ، وأكرمت الضيوف أجمعين ، وآمنت بالأنبياءِ كلِّهم أجمعين .

قال ابن مالك فى الألفية :

وكــُلَّا اذكر ـ فى الشمول ـ وكِلَا كِلْتَا جميعا بالضمير مُوصَلا
واستعملوا ـ أيضا ـ ككُلِّ فاعِلَة من عمّ فى التوكيد مِثْلَ النافلة
وبعد كُلِّ أكدوا بأَجْمَعَا جمعاءَ أجمعين ثُمَّ جُمَعَا
ودونَ كُلِّ قد يجئُ أجْمَعُ جمعاءُ أجمعون ثم جُمَعُ

وظاهر كلام ابن مالك – فى البيت الأخير – أن التوكيد بـ أجمع وفروعه وهى :

جمعاء : لتوكيد المفرد المؤنث .

أجمعون : لتوكيد جمع الذكور .

جُمَع : لتوكيد جمع الإناث بدون أن يتقدمها التوكيد بـ (كل) قليل لأنه عبر بلفظ (قد) التى هى – فى كلامه السابق – للتقليل، لا للتحقيق ولا للتقريب .

والعجيب أن شراح الألفية لم يعترضوا على ابن مالك فى هذا الحكم على كثرة إعتراضاتهم عليه فى أحكام أخرى[1].

---

[1] ابن عقيل فى – شرحه للألفية – أشار إلى قول ابن مالك المذكور بقوله : وزعم المصنف أن التوكيد بهن دون أن يسبقهن كل قليل ، ولم يزد على ذلك ، ولم يذكر آية قرآنية،وإنما استشهد ببيتين من الشعر ، وانظر شرح ابن عقيل ٢/٣٠٩ بتحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد .

وبالرجوع إلى الأسلوب القرآني الذى هو أوثق شواهد النحو العربى نتبين أن التوكيد بأجمع ، دون أن يسبق بـ (كل) هو الكثير الغالب ، وأن التوكيد به بعد كل هو القليل وبيان ذلك فيما يأتى :

أن التوكيد بـ (أجمعين) ورد فى القرآن الكريم ستا وعشرين مرة ـ فى ستَّ عشرَةَ سورة قرآنية هى :

البقرة (١٦١) ، وآل عمران (٨٧) ، والأنعام (١٤٩) ، والأعراف (١٨ ، ١٢٤) ، هود (١١٩) ، يوسف (٩٣) ، الحجر (٣٠ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٥٩ ، ٩٣) ، النحل (٩) ، الأنبياء (٣٧) ، الشعراء (٤٩ ، ٦٥ ، ٩٥ ، ١٧٠) ، النمل (٥١) ، السجدة (١٣) ، الصافات (١٣٤) ، ص (٧٣ ، ٨٢ ، ٨٥) ، الزخرف (٥٥) ، الدخان (٤٠) .

وقد جاء التوكيد بأجمعين بعد (كلهم) فى آيتين فقط :

- فى الآية (٣٠) من سورة الحجر : (فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، إلا إبليس أبى أن يكون من الساجدين) .
- والآية (٣٧) من سورة ص : (فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين) .

وجاء التوكيد بـ (أجمعين)من غير أن تسبق بـ (كل) فى

أربع وعشرين آية[١].

وبالتأمل فى الآيات القرآنية التى ورد فيها التوكيد بـ (أجمعين) يتضح ما يأتى :

١ ـ جاءت (أجمعون) مؤكدة لاسم ظاهر مرفوع ثلاث مرات، فى الآيتين السابقتين اللتين سُبِقَتْ فيهما بلفظ "كل" ، وفى الآية (٩٥) من سورة الشعراء (فكبكبوا فيها هم والغاوون ، وجنود إبليس أجمعون) .

٢ ـ لم تأت مؤكدة لضمير رفع مستتر ولا متصل ، ولا منفصل .

٣ ـ جاءت مؤكدة لاسم منصوب لفظا أو محلا ثلاث عشرة مرة .

أ ـ جاءت مؤكدة لاسم ظاهر منصوب أربع مرات :

- فى الآية (٦٥) من سورة الشعراء : (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) .
- وفى الآية (١١٢) من سورة الشعراء : (فنجيناه وأهله أجمعين).
- وفى الآية (٥١) من سورة النحل : (فكان عاقبة أمرهم أنا

---

[١] انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقى ، صـ ١١٧ .

دمرناهم وقومهم أجمعيـــن) .

- وفى الآية (١٣٤) مـــن ســـورة الصافـــات : (إذ نجينـــاه وقومـــه أجمعيـن) .

ب ــ وفى تسع آيات جاءت مؤكدة لضمير نصـــــب متصـــل :

- فى الآية (١٤٩) من سورة الأنعام : (قـــل فللـــه الحجـــة البالغـــة فلو شاء لهداكم أجمعيـــن) .
- وفى الآية (١٢٤) مـــن ســـورة الأعـــراف : (لأقطعـــن أيديكـــم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكـــم أجمعيـــن) .
- وفى الآية (٣٩) من سورة الحجر : (لأزينـــن لـــهم فـــى الأرض ولأغوينهم أجمعيـــن) .
- وفـــى الآيـــة (٩٣) مـــن ســـورة الحجـــر : (فوربـــك لنســـألنهم أجمعيـن) .
- وفى الآية (٩) من سورة النحل : (ولو شـــاء لـــهداكم أجمعيـــن).
- وفى الآية (٣٧) من سورة الأنبيـــاء : (إنـــهم كـــانوا قـــوم ســـوء فأغرقناهم أجمعيـــن) .
- وفى الآية (٨٢) من ســـورة ص : (قـــال فَبِعِـزَّتِـكَ لأغوينـــهم أجمعيـن) .
- وفى الآية (٥٥) من ســـورة الزخـــرف : (فلمـــا آســـفونا انتقمنـــا منهم فأغرقناهم أجمعيـــن) .
- وفـــى الآيـــة (٤٩) مـــن ســـورة الشـــعراء : (لأقطعـــن أيديكـــم

وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكـم أجمعيـن) .

٤ ـ ولم تأت مؤكدة لضمير نصـب منفصـل .

٥ ـ وقد جاءت مؤكدة لمجرور فى عشـر آيـات :

أ ـ فى خمس آيات جاءت مؤكدة لاسم ظـاهر مجـرور هـى :

- الآيـة (١٦١) فـى سـورة البقـرة : (أولئـك عليـهم لعنـة الله والملائكة والناس أجمعيـن) .
- الآية (٨٧) فى سورة آل عمران : (أولئـك جزاؤهـم أن عليـهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعيـن) .
- الآية (١١٩) فى سـورة هـود : (لأمـلأن جـهنم مـن الجِنَّـة والناس أجمعيـن) .
- الآية (٩٣) فى سورة يوسف : (وآتونـى بـأهلكم أجمعيـن) .
- الآية (١٣) فى سورة السجدة : (ولكن حق القـول منـى لأمـلأن جهنم من الجنة والناس أجمعيـن) .

ب ـ وجاءت جارة لضمير أربـع مـرات :

- فى الآية (١٨) فى سورة الأعراف : (لمن تبعـك منـهم لأمـلأن جهنم منكم أجمعيـن) .
- فى الآيـة (٤٣) مـن سـورة الحجـر : (وإن جـهنم لموعدهـم أجمعيـن) .
- وفـى الآيـة (٥٩) مـن سـورة الحجـر : (إلا آل لـوط إنـا

لمنجوهم أجمعيـــن).

- وفى الآية (٤٠) فى سورة الدخـــان : (إن يـــوم الفصـــل ميقاتـــهم أجمعيـن) .

ج – وجاءت محتملة لتوكيد الاسم الظـــاهر أو الضمـــير فـــى آيـــة واحدة :

- فى الآية (٨٥) فى ســـورة ص : (لأمـــلان جـــهنم منـــك وممـــن تبعك منهم أجمعيـــن) .

لفظ (أجمعين) فى هذه الآية الكريمة توكيـــد معنـــوى مجـــرور، وعلامة جره الياء ، لأنه ملحق بجمع المذكر الســـالم ، وهـــو مؤكـــد لمجرور يحتمل أن يكـــون الاســـم الظـــاهر (مَـــنْ) ، وهـــو اســـم موصول مبنى على السكون فـــى محـــل جـــر بـــــ (مِـــنْ) وصلـــة الموصـــول الجملـــة الفعليـــة (تبعـــك) ويحتمـــل أن يكـــون توكيـــدا الضمير المخاطب ، وما عطف عليـــــه .

قال أبو حيان : "الظاهر أن (أجمعيـــن) تـــأكيد للمحـــدث عنـــه ، والمعطوف عليه ، وهو ضمير إبليس ومن عطـــــف عليـــه"[١]

ومما سبق يتضـــح أن :

١ – لفـــظ (أجمعيـــن) جـــاء مؤكـــدا للاســـم الظـــاهر اثنتـــى

---

[١] البحر المحيط ١/١١/٤ .

عشرة مـرة :

- في ثلاث منها جاء مؤكدا لمرفـــوع .
- وفي خمس منها جاء مؤكـــدا لمنصـــوب .
- وفي أربع منها جاء مؤكـــدا لمجـــرور .
- وفي آية واحدة يحتمل أن يكون مؤكـــدا لاســـم ظـــاهر معطـــوف على ضمير ، أولهما معـــا .
- وفي ثلاث عشرة مرة جاء مؤكدا لضمـــير متصـــل .
- وفي تسع منها جاء مؤكدا لضمير نصـــب متصـــل .
- وفي أربع منها جاء توكيدا لضمـــير جـــر .

وأنه لـــم يـــأت مؤكـــدا لضمـــير منفصـــل ، ولا ضمـــير رفـــع متصل، ولا ضمير مســـتتر .

٢ ــ وأن ضمائر الجر المؤكدة بـــأجمعين منـــها ضمـــير مجـــرور بالحرف، والباقي مجرور بالإضافة .

٣ ــ وأن الضمائر المتصلـــة التـــي أُكِّـــدَتْ بـــأجمعين منـــها ثلاثـــة للمخاطبين ، وسبعة للغـــائبين .

٤ ــ لم يأت (أجمعون) مؤكدا لجمـــع الإنـــاث ولا لضمـــير هِـــنَّ ، كما لم يأت مؤكدا لمفرد ذي أجزاء ، ولا لجمع مذكـــر ســـالم.

وإنما جاء مؤكدا لجمع تكسير في الآيتيـــن اللتيـــن سُـــبِقَ فيـــهما

بلفظ (كـلى) .

٥ ـ وأن لفظ (أجمعين) لم يـأت فـي القـرآن الكريـم إلا توكيـدا معنويا .

٦ ـ وأن الأصل والغـالب أن يسـتعمل مؤكّدا بـدون أن تسـبقه (كل) وأن القليـل أن يـأتي مسـبوقا بـها ، فقـد سُبِقَ بكـلّ مرتين، وأتى بدونها أربعا وعشـرين مـرة .

وهكذا يثبت الإستقراء القرآنـي مخالفـةَ قـاعدةٍ نحويـة اعتمـد النحاة فى تقريرها على الإستشـهاد بالشـعر .

فَقَوْلُ ابن مالك فى الشـافية الكافيـة (١١٦٩/٣) :

وبعد كـل أكـدوا بأجمعـا جمعـاء أجمعيـن ثـم جُمَعَـا
ودون كـل قد يجـئ أجْمَـعُ جمعـاءُ أجمعـون ثم جُمَـعُ

وقد ذكر نص البيتين فى الألفية كمـا سـبق .

وأكد ذلك فى التسهيل ، فقـال :

"ويتبع كلَّه أجمـعُ ، وكلَّـها جَمْعَـاءُ ، وكلَّـهم أجمعـون ، وكلَّـهن جُمَعُ ، وقدْ يُغْنِينَ عن كلٍّ : يخالف استقراءَ مـا جـاء فـي أسـلوب القرآن الكريـم" .

وينبغي أن يكون نص البيت الثانى من بيتى ابـن مـالك :

وَبَعْد كـلّ قد يجـئ أجْمَـع جمعـاءُ أجمعـون ثم جُمَـع

وفى قوله تعالى : (فأغرقناهم أجمعيـن) (الحجـر : ٩٣) .

قال أبو حيان : (أجمعين) توكيد للضمير المنصوب ، وقد كثر التوكيد بأجمعين غيرَ تابع لـ (كلّهم) في القرآن ، فكان ذلك حجة على ابن مالك في زعمه أن التوكيد بأجمعين قليل ، وأن الكثير استعماله تابعا لـ (كلهم)[1].

٣ ـ التوكيد بالنفس والأنفس :

من ألفاظ التوكيد المعنوى النفس والعين ، وهما يؤكدان ذات المتبوع ، ويمنعان احتمال إرادة التجوز في الإسناد ، ويشترط للتوكيد بهما أن يسبقا بمؤكد ، وأن يضافا إلى ضميره ، وأن يفردا مع المفرد مثل : رأيت الرئيس نفسه ، ويجمعا جمع قلة على وزن "أَفْعُلٍ" مع المثنى والجمع فيقال : رأيت الفائزين أنفسهما ، وشاهدت الوزراء أنفسهم .

قال ابن مالك :

بالنفس والعين الاسم أكدا ... مَعْ ضمير طابقِ المؤكَّدا
واجمعهما بأفعُلٍ إن تبعا ... ما ليس واحدا تكن متَّبِعَا

وعلى هذا فلفظ (نفسه) ، في قوله تعالى : (ويحذركم الله نفسه)[2] لا يعرب توكيدا وإن أضيف إلى ضمير لفظ الجلالة

---

[1] البحر المحيط ٦/٣٣٠ ، وانظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، القسم الثالث ، ٤/١١ .

[2] آل عمران ، الآيتان ٢٨ ، ٣٠ .

الذى يسبقه ، لمخالفتهما إعرابيا ، إذ لفظ الجلالة مرفوع على أنه فاعل (يحذّر) ، و (نفس) مفعول ثان ، والمفعول الأول ضمير المخاطبين فى (يحذركم) .

وفى قوله تعالى : (أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون)[1].

(أنفسهم) ليست توكيدا معنويا للاسم الذى قبلها ، وإن أضيفت إلى ضمير الجمع ، وشاركت ما قبلها فى الرفع ، لأنه فصل بينهما حرف الواو ، فـ (أنفس) فى هذه الآية ، معطوف عطف نسق ـ بالواو ـ على (أنعام) فهو تابع لما قبله ، وليس توكيدا له ، وقد حلت أنفسهم محل الضمير المنفصل (هم) .

وفى قوله تعالى : (إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون)[2]

(أنفسهم) ليس توكيدا معنويا ، وإن شارك ما قبله فى نوع الإعراب ، وهو النصب وأضيف إلى ضميره ، لأن المعنى يخالف ذلك ، ولأن سبب نصب الاسم الأول وهو الناس .

---

(١) السجدة ، ٢٧ .

(٢) سورة يونس ، ٤٤ .

أنه اسم (لكنَّ) ، وسبب نصب الاسم الثانى (أنفسهم) أنه مفعول به مقدم للفعل يَظْلِمون ، والآية تفيد نَفْىَ ظلم الله للناس ، وتخير بظلم الناس لأنفسهم .

هذا هو الظاهر فى إعراب كلمة (أنفسهم) وفقا لهذا المعنى الواضح الظاهر .

وذهب بعضهم إلي جواز إعرابه توكيدا للناس ، والمقصود بذلك نسبة الظلم إلى الناس بعد نفيه عن الله عز وجل وهذا وجه ضعيف[١].

وبذلك يكون التوكيد بالنفس أو الأنفس لم يرد فى القرآن الكريم عند جمهور النحاة ، ومعربى القرآن الكريم .

٤ ـ التوكيد بـ (جميع) :

لفظ (جميع) من ألفاظ الإحاطة والشمول ، ويعرب توكيدا معنويا بشرط أن يسّبِقَ بمؤكَّد ويضاف إلى ضميره مثل : النـاسُ جميعُهم يتضرعون إلى الله وقت الشدة ، ومثل أكرمت الضيوف جميعَهم ، وحفظت القرآنَ جميعَه .

---

[١] أجاز صاحب الفتوحات الإلهية (٢ ، ٣٤٦) أن تكون أنفسهم توكيدًا للناس ، وأن تكون مفعولا مقدما ليظلمون .

فإن لم تسبق بمتبوع ، أو لم تضف إلـــى ضمـــير الاســم الـــذى قبلها لا تكون توكيدا معنويا ، وإنمـــا تعـــرب حســب موقعـــها فـــى الجملة ، وإن كان معنى الإحاطـــة لا يفارقـــها .

ففى قوله تعـــالى : (إليـــه مرجعكـــم جميعـــا)[1] جميعـــا ليســت توكيدا معنويا ، وإنمـــا هـــى (حـــال) مؤكّـــدة ، وصـــاحب الحـــال ضمير المخاطبين الذى أضيف إليـــه (مَرْجِـــع) .

وكذلـــك فـــى قولـــه تعـــالى : (والأرض جميعـــا قبضتـــه يـــوم القيامـــة)[2].

(جميعـــا) حـــال وليســت توكيـــدا معنويـــا ، وصـــاحب الحـــال (الأرض) ، وخبر الأرض (قَبْضَـــــة) .

وفى قوله تعالى : (وسخر لكـــم مـــا فـــى الســموات ومـــا فـــى الأرض جميعا منـــه)[3] .

(جميعا) ليس توكيدا معنويا وإن شـــارك مـــا قبلـــه وهـــو (مـــا) الموصولة ، وما عطف عليها فى الإعراب لأنـــه لـــم يضـــف إلـــى ضميره ، وإنما هو حال مؤكـــدة .

---

(١) سورة يونس ٤ .

(٢) سورة الزمر ٦٧ .

(٣) صورة الجاثية ١٣ .

وكذلك فى قوله تعالى : (قــل لله الشـــفاعة جميعــا)[١] (جميعــا) حال من الشفاعة . قال مكى : "وأتى جميع ، وليـــس قبلــه إلا لفــظ واحد ، لأن الشفاعة مصدر يــدل علــى التقليــل والكثــير ، فحمــل "جميع" على المعنـــى"[٢].

ولم يرد لفظ (جميع) توكيدا معنويا فى القـــرآن الكريــم ، ولفــظ (جميع) يدل على الجمع والشمول حيـــث وقــع ولا يعــرب توكيــدا معنويا إلا إذا سُبِقَ بمؤكد ، وأضيف إلـــى ضمـــيره مثــل : النـــاس جميعهم ميتـــون .

٥ ـ عطف البيـــان :

يستشهد النحاة لعطف البيان بأحد هذين البيتين مـــــن الرجـــز .

١ ـ قول ذى الرمـــة[٣] :

إنى وأسطـــــار سُطِــــرْنَ سَطْرا لقائــــل : يــا نَصْرُ نصْرٌ نَصْـرا

جاعلين (نصر) الثانى عطف بيان مراعـــى فيــه لفــظ المتبــوع المبنـــى علـــى الضـــم لأنـــه منـــادى معرفـــة و "نصـــرا" الثـــالث المنصوب عطفَ بيان آخر مراعًى فيه محــل المتبــوع ، لأنـــه فـــى

---

(١) سورة الزمر ٤٤ .

(٢) إعراب مشكل القرآن تحقيق د/ حاتم صالح الضامن ٦٣٢/٢ .

(٣) بيتان من الرجز فى ملحقات ديوانه ، ١٧٢ .

محل نصــب[١] .

٢ ــ قول الراجــز :

أَقْسَــم بالله أبو حفــص عُمَــرْ   ما مَسَّهــا من نَقَــبٍ ولا دَبَــر[٢]

على تقدير (عمر) عطفَ بيان لـ (أبــو حفــص).

ويكادون يجمعون على أن التــابع فــى الرجــز عطــف بيــان ، مع إختلافهم فى بيت ذى الرمة ، فقد أنكر ذلــك ابــن الطــراوة لأن الشئ لا يبين نفسه ، وجعـــل هــذا مــن بــاب التوكيــد اللفظــى ، وتابعه على ذلك ابن معطى ، وابــن مــالك ، وجمــال الديــن ابــن النــاظم[٣].

وابن هشام فى شـــرح شــذور الذهــب ذكــر البيتيــن ، وفــى أوضح المسالك اقتصر على الرجز الثــانى فقــط[٤] .

---

(١) انظر شرح شذور الذهب ، ٥١٩ .

(٢) بيتان من الرجز لأعرابى طلب من عمر رضى الله عنه أن يعطيه ناقة من إبل الصدقة بدلا مــن ناقته الدبراء والنقباء فامتنع .

(٣) انظر شرح شذور الذهب ٥١٥ ، ٥٢٠ ، وشرح ابن الناظم تحقيق د/ السيد عبد الحميــد إذ قال ابن الناظم : "يا نصر نصر نصرا" من التوكيد اللفظى : أتبع أولا على اللفظ ، وثانيا علــى الموضع ، ويجوز أن يكون "نصرا" المنصوب مصدرا بمعنى الدعاء ... وأكثر النحويــين يجعــل التابع فى هذا البيت عطف بيان وليس بصحيح" .

(٤) انظر أوضح المسالك ٣٤٧/٣ .

ومن شواهد عطف البيان فى القرآن الكريم قولـــه تعــالى :
(جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامـــا للنـــاس)[١] ، فـــالبيت الحــرام عطف بيان للكعبـــة[٢] .

وقوله تعالى : (وقولهم إنا قتلنها المسيح عيســـى بـــن مريـــم)[٣]، (عيسى) عطف بيـــان[٤] .

وقوله تعالى : (ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقـــوب كمـــا أتمـــها على أبويك من قبـــل إبراهيـــم وإســـحاق)[٥] ، إبراهيـــم ، وإســـحاق بيان لأبويـــك[٦] .

وقولـــه تعـــالى : (واذكـــر عبدنـــا داود)[٧] ، (داود) بيـــان (عبدنـــا)[٨] .

وقولـــه تعـــالى : (قـــالوا آمنـــا بـــرب العـــالمين رب موســـى

---

[١] سورة المائدة ، ٩٧ .

[٢] انظر تفسير الكشاف ٦٤٦/١ ، وتفسير المنسفى ٣٠٤/٣ .

[٣] المائدة ، ١٥٧ .

[٤] انظر الدر المصون ١٤٥/٤ .

[٥] سورة يوسف ، ٦ .

[٦] انظر النسفى ٢١٢/٢ .

[٧] سورة ص ، ١٧ .

[٨] انظر الدر المصون للسمين الحلبى ، ٣٦٩/٩ .

وهارون)[١] (رب موسى وهارون) بيان لـ (رب العالمين).

وقوله تعالى : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد)[٢] ، (إرم) ، عطف بيان لعاد[٣].

وقد اختلف النحويون فى وقوع عطف البيان فى النكرات ، فمنعه جمهور البصريين ، وأجازه الكوفيون ، وأبو على الفارسى ، والزمخشرى[٤] ، وتبعهم ابن مالك .

ومن شواهدهم القرآنية على وقوعه فى النكرات قوله تعالى:

(ويسقى من ماء صديد)[٥] ، (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل)[٦] ، (خمط وأثل) بيان للجنتين .

وقوله تعالى : (أو كفارة طعام مساكين)[٧] فى قراءة من

---

[١] سورة الشعراء ٤٧ ، ٤٨ .

[٢] سورة الفجر ٣ ، ٤ .

[٣] انظر الدر المصون ١٠/٧٨١ ، والكشاف ٤/٢٥٠ .

[٤] انظر الكشاف ٢/٣٧١ ، ٤/٢٥٠ .

[٥] سورة إبراهيم ، ١٦ .

[٦] سورة سبأ ١٦ .

[٧] سورة المائدة ، ٩٥ .

نون كفـــارة[١].

وقولـــه تعـــالى : (يوقـــد مـــن شـــجرة مباركـــة زيتونـــــة)[٢] ، (زيتونة) عطف بيان لشـــجرة .

فالتابع فى الآيات المذكورة عطف بيـــان ، وقـــد بُيِّنَـت النكـــرة بنكرة أخص منها ، وجمهور البصريين يجعلون هـــذا التـــابع بـــدلا، وكونه عطف بيان أظـــهر .

وفى آيات كثيرة يجيز معربـــو القـــرآن والمفســـرون أن يكـــون التابع عطف بيان أو بدلا مطابقـــا .

ومن ذلك قوله تعالى : (وإلى عاد أخـــاهم هـــودا)[٣].

وقوله تعالى : (وقال موسى لأخيـــه هـــارون)[٤] .

وقوله تعالى : (وإلى مدين أخـــاهم شعيبـــــــا)[٥] .

وقوله تعالى : (وإذ قال إبراهيـــــم لأبيـــه آزر)[٦]

---

(١) أوضح المسالك ، ٣/٣٤٨ .

(٢) سورة النور ، ٣٥ .

(٣) سورة الأعراف ، ٦٥ .

(٤) سورة الأعراف ، ١٤٢ .

(٥) سورة هود ٨٥ .

(٦) سورة الأنعام ، ٧٤ .

وقوله تعالى : (وتذرون أحسن الخـــالقين الله ربكـــم)[١] .

وقوله تعالى : (إنك بالواد المقـــدس طـــوى)[٢]

٦ ـ إبدال الجملة من المفـــرد :

تتفق كتب النحو فى الإستشهاد على وقـــوع الجملـــة بـــدلا مـــن المفرد بقول الشـــاعر :

إلى اللـــه أشكـــو بالمدينة حاجَةً   وبالشـــام أخرى كيـــف يلتقيـــان[٣]؟

فجملة (كيف يلتقيان) فى محل جـــر لأنـــها بـــدل اشـــتمال مـــن (حاجة) وما عطف عليـــها أى : إلـــى الله أشـــكو هـــاتين الحـــاجتين تعذر التقائـــهما[٤] .

وفى القرآن الكريم شواهد كثـــيرة لإبـــدال الجملـــة مـــن المفـــرد منها :

قوله تعالى : (أفلم ينظروا إلى الســـماء فوقـــهم كيـــف بنيناهـــا)[٥] ،

---

[١] سورة الصافات ، ١٢٥ ، ١٢٦ .

[٢] سورة النازعات ١٦ .

[٣] البيت لعمر بن أبي ربيعة وهو في ملحقات ديوانه ، وفى أوضح المسالك ٤٠٨/٣ .

[٤] أوضح المسالك ٤٠٨/٣ .

[٥] سورة ق ، ٦ .

جملة (كيف بنيناها) فى محل جر بدلا مـــن الســماء[١] .

وقوله تعالى : (ويســألونك عــن الســاعة أيــان مرســاها)[٢] ، الجملة الأسمية (أيان مرساها) بدل مـــن الســاعة فـــهى فـــى محــل جر[٣].

وقوله تعالى : (انظر إلى العظــام كيــف ننشــزها ثــم نكســوها لحما)[٤] ، الجملة الاستفهامية بدل من العظام[٥] ، فـــهى فـــى محــل جر ، وجملة "نكسوها" معطوفــة عليــها ، فــهى فـــى محــل جــر أيضا ، و(لحما) مفعول ثان للفعــل نكســو .

وقوله تعالى : (أفلا ينظرون إلـــى الإبــل كيــف خلقــت وإلــى السماء كيف رفعت وإلـــى الجبــال كيــف نصبــت ، وإلـــى الأرض كيف ســطحت)[٦] .

كل جملة من الجمل الاستفهامية الأربــع فـــى محــل جــر بــدلا

---

[١] انظر حاشية الجمل على تفسير الجلالين ١٨٥/٤ .

[٢] سورة النازعات ، ٤٢ .

[٣] انظر البحر المحيط ٤٣/٤ ، والبحر المحيط ٤٣٤/٤ .

[٤] سورة البقرة ، ٢٥٩ .

[٥] انظر البحر المحيط ٢٩٤/٢ ، المغنى لابن هشام ٦٤٨ .

[٦] سورة الغاشية ، ١٣ ــ ٢٠ .

من الاسم المجرور قبلـــها[١] .

والملحوظ فى الجمل التـــى أبدلـت مـن المفـرد فــى الآيــات السابقة كلها ، أنها استفهامية وقد أبدلت بدل اشــتمال ، وفــى ذلــك دليل على أنه يكثر إبدال الجملـــة الاســتفهامية مــن الاســم المفــرد بدل اشتمال فى القرآن الكريـــم .

٧ ـــ ما ظاهره أنه تابع وليـس بتـابع :

١ ـــ فى قوله تعالى : (لا يستوى أصحاب النــار وأصحــاب الجنــة أصحاب الجنة هم الفــائزن)[٢] .

الظاهر أن (أصحاب الجنة) ، وقد ذكــر مرتيــن متتــاليتين مـــع اتفاق الإعراب توكيد لفظى وهى فى الحقيقة ليـــس كذلــك .

لأن الأول من جملة ، والثانى من جملـــة أخـــرى .

فالأول فاعل (يستوى) والثانى مبتــدأ وخـبره (الفــائزون) فــهو خبر مفرد وهم ضمير فصل لا محل له مـــن الإعــراب .

ويجوز أن يكون (هم) مبتـــدأ خـبره الفــائزون ، وجملــة (هــم

---

[١] انظر البحر المحيط ٤٦٤/٨ ، تفسير الآلوسى ١١٦/٣٠ ، تفسير أبى السعود ١٥٠/٩ ، حاشـية الجمل ١٨٩/٤ .

[٢] سورة الحشر ، ٢ .

الفائزون) فى محل رفع خبر المبتـــدأ .

وبهذا يظهر أن سبب رفـــع الأول غـير سـبب رفـع الثـانى ، فالثانى ليس تابعا لـــلأول .

٢ ــ وفى قوله تعالى : (ولما جاءهم رسول مـــن عبـــد الله مصـــدق لّما معهم نبذ فريق من الذيـــن أوتـــوا الكتـــاب كتـــاب الله وراء ظـــهروهم)(١) .

الظاهر أن (كتـــاب الله) بـدل مـــن (الكتـــاب) لاتفاقـــهما لفظـــا ومعنى وإعرابـــا .

وهذا ليس صحيحا لعدم تبعية الثـــانى لـــلأول وإن اشـــتركا فـــى النصب واللفـــظ لأن الأول وهـــو (الكتـــاب) مفعـــول ثـــان للفعـــل (أُوتِىَ) المبنى للمجـــهول ، والمفعـــول الأول (واو) الجماعـــة التـــى هى نائب الفـــاعل(٢) .

أما (كتاب الله) فهو مفعول به لفعل (نَبَـــذ) ، وفاعلـــه (الذيـــن) ، وجملـــة (أوتـــوا الكتـــاب) لا محـــل لـــها مـــن الإعـــراب صلـــة الموصـــول.

---

(١) سورة البقرة ، ١٠١ .

(٢) انظر الدر المصون ، ٢/٢٧ .

٣ ــ وفى قوله تعالى : (ويرى الذين أوتوا العلم الــذى أنــزل إليــك من ربك هو الحــق)[١] .

الظاهر أن الاسم الموصول (الذى) فى محل نصــب علــى أنــه نعت لكلمة (العلم) وليس الأمر كذلــك .

لأن (العلم) مفعول ثان للفعل (أوتِــى) المبنــى للمجــهول ، أمــا (الذى) فهو مفعول أول للمضارع (يَــرَى) وهــو مضــارع (رأى) العلمية التى تنصب مفعولين ومفعولــه الثــانى (الحــق) ، و (هــو) ضمــير[٢].

ثانيا : جواب الشرط المنفى بـ (لا) يجوز اقترانه بالفاء إذا كان مضارعا :

بالتأمل فى هاتين الآيتيــن :

(إن تدعوهم لا يسمعوا دعــاءكم)[٣] .

(قل إن افترينه فلا تملكون لــى شــيئا)[٤] .

تجد فى كل منهما أسلوب شرط أداته (إن) التــى تجــزم فعليــن،

---

[١] سورة سبأ ٦ .

[٢] انظر إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ٣/٦٣٦ .

[٣] سورة فاطر ١٤ .

[٤] سورة الأحقاف ، ٨ .

وفعل الشرط فى الآية الأولى (تدعوهم) وهـو مضـارع مجـزوم ، وعلامة جزمه حذف النون ، وجـواب الشـرط (لا يسـمعوا) وهـو مضارع منفـى بـ (لا) النافيـة ، مجـزوم ــ أيضـا ، وعلامـة جزمه حذف النـون .

أما فى الآية الثانية ففعل الشـرط (افـترى) وهـو مـاض سـند إلى تاء الفاعل مبنى على الفتح المقدر فى محـل جـزم .

وجواب الشرط (فلا تملكون) وهو جملة فعليـة فعلـها مضـارع منفـى بـ (لا) مرفـوع وعلامـة رفعه ثبـوت النـون ، وواو الجماعة فاعل والجملة الفعليـة المقترنـة بالفـاء فـى محـل جـزم جواب الشـرط .

ويشكل إعراب الآية الثانية على مـن يعرفـون ضـابط وجـوب إقتران جواب الشرط بالفاء ممثلا فـى قولـهم:

اسميـــة ، طلبيـــة ، وبجامد وبمـــا وقـَـدْ ولَنْ بالتنفيـــس

إذ لا يجـدون الجملـة الفعليـة المنفيـة بـ (لا) ضمـن هـذه الأنواع السبعة التى يجب اقترانها بالفـاء إذا وقعـت جوابـا لشـرط جازم ، ومع ذلك جاءت فى الآية الثانية مقترنـة بالفـاء .

وحلا لهذا الإشكال أقـول :

إن هذا الضابط الذى يشمل الجملة الأسـمية ، والطلبيـة بأنواعـها، والفعلية التى فعلها جامد ، والمنفيـة بـ (مـا) ، أو المنفيـة بـ

(لن) ، أو المقترنة بـ السين أو بـ سوف أو قَدْ هو للجمل التى يجب اقترانها بالفاء إذا وقعت جوابا .

أما المضارع المنفى بـ (لا) فيجوز اقترانه بالفاء ، فَيَرْفَعُ المضارع ، وتكون الجملة المنفية فى محل جزم كالآية الثانية : (قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا) ، ويجوز عدم إقترانه ، فيجزم المضارع ، كما فى الآية الأولى (إن تدعوهم لا يسمعوا).

وبالوجهين جاءت أساليب الشرط فى القرآن الكريم على النحو التالى :

أ ــ جاءت جملة الشرط الفعلية المنفية بـ (لا) غير مقترنة بالفاء سبع عشرة مرة :

١ ــ (ومنهم من إن تأمنه بدينا لا يؤده إليك) (آل عمران ٧٥)

٢ ــ (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) (آل عمران ١٣٠) .

٣ ــ (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) (الأنعام ٢٥) .

٤ ،٥ ــ (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا) (الأعراف ١٤٦) .

٦ ــ (وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) (الأنعام ٧٠) .

٧ ــ (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم) (الأعراف ١٩٣)

٨ ــ (وإن تدعوهم إلى الـهدى لا يسـمعوا) (الأعـراف ١٩٨)

٩ ــ (وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكـم إلا ولا ذمـة) (التوبـة ٨)

١٠ ــ (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوهـا) (إبراهيـم ٣٤)

١١ ــ (وإن تعـدوا نعمـة الله لا تحصوهـا إن الله لغفـور رحيـم) (النحـل ١٨)

١٢ ــ (أينما يوجهه لا يأت بخـير) (النحـل ٧٦)

١٣ ــ (وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يسـتنقذوه منـه) (الحـج ٧١)

١٤ ــ (إن تدعوهم لا يسمعوا دعـاءكم) (فـاطر ١٤)

١٥ ــ (وإن تدع مثقلة إلى حملـها لا يحمـل منـه شـئ) (فـاطر ١٨)

١٦ ــ (إن يردن الرحمن بضـر لا تغـن عنـى شـفاعتهم شـيئا) (يـس ٢٣)

١٧ ــ (وإن تطيعوا الله ورسـوله لا يلتكـم مـن أعمـالكم شـيئا) (الحجـرات ٨) .

ب ــ وجاءت جملة الشرط الفعليـة المنفيـة بـ "لا" فـى جـواب الشرط الجازم مقترنة بالفاء ثمـانى مـرات :

١ ــ (فإن طلقها فلا تحل له من بعـد حتـى تنكـح زوجـا غـيره) (البقـرة ٢٣٠)

٢ ــ (ومن جاء بالسيئة فلا يجـزى إلا مثلـها) (الأنعـام ١٦٠)

٣ ــ (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فــلا يخــاف ظلمــا ولا هضما) (طــه ١٦٢)

٤ ــ (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذيــن عملــوا السـيئات إلا مــا كانوا يعملون) (القصـــص ٨٤)

٥ ــ (وما آتيتم من ربا ليربو فى أمــوال النــاس فــلا يربــو عنــد الله) (الــروم ٣٩)

٦ ــ (قل إن افتريته فلا تملكون لى مــن الله شـيئا) (الأحقــاف ٨)

٧ ــ (من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلـــها) (النمــل ٤٠)

٨ ــ (فمــن يؤمــن بربــه فــلا يخــــاف بخســـا ولا رهقـــا) (الجــن ١٣)

وهــذا علـــى قــراءة الجمــهور (فــلا يخــافُ) أمـــا علـــى قراءة ابن كثير (فلا يَخَفْ) فالفاء واجبـــة لأن (لا) ناهيــة والجملــة طلبيــة[1]

هذا عن ورود جملة المضارع المنفــى بـــ (لا) جوابــا لشــرط جازم ، ونسبة اقترانه بالفاء ٨/١٠ وأداة الشـــرط الجازمــة فــى كــل المواضع هى (إنْ) الشـــرطية مــا عــدا آيــة واحــدة كــانت أداة الشرط فيها هـــى (أينمــا) فــى قولــه تعــالى : (أينمــا بوجهــه لا

---

[1] انظر كتاب السبعة لابن مجاهد ، ٤٢٤ .

يأت بخـير).

أما (إذا) الشرطية وهى أداة شـرط غـير جازمـة ، فقـد جـاء جوابها فى القرآن الكريـم جملـة فعليـة منفيـة بـــ (لا) مقترنـة بالفاء، وغير مقترنة بـــها :

أ ــ جاءت غير مقترنة بالفاء فى سـتة مواضــع :

١ ــ (فإذا جــاء أجلــهم فــلا يســتأخرون ســاعة ولا يســتقدمون) (النحـل ٦٢)

٢ ــ (وإذا رأى الذين ظلموا العــذاب فــلا يخفــف عنــهم ولا هــم ينظرون) (النحــل ٨٥)

٣ ــ (وإذا ذكروا لا يذكــرون) (الصافــات ١٣)

٤ ــ (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعـــون) (المرســلات ٤٨)

٥ ــ (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) (ســورة نــوح ٢١)

٦ ــ (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يســجدون) (الانشــقاق ٢١)

ب ــ وجاءت مقترنة بالفاء فــى موضعيــن :

١ ــ (لكل أمة أجل إذا جــاء أجلــهم فــلا يســتأخرون ســاعة ولا يستقدمون) (يونــس ٤٩)

٢ ــ (وإذا رأى الذين ظلموا العــذاب فــلا يخفــف عنــهم ولا هــم ينظرون) (النحــل ٨٥).

ثالثا : مشكلات نحوية وصرفية :

١ـ قوله تعالى : (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا) (الروم ٢٤)

تأتى هذه الآية الكريمة ضمن ست آيات من سورة الروم يذكرنا الله فيها بآيات قدرته ودلائل وجوده ، وكل آية من هذه الآيات الكريمة تبدأ بالجار والمجرور (ومن آياته) :

(ومن آياته أن خلقكم من تراب) .

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا)

(ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم).

(ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) .

(ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها) .

(ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون)

ونلحظ فى الآيات الخمس ـ غير هذه الآية ـ أن بعد الجار والمجرور مصدرا صريحا مرفوعا فى الآيتين الثالثة والرابعة ، وهذا المصدر مبتدأ خبره الجار والمجرور الذى نقدم عليه ، وبعد الجار والمجرور مصدر مؤول من (أن) والفعل المضارع فى ثلاث آيات هى الأولى والثانية والسادسة ، وهذا المصدر المؤول مبتدأ ـ أيضا ـ كالمصدر الصريح ،

والإشكال النحوى فى الآية الخامسة (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا) لأن هذه الآية وإن بدئت بجار ومجرور كالآيات الخمس ، فإنه لم يقع فيها بعد هذا الجار والمجرور مصدر صريح ولا مؤول ، وإنما وقع فعل مضارع مرفوع (يريكم) وظاهر الكلام أنه جملة اسمية تقدم فيها الخبر كسائر الآيات المماثلة فأين المبتدأ ؟ وما إعراب (بريكم) ؟ أو بعبارة أصح : ما موقع يريكم من الإعراب ؟

وللعلماء فى حل ذلك الإشكال : أربعة أقوال :

أ ــ أن (يريكم) فى تأويل مصدر على تقدير أن والأصل ومن آياته أن يُرِيَكم ، ثم حذفت أن لدلالة نظائرها عليها ، فارتفع المضارع ولكنها منوية فى الكلام والفعل معها فى تأويل مصدر

ب ــ أن الفعل بدون (أن) مقدر بمصدر فهو فى تأويل مصدر بدون أداة سبك فيكون التقدير فى هذين الوجهين ومن آياته إراءته إياكم البرْقَ فـ "من آياته" فى موضع رفع على أنه خبر المبتدأ[1] .

ج ــ أن جملة (يريكم) فى محل رفع صفة لمبتدأ محذوف تقديره

---

(١) البحر المحيط لأبى حيان ٧/١٦٧ .

ومن آياته آيةٌ يريكم البرقَ بها[١] ، وحذف الموصوف على هذا التخريج حذف قياسي ، لكون النعت جملة ، والمنعوت بعض اسم سابق مجرور بـ (مِنْ) وعلى هذا الوجه يكون قد حذِفَ شيئان الموصوف وعائد جملة الصفة ، ويجوز أن يكون التقدير (ومن آياته شئ أو سحاب يريكم البرق) ، فيكون فاعل يريكم ضمير الموصوف المحذوف ، فيكون قد حذف الموصوف دون عائد جملة الصفة .

د ــ أن الجار والمجرور (من آياته) متعلق بمحذوف حال من المفعول به وهو البرق والتقدير : ويريكم البرق كائنا من آياته ، وحق الواو أن تدخل على الفعل ولكن لما قُدِّمَ الحال وكانت من جملة المعطوف أولاها الوَاوَ وحَسَّن ذلك أن الجار والمجرور فى حكم الظرف[٢] فهو كقوله تعالى : (آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة)[٣] ، وعلى هذا الوجه تكون (من) لابتداء الغاية[٤].

والوجه الأول وهو كون (يريكم) مصدرا مؤولا بتقدير

---

[١] البيان فى إعراب غريب القرآن للأنبارى .

[٢] التبيان فى إعراب القرآن ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ .

[٣] البقرة ٢٠١ .

[٤] وفى الأوجه الثلاثة السابقة تدل (من) على التبعيض .

(أن) أقوى الأوجه الأربعة لأنـــه ليـس فيـه إلا حـذف أن ورفـع المضارع بعد حذفها لأنه على هذا الوجه تكـون الآيـة متسـقة فـى الإعراب مع مثيلاتـــها ، وحسّـنَ حـذْفَ أن ذكرُهـا فـى الآيـات الأخـوى .

وعلى الوجهين الأول والثانى خرج النحاة المثــل المشـهور : "تسمع بالمعيدى خير من أن تراه" على روايـــة الرفـع[١] .

أما (خوفا وطمعا) فمنصوبان علـى أنـهما حـالان أى خـائفين وطامعين[٢] وصاحب الحـال ضمـير المخـاطبين فـى (يريكـم) وأفردا لأنهما مصدران ، وقيــل همـا مفعـول لأجلـه ومعطـوف عليه والتقدير : يريكم الـبرق إراءة خـوف وإراءة طمـع فحـذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامــه فـانتصب .

٢ـ (ولله الأسمـاء الحسـنى)[٣]،(فـأولئك لهـم الدرجـات العـلا)[٤]:

يشكل على كثير من المتقفين وصف الجمع بـالمفرد فـى مثـل:

---

(١) تفسير النسفى ٣/٢٧٠ .

(٢) البحر المحيط ٧/١٦٧ ، وتفسير أبى السعود ٧/٥٧ .

(٣) الأعراف ١٨٠ .

(٤) طه ٧٥ .

فلان طالب بالدراسات العليا ــ وقد يتجــرأ بعضـــهم فيخطــئ ذلــك قائلا الصواب (الدراسات العُلَا) محتجا بـــأن العليــا اســم تفضيــل لأنها مؤنث لأعلى ، واسم التفضيل إذا كـــان محلـــى (بـــأل) يجــب أن يطابق المفضل فـــى النـــوع والعـــدد ، ولمـــا كـــانت الدراســـات جمعا مؤنثا وجب جمع العليا فقيل : العُلا على نحـــو مـــا جـــاء فـــى قوله تعالى : (فأولئك لهم الدرجـــات العـــلا) .

والحق أن الوجهين جـــائزان (الإفـــراد والجمـــع) وبـــهما جـــاء أسلوب القرآن الكريم والإفراد فى القرآن أكثر مـــن الجمـــع ، ومـــن شواهد الإفراد قوله تعـــالى : (ولله الأســـماء الحســـنى) ، (إن هـــذا لفى الصحف الأولى)[١] (هذا نذير من النـــذر الأولـــى)[٢] .

وإنما جاز الإفراد والجمع ، وإن كـــان الإفـــراد يخـــالف قـــاعدة وجوب التطابق بين النعـــت الحقيقـــى ومنعوتـــه لأن هنـــاك قـــاعدة نحوية أخرى تخصص عموم القـــاعدة الســـابقة خلاصتـــها أنـــه إذا كان المنعوت جمعـــا لمـــا لا يعقـــل وجـــب تـــأنيث النعـــت وجـــاز إفراده، وجمعه جمـــع تكســـير أو جمـــع مؤنـــث ســـالما وبالأوجـــه الثلاثة جاء البيان القرآنـــى .

---

(١) الأعلى ١٨ .

(٢) النجم ٥٦ .

فمن إفراد النعت قوله تعالى : (فيـــها ســـرر مرفوعـــة وأكـــواب موضوعـــة ونمـــارق مصفوفـــة وزرابـــى مبثوثـــة)[١] ، وقولـــــه سبحانه: (على سرر موضونــــة)[٢]

ومن جمعه جمـــع تكســير قولـــه تعـــالى : (وينشـــئ الســحاب الثقـــال)[٣] ، (إنـــى أرى ســبع بقـــرات ســمان يأكلـــهن ســـبع عجاف)[٤]، (فأولئك لهم الدرجـــات العـــلا) .

ومن وصف جمع ما لا يعقل بجمع مؤنث ســـالم قولـــه تعـــالى : (الحج أشـــهر معلومـــات)[٥] ، (أيامـــا معـــدودات)[٦] ، (فـــى أيـــام نحســـات)[٧] .

ولعلك قد تأكدت ــ من هذه الشـــواهد ــ أنـــه ــ يصـــح لـــك أن تقول هذه قواعد ثابتة وهذه قواعد ثابتات ، وهـــذه قواعـــد ثوابـــت ، وأن تقول ــ أيضا ــ أعجبـــت بـــهذه الأســماء الحســـنى ، وبـــهذه

---

(١) الغاشية ١٣ ــ ١٦ .

(٢) الواقعة ١٥ .

(٣) الرعد ١٢ .

(٤) يوسف ٤٣ .

(٥) البقرة ١٩٧ .

(٦) البقرة ١٨٤ .

(٧) فصلت ١٦ .

الأسماء الحسان ، وبهذه الأسماء الحَسَن ، وأنه لا حرج في أن يقال : الدراسات العليا ، والدراسات العُلا ، والأولى أولى لشهرتها .

٣ـ كلِّ عام وأنتم بخير ... كلَّ عام أنتم بخير :

هذه عبارة مشهورة تجرى على الألسنة تهنئة بالأعياد ، وقد سمعت أكثر من مثقف غير متخصص يخطئ الصورة الأولى ــ التي تتوسطها الواو ويزعم أن الصواب "كل عام أنتم بخير" بدون الواو .

والحق أن كلتا الصورتين صحيحة سليمة .

وتوجيه ذلك فيما يأتي :

أ ــ في الصورة الأولى :

الواو ــ حالية والجملة الأسمية ــ بعدها ــ في محل نصب حال وكلمة كل يجوز رفعها ويجوز نصبها ،

فعلى الرفع تحتمل أن تكون مبتدأ خبره محذوف والتقدير: كل عام يمر وأنتم بخير .

وأن تكون فاعلا لفعل محذوف تقديره : يمر كل عام وأنتم بخير .

وعلى النصب تكون مفعولا به لفعل متعد محذوف تقديره :

تشهدون كل عام وأنتم بخـــير .

ب ـ وفى الصورة الثانيـــة :

يتعين نصب (كل) علـــى الظرفيـــة الزمانيـــة والتقديـــر : أنـــتم بخير كلَّ عام ، والظرف متعلق بما تعلـــق بـــه الجـــار والمجـــرور الواقع خبرا ، كما فى قوله تعالى : (كل يوم هو فـــى شـــأن) ، قـــال النسفى (٤/٢١٠) وينتصب كل يوم ظرفا بما دل عليـــه (هـــو فـــى شأن) .

٤ـ (فبأى آلاء ربكمـا تكذبـان) :

هذه الآية الكريمة من أشهر آى القـــرآن الكريـــم ، وقـــد ذكـــرت فى سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة ولـــم تذكـــر فـــى غـــير هـــذه الســـورة .

وتعنى دراسة هذه الآية بالإجابة عن الأســـئلة الآتيـــة :

ما معنى آلاء ؟ وما نوع الفـــاء ؟ ومـــا معنـــى اليـــاء ؟ ومـــا نـــوع أى ؟ وما سبب تقدم الجار والمجرور ؟ ومـــا حكـــم ذلـــك التقديـــم ؟ ولمَ أسند الفعل إلى ألف الاثنين ؟ ومـــا ســـر تكريـــر هـــذه الآيـــة ؟ وهل يعد ذلك التكرير من قبيل التوكيـــد اللفظـــى ؟

معنـــى (آلاء) :

آلاء : نعـــم ، وهـــى جمـــع تكسـير علـــى وزن (أفعـــال) ،

وأصلها (أألاو) وقعت الهمزة ثانية ساكنة بعد همزة مفتوحة فقلبت ألفا ، وتطرفت الواو بعد ألف زائدة فوجب قلبها همزة قال الجوهري: "والآلاء : النعم ، واحدها : (ألا) بالفتح ، وقد يكسر ويكتب بالياء مثل مِعًى وأمعاء"(١)

وقال اليزيدي : آلاء الله : نعم الله واحدها ألاً وإلو(٢)

وفي المفردات : الواحد ألا وإلى نحو : أنًا وإنًى لواحد الآناء(٣).

وفي المصباح المنير : الإلى : مقصور ، وتفتح الهمزة ، وتكسر: النعمة ، والجمع : الآلاء على وزن الأفعال ، مثل : سبب وأسباب لكن أبدلت الهمزة التي هي فاء ألفا استثقالا لاجتماع همزتين(٤) .

وفي لسان العرب : الآلاء : النعم ، واحدها ألا ـ بالفتح ـ وإلى وإلى(٥) .

---

(١) الصحاح ٢٢٧٠ .

(٢) غريب القرآن وتفسيره ليحيى بن المبارك اليزيدي ، ١٤٧ .

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، ٢٢ .

(٤) المصباح المنير ٢٠ .

(٥) لسان العرب ١١٩ .

ومما سبق يظهر لنا أن مفرد آلاء ألا ـ بالفتح ، وإلى ـ بالكسر وإلى ، وإلو ـ بالياء والواو/والفاء ـ في هذه الآية عاطفة أو استئنافية .

وأىّ استفهامية[١] ، مجرورة بالياء وأىّ مضاف وآلاء مضاف إليه وآلاء مضاف (ورب) مضاف إليه ورب مضاف وضمير المخاطبين مضاف إليه .

ففي هذه الآية الكريمة : ثلاثة أسماء مضافة ، وثلاثة أسماء مضاف إليه ، والاسم الأول (أى) مضاف فقط ، والاسم الأخير ضمير المخاطبين ـ مضاف إليه فقط ، والثاني والثالث كل منهما مضاف ومضاف إليه ـ كما رأيت ـ والجار والمجرور متعلق بالمضارع (تكذبان) .

(تكذبان) : مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون ، والألف فاعل مبنى على السكون في محل رفع فالآية ـ كما ترى مكونة من جملة فعلية واحدة .

وقد قدم الجار والمجرور على الفعل لكون المجرور اسم استفهام وهذا التقديم واجب لأن لأسماء الاستفهام صدر الكلام

---

(١) أى لها أربعة أنواع : استفهامية وشرطية وموصولة ووصف دال على إكمال ، انظر شرح ابن عقيل ٣/٦٥ ، والمعجم الوسيط ١/٣٥ .

فيجب تقديمها سواء أكانت مبتدأ مثل : أيكـــم يـــأتيني بعرشـــها[١] أم خيرا مثل كيـــف حـــالك ؟ أم مفعـــولا بـــه مثـــل (فـــأي آيـــات الله (تنكرون) ؟[٢] ، أم مجرورا بـــالحرف كمـــا فـــي هـــذه الآيـــة ــ أم بالإضافة مثل : دار من تقصد ؟ وإنما وجه الخطـــاب لاثنيـــن لأنـــه موجه للثقلين : الإنس والجن ، ولكن الجانّ لـــم يســـبق ذكـــره فـــي الآيات الثنتي عشرة السابقة على أول آية ذكـــرت فيـــها (فبـــأي آلاء ربكما تكذبان) ، فقيل في تعليل ذلـــك : لدلالـــة الأنـــام عليـــهما فـــي قوله تعالى : (والأرض وضعـــها للأنـــام)[٣] .

وقال الفراء : في ذلك وجـــهان :

أحدهمـــا : أن العـــرب تخـــاطب الواحـــد بفعـــل الاثنيـــن فيقـــال : أرحلاها وازجراها يا غـــلام .

والوجه الآخر : أن الذكر أريد في الإنســـان والجـــان فجـــرى لـــهما من أول السورة إلى آخرهـــا[٤] .

---

(١) النمل ٣٨ .

(٢) غافر ٨١ .

(٣) الرحمن ١٠ .

(٤) معاني القرآن للفراء ، تحقيق د/ عبد الفتاح شلبي وعلى النجدي ناصف ٣/١١٤ .

وقال ابن قتيبة[١] ، لأنه ذكرهم[٢] بعـد وقـال : (وخلـق الجـان من مارج من نار) (الآيـة ١٥) .

وعن السر فى تكرير هذه الآية يقـول الكرمـانى :

كرر الآية إحدى وثلاثين مرة ، ثمانية منـها ذكـرت عقيـب آيـات فيها تعداد عجـائب خلـق الله ، وبدائـع صنعـه ، ومبـدأ الخلـق ومعادهم ثم سبعة منها عقيب آيـات فيـها ذكـر النـار وشـدائدها على عدد أبـواب جـهنم ، وحسـن ذكـر الآلاء عقيبـها لأن فـى صرفها ودفعـها نعمـا تـوازى النعـم المذكـورة أو لأنـها حلـت بالأعداء ، وذلك يعد من أكبر النعمـاء .

وبعد هذه السبعة ثمانية فى وصف الجنـات وأهلـها علـى عـدد أبواب الجنة ، وثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتيـن دونـهما .

فمن اعتقـد الثمانيـة الأولـى وعمـل بموجبـها اسـتحق كلتـا الثمانيتين من الله ووقاه السبعة السـابقة ، والله تعـالى أعلـم[٣] .

أما معنى الباء ووظيفتها فى هـذه الآيـة الكريمـة فيدلنـا عليـه أن الفعل الذى تعلقت به الباء وهو (يكـذب) مضـارع (كـذب) ، و

---

[١] تأويل مشكل القرآن ، ٢٢٨ .

[٢] لعله يعنى قوله تعالى : (يا معشر الإنس والجن ...)

[٣] أسرار التكرير ف القرآن للكرمانى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، ١٩٨ .

كذب) يتعدى بنفسه ويتعدى بالباء فمن الأول قوله تعالى : (فكذبوه فعقروها)[١] ، ومن الثانى قوله ـ سبحانه ـ : (فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه)[٢] .

والظاهر أن "كذب" يتعدى بنفسه إذا تعلق بالمخبر ـ كما فى الآية السابقة وكما فى قوله ـ عز وجل ـ : (كذبت ثمود المرسلين)[٣] ، وقوله ـ سبحانه ـ : (فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر)[٤] .

ويتعدى بالباء إذا تعلق بالمُخْبَر به قال تعالى : (وكذبوا بآيتنا كذابا)[٥] ، (أرأيت الذى يكذب بالدين)[٦] ، (كذبت قوم لوط بالنذر)[٧] .

فالباء ـ فى قوله تعالى : (فبأى آلاء ربكما تكذبان) للتعدية لأن التكذيب متعلق بالآلاء لا بصاحب الآلاء .

---

(١) الشمس ١٤ .

(٢) الزمر ، ٣٢ .

(٣) الشعراء ١٢٣ .

(٤) القمر ٩ .

(٥) النبأ ٢٨ .

(٦) أول الماعون .

(٧) القمر ٣٣ .

وتكرير هذه الآية ـ فى هذه السورة ـ لا يعد توكيدا لفظيا، لأن كل مرة ذكرت فيها هذه الجملة الفعلية قصد منها التذكير بالنعمة ، التى ذكرت قبلها فالمعنى مختلف وإن اتحد اللفظ وفى التوكيد اللفظى يعاد اللفظ أو مرادفه دالا على المعنى نفسه الذى دل عليه اللفظ الأول المؤكد ، ومثل ذلك يقال فى تكرير : (ويل يومئذ للمكذبين) فى سورة المرسلات[1] .

وكلمة (آلاء) وردت مرتين فى غير هذه السورة الكريمة : وردت فى سورة الأعراف ـ على لسان صالح عليه السلام : (فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين)[2] ، وفى سورة النجم فى قوله تعالى : (فبأى آلاء ربك تتمارى) ، وبذلك تكون هذه الكلمة قد وردت ثلاثا وثلاثين مرة فى ثلاث سورة من الذكر الحكيم .

٥- المماراة والتمارى :

قال تعالى : (أفتمارونه على ما يرى ـ فبأى آلاء ربك تتمارى) .

وردت هاتان الآيتان الكريمتان فى سورة النجم (١٢/٥٥) .

---

(١) انظر حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك ، جـ ٣ ، صـ ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) الآية ٧٤ .

أفتمارونه : أفتجادلونه من المراء ، وهو الجدال ، قال تعالى : (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا)[١] .

تتمارى : تتشكك ، من المرية وهى الشك .

الفعل الأول : (تمارونه) مضارع مسند لواو الجماعة ماضيه (مارى) على وزن (فاعل) ثلاثى ناقص مزيد بحرف ومصدره (مراء) وهمزته منقلبة عن ياء ، و (مماراة) ومجرده (مرَى) من باب "ضرب" جاء فى القاموس المحيط : مرى الناقة يمريها ، مسح ضرعها ، فأَمْرَتْ هى : درَّ لبنها ... والمرية ـ بالكسر والضم ـ الشك ، والجدل وماراه مماراة ومراء فامترى فيه وتمارى : شك[٢] وعند إسناده إلى واو الجماعة حذفت لامه وهى الياء وضم ما قبل واو الجماعة .

(تتمارى) مضارع على وزن (تتفاعل) ماضيه (تمارى) ثلاثى ناقص مزيد بحرفين هما الميم والألف ومصدره (التمارى) وأصله (التمارُى) ـ بضم الراء ـ على وزن التفاعل ، ثم كسر ما قبل الياء لمناسبتها كما فى التقاضى

---

[١] الكهف / ٢٢ ، قال النسفى ٣/٩ : فلا تجادل أهل الكتاب فى شأن أصحاب الكهف إلا جدالا ظاهرة غير متعمق فيه ، وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب .

[٢] القاموس المحيط ٤/٣٨٩ ، انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥/٣١٤

والتفانى والتدانى ولئلا تقلب واوا .

ويظهر لنا مما سبق أن كلا من (تمارون) ، (تتمارى) يعود إلى أصل واحد وهو المرى والمرية بمعنى الجدال والشك .

وأنهما يختلفان فى ثلاثة أشياء :

١ ــ (تمارون) ماضيه مارى ثلاثى مزيد بحرف واحد ، و (تتمارى) ماضيه تمارى ثلاثى مزيد بحرفين .

٢ ــ أن مصدر الأول مراء ومماراة ومصدر الثانى التمارى .

٣ ــ أن الأول (تمارون) متعد ، والثانى (تتمارى) لازم .

والصلة بين الشك والجدل قوية ، لأن الجدال ــ غالبا ــ لا يكون إلا فى الأمور التى هى موضع تردد وشك عند المجادل .

قال الراغب الأصفهانى[١] :

المرية : التردد فى الأمر ، وهو أخص من الشك ، قال تعالى : (ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه)[٢] ، (فلاتَكُ فى مرية مما يعبد هؤلاء)[٣] .

---

[١] المفردات فى غريب القرآن ، ٤٦٧ .

[٢] الحج /٤٤ .

[٣] هود /١٠٩ .

والإمتراء والممارة : المحاجة فيما فيه مرية ، قال تعالى : (قول الحق الذى فيه يمترون)[١] ، ويمترى على وزن (يفتعل) وماضيه (امترى) من (الامتراء) بزيادة الهمزة والتاء .

٦ - (فكيف كان نكير)[٢] :

يشكل على كثير من أبنائنا الطلاب إعراب مثل هذه الآية إذ يرون بعد كان اسما على آخره كسرة ، أو يرون المفعول به صحيح الآخر ، وعلى آخره كسرة كما فى قوله تعالى : (بل لما يذوقوا عذاب)[٣] ، (ربنا وتقبل دعاء)[٤] ، أو يرون المضارع مختوما بنون مكسورة كما فى قوله تعالى : (إنى ذاهب إلى ربى سيهدين)[٥].

والكسرة فى هذه الكلمات وما أشبهها كسرة المناسبة التى تسبق ياء المتكلم ، والغالب فى القرآن الكريم حذف ياء المتكلم

---

(١) مريم / ٣٤ .

(٢) وردت هذه الجملة فى أربعة مواضع فى القرآن الكريم : الحج ٤٤ ، سبأ ٤٥ ، وفاطر ٢٦ ، والملك ١٨ .

(٣) ص / ٨ .

(٤) إبراهيم / ٤٠ .

(٥) الصافات ٩٩ .

وإبقاء الكسرة دليلا عليها ، فى أواخـــر الآيـــات الكريمـــة ، ســـواء أكانت متصلة باسم أم بفعل ، والكسرة فى آخــر الفعـــل تـــدل علـــى ياء متكلم محذوفة وتعرب مفعـــولا بـــه كمـــا فـــى (ســـيهدين) قـــال تعالى : (يا عباد فـــإتقون)[1] ، وهـــذه النـــون نـــون الوقايـــة التـــى تتصل بآخر المضارع والأمر حمايـــــة لآخـــر الفعـــل مـــن الكســـر الذى تقتضيه ياء المتكلم ، أما الكسرة فى آخـــر الاســـم فتـــدل علـــى إضافته لهذه الياء المحذوفة وهذا الاسم حســـب موقعـــه الإعرابـــى، يرفع أو ينصب أو يجر بحركة مقدرة منـــع مـــن ظـــهورها اشـــتغال المحل بحركة مُنَاسَبة والياء المحذوفة ضمير مبنـــى علـــى الســـكون فى محل جر لأنها مضاف إليـــه .

بعد ذلك التوضيح نعـــود ــ بعـــون الله ــ إلـــى إعـــراب الآيـــة التى صدر بها هذا المبحث وهى : (فكيف كـــان نكـــير) .

الفاء : حرف عطف أو اســـــتئناف .

كيف : اسم استفهام مبنى على الفتـــح فـــى محـــل نصـــب علـــى الحالية إن كانت كان تامة ترفع فـــاعلا .

وعلى أنها خبر كان إن قدرناهـــا ناقصـــة .

---

[1] سورة الزمر .

(نكير) فاعل كـــان ـ علـــى الاحتمـــال الأول أو اســـمها علـــى الاحتمال الثانى وعلـــى الاحتمـــالين هـــو مرفـــوع وعلامـــة رفعـــه ضمة مقدره منع من ظهورها اشـــتغال المحـــل بحركـــة المناســـبة ، وياء المتكلم التى دلت عليها كسرة المناســـبة مضـــاف إليـــه مبنـــى على السكون فى محل جـــر .

ومثل هذا إعـــراب (فكيـــف كـــان عذابـــى ونـــذر)[1] ، وكلمـــة (نذر) معطوفة على اسم كان أو فاعلها مرفوعـــة وعلامـــة رفعـــها ضمة مقدرة منع من ظهورها كســـرة المناســـبة .

والحمـــد لله أولا وآخـــرا والصـــلاة والســـلام علـــى المبعـــوث رحمة للعالمين ، من ختـــم الله بـــه الرســـل وأرســـله للنـــاس كافـــة هاديا ومبشرا ونذيرا ، سيد الخلـــق ورســـول الحـــق ، محمـــد بـــن عبد الله وعلى آله وصحبـــه ،

أ.د/علي أحمد طلب
الأستاذ المتفرغ فى كلية اللغة العربية بأسيوط

---

(١) القمر/ ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٣٠ .

أهم مراجع البحث

١ - القرآن الكريم .

٢ - أسرار التكرير في القرآن الكريم للكرماني ، تحقيق : أحمد عبد القادر عطا .

٣ - إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ، تحقيق : د. زهير عابد .

٤ - إعراب مشكل القرآن لمكي بن أبي طالب ، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن.

٥ - ألفية ابن مالك في النحو والصرف .

٦ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق الشيخ : محمد محي الدين عبد الحميد .

٧ - البحر المحيط لأبي حيان ، مصورة ، الطبعة الأولى .

٨ - البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات بن الأنباري ، تحقيق د. طه عبد الحميد طه .

٩ - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، تحقيق الأستاذ السيد صقر .

١٠ - التبيان في إعراب القرآن للعكبري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

١١ - تفسير الآلوسي (روح المعاني) .

١٢ - تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) .

١٣ - تفسير الجلالين (جلال الدين السيوطي ، وجلال الدين المحلي) .

١٤ - تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) .

١٥ - حاشية الجمل على تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية) .

١٦ - حاشية الصبان على شرح الأشموني للألفية .

١٧ - دراسات لأسلوب القرآن الكريم للأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة .

١٨ - الدر اللقيط من البحر المحيط لابن مكتوم ، مطبوع على هامش البحر المحيط .

١٩ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ، تحقيق د. أحمد محمد الخراط .

٢٠ - ديوان ذي الرمة بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق : مجيد طراء .

٢١ ـ ديوان عمر بن أبى ربيعة ، طبعة الهيئة العامة المصرية للكتاب .

٢٢ ـ شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

٢٣ ـ شرح ابن الناظم للألفية تحقيق د/ عبد الحميد السيد عبد الحميد .

٢٤ ـ شرح شذور الذهب لابن هشام تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

٢٥ ـ غريب القرآن وتفسيره ليحيى بن المبارك اليزيدى ، تحقيق محمد سليم الحاج .

٢٦ ـ القاموس المحيط للفيروزابادى ، مصورة ، الطبعة الأولى .

٢٧ ـ كتاب سيبويه تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون .

٢٨ ـ كتاب السبعة لابن مجاهد تحقيق د/ شوقى ضيف .

٢٩ ـ الكشاف للزمخشرى .

٣٠ ـ (لا) واستعمالاتها فى القرآن الكريم ، د/ على أحمد طلب .

٣١ ـ لسان العرب لابن منظرو ، طبعة دار المعارف .

٣٢ ـ المصباح المنير للفيومى ، تحقيق د/ عبد العظيم الشناوى ، طبعة دار المعارف .

٣٣ ـ معانى القرآن للفراء ، تحقيق د/ عبد الفتاح شلبى ، الأستاذ على النجدى ناصف .

٣٤ ـ معانى القرآن وإعرابه للزجاج ، تحقيق د. عبد الجليل شلبى .

٣٥ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقى .

٣٦ ـ المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٣٧ ـ مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

٣٨ ـ المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ، تحقيق / محمد سيد كيلانى .

من صور الامتناع من نقض الغرض عند العرب وأسراره النحوية والصرفية

للدكتور

محمود أحمد شحاته حسانين

أستاذ مساعد بقسم اللغويات

كلية اللغـة العربية بجرجا

من صور الامتناع من نقض الغرض عند العرب وأسراره النحوية والصرفية

الدكتور
محمود أحمد شحاته حسانين
أستاذ مساعد بقسم اللغويات
كلية اللغة العربية بجرجا

مقدمة :

الحمد لله العلى العظيم ، والصلاة والسلام على النبى الأمين، سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحابته الغر المحجلين ، ومن نهج نهجهم وسلك طريقهم إلى يوم الدين .

وبعد ...،

فهذا بحث وفقنى الله – تعالى – إلى جمع جزيئاته المتناثرة، فى بطون أمهات الكتب ، بعد جهد يعلم الله به .

والذى حفزنى على إختياره ما رأيته من آراء نحوية وصرفية مختلفة فى بعض المسائل ، كحكم حذف الخبر مع (كان) أو إحدى أخواتها ، وكحكم حذف عامل المصدر المؤكد ، وكإمتناع تنوين المضاف ، وكأيهما أولى بالحذف : هل ألف المصدر ، أو واو المفعول – من المعل العين – أو الحرف

الأصلى الذى هو عين الفعـــل ؟

وكامتناع إدغام أول المثلين إذا كانا فـــى وزن ملحــق .

ونحو ذلك ، وما سبق من حجـــج لكـــل رأى ، ومـــا جـــاء مـــن ردود عليـــها .

لذا سألت الله ــ عز وجل ــ أن يوفقنى إلـــى جمـــع شـــتات مـــا تناثر ، فى بطون الكتب لـــهذه القضايـــا ، حتـــى يســـهل الرجـــوع إليها ــ عند الحاجة ــ فكان ــ بعونـــه وفضلـــه ــ هـــذا البحـــث ، الذى جاء عنوانـــه :

(من صور الإمتناع من نقض الغرض عند العرب ، وأسراره النحوية والصرفية)

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون فـــى : مقدمـــة ، وفصليـــن، وخاتمـــة .

أما المقدمة : فقد ذكرت فيـــها الســـبب الداعـــى لـــهذا البحـــث ، وخطة السير فى إعـــداده .

وأما الفصـــل الأول : فقـــد أفردتـــه للمســـائل النحويـــة ، وقـــد اشتمل على تسعة مباحث وهـــى :

المبحث الأول : امتناع تعريف الفعل وتنوينه .

المبحث الثانى : امتناع وصف العلم الذى لا شريك له فى العلمية .

المبحث الثالث : حكم حذف الخبر مع (كـان) ، و (ليس) .

المبحث الرابع : امتناع حذف عامل المصدر المؤكد .

المبحث الخامس : امتناع حذف المقسم عليه وتبقية القسم .

المبحث السادس : امتناع تنوين المضاف ، وقلة حذف المضاف إليه .

المبحث السابع : الامتناع ـ قياسا ـ من حذف الموصوف ، أو الصفة ، أو المؤكد .

المبحث الثامن : حذف نون الرفع ، وامتناع حذف نون التوكيد، عند اجتماعهما .

المبحث التاسع : امتناع إلحاق من بـ (أفعل) التفضيل المقرون بـ (أل) .

وأما الفصل الثانى : فقد أفردته للمسائل الصرفية ، وقد اشتمل على أربعة مباحث ، وهى :

المبحث الأول : حذف العين من مصدر الفعل المعل العين ، ومن اسم المفعول من نحو : (قال) ، و (باع) على رأى الأخفش .

المبحث الثانى : امتناع تثنية المثنى ، وحذف تاء المفرد المؤنث، عند جمعه بالألف والتاء .

المبحث الثالث : امتناع تحريك هاء السكت .

المبحث الرابع : امتناع إدغام الملحـــق .

وأما الخاتمة : فقد ذكرت فيها أهم النتائج التـــى توصلـــت إليـــها من خلال هذا البحـــث .

وقد رتبت هذه المباحث على حســـب ترتيـــب أبـــواب الألفيـــة ، لسهولة الرجوع إلى المطلوب عند الحاجة وأحيانا قـــد أجمـــع أكـثر من موضوع في مسألة واحدة ، وذلك لوجـــود حكـــم واحـــد يشـمل الجميع ، كما في الامتناع مـــن حـــذف الموصـــوف ، أو الصفـــة ، أو المؤكـــد .

أو لأن الحكم يشمل الجميع ــ عند مـــن قـــال بـــه ــ كمـــا فـــى حذف العين من مصدر الفعل المُعَـلّ العيـــن ، ومـــن اســـم مفعولـــه من الثلاثى ، عند الأخفـــش .

والله يعلم أننى قد بذلت ــ فـى هـــذا الموضـــوع ــ مـــا وفقـت إليه من جهد ووقت ــ رجاء أن ينال رضـــا الله ، ثـــم رضـا أهـــل العلم ومُحبيـــه ، ولعلـــه يضيـــف إلـــى المكتبـــة العربيـــة جديـــدا ، ويوضع فى ميزان الحسنات يـــوم أن نلقـــاه .

وآخر دعوانا أن الحمـــد لله رب العـــالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبـــه وسلـم .

الفصل الأول

الصـور النحويـة

المبحث الأول

امتناع تعريف الفعل وتنوينه

الغرض من الفعل إفادته ، فلابد من أن يكون منكورا ، لا يسوغ تعريفه ، لأنه لو كان معرفة لما كان مستفادا ، لأن المعروف قد غَنِيَ بتعريفه عن اجتلابه ، لِيُفَاد من جملة الكلام ، ولذلك قيل : إن حكم الجزء المستفاد من الجملة أن يكون منكورا ، والمفاد هو الفعل لا الفاعل ، ولذلك لو أخبر بما لا شك فيه ، لعجب منه .

فلما كان كذلك ، لم يجز تعريف ما وضعه على التنكير .

ألا تراه يجرى وصفا على النكرة ، نحو : (مررتُ برجلٍ يقرأ) ، فهذا كقولك : (قَارِئٌ) .

ولو كان معرفة لاستحال جريه وصفا على النكرة[1] .

---

[1] ينظر الخصائص : ٣/٢٣٣ .

ولذلك نجد أداة التعريف اختصت بالاسم ، ولم تدخل على الفعل .

قال الأشمونى : "أصل معنى (أل) التعريف ، وهو لا يكون إلا للاسم"[١] أ.هـ

لأن وضع الفعل على التنكير والإبهام[٢].

فحرف التعريف فى اختصاصه بالاسم ، كحرف التنفيس فى اختصاصه بالفعل ، فكما لا يدخل حرف التنفيس على اسم ، لا يدخل حرف التعريف على فعل[٣].

فلو عرف الفعل ، لكان نقضا للغرض الذى وضع من أجله.

قال فى الهمع : "من علامات الاسم حرف التعريف ، إذ لاحظ لغير الاسم فى التعريف"[٤] أ.هـ .

أما (أل) الموصولة : فذهب الجمهور : إلى أنها اختصت بالاسم ــ أيضا ــ وأن دخولها على الفعل ضرورة .

---

(١) ينظر الأشمونى : ١/٣٩ ، ٤٠ .

(٢) ينظر الصبان : ١/٤٠ .

(٣) ينظر شرح التسهيل لابن مالك : ١/٢٠١ ، ٢٠٢ ، وراجع الأشمونى : ١/١٥٦ ، ١٥٧ .

(٤) ينظر الهمع : ١/٥ .

وذهب ابن مالك[١] ، وبعض الكوفيين : إلى جواز دخولها على الفعل إختيارا .

وقال الشيخ عبد القاهر : هو من أقبح الضرورات .

ومنه قول الشاعر :

ما أنتَ بالحكمِ التُرْضَى حُكومتُهُ ولا الأصيلِ ولا ذى الرأى والجدلِ[٢]

فأدخل (أل) على (تُرْضَى) وهو فعل مضارع .

والذى سوغ دخول (أل) عليه ، كونه يشبه الوصف نحو : مَرْضِيٌّ .

وحجة الناظم ومن وافقه : أن الشاعر متمكن من أن يقول : المَرْضَى[٣] .

---

(١) ينظر شرح التسهيل : ٢٠١/١ ، ٢٠٢ ، وراجع الأشمونى : ١٦٥/١ .

(٢) من البسيط ، وقائله الفرزدق ، يهجو إعرابيا فضل جريرا عليه وعلى الأخطل .

المفردات : الحكم : الذى يحكمه الخصمان ، الأصيل : الحسيب ، الجدل : شدة الخصومة .

والشاهد فى قوله : (الترضى) حيث أدخل (أل) على (ترضى) وهو فعل مضارع مبنى للمجهول ، و (حكومته) نائب الفاعل به .

من مواضعه : شرح التسهيل لابن مالك ٢٠١/١ ، وأوضح المسالك : ٢٠/١ ، ١٥٠ ، والتصريح : ٣٨/١ ، ١٤٢ ، والهمع : ٨٥/١ ، والأشمونى : ١٦٥/١ .

(٣) ينظر التصريح : ٣٨/١ ، ٣٩ ، ١٤٢ ، والأشمونى : ١٦٥/١ ، والصبان : ٣٧/١ ، ٣٨ .

وهذا بناء على مذهبه ، من أن الضرورة ما اضطر إليها الشاعر ، ولم يجد عنها مندوحة .

وضعف مذهب ابن مالك : بأنه ما من ضرورة إلا ويمكن إزالتها ، بنظم تركيب آخر[١] .

وفى المسألة مذهب ثالث : وهو الجواز على قلة[٢].

وأما إمتناع تنوين[٣] الفعل ، واختصاصه بالاسم ، فلأن معانى التنوين الأربعة – وهى الدلالة على الأمكنية ، والتنكير ، والمقابلة ، والعوض – لا تتأتى فى غير الاسم .

قال فى شرح التسهيل : "وأما : التنوين ، فإما أن يدل على بقاء الأصالة ، وهو تنوين الصرف ، كـ (رجل) ، و (زيد) فلا يلحق غير الاسم ، إذ الأصالة له ، فيدل على بقائها .

وإما أن يدل على تنكير ما هو صالح للتعريف ، كـ (صهٍ)، و(أفٍّ) فلا يلحق غير اسم ، لعدم الحاجة إليه .

---

[١] ينظر الصبان : ١/١٦٥ .

[٢] ينظر التصريح : ١/١٤٢ ، والصبان : ١/١٦٥ .

[٣] التنوين – فى الأصل – مصدر نونت الكلمة ، أى : أدخلت عليها نونا .

وفى الإصطلاح : نون ساكنة أصالة ، تلحق الآخر لفظا ، لا خطأ ، لغير توكيد ، أو روى . أ.هـ ، التصريح بمضمون التوضيح : ١/٣٠ ، ٣١ .

وإما أن يكون عوضا عن مضاف إليه ، كـ (حِينَئِذٍ) ، فلا يلحق غير اسم ، لأن الإضافة من خصائصه .

وإما أن يكون دليلا على مقابلة جمع مؤنث بجمع مذكر ، كـ (مُسْلِمَاتٍ) ، فلا يلحق غير اسم ، لأن الجمع من خصائصه"[١] . أ.هـ

---

[١] شرح التسهيل لابن مالك : ١/١١ ، وراجع الهمع : ٢/٧٩ ، ٨٠ .

المبحث الثاني

امتناع وصف العلم الذى لا شريك له فى العلمية

العلـــــم : مأخوذ إما من علم الأمير ، أو من علم الثـــوب ، لكونـــه علامة على المسمى .

أو من العلم ، إذ به يعلم المسمى بعينه عنـــد ذكــره .

وفى الاصطلاح : ما علق على شئ بعينه ، غــــير متنـــاول مـــا أشبهه .

وقيل : هو ما وضع لتعيـــن المســـمى[١] .

وقيل : هو المخصوص مطلقا غلبـــة ، أو تعليقـــا بمســـمى غـــير مقدر الشياع ، أو الشائع الجـــارى مجـــراه[٢] .

وذهب الكوفيون[٣] والسيرافى : إلـــى أن الاســـم العلـــم أعـــرف

---

[١] ينظر شرح ألفية ابن معطى : ٦٣٤/١ .

[٢] ينظر الارتشاف : ٤٦٩/١ .

[٣] وذهب قوم : إلى أن عرف المعارف المضمر ، ثم الاسم العلم ، ثم المبهم ، ثم مـــا فيـــه الألـــف واللام. وذهب قوم : إلى أن المبهم أعرف المعارف ، ثم المضمر ، ثم العلم ، ثم ما فيـــه الألـــف واللام وهو رأى أبى بكر بن السراج ، ينظر بن يعيش : ٨٧/٥ .

المعارف ، ثم المضمر ، ثم المبهم ، ثم ما عـرف بـالألف والـلام.

واحتجوا : بأن العلم لا اشتراك فيه في أصـل الوضـع ، وإنمـا تقع الشركة عارضة ، فلا أثر لـهـا[١] .

والأصل في المعارف ألا توصف مطلقـا ، لأن وضعـها علـى التخصيص ، إلا أنه لما كـان يعـرض فـي شـئ منـها شـركة ، احتاج إلى الوصف ، لإزالة الشـركة العارضـة[٢] .

أما : إذا كان العلم مختصا بمسمى واحـد ، واشـتهر بـه ، فـلا يحتـاج إلـى وصـف ـ حينئـذ ـ كـان ذلـك نقضـا للغـرض الذى وضع مـن أجلـه ، لأنـه وضـع ليغنـى عـن الأوصـاف الكثيرة .

أما : إذا كثر المُسَمَّوْنَ به ، فإنه يوصـف ، لأنـه ـ حينئـذ ـ يدخله اللبس .

قال ابن جنى : "مـا كـان مـن الأعـلام لا شـريك لـه فـى العلمية، فإنه لا يوصـف ، وذلـك كقولنـا : (الفـرزدق) ، فإنـه لا يوصف ، فيقال : التميمى ، ولا نحو ذلك ، لأنه لـم يسـم بـه أحـد غيره ، وإذا نكرته باسمه الذى هو (هَمَّام) جـاز وصفـه ، فقلـت :

---

[١] ينظر شرح المفصل لابن يعيش : ٨٧/٥ .

[٢] ينظر شرح ألفية ابن معطى : ٧٥١/١ .

هَمَّامُ بنَ غَالبٍ ، لأنَّ (هماماً) شُورِكَ فيه ، فجاز لذلك إلحاق الوصف له" .

فإن قلت : فقد يكثر فى الأنساب ، وصف كثير من الأعلام التى لا شركة فيها ، نحو قولهم : "فلانُ بنُ يَشْجُبَ[١] بنُ يَعْرُبَ بنُ قَحْطَانَ" ، ونظائره كثيرة .

قيل : ليس الغرض إلا التنقل به ، والتصعد إلى فوق ، وإعلام السامع وجه النسب ، وأن فلانا اسم أبيه كذا ، واسم جده كذا ، واسم أبى جده كذا .

فإنما البغية بذلك استمرار النسب ، وذكر الآباء شيئاً فشيئا على توال .

وعلى هذا يجوز ـ أيضا ـ أن يقال : الفرزدق بن غالب .

فأما على التخليص والتخصيص فلا[٢] . أ.هـ .

وأن الوصف الممتنع للأعلام التى لا شريك لها فى العلمية،

---

[١] بنو الشجب : قبيلة من كلب ، و(يشجب) : حى ، وهو : يشجب بن يعرب بن قحطان . أ.هـ .

اللسان : ٢١٩٦/٤ ، وراجع تاج العروس ٣٠٩/١ .

[٢] الخصائص : ٢٣٩/٣ .

إنما هو الوصف الدال على توضيح المعرفة ، أما الوصف المقصود به غير ذلك من الأغراض كالمدح أو الذم أو الترحم، فلا مانع من وصف العلم المتميز به مثل :"بسم الله الرحمن الرحيم".

المبحث الثالث

حكم حذف الخبر مع (كان) و (ليس)

اختلف النحاة فى حكم حذف خبر (كان) أو إحدى أخواتها على مذاهب ، نذكرها فيما يلى :

١ ــ ذهب ابن مالك ، وتبعه الدمامينى[١] : إلى أن لا يجوز حذف الخبر فى الجميع ، إلا مع (ليس) فيجوز حذف خبرها ، اختيارا ، ولو بلا قرينة ، إذا كان اسمها نكرة عامة ، تشبيها بـ (لا) .

قال فى شرح التسهيل : "ولإفادة (ليس) النفى اختصت من بين أخواتها بجواز الاقتصار على اسمها ، دون قرينة زائدة على كون الاسم نكرة عامة ، لأنه بذلك يشبه اسم (لا) فيجوز أن يساويه فى الاستغناء به عن الخبر ، كقول الشاعر :

أَلاَ يَا ليلُ ويحكِ نَبئِينَا   فَأَمَّا الجودُ منكِ فليسَ جُودُ[٢]

---

[١] ينظر تعليق الفرائد : ٢١٦/٣ .

[٢] من الوافر ، وقائله عبد الرحمن بن حسان .

والشاهد فى قوله : (فليس جود) ، حيث حذف خبر (ليس) وسوغ ذلك كون الاسم نكرة عامة ، تشبيها بـ (لا) .

من مواضعه : الكتاب : ٣٨٦/١ ، والهمع : ١١٦/١ .

أراد : ليس منك جود ، أو ليس عندك جود .

ومثله قول الآخر :

يئستم وخِلتم أنّـه لَيْسَ ناصـرٌ فَبُوئتمْ من نَصْرِنـا خَيْرَ مَعْقِلِ[١]

وحكى سيبويه[٢] : ليس أحد ، أي ليس هنا أحد"[٣] . أ.هـ .

وما قاله ابن مالك ذهب إليه الفراء ، وقال : يجوز في (ليس) خاصة أن يقول : (لَيْسَ أحدٌ) ، لأن الكلام قد يتوهم تمامه بـ (ليس) ، أو نكرة كقوله : (ما مِنْ أحدٍ)[٤].

٢ ــ ذهب بعض النحاة ــ منهم أبو حيان وأصحابه ــ : إلى أنه لا يجوز حذف خبر (كان) ، لا اقتصارا ، ولا اختصارا ، وإن كان قياسه الحذف ، لأنه في الأصل خبر عن المبتدأ ، وفي الحال مشبه بالمفعول به ، لأنه منصوب بعد مرفوع .

ولكن منع من حذفه مانع آخر ، وهو : كونه عوضا من المصدر ، فلو حذف لكان نقضا للغرض الذي جئ به من أجله،

---

[١] من الطويل : ولم اهتد إلى قائله .

والشاهد في قوله : (ليس ناصر) ، وهو كالذي قبله .

من مواضعه : الارتشاف : ٢/٩٤ ، والهمع : ١/١١٦ .

[٢] ينظر الكتاب : ٢/٣٤٦ .

[٣] شرح التسهيل : ١/٣٥٨ ، ٣٥٩ .

[٤] ينظر الهمع : ١/١١٦ .

وأما : ما ورد من حذفه ، فهو ــ عندهم ــ ضرورة .

قال في الارتشاف : "ولا يكون حذف الخبر عند أصحابنا إلا في الضرورة ، وذلك أنه لا يجوز عندهم حذف الاسم ، ولا حذف الخبر ، لا اقتصارا ولا اختصارا ، إلا أنه قد يرد حذف الخبر في الشعر ، وليس يختص حذفه بـ (ليس) ، بل قد سمع في غيرها نحو :

فَـإنْ قَصَـدُوا لِمُرِّ الحقِّ فأقْصِـد   وإنْ جَارُوا فَجُـر حتَّى يَصِيرُوا[1]

أي : تبعا لك"[2] . أ.هـ .

٣ ــ ذهب بعض النحاة : إلى جواز حذف الخبر اختصارا ، كأن يقال ــ في جواب من قال : أكنت غائبا : كنت .

وتقول : أكان زيد يقوم ، فيقال : قد كان[3] .

وهذا المذهب هو ما تميل إليه النفس ، إذ لا مانع من حذف الخبر اختصارا ، كما في الأمثلة السابقة ، لدلالة قرينة السؤال

---

(١) من الوافر ، وقائله : عمرو بن الأهتم .

والشاهد في قوله : (يصيروا) ، حيث حذف خبر (صار) ، أي ، يصيروا تبعا لك ، ولا يقاس على هذا ونحوه .

(٢) ينظر الارتشاف : ٢/٩٥ ، وراجع الهمع : ١/١١٦ ، والأشباه والنظائر : ١/٢٨٨ .

(٣) راجع الارتشاف : ٢/٩٥ .

على ما حذف ، ولذلك جاز حذف خـــبر (ليــس) تخفيفــا و اســتغناء بعلم المخاطب بما يراد ، كما فى قولــــهم (ليــس أحــد) أى : ليــس هنا أحـد .

إلا أن ابن مالك جعل المحذوف فـــى هــذا دون قرينـــة ، ولكــن علم المخاطب بما يعنى يغنى عـــن القرينـــة .

المبحث الرابع
إمتناع حذف عامل المصدر المؤكد

ذهب ابن مالك : إلـــى أنـــه لا يجـوز حـذف عـــامل المصـدر المؤكد ، معللا لذلك : بأن المصدر المؤكد مســـوق لتقريــر عاملــه وتقويته ، والحذف مناف لذلـــك ، فلـم يجـــز ، لأنـــه ــ حينئــذ ــ يكون نقضا للغرض الذى جئ بـــــه .

قال فى شرح الكافيـــة : "المصـــدر المؤكـــد يقصـــد بـــه تقويـــة عامله وتقرير معناه ، بخلاف المصدر المبيمـــن عـــددا ، أو نوعـــا ، فإنه يدل على معنى زائد على معنى الفعل ، فأشـــبه المفعـــول بـــه ، فجاز حذف عامله ، كمـــا جـــاز حـــذف عـــامل المفعـــول بـــه"(١) . أ.هـــ .

ونازع ابن الناظم والده ــ فى هذه المسألة ــ بمـــا حاصلـــه : أنه إن أراد أن المصدر المؤكد ، يقصد بـــه تقويـــة عاملـــه وتقريـــر معناه دائما ، فلا شـــك أن حذفـــه منـــاف لذلـــك القصـــد ، ولكنـــه ممنوع ولا دليل عليـــه .

وأن أراد أن المصدر المؤكـــد يقصـــد بـــه التقويـــة والتقريـــر ،

---

(١) شرح الكافية الشافية : ٦٥٧/٢ ، ٦٥٨ ، وراجع الأشمونى : ١١٥/٢ .

وقد يقصد به التقرير ، فهام ، ولكن لا نسلم أن الحذف مناف لذلك القصد ، لأنه إذا جاز أن يقرر معنى العامل المذكور ، بتوكيده بالمصدر فلأن يجوز أن يقرر معنى العامل المحذوف ، لدلالة قرينة عليه أحق أولى .

وبأنه قد حذف جوازا ، إذا كان خبر اسم عين في غير تكرير ولا حصر ، في نحو : (أَنْتَ سيراً) وحذف وجوبا مع التكرير في نحو : (أنت سيراً سيراً) ، و (ما أنتَ إلاّ سيراً) .

وفي غير ذلك ، نحو : (سقياً ورعياً) ، و (حمداً وشكراً لا كُفراً) .

فَمَنْعُ مثلِ هذا ، إما : للسهو عن وروده .

وإما : للبناء على أن المسوغ لحذف العامل فيه ، نية التخصيص(١) ، وهو دعوى على خلاف الأصل ولا يقتضيها فحوى الكلام(٢) .

ورد ابنُ عقيل منازعة ابن الناظم ، بأن جميع الأسئلة التي ذكرها ابن الناظم ليست من المصدر المؤكد في شيء ، بل

---

(١) ينظر التصريح بمضمون التوضيح : ١/٣٢٩ .

(٢) أي : فتجعل مصادر نوعية ، ويقدر لها نعتها محذوفا ، أي : سقيا عظيما ، أو نافعا ، وهكذا.
ينظر حاشية يس على التصريح : ١/٣٢٩ ، ٣٣٠ .

المصدر فيها نائب مناب الفعل ، عوض منه ، دال على ما يدل عليه ، بدليل عدم جواز الجمع بينهما .

قال ابن عقيل : "وقول ابن المصنف : إن قوله : "وحذف عامل المؤكد امتنع" سهو منه ـ لأن قولك : (ضرباً زيداً) مصدر مؤكد ، وعامله محذوف وجوبا ـ ليس بصحيح .

وما استدل به على دعواه من وجوب حذف عامل المؤكد ، ليس منه ، وذلك لأنّ (ضرباً زيداً) ، ليس من التأكيد في شيء ، بل هو أمر خال من التأكيد ، بمثابة : اضربْ زيداً ، لأنه واقع موقعه ، فكما أن (اضربْ زيداً) لا تأكيد فيه ، فكذلك (ضرباً زيداً) .

وكذلك جميع الأمثلة التي ذكرها ، ليست من باب التأكيد في شيء ، لأن المصدر فيها نائب مناب العامل ، دال على ما يدل عليه ، وهو عوض منه ، ويدل على ذلك عدم جواز الجمع بينهما ، ولا شيء من المؤكدات يمتنع الجمع بينها وبين المؤكد .

ومما يدل على أنّ (ضرباً زيداً) ـ ونحوه ـ ليس من المصدر المؤكد لعامله : أن المصدر المؤكد لا خلاف في أنه لا يعمل ، واختلفوا في المصدر الواقع موقع الفعل ، هل يعمل أو لا ؟

والصحيح أنه يعمل ، فـ (زيداً) ـ في قولك : (ضرباً زيداً) ـ منصوب بـ (ضرباً) على الأصح .

وقيل : إنه منصوب بالفعل المحذوف ، وهو : (اضربْ) .

فعلى القول الأول : ناب : (ضرباً) عن (اضربْ) في الدلالة على معناه ، وفي العمل .

وعلى القول الثاني : ناب عنه في الدلالة على المعنى دون العمل[١]" أ.هـ .

وقول ابن عقيل : "إن جميع الأمثلة التي ذكرها ابن الناظم ، ليست من المؤكد في شيء ، بل المصدر فيها نائب مناب الفعل ... الخ" : فيه نظر .

لأنه لا يأتي في نحو : (أنتَ سيراً) ، إذ يجوز أن يقال : (أَنْتَ تسيرُ سَيراً) .

كما أنه يلزم من كلامه : زيادة أقسام المصدر على الثلاثة المذكورة في قول الناظم :

"توكيداً أو نوعاً يُبيِّنُ أو عَدَد"

إلا أن يكون مراده : أن تلك الأمثلة ليست من المؤكد الآن ،

---

(١) ينظر شرح ابن عقيل : ١/٥٦٣ ، ٥٦٤ .

وإن كانت منه بحسب الأصـــل[١] .

قال الشيخ يس : معلقا على قول الموضح ـ الذي نقله عنه الشيخ خالد ـ : "والحق أن المصدر النائب عن فعله من قسم المصدر المؤكد" ـ أي : بحسب الأصل ، وأما بحسب الحال ، فهي بدل من أفعالها ، وبه يجمع بين كلام الناظم ومن اعترض.

ثم إن إطلاق كونها من المؤكد بحسب الأصل مشكل ، فإن منها ما هو من النوعي[٢][٣] أ.هـ .

وما ذهب إليه ابن مالك هو ما تميل إليه النفس ، لأن حذف عامل المصدر المؤكد يعد نقضا للغرض الذي جيء بالمصدر من أجله .

قال الشاطبي ـ فيما نقله عنه الشيخ خالد ـ : "إن ما قاله ابن الناظم غير لازم ، لأنه إذا أريد تقرير معنى العامل ، فقد قصد الإتيان بلفظ آخر ، يقرر معنى اللفظ الآخر ويؤكده ،

---

[١] ينظر الصبان على الأشموني : ٢/١١٦ .

[٢] أي : كقوله تعالى : (فضرب الرقاب) ، أي : فاضربوه ضرب الرقاب ، ينظر التصريح : ٣٣١/١ .

[٣] حاشية يس على شرح التصريح : ٣٣٠/١ .

فحذفه مع هذا القصد نقض للغـــرض"(١) أ.هــــ .

وأما قول ابن مـــالك :

"والحذفُ حَتْمٌ مَعَ آتٍ بدلاً مِـنْ فِعْلِـهِ ..."

فهذا مستثنى من قولـــه :

"وَحَذْفُ عَامِلِ المُؤكدِ امْتَنَـــعْ ..."

قال الشيخ خالد ـــ نقلا عن الموضح فى بعـــض حواشـــيه علـــى الخلاصة ـــ : "والحق أن المصدر النـــائب عـــن فعلـــه مـــن قســـم المصدر المؤكد ، وهى فى معنى الاستثناء مـــن قولـــه :

"وحذف عامل المؤكد امتنـــع ..."(٢) أ.هــــ .

---

(١) شرح التصريح : ٣٢٩/١ .

(٢) شرح التصريح : ٣٣٠/١ .

المبحث الخامس

امتناع حذف المقسم عليه وتبقية القسم

القسم جملة يجاء بها لتوكيد جملة ، وترتبط إحداهما بالأخرى ارتباط جملتي الشرط والجزاء .

وكلتاهما اسمية وفعلية .

والمؤكدة هي الأولى ، والمؤكدة هي الثانية ، وهي المسماة جوابا .

قال ابن مالك :

جُمْلَةٌ اسميةٌ أو فِعليةٌ للقسمِ اجعلْ قاصِداً إليهْ

نحو : (علي عهده) و (أقسم .... به) وجملة الجواب تختم[١] .

وينقسم إلى صريح ، وغير صريح :

فالقسم الصريح : هو ما يعلم بمجرد لفظه كون الناطق به مقسما ، كـ : (أحلفُ باللهِ) ، و (أنا حالِفٌ باللهِ) ، و (لَعَمْرُ اللهِ) ، و (أَيْمُنُ اللهِ).

والقسم غير الصريح : ما ليس كذلك ، نحو : (عِلْمُ اللهِ) ، و (عَاهَدتُ اللهَ) ، و (وَاثَقتُ الله) ، و (عليَّ عَهدُ الله) ، و (في

---

[١] ينظر شرح الكافية الشافية : ٨٣٣/٢ ، ٨٣٤ .

ذِمَّتِي مِيثَاقٌ) .

فليس بمجرد النطق بشئ من هذا الكلام ، يعلم كونه قسما ، بل بقرينة ، كذكر جواب بعده ، نحو : (عَلَيَّ عَهْدُ الله لأنصرنَّ دينه) ، ومنه قوله ــ تعالى ــ : (نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الله)[١] ، ويدل على أنه ــ هنا ــ قسم ، كسر همزة (إن) بعده ، وتسميته يمينا في قوله ــ تعالى ــ : (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ[٢] جُنَّةً[٣]) .

وأدواته : "الباء ، والواو ، والتاء ، واللام ، و(من)[٤] ، وأيمن".

وأكثر هذه الأدوات الواو ، ثم الباء ، وهما يدخلان على محلوف به ، تقول : (واللهِ لأفعلنَّ) و (باللهِ لأفعلنَّ)[٥] .

والباء : هي أصل حروف القسم ، لأنها حرف إضافة ، ومعناه : الإلصاق ، فأضافت معنى القسم إلى المقسم به ، وألصقته به ، نحو قولك : (أَحْلِفُ باللهِ) ، كما توصل الباء المرور إلى الممرور به ، في

---

(١) سورة المنافقون من الآية ١ .

(٢) سورة المجادلة من الآية ١٦ .

(٣) ينظر شرح التسهيل لابن مالك : ٣/١٩٥ ، ١٩٦ .

(٤) قالوا في القسم : (مِن ربي إنك لأشر) ، وأجازوا ضم ميم (من) هذه ، وزعم بعضهم أن (من) مختصر من (أيمن) .

(٥) ينظر الأصول ١/٤٣٠ ، والارتشاف : ٢/٤٧٦ .

قولك : (مَرَرْتُ بزيدٍ) .

فالباء من حروف الجر بمنزلة (من) ، و (فى) ، فلذلك قلنا : أنــها أصل حروف القسم ، وغيرها إنما هو محمول عليها .

والواو بدل من الباء ، والتاء بدل من الواو ، لأنها أبدلـــت منــها كثيرا فى نحو قولهم : (تُجاه) ، و (تُراث)[1] .

أركان القسم :

يشتمل القسم علـــى ثلاثـــة أشـــياء : جملـــة مؤكـــدة ، وجملـــة مؤكدة، واسم مقسم بـــه .

فالجملة الأولى : هـــى : أقســم ، وأحلــف ، ونحوهمــا : مــن أشهد ، وأعلم ، وهى الجملـــة المؤكـــدة ، وكذلـــك :"لعمــرك الله ، وأيمن الله" .

والجملة المؤكدة : هى الثانية المقســم عليــها .

فإن كانت فعـــلا وقـــع القســم عليــه ، نحــو : (أَحْلِـفُ بــالله لَتَنطَلِقَنَّ) ، وإن كان الذى تلقاه حرفا بعد اسم وخـــبر ، فـــالذى يقـــع عليه القسم فى المعنى الخبر ، كقولـــك : (وَاللهِ إنَّ زَيــداً لَمُنْطَلِــقٌ)، و(واللهِ لزيدٌ قَائِمٌ) ، فالقسم يؤكد الإنطـــلاق والقيــام ، دون (زيـــد) .

---

[1] ينظر ابن يعيش : ٩٩/٩ ، وراجع شرح الكافية الشافية ٨٦٢/٢ .

وأما : المقسم بـه : فكل اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته ، ونحو ذلك مما يعظم عندهم[١] .

الغرض من القسم :

الغرض من القسم : توكيد ما يقسم عليه ، من نفى أو إثبات، كقولك : (واللهِ لأقومنَّ) ، و (واللهِ لا أقومُ) ، فأنت أكدت خبرك ، لتزيل الشك عن المخاطب .

فإذا قلت :والله ، وسكت ، أو : بالله ، ووقفت ، لم يكن لذلك معنى ، حتى تقسم على أمر من الأمور ، لأنك لم تقصد الإخبار بالحلف فقط ، وإنما أردت أن تخبر بأمر آخر ، وهو قولك : (لأفعلنَّ) وأكدته بقولك : (واللهِ) . أو (أحلفُ باللهِ) .

ونظير ذلك من الجمل الشرط والجزاء ، فإنها وإن كانت جملة ، فقد خرجت عن أحكام الجمل ، من جهة أنها لا تفيد حتى ينضم إليها الجزاء[٢].

قال ابن جنى : لا يجوز حذف المقسم عليه وتبقية القسم ، لأن الغرض إنما هو توكيد المقسم عليه بالقسم ، فمحال أن

---

[١] ينظر ابن يعيش : ٩٣/٩ .

[٢] راجع الأصول : ٤٣١/١ ، وابن يعيش : ٩٠/٩ ، ٩١ .

يؤتى بالمؤكد ، ويحذف المؤكد ، لأنه نقـــض للغــرض[١] .

الأمور التـي تغنـى عـن جواب القسـم :

يستغنى عن جــواب القســم بمعمولــه ، كقولــه ـ تعــالى ـ : (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ)[٢] ، أى : لتبعثنّ يــوم ترجــف الرّاجفــةُ .

ويكثر الاستغناء بقسم مقرون بأحد حـــروف الإجابــة ، وهــى : (بلى)، و (نعم) ، ومرادفتــــها : (إيْ) و (إنْ) و (أجَــل) و (جَــيْرِ) ، كقوله تعالى: (أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَـــى وَرَبِّنَــا)[٣] .

وكقولك ـ لمن قــال : أتفعــل كــذا ـ : لا واللهِ ، ونعَــمْ واللهِ ، وإيْ واللهِ ، وإنْ واللهِ ، وأجَــلْ واللهِ ، وجَــيْرِ وَاللهِ .

وزعم قوم أنّ (جَيْرِ) اسم بمعنـــى : (حقــاً) .

والصحيح : أنها حرف بمعنى (نعَــمْ) لأن كــل موضــع وقعــت فيه (جير) يصلح أن تقع فيه (نعم) ، وليـــس كــل موضــع وقعــت فيه يصلح أن توقع فيه (حقا) ، فإلحاقها بـ (نعـــم) أولـــى[٤] .

---

[١] ينظر الاشباه والنظائر : ٢٨٨/١ .

[٢] سورة النازعات ، الآية ٦ .

[٣] سورة الأنعام من الآية ٣٠ .

[٤] ينظر شرح التسهيل : ٢١٩/٣ ، وراجع الارتشاف : ٤٩٣/٢ ، ٤٩٤ ، والهمع : ٤٤/٢ .

اجتماع الشرط والقسم فى كلام واحد :

وكذلك إذا اجتمع فى كلام واحد قسم وأداة شرط ، ولم تكن الأداة (لو) ، و (لولا) استغنى بجواب ما تقدم منهما ، عن جواب المتأخر ، إن لم يتقدم عليهما ذو خبر .

فالاستغناء بجواب القسم لتقدمه ، نحو قوله ــ تعالى ــ : (لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ)[1] ، فجملة (لا يأتون) جوابُ قسم سابق على الشرط ، وهو أن يدل على تقدمه تقدم اللام ، فى (لئن) ، لأنها موطئة لقسم قبلها ، وجواب الشرط محذوف وجوبا ، استغناء عنه بجواب القسم .

والاستغناء بجواب الشرط لتقدمه ، نحو : (إنْ تَقُمْ واللهِ أَقُمْ)، فحذف جواب القسم ، استغناء عنه بجواب الشرط وهو : (أَقُم)[2] .

فلو تقدم عليهما ذو خبر ، جاز جعل الجواب للشرط مع تأخره ، ولم يجب ، خلافًا لابن مالك فى شرح التسهيل[3]

---

[1] سورة الإسراء من الآية ٨٨ .

[2] ينظر شرح التسهيل لابن مالك : ٢١٦/٣ ، والتصريح بمضمون التوضيح : ٢٥٣/٢ .

[3] ينظر شرح التسهيل : ٢١٦/٣ .

والكافية(١) ، وخالف ذلك في الخلاصة ، فقال :

وَإِنْ تَوَالَيَا وَقَبْلُ ذُو خَبَر — فَالشَّرْطُ رَجِّحْ مُطْلَقاً بلا حَذَر

وذلك نحو : (زيدٌ واللهِ إِنْ يَقُمْ أَقُمْ) .

وجاز جعل الجواب للقسم ، لتقدمه ، نحو : (زَيدٌ واللهِ إِنْ يَقُمْ لأَقُومَنَّ) .

والأرجح مراعاة الشرط ، تقدم أو تأخر .

ذكر هذا ابن عصفور وغيره ، وجرى عليه الناظم في الخلاصة .

وإنما رجح جعل الجواب للشرط ، مع تقدم ذي خبر ، لأن سقوط الشرط يخل بمعنى الجملة التي هو منها ، بخلاف القسم ، فإنه مسوق لمجرد التوكيد(٢) .

ولا يجوز جعل الجواب للشرط مع تأخره عن القسم ، إن لم يتقدمهما ذو خبر ، فلا يجوز : واللهِ إِنْ قَامَ زَيدٌ أَقُمْ ، خلافاً لابن مالك(٣)، حيث ذكر أن الشرط إذا أُخِّرَ عن القسم ، ولم يتقدم عليهما ذو خبر ، فالأكثرُ الاستغناءُ عن جوابه بجواب

---

(١) ينظر شرح الكافية الشافية : ٢/٨٨١ ، ٨٨٨ .

(٢) ينظر التصريح بمضمون التوضيح : ٢/٢٥٣ ، والأشموني / ٢٩ .

(٣) ينظر شرح التسهيل : ٣/٢١٦ ، وشرح الكافية الشافية : ٢/٨٨٩ — ٨٩١ .

القسم ، ولا يمتنع الاستغناء بجواب الشرط مع تأخره ، مستدلاً لذلك بنحو قول الشاعر :

لَئِنْ مُنِيتَ بنا عن غِبِّ مَعْرَكَةٍ ... لا تُلْفِنَا عَنْ دِمَاءِ القومِ نَنْتَفِلُ[1]

وخلافاً للفراء ــ أيضاً ــ حيث أجاز هذا ، مستدلاً بقوله :

لئنْ كانَ ما حَدَّثْتُه اليومَ صَادِقاً ... أَصُمْ فى نَهارِ القيظِ للشمسِ باديا
وأَركبُ حمارًا بينَ سرجٍ وفَرْوَةٍ ... وأُعْرِ مِنَ الخَاتَامِ صُغْرَى شِمَالِيَا[2]

وهذا عند البصريين ضرورة ، واللام فى (لئن) زائدة ، لا

---

(1) من البسيط ، وقائله الأعشى .

المفردات : منيت : بليت ، غب معركة : غب الشئ عاقبته ، أى : حالة كوننا منفصلين عن عاقبة معركة ، لا تلفنا : أى لا تجدنا ، انتفل منه : تبرأ وانتفى .

من مواضعه : شرح الكافية الشافية : ٢/٨٠٩ ، ٨٨٩ ، ٣/١٦١٧ ، وشرح التسهيل لابن مالك : ٣/٢١٦ ، والأشمونى : ٤/٢٩ .

(2) البيت من الطويل ، وقائلتهما امرأة فصيحة من عقيل .

المفردات : القيظ : شدة الحر ، بادية : بارزا للشمس ، الخاتام : لغة فى الخاتم ، صغرى شماليا: الخنصر . والمعنى : أنها تعتذر للمخاطب عن ذنب حكى عنها ، مؤكدة ذلك بنذر هذا الصوم الشاق ، والدعاء على نفسها بالهيئة التى ينادى بها على المجرم .

والشاهد فى قولها : (أصم) حيث اكتفى به عن جواب القسم المقدر ، الموطأ له باللام . وقيل : اللام زائدة ، وترجيح الشرط فى الأبيات ضرورة .

من مواضعه : معانى القرآن للفراء : ٢/١٣٠ ، وشرح التسهيل لابن مالك : ٣/١٧١ ، وشرح الكافية الشافية : ٢/٨٩١ ، والتصريح : ٢/٢٥٤ ، وشرح شواهد المغنى للسيوطى : ٣/٦١٠ ، والأشمونى : ٤/٢٩ .

موطئة للقسم(١) .

فلو كانت أداة الشرط (لو) ، أو (لولا) فذهب ابن مالك : إلى أنه يستغنى بجوابها مطلقا ، عن جواب القسم .

قال في شرح التسهيل : "فلو كانت أداة الشرط (لو) ، أو (لولا) ، استغنى بجوابها عن جواب القسم مطلقا ، نحو : (واللهِ لو فَعلتَ لَفعلتُ)، و (لو فعلتَ واللهِ لفعلتُ) ، وكذا لو تقدم عليها ذو خبر ، أو كان بدل (لو) ، (لولا)"(٢) . أ.هـ .

وصحح الأشمونى مذهب ابن مالك ، قال الأشمونى : "وأما الشرط الامتناعى ، نحو : (لو) ، و (لولا) ، فإنه يتعين الاستغناء بجوابه ، تقدم القسم أو تأخر ، كقوله :

فأقسِمُ لو أبدى النَّدَى سَوَادَهُ ... لَمَا مَسَحَتْ تلكَ المَسَالاتِ عَامِرُ(٣)

---

(١) ينظر التصريح بمضمون التوضيح : ٢٥٣/٢ ، ٢٥٤ ، وراجع الإرتشاف : ٤٩٠/٢ ، والهمع: ٤٣/٢ ، والأشمونى : ٢٩/٤ ، ٣٠ .

(٢) شرح التسهيل لابن مالك : ٢١٦/٣ ، ٢١٧ .

(٣) من الطويل ، ولم أهتد لقائله .

المفردات : أبدى : أظهر . الندى : مجلس القوم ومتحدثهم ، سواده : شخصه ، المسالات : جمع مسألة وهي : جانب اللحية ، وأراد بعامر قبيلة في قريش .

والمعنى : أن الشاعر يحلف أن الممدوح ، لو حضر مجلس القوم ، لما قدر [illegible] أن يمسحوا شواربهم ، من هيبته وسطوته على الناس .

والشاهد في قوله:(لما مسحت) ، حيث جعل جوابا لـ (لو) ، واستغنى به عن جواب القسم=

وكقوله :

واللهِ لــــولا اللهِ مـــا اهْتَدَيْنَـــــا وَلا تَصَدَّقْنَـــــا وَلا صَلَّيْنَـــــا[١]

نص على ذلك فى الكافية[٢] والتسهيل[٣] وهو الصحيح .

وذهب ابن عصفــور : إلــى أن الجــواب فــى ذلــك القســم ، لتقدمه ولزوم كونه ماضيــا ، لأنــه مغــنٍ عــن جــواب (لــو) ، و (لولا) وجوابهما لا يكون إلا ماضيــا"[٤] أ.هــــ .

وما ذهب إليه ابن عصفور ، نسبه أبو حيــان[٥] للجمــهور .

وذكر الســـيوطى[٦] والأشــمونى[٧] : أن مقتضـــى كــلام ابــن

=وهذا متعين عند ابن مالك .

من مواضعه : شرح الكافية الشافية : ٨٩٣/٢ ، والمقاصد النحويــة : ٤٥٠/٤ ، والأشمــونى : ٢٨/٤

(١) رجز ، نسبه بعضهم لعبد الله بن رواحة ـــ رضى الله عنه ـــ ونسبه بعضهم لعامر ابن الأكوع والشاهد فى قوله : (ما اهتدينا) ، حيث جعل جوابا لـــ (لولا) ، واستغنى به عن جواب القسم.

من مواضعه : شرح الكافية الشافية : ٨٩٤/٢ ، والهمع : ٤٣/٢ ، والأشمونى : ٢٨/٤ .

(٢) ينظر شرح الكافية الشافية : ٨٩٣/٢ ، ٨٩٤ .

(٣) ينظر شرح التسهيل : ٢١٦/٣ ، ٢١٧ .

(٤) الأشمونى : ٢٨/٤ .

(٥) ينظر الهمع : ٤٣/٢ .

(٦) ينظر المرجع السابق : ٤٣/٢ .

(٧) ينظر الأشمونى : ٢٨/٤ .

مالك في التسهيل : أنه لا حذف ، وأن (لو) ، و (لولا) ومدخولهما جواب القسم ، حيث قال : وتصدر ـ أي جملة المقسم عليه ـ في الشرط الامتناعي بـ (لو) ، و (لولا)[١] .

قال الصبان : "وهذا قول ثالث ، غير ما نص عليه المصنف في الكافية ، وغير ما ذهب إليه ابن عصفور "[٢] أ.هـ.

وما نسبه السيوطي والأشموني إلى ابن مالك ، في هذا الأخير موافقٌ لما قال به في التسهيل وشرحه في موضع[٣] ، وفي موضع آخر[٤] ذكر أنه يستغني بجواب (لو) ، و (لولا) عن جواب القسم ، وهو ما أشرت إليه سابقا[٥] .

كما ذكر في الكافية وشرحها أنه يستغني بجوابها عن جواب القسم ، حيث قال :

وبِجوابِ (لَوْ) وَ (لَوْلاَ) اسْتَغْنَيَنَـا ... حَتْمَاً إذَا ما تَلَوا أو تَلِيَا[٦] **أ.هـ**

---

[١] ينظر شرح التسهيل : ٣/٢٠٥ ، ٢٠٦ .

[٢] ينظر حاشية الصبان : ٤/٢٨ .

[٣] ينظر شرح التسهيل : ٣/٢٠٥ ، ٢٠٦ .

[٤] ينظر شرح التسهيل : ٣/٢١٦ ، ٢١٧ .

[٥] ينظر صـ ١٤ من البحث .

[٦] شرح الكافية الشافية : ٢/٨٨١ ، وراجع : ٢/٨٩٣ ، ٨٩٤ .

ويمكن القول : بأن تعين كــون الجــواب للشــرط الامتنــاعي ، مقيد بعد صلاحه جوابــا للقســم ، قــال الســيوطي : "ونقــل عــن بعضهم : أنه إن لم يصلح جوابا للقســم ، بــأن نفــي بــ (لــم) نحو : (وَاللهِ لو قامَ زَيدٌ لم يَقُمْ عَمْرٌو) ، أو بــ (مــا) مــع الــلام ، نحو : (واللهِ لَوْ قَامَ عمروٌ لما قَامَ زَيــدٌ) ، تَعيــنَ جعلــه لــ (لــو) وهو تقييد لمحل الخلاف لا قول آخــر"[١] أ.هــ .

---

[١] ينظر الهمع : ٤٣/٢ .

المبحث السادس

امتناع تنوين المضاف ، وقلة حذف المضاف إليه

المضاف فى غاية الحاجة إلى المضاف إليه ، فهو كالجزء منه ، لذلك امتنعوا من إلحاق التنوين له ، لأن التنوين يدل على الانفصال ، فهو مؤذن بالوقف ، والإضافة تدل على الاتصال ، فلا يفصل به بين ما جعلا كالشئ الواحد .

وأيضا التنوين دليل التنكير ، والإضافة موضوعة للتعريف أو التخصيص ، فالجمع بينهما جمع بين ضدين[١] .

ولا يرد على ذلك تنوين الأعلام ، نحو : (زيد) ، و (بكر) لأن الأعلام لما ضارعت النكرات بألفاظها ، جاز تنوينها ، إذ كان تعرفها معنوياً ، لا لفظياً ، لأنه لا لامَ تعريفٍ فيها ولا إضافة[٢] .

وأما حذف المضاف إليه ، فذكر ابن يعيش أنه أقل من حذف المضاف ، وأبعد قياسا .

قال فى شرح المفصل : "أعلمْ أنه قد جاء عنهم حذف

---

(١) ينظر الخصائص : ٣/٢٤٠ ، والتصريح مع حاشية يس : ٢/٢٤ .

(٢) ينظر الخصائص : ٣/٢٤٠ .

المضاف إليه، وهو أقل من حذف المضاف وأبعد قياسا ، وذلك لأن الغرض من المضاف إليه التعريف والتخصيص ، وإذا كان الغرض منه ذلك وحذف ، كان نقضاً للغرض ، وتراجعاً عن المقصود ، فمن ذلك قولهم : (إذ) ، و (حِينَئِذٍ) ، وأصله أن (إذ) تكون مضافة إلى جملة ، إما إبتدائية وإما فعلية ، نحو : (جئتُكَ إذا الحَجَّاجُ أميرٌ ، وإذْ قَامَ زَيدٌ) ، وإذ كانت إنما تضاف إلى جملة ، لتوضحها وتزيل إبهامها ، فإذا تقدمتها جملة ، إما فعلية وإما اسمية ، ربما حذفوا الجملة المضاف إليها (إذ) ، لدلالة الجملة المتقدمة عليها ، فجاءوا بالتنوين بعد (إذ) عوضا من المحذوف ، وذلك نحو قولهم:(إذْ) من قول الشاعر :

نَهَيتُكَ عن طِلابِكَ أمَّ عَمْرٍو ... بِعَاقِبَةٍ وَأَنْتَ إذٍ صَحِيحُ[1]

وأصله : وأنتَ إذْ نَهَيتُك ، فحذف الجملة وعوض منها التنوين .

---

[1] من الوافر ، وقائله أبو ذؤيب الهذلى ، يخاطب قلبه ، وهو سليم يستطيع التخلص من الحب فى بدايته ، قبل أن يستحكم فيه .

والشاهد فى قوله : (إذ) حيث جاء بالتنوين عوضا من الجملة المحذوفة ، والتقدير : وأنت إذ نهيتك .

من مواضعه : شرح الكافية الشافية : ٢/٩٤٠ ، وشرح التسهيل لابن مالك : ٣/٢٥١ ، ومغنى اللبيب : ١/٨٦ .

ومثله : (حينئذٍ وساعتئذٍ، ويومئذٍ) ، والمراد : حينَ إذْ كانَ كذا كذا ، وساعةَ إذْ كانَ كذا وكذا ، ويومَ إذْ كانَ كذا وكذا"[١] . أ.هـ .

وفيما قاله ابن يعيش نظر ، فالمضاف إليه يجوز حذفه ، إذا عطف على المضاف اسم عامل في مثل المضاف إليه المحذوف، كقولهم : (خُذْ رُبْعَ ونِصْفَ مَا حَصَلَ) .

قال في التصريح : "والأصل : خُذْ رُبْعَ مَا حَصَلَ وَنِصْفَ ، فحذفوا : (ما حَصَلَ) الأول المضاف إليه (ربع) لدلالة (ما حصل) الثاني المضاف إليه نصف ، أبقوا المضاف الأول ، وهو (ربع) على حاله فلم يُنَوَّن ؛ لأن المضاف إليه منوى لفظه، وعطف عليه نصف ، وهو اسم مضاف عامل في (ما حصل) الجر بالإضافة إليه ، و (ما حصل) المذكور مثل (ما حصل) المحذوف لفظا ومعنى" .

وهذه المسألة لها شبه بباب التنازع ، فإن (ربع) ، و (نصف) يتنازعان (ما حصل) ، فأعمل الثاني لقُربِهِ ؛ وحذف معمول الأول لأنه فضلة .

وذهب سيبويه : إلى أنها من باب الفصل بين المضاف

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش : ٢٩/٣ .

والمضاف إليه .

والأصل : خُذْ ربعَ ما حصلَ ونصفَه ، ثم أقحم (ونصفه) بين المضاف والمضاف إليه ، فصار : ربع ونصفه ما حصل ، ثم حذف الهاء إصلاحاً للفظِ ، فصار : ربع ونصف ما حصل .

ومثل هذا عند سيبويه والجمهور : لا يجوز إلا في الشعر .

واختار الناظم أنه من الحذف الأول لدلالة الثاني عليه ، فلا فصل ، فهي جائزة قياساً وسماعاً ، وإليها أشار بقوله في النظم:

وَيُحْذَفُ الثانى فيَبْقى الأوَّلُ ... كَحَالِهِ إذَا بِهِ يَتَّصِلُ
بِشَرطِ عطفٍ وإضافةٍ إلى ... مثلِ الَّذِى لَهُ أضَفْتَ الأَوَّلا[1]

ونعل مراد ابن يعيش ببعده قياساً وقلته استعمالاً ، أى : بالنسبة إلى حذف المضاف ، أو إذا لم يدل دليل على المحذوف.

قال ابن مالك : "والاستعمال في الأسماء الناقصة الدلالة قليل ، وهو في الأسماء التامة الدلالة كثير ، فمن شواهده في النثر قول بعض العرب : "قَطَعَ اللهُ الغداةَ يَدَ وَرِجْلَ مَنْ قَالَهَا"

---

[1] شرح التصريح : ٥٦/٢ ، ٥٧ ، وارجع ابن عقيل : ٧٨/٢ ــ ٨١ .

ومن شواهده فى النظم قولـــه :

سَقَى الأرضينَ الغيثُ سَهْلَ وحَزْنِهَا   فَنِيطتْ عُرَى الآمالِ بالزرعِ والضَّرْعِ [١][٢]

وقال فى التصريح : "ومن غير الغالب قولـــه : "أبـدًأ بـِدَا مِـنْ أَوَّلَ" بالخفض من غير تنوين ، علـــى نيـــة لفـــظ المضـــاف إليـــه ، أى : من أول الأمـــر .

وقـــراءة ابـــن محيـــض : (فَـــلا خَـــوفُ عَلَيْـــهِمْ ولا هُـــمْ يَحْزَنُونَ)[٣] ، بالرفع مـــن غـــير تنويـــن ، أى : فـــلا خـــوف شـــئ عليهم"[٤] أ.هـــ .

---

[١] من الطويل ، ولم أهتدِ لقائله .

المفردات : الغيث : المطر ، الحزن : ما غلظ مـــن الأرض ، والســـهل وخلافـــه ، نيطـــت : تعلقت ، العرى : جمع عروة ، الآمال : جمع أمل ، وهو الرجاء ، الضرع : كل ذات خـــف أو ظلف .

والمعنى : أن المطر قد عم كل الأرض ، فقوى رجاء الناس فى نماء الزرع ، وغزارة الألبان .

والشاهد فى قوله : (سهل حزنها) ، حيث حذف المضاف إليه وأبقى المضاف ـــ وهـــو قولـــه : (سهل) على حالة قبل الحذف من غير تنوين ، لأن المضاف عطف عليه اسم مضاف إلى مثـــل المحذوف من الأسم الأول .

من مواضعه : شرح ابن عقيل : ٧٩/٢ ، والأشمونى : ٢٤٧/٢ .

[٢] ينظر شرح التسهيل لابن مالك : ٢٤٨/٢ ، ٢٤٩ .

[٣] سورة البقرة من الآية ٣٨ .

[٤] ينظر التصريح بمضمون التوضيح : ٥٧/٢ ، وراجع ابن عقيل : ٨٠/٢ .

وقال في المغني : "وسُمِعَ : سَلامُ عَليكم ، فيحتمل حذف المضاف إليه ، أي : سلامُ اللهِ عليكم ، أو إضمار أل"[١] أ.هـ.

---

(١) ينظر مغني اللبيب : ٦٢٤/٢.

المبحث السابع
الامتناع - قياساً - من حذف الموصوف ، أو الصفة ، أو المؤكد

أولاً : الامتناع من حذف الموصوف ، أو الصفة :

الصفة والموصوف كالشيء الواحد ، فالبيان والإيضاح إنما يحصل من مجموعهما ، لذلك كان القياس أن لا يحذف واحد منهما ، لأن حذف أحدهما نقض للغرض ، وتراجع عما اعتزموه .

فالموصوف القياس يأبى حذفه لذلك ، ولأنه ربما وقع بحذفه لبس ، فإذا قلت : مَرَرْتُ بطويلٍ ، لم يعلم من ظاهر اللفظ أن الممرور به إنسان ، أو رمح ، أو ثوب ، ونحو ذلك مما قد يوصف بالطول[١] .

وأجاز بعضهم حذفه ، إذا قصد الإبهام على السامع[٢] .

لكن إذا علم النعت أو المنعوت جاز حذفه ، ويكثر ذلك في المنعوت ويقل في النعت .

---

(١) ينظر ابن يعيش : ٥٩/٣ .

(٢) ينظر حاشية الصبان : ٣/ ٧٠ .

وشرط حذف المنعوت ، إما كون النعت صالحا لمباشرة العامل ، نحو قوله ـ تعالى : (أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ)[١] ، أى : دروعات سابغات .

وأما كون المنعوت بعض اسم مخفوض بـ (من) ، أو (فى) كقولهم : (مِنَّا ظَعَنَ ، ومِنَّا أَقَامَ) ، أى : مِنَّا فريقٌ ظَعَنَ ، ومِنَّا فَرِيقٌ أَقَامَ ، وكقولهم : (مَا فِى النَّاسِ إِلَّا شَكَرٌ أَوْ كَفَرٌ) ، أَىْ: إِلَّا رَجُلٌ شَكَرٍ ، أو رَجُلٌ كَفَرٍ .

فإنْ لم يصلح النعت لمباشرة العامل ، ولم يكن المنعوت بعض ما قبله من مجرور بـ (من) ، أو (فى) امتنع ذلك إلا فى الضرورة ، كقوله :

كَأَنَّك مِنْ جِمَالِ بَنِى أُقَيْشٍ ... يُقَعْقِعُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ بِشَنِّ[٢][٣]

---

[١] سورة سبأ من الآية ١١ .

[٢] من الوافر ، وقائله النابغة الذبياني ، والبيت بديوانه ، صـ ١٩٤ .

المفردات : أقيش : حي من عكل ، أو من أشجع ، أو من اليمن ، وقيل من الجن ، يقعقع : يصوت ، الشن : القربة اليابسة ، وهو يصف مخاطبة بسرعة الغضب ، وشدة النفور .

والشاهد فى قوله : (كأنك من جمال) ، حيث حذف الموصوف ، والتقدير : كأنك جمل من جمال بني أقيش .

من مواضعه : الكتاب : ٣٤٥/٢ ، وابن يعيش : ٦١/١ ، ٥٩/٣ ، ٦٠ ، والأشموني : ٧١/٣ .

[٣] ينظر الأشموني : ٧٠/٣ ، ٧١ ، وراجع التصريح : ١١٨/٢ .

قال ابن يعيش : "فأما إذا كانت الصفة غير جارية على الفعل ، نحو : (مررتُ برجلٍ أيِّ رَجُلٍ ، وأيِّما رَجُلٍ) ، فإنه يمتنع حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، لأن معناه كامل ، وليس من لفظ الفعل .

وكذلك لو كانت الصفة جملة ، نحو : (مررتُ برجلٍ قامَ أخُوه) ، و (لقيتُ غلاماً وَجْهُهُ حَسَنٌ) ، لم يجز حذف الموصوف فيه أيضا ، لأنه لا يحسن إقامة الصفة مقام الموصوف فيه ، ألا تراك لو قلت : مررتُ بقامَ أخوه ، أو : لقيتُ وَجْهُه حَسَنٌ ، لم يحسن وربما جاء شيء من ذلك ، وما أقله ، فمن ذلك قول النابغة : "كأنك من جمالِ بني أقيش ... الخ"[(١)]" .أ.هـ .

وأما النعت ، فيجوز حذفه إن عُلِمَ ، كقوله ـ تعالى ـ : (يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا)[(٢)] ، أي : كل سفينة صالحة ، بدليل أنه قُرِئَ كذلك .

وكقوله تعالى : (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ)[(٣)] ، أي

---

(١) ينظر ابن يعيش : ٣/٦٠ .

(٢) سورة الكهف من الآية ٧٩ .

(٣) سورة الأحقاف من الآية ٢٥ .

سُلِّطَتْ عليـه[١] .

ثانيا : الإمتنـاع من حذف المؤكد :

لا يحذف المؤكد ، ويقـام المؤكـد مقامـه علـى الأصـح ، لأن الغرض من التوكيد التقوية ، والحـذف ينافيـه .

وأجاز الخليل وسيبويه ـ وتبعهما جماعـة ـ نحـو : (مـررتُ بزيدٍ وأتانى أخـوهُ أنفسُـهُمَا) ، وقـدره الخليـل : هُمَـا صَاحِبَـاى أنفسُـهُمَا .

ويجوز أن ينصب بتقدير : أَعْنِيـهِمَا أَنْفُسَـهُمَا[٢] .

---

[١] ينظر مغنى اللبيب : ٦٢٧/٢ ، والأشمونى : ٧١/٣ .

[٢] ينظر مغنى اللبيب : ٦٠٨/٢ ، ٦٠٩ ، والأشمونى مع حاشية الصبان : ٨٤/٣ .

المبحث الثامن

حذف نون الرفع، وامتناع حذف نون التوكيد، عند اجتماعهما[1]

إذا اجتمعت نون التوكيد ، ونون الرفـــع ، حذفـــت نـــون الرفـــع ، ولم تحذف نون التوكيد ، لفوات المقصـــود منـــها بحذفـــها ، لعـــدم ما يدل عليـــها :

بخلاف نون الرفع ، فإنها وإن أتى بها لمعنـــى مقصـــود ، لكـــن لا يفوت بحذفها ، لوجود الدليل عليـــها ، وهـــو أن الفعـــل معـــرب مرفوع لم يدخل عليه نـــاصب ولا جـــازم ، فيعلـــم ـ حينئـــذ ـ أن نون الرفع مقـــدرة .

وأيضا فإن نرن الرفع جـــزءُ كلمـــة ، والمؤكِـــدةُ كلمـــةٌ قائمـــةٌ مقامَ تكرير الفعل ، وحذفُ جزءٍ أسهلُ من حذف مـــا ليـــس جـــزءاً.

ولدلالة المؤكدة ــ أبدا ــ على معنـــى ، كـــانت أولـــى بالبقـــاء

---

[1] ينظر في هذه المسألة : الكتاب : ٥١٩/٣ ، ٥٢٠ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، وابن يعيـــش : ٣٧/٩ ، ٣٨ ، وشرح الكافية الشافية : ١٧٥/١ ، ١٧٦ ، ١٤١٥/٣ ــ ١٤١٧ ، وشرح التسهيل لابن مالك : ٣٦/١ ، ٥١ ، والارتشاف : ٣٠٧/١ ، ٤٢٠ ، والتصريح : ٥٧/١ ، والأشموني مـــع حاشية الصبان : ٦١/١ ، ٦٢ ، ٢٢٢/٣ ، والموسوعة النحوية الصرفيـــة ليوســـف الحمادي : ٧٩/٣ ، ٨٠ .

من نون الرفع ، لأنها ـ في الغالب ـ لا تـدل علـى معنـى ، فمـا يدل أبدا أولى بالبقاء مما يدل في بعـض الأحـوال[١] .

وذلك نحو : (هل تَضْرِبَانِ يـا زَيـدانِ) ، و (هـل تَضْرِبُنَّ يـا زَيدونَ)، و (هل تَضْرِبِنَّ يا هنـدُ) .

والأصـل : هـل تَضربَـانِنْ ، وتَضربُونَـنْ ، وتَضربينَـنْ ، حذفت نون الرفع لتوالـى الأمثـال ، ولـم تحـذف نـون التوكيـد لفوات المقصود ـ كما سبق ـ ثـم حذفـت الـواو واليـاء لإلتقـاء الساكنين ، وبقيت الضمة والكسرة دليلاً علـى المحـذوف .

ولم تحذف الألف ـ فيمـا أسـند إلـى ألـف الاثنيـن ـ لئـلا يلتبس بفعل الواحـد[٢]

---

[١] ينظر شرح الكافية الشافية : ١/١٧٦ .

[٢] ينظر الأشموني مع حاشية الصبان : ١/٦١ ، ٦٢ ، وراجع : ٣/٢٢٢ ، والتصريح : ١/٥٧ .

المبحث التاسع
امتناع إلحاق (من)
بـ (أفعل التفضيل) المقرون بـ (أل)[1]

يمتنعُ وصلُ (مِنْ) الجارة للمفضول عليه بـ (أفعل) التفضيل إذا كان مقروناً بـ (أل)، فـ (مِنْ)، و (أَلْ) يتعاقبان، ولا يجتمعان.

ووجه الامتناع: أَنَّ (أل) تفيد من التعريف، أكثر مما تفيده (مِنْ) من التخصيص، فالجمع بينهما نقيضٌ للغرض الذي جِئ بـ (أل) لأجله.

فإذا قلت: "زيدٌ أفضلُ مِنْ عَمروٍ"، دَلَّ هذا على فضل (زيد) على (عمرو) فحسب.

أما إذا قلت: (الأفضلُ) دخل فيه عمروٌ، وغيرُهُ.

فـ (مِنْ) تقتضي تفضيله على المجرور بها لا غير، واللام

---

(١) ينظر في هذه المسألة: الخصائص: ٢٣٣/٣، ٢٣٤، وابن يعيش: ١٠٣/٦، ١٠٤، وشرح التسهيل لابن مالك: ٥٧/٣، ٥٨، وشرح الكافية الشافية: ١١٣٤/٢، ١١٣٥، والارتشاف: ٢٢٠/٣، ٢٢١، وابن عقيل: ١٧٩/٢، ١٨٠، ومغني اللبيب: ٥٧٢/٢، والتصريح بمضمون التوضيح: ١٠٤/٢، والأشموني مع حاشية الصبان: ٤٥/٣ — ٤٧.

تقتضى تفضيله عليه وعلى غـــيره[١] .

قال ابن جنى : "يمتنع إلحاق (مـــن) بـــ (أفعـــل) إذا عرفتـــه باللام ، نحو : (الأحسنُ منه ، والأطـــولُ منْـــه) ، وذلـــك أن (مـــن) تُكسِبُ ما يتصلُ بها من (أفعل) هذا تخصيصـــاً مـــا .

ألا تراك لو قلتَ : (دخلتُ البصـــرةَ فرأيـــتُ أفضـــلَ مِنْ ابـــنِ سيرينَ) ، لم يسبق الوهمُ إلا إلـــى الحســـن ـ رضـــى الله عنـــه ـ فبـــ (من) صَحَّتْ لك هذه الفـــائدة .

وإذا قلـــت : (الأحســـن أو الأفضـــل) ، أو نحـــو ذلـــك ، فقـــد استوعبت اللام من التعريف ، أكثر مما تفيـــده (مـــن) مـــن حصتـــها من التخصيص ، فكرهوا أن يتراجعوا بعـــد مـــا حكـــوا مـــن قـــوة التعريف ، إلى الإعتراف بضعفه ، إذ هم أتبعوه مـــن الدلالـــة علـــى حاجتـــه إليـــها وإلـــى قـــدر مـــا تفيـــده مـــن التخصيـــص المفـــاد منه"[٢] أ.هـــ .

وقد تعلق الجاحظ بظاهر قـــول الأعشـــى :

وَلَسْـــتَ بالأكثـــرِ منهم حصًى ... وإنَّمَـــا العِـــزَّةُ لِلكَاثِـــرِ[٣]

---

[١] ينظر ابن يعيش : ١٠٤/٦ ، وراجع التصريح : ١٠٤/٢ ، والصبان ٤٧/٣ .

[٢] ينظر الخصائص : ٢٣٣/٣ ، ٢٣٤ .

[٣] من السريع ، وقائله الأعشى كما ذكر . =

وزعم أنَّ في ذلك نقضاً لمَا أصلَّهُ النحويون ، من امتناع الجمع بين الألف واللام و (من) في هذا الضرب .

وفيما ذهب إليه الجاحظ نَظَرٌ .

فالبيت الذى تمسك به مؤول ، إمَّا : على زيادة (أل) في (الأكثر) ، أو : على أن (مِنْ) ليست متعلقة بـ (الأكثرِ) المعرف بـ (أل) وإنما هي متعلقةٌ بـ (أكثر) منكراً محذوفاً مبدلاً من (أكثر) المذكور ، بدل نكرة من معرفة ، والأصل : بالأكثر أكثر منهم .

أو على أنَّ (مِنْ) بمعنى (في) ، أى : فيهم .

أو على أن (مِنْ) لبيان الجنس ، أي : من بينهم .

أو متعلقة بـ (ليس) لما فيه من رائحة قولك : انتفى ، وَاغْتُفِرَ الفصلُ بين (أفعل) وتمييزه للضرورة[1] .

=والشاهد في قوله : (بالأكثر) فإن ظاهره الجمع بين (أل) الداخلة على (أفعل) التفضيل ، و(من) الجارة للمفضول عليه . وقد خرجه العلماء كما ذكر .

من مواضعه : الخصائص : ٢٤٣/٣ ، وابن يعيش : ١٠٣/٦ ، وشرح التسهيل لابن مالك : ٥٨/٣ ، والارتشاف : ٢٢١/٣ ، ومغني اللبيب : ٥٧٢/٢ ، والأشموني : ٤٧/٣ ، وشذا العرف ، صـ ٨٠ .

(١) ينظر مغني اللبيب: ٥٧٢/٢، والتصريح بمضمون التوضيح : ١٠٤/٢ ، وشذا العرف ، ص ٨٠ .

فإن كانت (من) غير داخلة على المفضول ، جاز الجمع بينها وبين ذي (أل) ، كقول الشاعر :

فَهُمُ الأَقْرَبُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ... وَهُمُ الأَبْعَدُونَ مِنْ كُلِّ ذَمٍّ[1][2]

---

(1) من الخفيف ، ولم أهتد إلى قائله .

والشاهد فيه وصل (من) بـ (أفعل) التفضيل المقرون بـ (أل) لأنها غير جارة للمفضل عليه .

من مواضعه : الارتشاف : ٣/٢٢١ ، والصبان : ٣/٤٧ ، والنحو الوافي : ٣/٤١٢ .

(2) ينظر الارتشاف : ٣/٢٢١ ، والصبان : ٣/٤٦ ، ٤٧ .

الفصل الثانى
الصور الصرفية

المبحث الأول
حذف العين من مصدر الفعل المعل العين، ومن اسم المفعول من نحو: (قال)، و(باع) على رأى الأخفش

قياس مصدر (أفعل) إفعال ، نحو : (أَكْرَمَ إِكْرَام) .

وقياس مصدر (استفعل) استفعال ، نحو : (اسْتَخْرَجَ ، اسْتِخْرَاج) .

فإذا كان (أفعل) ، أو (استفعل) معتل العين ، نُقِلَتْ حركة العين إلى الفاء الساكنة قبلها ، فتقلب العين ألفا ، لتحركها ــ في الأصل ــ وانفتاح ما قبلها في اللفظ ــ فيلتقي ساكنان ــ وهما :

الألف المنقلبة عن العين ، وألف المصدر ــ فتحذف إحداهما ، وتعوض عنها التاء ، نحو : (أَقَامَ إِقَامَةً) ، و (أَعَانَ إِعَانَةً) و (اسْتَقَامَ إِسْتِقَامَةً) ، و (اسْتَعَاذَ إِسْتِعَاذَةً) .

ويصاغ اسم المفعول من الثلاثي على زنة (مفعول) ، نحو: (مَضْرُوْب) ، و (مَعْلُوم) من : (ضُرِبَ وعُلِمَ) .

فإن كان الفعل معتل العين ، نحو : (بَاعَ ، وقَالَ) ، جاء اسم

المفعول على (مَبِيع ، ومَقُـول) .

وأصل (مَبِيع ، ومَقُول) : مَبْيُـوْع ، ومَقْـوُوْل ، فنقلـت حركـة العين إلى الساكن الصحيح قبلها ، فـالتقى سـاكنان ، عيـن الكلمـة و (واو) مفعول ، فوجب حـذف أحدهمـا[1] .

وللعلماء ــ فى هذا والذى قبلـه ــ مذهبـان :

١ــ ذهب الخليل وسيبويه إلى أن المحذوف مـن نحـو : (إقَامَـة) ، و (إستِقَامَة) هـو ألـف المصـدر ، فـوزن المصـدر عندهمـا : (إفْعَلَة، واستِفْعَلَة) .

والمحذوف من نحو : (مَبِيْـع) ، ومَقُـوْل ، هـو واو مفعـول ، فوزن (مَبِيْع) ــ عندهما ــ : (مَفِعْـل) ، و (مَقُـوْل) : (مَفُعْـل) .

٢ ــ ذهب الأخفش والفراء : إلى أن المحـذوف ــ فيمـا سـبق ــ هو عين الفعـل .

وعلى هذا فوزن المصـدر ــ عندهمـا ــ مـن نحـو (إقَامَـة ، وإستِقَامَة) : (إفَالَة ، وإسـتِفَالَة) .

ووزن اسم المفعـول مـن (مَبِيْـع) : (مَفِيْـل) ، ومـن نحْـو :

---

[1] راجع شرح الكافية الشافية : ٢١٤٢/٤ ، والتصريح : ٧٥/٢ ، والتبيان فى تصريف الأسمـاء ، جـ ٣٠ ، ٣١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، والضياء فى تصريف الأسماء ، صـ ٥٦ ، ٥٧ ، ٩٣ ، والواضح فى تصريف الأسماء ، صـ ٢٤ ، ٤٢ ، ٤٣ .

(مَقْوُن) : (مَفُوْل) .

حجة كل فريق :

حجة الخليل وسيبويه على أن المحذوف الحرف الزائد ، لا عين الكلمة تتمثل في :

أ ـ أن الزائد هو الأولى بالحذف ، قياسا على نحو : (تعزية)، حيث حذف المدة الزائدة .

ب ـ أنه قريب من الطرف الذي هو محل التغيير .

ج ـ أن الثقل نشأ منه .

د ـ أن في حذف الواو ـ من اسم المفعول ـ وإبقاء العين فرقًا بين الواوي واليائي .

هـ ـ أن الياء في اسم المفعول اليائي هي الثابتة بعد الحذف ، (كمَبِيْع) فيحكم بأن المحذوف من الأجوف اليائي هو الواو ، وكذلك يطرد الحكم في الواوي .

وأما حجة الأخفش ـ على أن المحذوف عين الكلمة ـ فتتمثل في :

أ ـ أن عين المصدر واسم المفعول لغير معنى ، أما الزائد ؛ فقد جاء لمعنى ، وهو الدلالة على المصدرية والمفعولية ، وحذف مالا معنى له أسهل من حذف ما له معنى ، لأنه إذا

حذف ما جاء لمعنى ، لأنه إذا حذف ما جاء لمعنـــى ، كـان حذفـه نقضاً للغرض الذى جئ به من أجلــه .

كما أنه لما اجتمعت التاءان فى تَتَذَكَّــرُوْن ــ ونحــوه ــ حذفت الثانية ، ولم تحذف الأولى ؛ حيث كـانت لمعنـى .

ب ــ أن الأصل إذا التقى ســاكنان ، والأول حـرف مـد ، حـذف الأول .

ج ــ أنه قد عوض عن المحـذوف تـاء ، والتعويـض إنمـا عـهد عن الأصلى ، لا الزائــد[1] .

واختـار المذهـب الثـانى المـازنى ، والزمخشـرى ، وابـن يعيـش[2] .

قال المازنى : "وكلا الوجهين حســن جميـل ، وقـول الأخفـش أقيس" أ.هـــ .

ورد ابن جنى قول المــازنى بقولــه : "وقولــه هــذا عجيـب ، وإن كان قد ناقض فيه فيما يجــئ"[3] أ.هـــ .

---

(١) راجع الممتع : ٢/٤٥٥ ، ٤٥٦ ؛ والتبيان فى تصريف الأسماء ، صـ ٣١ ، ٥٣ .

(٢) ينظر شرح المفصل : ٦/٥٨ ، وراجع حاشية ابن جماعة على مجموعة الشافية بشرح الجاربردى: ١/٦٥ .

(٣) ينظر المنصف : ١/٢٩١ ، وراجع : ١/٢٩٧ ، ٢٩٨ .

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

أما واو (مَفْعُول) إذا حُذِفَتْ ، فالميم تدل على معنى المفعولية(١) .

وكذلك التاء المعوضة من الألف المحذوفة ، تدل على معنى المصدرية .

هذا ، ومذهب الخليل وسيبويه هو المتفق مع مذهب الجمهور(٢) .

(١) ينظر الممتع : ٢/٤٥٦ ، ٤٥٧ ، وراجع : ٢/٤٩٠ .

(٢) ينظر الضياء في تصريف الأسماء ، صـ ٩٣ .

المبحث الثاني

امتناع تثنية المثنى
وحذف تاء المفرد المؤنث عند جمعه بالألف والتاء

المقصود من التثنية : الدلالة على اثنين أو اثنتين ، متفقين في اللفظ ، بلفظ واحد يغني عن العطف ، قصداً للإيجاز ، وذلك بزيادة ألف ونون في حال الرفع ، وياء ونون في حالتي النصب والجر ، نحو : (جَاءَ المُحَمَّدَانِ والفَاطِمَتَانِ) ، فحرف التثنية يغني عن قولك : جاءَ محمدٌ ومحمدٌ ، وجَاءَتْ فَاطِمةٌ وفَاطِمةٌ .

ومن شروط تثنية الاسم : أن يكون مفردا ، فلا يثنى المثنى، ولا الجمع السالم ، لئلا يلزم اجتماع إعرابين في كلمة[1].

ولان علامة التثنية جيئ بها لغرض معين ، وهو الدلالة على التثنية بإيجاز – كما سبق – فلو ثُنِيَ المُثَنَّى ، لكان ذلك نقضاً للغرض الذى جئ من أجله بعلامة التثنية .

---

[1] ينظر الهمع : ١/٤٢ ، والتبيان في تصريف الأسماء ، صـ ١٠٤ ، ١٠٥ ، والضياء في تصريف الأسماء : صـ ١٧٦ ، ١٧٧ .

قال ابن جنى : "لم يُثَنَّ المثَنى ، لأن ما حصل فيه من علم التثنية مُؤْذِن بكون اثنين ، وما يلحقه من علم التثنية ثانياً ، يؤذن بكونه فى الحال الأولى مفردا ، وهذا هو الانتقاض والانتكاث لا غير"(١) أ.هـ .

وإذا أريد الجمع بالألف والتاء ، لما فيه تماء التأنيث ، حذفت تاء التأنيث ـ من المفرد ـ وجوبا ، ويجعل ما قبلها كأنه الآخر ، لئلا يجمع بين علامتى تأنيث .

فيقال فى جمع فاطمة ، ومسلمة : (فاطمات) ، و (مسلمات) .

ولا يقال : فاطمتات ، ولا مسلمتات ؛ لأن إلحاق التأنيث لإخراج المذكر قبله ، ونقله إلى حكمه ، فما نُقِل إلى التأنيث كان مذكرا قبل نقله إليه ، كـ (قَائِمٌ) من (قَائِمَةٌ) ، و (ظَرِيفٌ) من (ظَرِيفة) ، فلو ذهبت تلحق للعلامة العلامة ، لنقضت الغرض ، وذلك أن التاء فى (قَائِمةٌ) ، قد أفادت تأنيثه وحصلت له حكمه ، فلو ذهبت تُلحقها علامة أخرى ، فتقول : قَائِمَات ، لنقضت ما أثبت من التأنيث الثانى له ، لأن فى ذلك إيذاناً بأن الأول به لم يكن مؤنثاً ، وكنت أعطيت اليد بصحة تأنيثه ،

(١) الخصائص : ٣/٢٣٥ .

لحصول ما حصل فيه من علمــــه .

وهذا هو النقض والبداء البتـــه[1] .

وإنما كان حذف التاء الأولى أولـــى ـ أعنـــى : تــاء المفــرد ، نحو : (مُسْلِمَةٌ) ، و (صَالِحَةٌ) ـ لأن فـــى الثانيـــة زيـادةَ معنـــى ، إذ الأولى تدل على التـــأنيث فقــط ، والثانيـــة تـدل علـــى التـــأنيث والجمع ، وهى حرف الإعــراب ، فلمــا كــان فـــى الثانيــة زيــادة معنى ، كان تبقيتها وحذف الأولـــى أولـــى[2] .

قال ابن جنى : "فإن قيل : قد يُجْمَـــع الجمــعُ ، نحـــو : (أَكْلُـــبٍ وأَكَالِبِ) ، و (أَسْقِيَةٌ وأَسَاقٍ) ، فكيف القوْل فـــى ذلـــك ؟

قيل له : فرق بينهما أن علمى التـــأنيث فـــى (مســلماتٍ) ، لـــو قيل : مســـلمتات ، لكانـــا لمعنـــى واحــد ، وهـــو التـــأنيث فيـــهما جميعًـــا

وليس كذلك التكسير معنيًا فـــى : (أَكْلُـــبٍ ، وأَكَـــالِبِ) ، وذلــك أن معنى (أَكْلُب) : أنـــها دون العشـــرة ، ومعنـــى (أَكَـــالِب) : أنـــها

---

[1] ينظر الخصائص : ٢٣٥/٣ ، وراجع اللباب فى علــل البنــاء والإعــراب : ١١٨/١ ، ١١٩ ، وشرح الكافية الشافية : ١٠٢٨/٤ ، والتصريح : ٢٧٩/٢ ، واضـــع : ٢٣/١ ، وتصريــف الأسماء للطنطاوى ، صـــ ١٩٦ ، والتبيان ، صـــ ١٢٠ .

[2] ينظر الإنصاف : ٤٣/١ .

للكثرة التى أول رتبتــها فــوق العشــرة ، فــهذان معنيــان ــ كمــا تراهما ــ اثنان ، فلم ينكر اجتماع لفظيــهما ، لاختــلاف معنيــهما.

فإن قلت : فهلا أجازوا على هذا : (مُسْــلِمَتَات) ، فكــانت التــاء الأولى لتأنيث الواحد والتاء الثانية لتــأنيث الجماعــة .

قيل : كيف تصرفت الحال ، فلم تفد واحــدة مــن التــاءين شــيئًا غير التأنيث البته ، فأما عدة المؤنث فى إفراده وجمعـــه ، فلــم يفــد العلمان ، فيجوز اجتماعهما ، كما جاز تكسير التكســـير فــى نحــو: (أَكْلُب وأَكَــالِب) .

فإن قلت : فقد يجمع أيضــا جمــع الكثــرة ، نحــو : (بُيُــوْتٌ ، وبُيُوتَــات) ، ونحــو قولــهم : صَوَاحِبَــاتُ يوســفَ ، ومَوَالِيَــات العــوب ... .

قيل : جمع ذلك وما كان مثله ــ ومـــا أكــثره ــ إنمــا جــاز ، لأنه لا ينكـــر أن يكــون جمعــان أحدهمــا أكــثر مــن صاحبــه ، وكلاهمــا مثـــال للكــــثرة ، ألا تمـــرى أن مائـــة للكـــثرة ، وألفا أيضا كذلك ، وعشـــرة آلاف أيضــا كذلـك ، ثــم علــى هــذا ونحوه .

فكأَنَّ (بيوتــاً) مائــة ، و (بُيُوتَــات) مائــة ألــف ... وإذا كــان كذلك ، علمت اختلاف المعنيين لإختــلاف اللفظيــن .

وإذا آلَ بك الأمرُ إلى هذا ، لم تبـــقَ وراءه مضطربـاً ...

وجواب ثان : أنك تُكَثِّرُ نحـــو : أَكْلُــب ، لمجيئـه علـى أمثلـة الآحاد ، فلما جاءت هذه المجـيء جـرت مجـرى الآحـاد ، فيجـاز تكسيرها كما يجوز تكسـميرها ... .

فإن قلت : فهلا تثبت التثنية ، كما جمعــت الجمــع .

قيل : قـــد كفتنـا العـرب بقولـهم : (أَرْبَعَـةٌ) عـن قولـهم : اثنانانِ.

وأيضا فكرهوا أن يجمعوا فى (اثْنَانَـانِ) بيـن إعرابيـن متفقيـن كانا أو مختلفيـن .

وليس شئ من ذلك فى نحو : (أَكْلُبُ ، و أَكَـــالِبِ)"[١] أ.هـــ .

حكم المثنى وجمع المؤنث السالم . إذا سُمِّىَ بهما :

إذا سُمِّىَ بالمثنى ، لم تجز تثنيته ، لئلا يجتمع فى الاســم الواحـد إعرابان ، كما سبق .

فلو جعل إعرابه فى النون ، جاز أن يُثَنَّى .

وأما نحو : (مُسْلِمَات ، وهِنْدَات) ــ علما ــ فيجوز أن يُقَال فيـه :

---

[١] ينظر الخصائص : ٣/٢٣٦ ــ ٢٣٨ بتصرف .

(مُسْلِمَتَانِ) ــ فى حال التثنية ــ إذ لا محذوف فى ذلك .

ويقال فى جمعه : (هِنَدَاتٌ) ، و (مُسْلِمَاتٌ) ، بحذف الألف والتـــاء الأولين ، لا الأخريين الحادثين[١] .

---

(١) ينظر الكتاب : ٣٩٢/٣ ، ٣٩٣ ، والخصائص : ٦٥/٣ ، والإنصاف : ٤٢/١ ، ٤٣ ، وشرح الكافية الشافية : ١٨٠٦/٤ ، والهمع : ٤٣/١ ، والأشباه والنظائر : ٢١٤/٢ .

المبحث الثالث

امتنع تحريك هاء السكت

سميت هاء السكت بذلك ، لأنه يسكت عليها دون آخر الكلمة .

والغرض منها : التوصل إلى بقاء الحركة في الوقف ، كما اجتلبت همزة الوصل للتوصل إلى بقاء السكون في الإبتداء(١) .

والأصل فيها أن تكون ساكنة ، لأنها إنما زيدت لأجل الوقف ، والوقف لا يكون إلا على ساكن ، ومنه سُمِيَّ وقفا ، لأنه وقوف عن الحركة ، فتحريكه يناقض الغرض الذى جئ بالهاء لأجله(٢) .

حكم زيادة هاء السكت :

زيادة هاء السكت على ضربين :

١ ــ لازمة .

٢ ــ غير لازمة .

فاللازمة تكون فى مواطن ، من أهمها ما يلى :

أ ــ (ما) الاستفهامية إذا جُرَّتْ باسم ، نحو قولك ــ فى إعتداء

---

(١) ينظر التصريح : ٢/٣٤٤ ، والصبان : ٤/٢١٤ .

(٢) ينظر الأشباه والنظائر : ١/٢٨٩ .

من اعتدى ـ : اعتداء مَـــهْ .

وكقولك ـ في مجيء من جئت ـ : مجـــيء مـــه[١] .

ب ـ الفعل المعتل اللام ، الذي بقـــى بعـــد الحـــذف علـــى حـــرف واحد .

كقولك ـ في (قِ زيدًا ، ولا تَقِ عمْرًا) : قـــهِ ، ولا تقـــهِ .

ونحو : (عِهْ) ، أمر مـــن (وَعَـــى) ، و (رِهْ) أمَـــر مـــن (رأَى) (يَـرَى)[٢].

وإنما لزمت الهاء في هذين النوعين ، لبقاء كـــل واحـــدة منـــهما ـ بعد الحذف ـ على حرف واحـــد ، والوقـــف لا يكـــون إلا علـــى ساكن ، والابتداء لا يكون إلا بمتحرك ، فلابـــد بعـــد الإبتـــداء مـــن حرف يُوقَفُ عليه ، فجئ بهاءالسكت لتـــؤدى هـــذا الغـــرض[٣] .

وكذا إذا بَقِيَ الفعل ـ بعـــد الحـــذف ـ علـــى حرفيـــن أحدهمـــا زائدة ، نحو : (لا تَقِهْ) ، و (لم يَعِهْ) ، و(لـــم يَـــرَهْ) .

---

[١] ينظر شرح الكافية الشافية : ٤/١٩٩٩ ، والهمع : ٢/٢١٠ ، والأشموني : ٤/٢١٥ .

[٢] ينظر ابن يعيش : ٩/٤٥ ، وشـــرح الكافيـــة الشـــافية : ٤/١٩٩٩ ، والهمـــع : ٢/٢١٠ ، والأشموني: ٤/٢١٥ .

[٣] ينظر التبيان في تصريف الأسماء ، صـــ ٣٤٣ .

وهذا ما ذهب إليه ابن مالك ، معللاً لذلك : بأن حرف المضارعة زائد ، فزيادة هاء السكت واجبة ، لبقائه على أصل واحد[١] .

وفيما ذهب إليه ابن مالك في هذا نظر ، لأن حرف المضارعة كالجزء من الفعل الذى اتصل به ، فما المانع أن تكون هاء السكت معه جائزة ، كما جازت في (ما) الاستفهامية.

بل كون حرف المضارعة كالجزء من الفعل ، أقوى من كون حرف الجر كالجزء من (ما) ، لأن حرف المضارعة لا تقوم بنية المضارع إلا به[٢] .

وقد رَدَّ ابنُ هشام ما ذهب إليه ابنُ مالك بقوله : "وهذا مردود بإجماع المسلمين على وجوب الوقف ـ إذا أردوا أن يقفوا على نحو : (وَلَمْ أَكُ)[٣] ، ونحو : (وَمَنْ تَقِ)[٤] بترك الهاء ، خوف الالتباس بالضمير المنصوب"[٥] أ.هـ .

---

[١] ينظر شرح الكافية الشافية : ٤/١٩٩٩ ، والأشمونى : ٤/٢١٥ .

[٢] ينظر الصبان : ٤/٢١٥ .

[٣] سورة مريم من الآية ٢٠ .

[٤] أى : من قوله ـ تعالى ـ : (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) ، سورة غافر من الآية ٩ .

[٥] ينظر التصريح بمضمون التوضيح : ٢/٣٤٤ .

وغير اللازمة تحقق في مواطن من أهمها مـــا يلـــي :

أ ــ (مـــا) الاســتفهامية إذا جُـرَّتْ بحـرف ، نحـو : (فِيمَـــهْ) ، و (لِمَهْ) ، و (عَمَّهْ) والمراد : فِيم ، ولِـمَ ، وعَـمَّ .

والأصل فِيمَا ، ولِمَا ، وعَمَّـــا ، دخلــت حــروف الجــر علـــى (مـــا) الاســتفهامية ، ثــم حذفــت الألــف للفــرق بيــن الأخبـــار والاستخبار ، وبَقِيتْ الفتحـــةُ تــدل علـــى الألــف المحذوفــة ، ثــم كرهوا أن يقفوا بالسكون ، فيزول الدليـــل والمدلـــول عليـــه ، فـــأتوا بالهاء ليقع الوقف عليها بالسكون ، وتَسْلَمُ الفتحـــةُ التـــى هـــى دليـــل على المحـــذوف[١] .

وإنما حذفت الألف في (مــــا) الاســتفهامية ، ولــم تحــذف فـــى الشـــرطية ولا فـــى الموصولـــة لإرادة الفـــرق بيـــن الاســـــتفهامية وبينـــهما ، وكـــانت الألـــف فـــى الاســتفهامية أولـــى بـــــالحذف ، لاستقلال الاســـتفهامية ، بخـــلاف الشـــرطية ، فإنـــها متصلـــة بمـــا بعدها ، وبخلاف الموصولة ، فإنها والصلـــة كالاســـم الواحـــد[٢] .

وعلة جواز إلحاق الهاء لــــــ (مـــا) الاســتفهامية ــ فـــى هـــذا الوجه ــ : أن الجار الحرفي كالجزء ، لإتصالـــــه بـــــ (مـــا) لفظـــا

---

[١] ينظر ابن يعيش : ٩/٤٥ .

[٢] ينظر الأشموني : ٤/٢١٧ ، والسراج المنير ، صـــ ١٦٢ .

وخطا ، بخلاف الجر بالاسم ، فوجب إلحاق الهاء للمجرورة بالاسم ، لبقائها على حرف واحد[١] .

والأكثر والأجود فى قياس العربية الإتيان بالهاء[٢] .

وزعم بعضهم أن زيادة الهاء ، عوضٌ من الألف الذاهبة .

واعتُرِض هذا بأن العوض يكون لازماً ، وهاء السكت ليست لازمة فى كل المواطن[٣] .

ب ـ الفعل المحذوف الآخِر ، إذا بَقِيَ على أكثر من حرف ـ خلافاً لابن مالك ، فيما بَقِيَ على حرفين أحدهما زائد ، كما سبق ـ مثل لم يَعِهْ ـ ولم يَرْمِهْ ، واخْشَهْ ، وكقوله ـ تعالى ـ: (بِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ)[٤] ، أمر من (يَقْتَدِى) والهاء فيه للسكت ساكنة ، ومن كسرها ، فهى ضمير المصدر .

وكقوله ـ تعالى ـ : (لَمْ يَتَسَنَّهْ)[٥] ، على القول بأنه من السنة ، واحدة السنين ، وأن لامها واو محذوفة .

---

[١] ينظر الأشمونى : ٢١٧/٤ .

[٢] ينظر شرح الكافية الشافية : ١٩٩٩/٤ ، والأشمونى : ٢١٧/٤٠ ، والتبيان ، صـ ٣٤٤ .

[٣] ينظر الارتشاف : ٤٠٥/١ .

[٤] سورة الأنعام من الآية ٩٠ .

[٥] سورة البقرة من الآية : ٢٥٩ .

والأصل : يَتَسَنَّوْ ، قلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، وحذفت الألف للجازم ، ثم لحقت هاء السكت في الوقف . وهذا اختيار المبرد .

وأما إذا قلنا : إن لام (سَنَة) هاء – على رأي الحجازيين – فالهاء في (يَتَسَنَّهْ) أصلية ، لأنها لام الفعل ، وهو مجزوم بالسكون .

وأما على القول : بأنه من الحمأ المسنون ، فأصله : يَتَسَنَّنْ بثلاث نونات ، أبدلت النون الثالثة ألفًا كراهة اجتماع الأمثال ، فالهاء – على هذا – للسكت .

والفاعل في الجميع ضمير مفرد ، عائد على الطعام والشراب(١) .

جـ – كل مبني على حركة بناء لازمًا غير عارض ، ولم يشبه العرب ، نحو : كَيْفَهْ ، وثَمَّهْ ، ولَيْتَهْ ، وحَيَّهلَهْ ، وأَنَّهْ .

ونحو ياء المتكلم – المفتوحة – كما في قوله – تعالى – : (كِتَابِيَهْ) ، (حِسَابِيَهْ) ، و (مَالِيَهْ)(٢) ،

---

(١) ينظر التصريح بمضمون التوضيح : ٢/٣٤٤ .

(٢) سورة الحاقة من الآيات : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ .

و(سُلْطَانِيَهْ)[١] .

وكذلك (هُوَ ، وهِيَ) فيمن فتحَ في الوصل ككاف الخطاب، فإنه يقول في الوقف : (هُوَهْ ، وهِيَهْ)[٢] .

ومنه قوله ـ تعالى ـ : (وَمَا أَدْرَاكَ ماهِيَهْ)[٣] .

د ـ المثنى والمجموع على حدة : نحو : (مُسْلِمَانَهْ) ، و (مُسْلِمُونَهْ) ، لأن إعرابهما بالحروف .

ومنع ذلك ابن خروف ، وغلطه ابنُ الضائع في ذلك .

قال في التصريح : "وتلحق المثنى والمجموع على حده ، لأن إعرابهما بالحروف ، وليست حركة النون بإعراب" .

قال ابن الضائع : "وغلط ابن خروف في المنع"[٤] أ.هـ .

هـ ـ عند من أجرى الوصل مجرى الوقف : كقراءة غير حمزة والكسائي : (لَمْ يَتَسَنَّهْ وانْظُر)[٥] ، و (فَبِهُدَاهُم اقْتَدِهْ

---

[١] ينظر شرح المفصل لابن يعيش : ٤٥/٩ ، وشرح الكافية الشافية : ٢٠٠٠/٤ ، والتصريح مع حاشية يس : ٣٤٥/٢ ، والتبيان فى تصريف الأسماء ، صـ ٣٤٥ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

[٢] ينظر التصريح بمضمون التوضيح : ٣٤٥/٢ .

[٣] سورة القارعة الآية ١٠ .

[٤] ينظر التصريح : ٣٤٥/٢ .

[٥] سورة البقرة من الآية : ٢٥٩ .

قُلْ)[١]، بإثبات هاء السكت في الدرج فيهما ، وأتى بـ (انْظُر) في الأول ، و (قُلْ) في الثاني ، لبيين كيفية الوصل[٢] .

والخلاف في إثبات الهاء في الوصل ، أما في الوقف فثابتة وفاقاً[٣].

حكم تحريك هاء السكت :

هاء السكت جئ بها لبيان الحركات ، وقد يُؤتى بها لبيان حروف المد واللين .

وقد اجتلبت لأجل الوقف ، لذا الأصل فيها أن تكون ساكنة، لأن الوقف لا يكون إلا على ساكن ، ومنه سُمِّيَ وقفاً ، فتحريكها يناقض الغرض الذى جِئَ بها لأجله ـ كما سبق ـ وهو لحن وخروج عن كلام العرب ، وهذا ما قال به الزمخشري[٤] ، وتبعه ابن يعيش .

قال ابن يعيش : "اعلم أنه قد يؤتى بهذه الهاء لبيان حروف

---

[١] سورة الأنعام من الآية ٩٠ .

[٢] ينظر التصريح بمضمون التوضيح : ٢/٣٤٦ ، وراجع الكافية الشافية : ٢/٢٠٠١ ، والأشموني : ٤/٢١٩ ، والهمع : ٢/٢١١ .

[٣] ينظر الصبان : ٤/٢١٩ .

[٤] ينظر المفصل بشرح ابن يعيش : ٩/٤٦ .

المد واللين ، كما يُؤتَى بها لبيان الحركات ، نحو : (وَازَيدَاهْ وَاعُمَرَاهْ) ، و (وَاغُلامُهُوهْ) ، و (انْقِطَاعَ ظَهْرِيهِ) ، لئلا يزيل الوقف ما فيها من المد .

ولا تكون هذه الهاء إلا ساكنةً ، لأنها موضوعة للوقف ، والوقف إنما يكون على الساكن ، وتحريكها لحن وخروج عن كلام العرب ، لأنه لا يجوز ثبات هذه الهاء في الوصل فتحرك ، بل إذا وصلت استغنيت عنها بما بعدها من الكلام ، تقول : (وَازَيدَاهْ) ، فإذا وصلت قلت : (وازيدا وعُمَرَاهْ) ، فتلحق الهاء الذى تقف عليه ، وتسقطها من الذى تصله ، فأما قول الشاعر :

يَا مَرْحَبَاهُ بِحِمَارِ نَاجِيَه إِذَا أَتَى قَرَّبْتُهُ لِلسَّانِيَه[1]

فضرورة ، وهو ردئ فى الكلام لا يجوز ، وإنما اضطر

---

(١) رجز . لم أهتد لقائله .

المفردات : ناجية : اسم شخص ، وبنو ناجية قوم من العرب ، والسانية : الدلو العظيمة وآداتها، والناقة التي يسقى عليها من البئر ،وأراد بتقريب الحمار للسانية : أن يسقى عليه من البئر بالدلو العظيمة .

والشاهد فى قوله : (يا مرحباه بحمار ناجية) ، حيث أثبت هاء السكت محركة فى الوصل ، ويروى بضم الهاء وكسرها ، ويروى : دنا بدل : أتى .

من مواضعه : الخصائص : ٣٥٨/٢ ، والمنصف : ١٤٢/٣ ، وابن يعيش : ٤٦/٩ ، ٤٧ ، والخزانة : ٣٨٧/٢ ، ٢٦٩/٧ ، ٢٧٢ ، ٤٦٠/١١ .

الشاعر ـ حين وصل ـ إلى التحريك ، لأنه لا يجتمع ساكنان في الوصل على غير شرطه إلا حرك .

وقد رُوِىَ بضم الهاء وكسرها ، فالكسر لإلتقاء الساكنين ، والضم على التشبيه بهاء الضمير في نحو : (عَصَاهُ) ، و (رَحَاهُ)"[1] أ.هـ .

وقد اضطربت أقوالُ العلماء ، في إثبات هاء السكت في الوصل وتحريكها :

فقيل : إن ذلك ضرورة .

وقيل : إنه لغة لبعض العرب .

وأجاز الفراء[2] إثباتها في الوصل ، مكسورة ومضمومة[3].

وذكر ابن جنى أن ثبوت الهاء في الوصل محركة ، إنما هو منزلة الوصل والوقف ، قال في الخصائص : "فثبات الهاء في (مَرْحَبَاه) ليس على حد الوقف ، ولا على حد الوصل .

---

[1] ينظر ابن يعيش : ٤٦/٩ ، ٤٧ ، وراجع التبيان فى تصريف الأسماء ، صـ ٣٤٧ .

[2] ينظر شرح التسهيل لابن مالك : ٤٠٨/٣ ، والأشمونى : ١٧٠/٣ .

[3] ينظر شرح التسهيل لابن مالك : ٤٠٨/٣ ، ٤١٦ ، والتصريح : ١٨٣/٢ ، والهمع : ١٨٠/١ ، والأشمونى : ١٧٠/٣ .

أما : الوقف فَيُؤذِنُ بأنها ساكنة : (يَـا مَرْحَبَـاهْ) .

وأما الوصل : فيـؤذن بحذفـها أصـلا : (يَـا مَرْحَبَـاً بِحِمَـار نَاجِيَة) .

فثباتـها إذا فـى الوصـل متحركـة منزلـة بيـن المنزلتين"[١] أ.هـ.

---

[١] ينظر الخصائص : ٢/٣٥٩ .

المبحث الرابع

امتناع إدغام الملحق

الإدغام لغة : الإدخال

واصطلاحا : رَفْعُكَ اللسان ووضعك إيـاه دفعـة واحـدة ، بعـد إدخال أحدهما فى الآخـر[١] .

وإذا اجتمع حرفان مثلان فـى كلمـة ، وجـب إدغـام أولـهما بشروط ، منـها :

أن لا يكون الحرفان فـى وزن ملحـق ، فـإن كـان فـى وزن ملحق ، امتنع الإدغـام .

وهذا الحكم يشمل ثلاثة أنواع مـن الإلحـاق :

١ ــ ما حصل فيه الإلحاق بزائد قبل المثليـن ، نحـو : (هَيْلَلَ) ــ إذا أكثر من لا إله إلا الله ــ فإن اليـاء فيـه مزيـدة للإلحـاق بـ (دَحْرَج) .

٢ ــ ما حصل فيه الإلحاق بزيادة أحـد المثليـن ، نحـو : (جَلْبَبْتُ)

---

[١] ينظر التصريح : ٢/٣٨٩ ، وراجع الممتع : ٢/٦٣١ ، والارتشاف : ١/١٦٣ .

، فإن إحدى بائيه مزيدة للإلحاق بـ (دَحْرَجَ)[١] .

٣ ـ ما حصل فيه الإلحاق بزيادة أحد المثلين وغيره ، نحو : (اقْعَنْسَسَ) ، فإنه ملحق بـ (احْرَنْجَمَ) ، والإلحاق حصل فيه بالسين الثانية ـ على المختار ـ وبالهمزة والنون[٢] .

وإنما امتنع إدغام أحد المثلين ـ في الملحقات ـ لاستلزامه فوات ما قصد من الإلحاق ، إذ لو أدغم لأدى إلى نقض الغرض الذى جئ بزيادة الحرف لأجله ، وهو موازنة الملحق للملحق به ، فينكسر الوزن بالإدغام[٣] .

قال ابن يعيش : "الإدغام إنما جِيءَ به لضرب من التخفيف ، فإذا أدى ذلك إلى فساد عُدِلَ عنه إلى الأصل ، وكان احتمال التثقيل أسهل عندهم ، وذلك على ثلاثة أضرب :

أحدهما : أن يكون الحرف الثانى من المثلين مزيداً للإلحاق، نحو قولهم ـ فى الفعل ـ : (جَلْبَبَ) ، و (شَمْلَلَ) ، فالحرف

---

(١) ينظر الأشمونى : ٣٤٨/٤ .

(٢) ينظر التصريح : ٣٩٩/٢ ، والصبان : ٣٤٨/٤ .

(٣) ينظر شرح الكافية الشافية : ٢١٧٨/٤ ، والتصريح : ٣٩٩/٢ ، والأشمونى : ٣٤٨/٤ ، وشرح متن الشافية للجاربردى : ٢٣٢/٢ .

الثانى من المثلين كرر ليلحق ببناء (دَحْـرَجَ) ، فلو أُدغِمَتْ لزم أن تقول : (جَلَبّ) ، و (شَمَلّ) فتسكن المثل الأولى لتنقل حركته إلى الساكن قبله ، فيخرج عن أن يكون موازناً لـ (دَحْرَج) ، فيبطل غرض الإلحاق ، والأحكام الموضوعة للتخفيف ، إذا أدت إلى نقض أغراض مقصودة تُرِكت .

ومثله – فى الاسم – : (مَهْدَدْ) ، و (قَرْدَدٌ)[1] ، و (قُعْدَد)[2]، (رَمْدَد)[3] ، فـ (مَهْدَد) ، : علم من أسماء النساء ، وهو فَعْلَل.

قال سيبويه : "الميم فيه من نفس الكلمة ، ولو كانت زائدة لأدغمت ، مثل : (مَفَرّ) ، و (مَرَدّ)" .

فثبت أن الدال ملحقة ، والملحق لا يدغم .

وكذلك : (قُعْدَد) ملحق بـ (بُرْتُن) ، و(رِمْدِدْ) ملحق بـ (زِبْرِجْ) .

---

[1] قردد : اسم جبل ، وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ ، وهو ملحق بـ (جعفر) ، ينظر الكتاب : ٤/٤٢٤ .

[2] الـ (قعدد) : القريب الآباء من الجد الأكبر ، والبعيد الآباء منه .

وهو ملحق بـ (جعشم) ، و (جندب) عند سيبويه ، ينظر الكتاب : ٤/٤٢٥ .

[3] الرماد معروف ، ويقال : رماد رمدد ، أى : هالك ، ينظر الصحاح : ١/٤٧٤ .

وكذلك : (عَفَنْجَج)[1] ، و (أَلَنْـــدَد)[2] ملحقـــان بـــ (سَـــفَرْجَل) في الخماسي"[3] أ.هــــ .

[1] الضخم الأحمق ، ينظر الصحاح : ١/٣٢٩ ، وراجع المنصف : ٣/٩ .

[2] الألندد واليلندد : الشديد الخصومة ، ينظر اللسان : (لدد) .

[3] ينظر ابن يعيش : ١٠/١٢٢ ، ١٢٣ .

خاتمة

وبعد هذه الدراسة لتلك المسائل النحوية والصرفية ، استطعت أن أخرج بنتائج ، كان من أهمها :

١ ـ أن الفعل وضعه على التنكير والإبهام ، لأن الغرض منه إفادته ، ولذلك لم يدخله التعريف .

وإنما اختص التعريف بالاسم ، فلو عُرِّفَ الفعل لكان ذلك نقضا للغرض الذى جئ به من أجله .

٢ ـ امتنع الفعل من التنوين الذى يلحق الآخر لفظا ، لغير توكيد أو روى ، لأن معانى التنوين الأربعة لا تتأتى فى غير الاسم .

٣ ـ امتنع وصف العلم الذى اختَص بمسمى واحد واشتهر به ، لأنه وضع ليغنى عن الأوصاف الكثيرة ، فلو وُصِفَ لكان ذلك نقضاً للغرض الذى وُضِعَ من أجله .

أما إذا كثر المسمون به ، فلا مانع من وصفه ، لأنه ـ حينئذ ـ يدخله اللبس .

٤ ـ لا يجوز حذف خبر (كان) ـ عند بعض النحاة ـ لا اقتصاراً ولا اختصاراً ـ وإن كان قياس ذلك الحذف ، لأنه

في الأصل خبر عن المبتدأ ـ لأنــه عِــوَضٌ مـن المصـدر . فلو حُذِفَ لكان ذلك نقضا للغـرض الـذي جـئ بـه لأجلـه ، وقالوا : إن ما ورد من حذفه ، فـهو ضـرورة .

وأجاز بعضهم حذفه اختصاراً . وأجـاز الفـراء وابـن مـالك : حذف الخبر مع (ليس) اختيـارا ، إذا كـان اسـمها نكـرة عامـة ، لأن الكلام قد يتوهم تمامه بـ (ليـس) .

٥ ـ منع بعـض النحـاة حـذف عـامل المصـدر المؤكـد ، لأن المصدر جِئَ به لتقوية عامله والحذف ينـافى ذلـك .

ونازع ابن الناظم فى هـذه المسـألة ، حيـث ذكـر أن عـامل المصدر حُذِفَ جوازا ، إذا كان خـبرا عـن اسـم عيـن ، وحـذف وجوباً مع التكرير ، وساق أمثلة لذلـك .

وَرَدَّ ابنُ عقيل منازعة ابن الناظم ، وذكـر أن مـا اسـتدل بـه على وجوب حذف عامل المصدر المؤكد ، ليس مـن بـاب التـأكيد فى شئ ، بل المصدر فيها نـائب منـاب العـامل وعُـوِّضَ منـه ، بدليل عدم جواز الجمع بينـهما ، ولا شـئ مـن المؤكـدات يمتنـع الجمع بينه وبين المؤكـد .

وفيما قاله ابن عقيل نظـر ، إذ لا مـانع مـن أن يقـال : أنـت تسيرُ سيرًا .

والحق أن المصدر النائب عن فعله من قسم المصدر المؤكد ، لكنه في معنى الاستثناء من قول الناظم :

"وَحَذْفُ عَامِلِ المُؤكدِ امْتَنَع"

٦ ــ أن الغرض من القسم توكيد ما يقسم عليه من نفي أو إثبات، لذلك لا يجوز حذف المقسم عليه وتبقية القسم ، فاستحال الإتيان بالمؤكد وحذف المؤكد ، لأن ذلك يعني نقض الغرض الذي جِئَ بالقسم لأجله .

وقد يُستغنى عن جواب القسم بمعموله ، أو بقسم مقرون بأحد حروف الإجابة ، أو بجواب شرط مقدم على القسم .

٧ ــ أن المضاف كالجزء من المضاف إليه ، فلذلك لا يلحقه التنوين ، لأن التنوين يدل على الإنفصال ، والإضافة تدل على الإتصال ، ولا يفصل بين ما جعلا كشيء واحد .

كما أن الإضافة موضوعة للتعريف أو التخصيص ، والتنوين دليل التنكير ، فالجمع بينهما جمع بين ضدين .

٨ ــ أن حذف المضاف إليه أقل من حذف المضاف وأبعد قياسا ، لأن الغرض من المضاف إليه التعريف أو التخصيص ، فإذا حذف كان نقضا للغرض وتراجعا عن المقصود ، ويجوز حذف المضاف إليه ، إذا عطف على المضاف اسم

عامل في مثل المضاف إليه المحذوف ، نحو قولهم : (خُذْ رُبْعَ ونِصْفَ ما حَصَل) .

وهذا عند سيبويه من باب الفصل بين المضاف والمضاف إليه ، وهو لا يجوز إلا في الشعر عنده وعند الجمهور .

وأجاز ابن مالك نحو هذا قياساً وسماعاً ، وجعله من حذف الأول لدلالة الثاني عليه .

٩ ـ أن الصفة والموصوف كالشئ الواحد ، لأن البيان والإيضاح يحصل من مجموعهما ، لذلك كان القياس ألا يحذف واحد منهما ، لأن حذف أحدهما نقض للغرض ، وتراجع عما التزموه .

وأجاز بعضهم حذف الموصوف ، إذا قُصِد الإبهام على السامع .

أمّا إذا عُلِم النعت أو المنعوت ، فحذفه جائز ، ويكثر هذا في المنعوت ويقل في النعت .

١٠ ـ أن الغرض من التوكيد التقوية ، لذلك لا يحذف المؤكد ويقام المؤكد مقامه ـ على الأصح ـ لأن الحذف ينافي ذلك الغرض .

١١ ـ أن نون التوكيد إذا اجتمعت مع نون الرفع ، حذفت نون

الرفع وامتنع حذف نون التوكيد ، لفوات المقصود منها إذا حذفت ، إذ لا دليل عليها ، ولأنها قائمة مقام تكرير الفعل، ودالة على معنى ، لذا كانت أولى بالبقاء من نون الرفع.

١٢ ـ ذهب الفراء والأخفش : إلى أن المحذوف من (أفعل ، واستفعل) ـ المعل للعين) إنما هو العين ، وكذلك في اسم المفعول من نحو : (قال وباع) لأن عين المصدر واسم المفعول لغير معنى ، بخلاف ألف المصدر وواو مفعول ، فقد جاءتا لمعنى ، وحذف مالا معنى له أولى ، بخلاف ما جاء لمعنى ، فإن حذفه نقض للغرض الذى جيء به لأجله ، كما أنه عوض عن المحذوف ، والتعويض عهد عن الأصلى .

وذهب الخليل وسيبويه : إلى أن المحذوف من نحو ما ذكِر، إنما هو ألف المصدر ، وواو المفعول ، لأن الزائد هو الأولى بالحذف ، كما أنه في حذف واو مفعول وإبقاء العين ، فرق بين الواوى واليائى .

١٣ ـ يمتنع إلحاق (مِنْ) بـ (أفعل التفضيل) إذا كان معرفاً بـ (أل) ، لأن (مِنْ) تكسب (أفعل) تخصيصا ما ، أما (أل) فتستوعب من التعريف أكثر مما تفيده (مِنْ) من

التخصيص، فالجمع بينهما نقــض للغــرض .

فإن كانت (مِنْ) غير داخلــة علــى المفضــول ، جــاز الجمــع بينها وبيــن ذى (أل) .

١٤ ـ أنه لا يجوز تثنية المثنى ، لأن مــا حصــل فيــه مــن علــم التثنية أولا ، يؤذن بكونــه اثنيــن ومــا يلحقــه مــن علامــة التأنيث ثانيا يؤذن بكونه فى الحــال الأولــى مفــردا ، وهــذا يعنى نقض الغرض الذى جئ بالعلامة من أجلــه فــى الحالــة الأولى ، كما أنه يلزم منه اجتماع إعرابين فــى كلمــة .

١٥ ـ إذا أريد جمع ما فيه تاء التــأنيث بــالألف والتــاء ، حذفــت تاء المفرد ، لأن التاء فى المفرد أفادت تأنيثــه وحصلــت لــه حكمه ، فلو ذهبت تلحقها علامة أخرى ، كــأن تقــول ـ فــى (قائِمة) مثلا : قائِمَتات ، لنقضت ما أثبت مــن التــأني الثــانى له ، لأن فى ذلك إيذاناً بأنه فى الأول لم يكــن مؤنثــا .

١٦ ـ أن هاء السكت زيدت لأجل الوقف ، فــلا تكــون إلا ســاكنة ، لأن الوقف لا يكون إلا على ســاكن ، فــإذا حركتــها فقــد نقضت الغرض الذى جِئتَ بالــهاء لأجلــه ، فتحريكــها لحــن وخروج عن كلام العــرب .

ولا يجوز إثباتها فى الوصــــل ، وأجــاز الفــراء إثباتــها فــى

الوصل مكسورة ومضمومة وجعله ابن جني منزلة بين الوصل والوقف .

١٧ ـ إذا اجتمع مثلان في كلمة وَجبَ إدغامُ أولهما ، فإن كانا في وزن ملحق امتنع الإدغام ، إذ لو أُدغِمَ لأدى إلى نقض الغرض الذي جئ بزيادة الحرف لأجله وهو موازنة الملحَق الملحَق بِهِ ، وحينئذ ينكسر الوزن بالإدغام .

هذا والله من وراء القصد ، وهو حسبي ونعم الوكيل

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

د/ محمود أحمد شحاته حسانين
أستاذ مساعد بقسم اللغويات بجرجا

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان ، تحقيق الدكتور / مصطفى أحمد النماس ، طبعة النسر الذهبى ، الأولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- الأشباه والنظائر فى النحو للسيوطى ، تحقيق / طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ، طبعة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- الأصول فى النحو لابن السراج ، تحقيق الدكتور / عبد الحسين الفتلى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- الإنصاف فى مسائل الخلاف للأنبارى ، تحقيق الشيخ / محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٥م .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ، تحقيق الشيخ / محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، طبعة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- تاج العروس للزبيدى ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .
- التبيان فى تصريف الأسماء ، تأليف الدكتور / أحمد حسن كحيل ، مطبعة السعادة ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
- تصريف الأسماء للشيخ الطنطاوى ، مطبعة وادى الملوك ، الطبعة الخامسة ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .
- تعليق الفرائد على تسيل الفوائد للدمامينى ، تحقيق الدكتور / محمد عبد الرحمن المفدى ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
- حاشية ابن جماعة على شرح الجاربردى لمتن الشافية ، عالم الكتب ، بيروت .

- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه بمصر .
- حاشية يس على شرح التصريح ، مطبعة عيسى الحلبي ، مصر .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للشيخ / عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق وشرح / عبد السلام هارون ، مطبعة المدني ، الناشر مكتبة الخانجي ، مصر .
- الخصائص لابن جني ، تحقيق / محمد على النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
- ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتعليق الدكتور / حنا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- السراج المنير في الصرف ، للدكتور / محمد عبد الحميد سعد ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م ، مطبعة السعادة ، مصر .
- شذا العرف في فن الصرف للشيخ / أحمد الحملاوي ، مطابع الأمل ، جدة ، الطبعة الرابعة .
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك بحاشية الصبان ، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه بمصر .
- شرح ألفية ابن معطي المسمى بالمباحث الخفية في حل مشكلات الدرة الألفية لعبد العزيز بن جمعة ، تحقيق ودراسة / على موسى الشوملي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، الناشر مكتبة الخريجي .
- شرح التسهيل لابن مالك ، تحقيق الدكتور / عبد الرحمن السيد ، والدكتور / محمد بدوي المختون ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- شرح التصريح على التوضيح للشيخ / خالد الأزهري ، وبهامشه حاشية الشيخ يس ، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه ، مصر .

- شرح الجاربردى على متن الشافية ومعه حاشية ابن جماعة على الشرح المذكور ، عالم الكتب ، بيروت .
- شرح شواهد المغنى للسيوطى ، تصحيح وتعليق الشيخ / محمد محمود الشنقيطى ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق الشيخ / محمد محى الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .
- شرح الكافية الشافية لابن مالك ، تحقيق الدكتور / عبد المنعم أحمد هريدى ، دار المأمون للتراث ، السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- شرح المفصل لابن يعيش ، مكتبة المتنبى ، القاهرة .
- الصحاح للجوهرى ، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ، مطابع دار الكتاب العربى بمصر .
- الضياء فى تصريف الأسماء ، تأليف الدكتور / مصطفى أحمد النماس ، مطبعة السعادة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .
- عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك للشيخ / محمد محى الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، طبعة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- فهارس كتاب سيبويه ودراسة له ، صنع الشيخ / محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- كتاب سيبويه ، تحقيق / عبد السلام هارون .
- الجزء الأول : مطبعة المدنى ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

والجزء الثانى : طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩م .

والجزء الثالث : مكتبة الخانجى ، القاهرة ، بدون تاريخ .

والجزء الرابع : دار الجيل للطباعة ، الفجالة ، الطبعة الثانية : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ودار الرفاعى بالرياض .

والجزء الخامس : مطبعة المدنى ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ،

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ودار الرفاعي بالرياض .

- اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري .
- لسان العرب لابن منظور ، طبعة دار المعارف ، مصر .
- معاني القرآن للفراء ، تحقيق الدكتور / عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، والأستاذ / علي النجدي ناصف .
- الجزء الأول : طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠م .
- والجزء الثاني : طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- والجزء الثالث : طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة ١٩٧٢م .
- معجم شواهد العربية ، تأليف / عبد السلام هارون ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، الناشر مكتبة الخانجي ، مصر .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ، تحقيق الشيخ / محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، طبعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- المفصل بشرح ابن يعيش ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .
- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية للعيني ، على هامش خزانة الأدب ، طبعة بولاق .
- الممتع في التصريف لابن عصفور ، تحقيق الدكتور / فخر الدين قباوة ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية .
- منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل للشيخ / محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .
- المنصف (شرح ابن جني لكتاب التصريف للمازني) ، تحقيق الأستاذ / إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ، طبعة مصطفى الحلبي ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .

- الموسوعة النحوية والصرفية ، تأليف الدكتور / يوسف أحمد المطوع ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، جامعة الكويت .

- همع الهوامع شرح جمع الجوامع فى علم العربية للسيوطى عنى بتصحيحه السيد / محمد بدر النعسانى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

- الواضح فى تصريف الأسماء (القسم الأول) ، تأليف الدكتور / محمد عبد الله الحميد سعد ، دار التوفيقية للطباعة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

من صيغ العربية وأوزانها

(فَعُلَ)

دراسة نحوية تصريفية

للدكتور

لطفى عبد الرحيم أحمد خليل

مدرسة اللغويات

فى كلية اللغة العربية بأسيوط

من صيغ العربية وأوزانها
(فَعُــــل)
دراسة نحوية تصريفية

للدكتور
لطفي عبد الرحيم أحمد خليل
مدرس اللغويـــــات
في كلية اللغـة العربية بأسيـوط

الحمــد لله رب العــالمين ، والصــلاة والســلام علــى أشــرف الأنبياء وخــاتم المرســلين ، ســيدنا محمــد وعلــى آلــه وصحبــه أجمعيــن ...

وبعـــــــد ... ،

فقد قسم اللغويون الأبنية قسمين : أحدهمـــا للأســماء ، والآخـر للأفعال ، وبالمقارنة بيـــن أبنيـــة الأســماء والأفعــال ، يلاحــظ أن أبنية الأفعال محدودة إذ تبلغ بضعة وعشـــرين بنــاء ، وأمــا أبنيــة الأسماء فعددها كبير جــدا .

وقد وقع اختياري على صيغـــة مــن صيــغ العربيــة الخاصــة بالأفعال وهي صيغة (فعُل) بفتح الفاء وضــم العيــن إحــدى أبنيــة الثلاثي المجــرد.

وقد عمدت هذه الدراسة إلى بيان مــا يــأتي :

١ـ بيان كيفية صوغ (فعُل) من الصحيح ، ومن المعتل بأنواعهما ، وكذا صوغها من الأفعال الناقصة .

٢ـ بيان حكم (فعُل) من حيث التعدى واللزوم ، وموقف علماء التصريف.

٣ـ الوقوف على التصاريف المختلفة لـ (فعُل) كالمضارع ، والأمر، والمصدر ، واسم الفاعل ، والصفة المشبهة ، وصيغة المبالغة ، واسم التفضيل .

٤ـ إيراد المعانى الوظيفية ، والدلالات المتعددة لصيغة (فَعُل) ، واستخلاص ما ذكره العلماء فى كتبهم ، وبخاصة سيبويه فى كتابه ، وكذلك إيراد العلاقة بين (فَعُل) وغيرها من الأبنية الأخرى مما يدل على أن هذا البناء (فَعُل) أصدق مثال تطبيقى للفكرة القائلة بتعدد المعنى الوظيفى للمبنى الواحد .

٥ـ بيان أثر لغات العرب ولهجاتهم فى صيغة (فَعُل) ، والوقوف على ذلك من خلال القرآن الكريم وقراءاته.

٦ـ دلالة (فَعُل) على التعجب ، أو المبالغة ، أو المدح ، أو الذم ، وذلك بتحويل الفعل المتعدى إلى هذه الصيغة .

من هنا يتبين لنا أن علماء النحو والتصريف تناولوا هذه

الصيغة فى أبواب متفرقة ، ومواضع متناثرة فتحدثوا عنها فى (الميزان الصرفى ، وأبواب المجرد ، والمزيد) ، (المتعدى واللازم) ، و(المصادر) ، و(المشتقات) ، و(التعجب) ، و(المدح والذم) .

لذلك حاولت أن أجمع كل ما يتعلق بهذه الصيغة ، وأن أضم شتاتها فى ثنايا هذا البحث حتى أوفر لدارس اللغة ، والنحو ، والصرف كل ما يهمه عن صيغة (فعْل) .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يهدينا إلى سواء السبيل .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

أبنية الثلاثي المجرد :

اختلف الصرفيون في تقسيم أبواب الفعل الثلاثي المجرد ، فمنهم من نظر إلى عين الفعل في الماضي فعدها ستة أبواب هي :

(فَعَل يفعُل) و(فَعَل يفعِل) ، و(فَعَل يفعَل) و(فعِل يفعَل) و(فعُل يفعُل) و(فعِل يفعِل) .

ومنهم من نظر إلى حركة عين الفعل الماضي فعدها ثلاثة وهي : (فعَل ، وفعِل ، وفعُل)[١] كضرب ، وعلم ، وظرف ، ومنهم من زاد على الثلاثة رابعا وهو (فُعِل) المبني للمفعول[٢] ، ومنهم من قصرها على الأبنية الثلاثة التي تختلف فيها حركة عين المضارع عنها في الماضي وهي : (فعَل يفعُل) ، و (فعَل يفعِل) ، و (فعِل يفعَل) ، ويعدونها دعائم الأبواب لاختلاف

---

[١] ينظر الكتاب لسيبويه ، تحقيق الأستاذ / عبد السلام هارون ، ٣٨/٤ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٥٢/٧ ، طبعة عالم الكتب ببيروت ، والتصريح للشيخ خالد الأزهري ٣٥٧/٢ ، طبعة الحلبي .

[٢] اختلف في (فعل) المبني للمفعول فقيل إنه أصل برأسه ، وإليه ذهب المبرد وابن الطراوة والكوفيون وقيل : إنه فرع من فعل الفاعل وإليه ذهب جمهور البصريين .

ينظر : التصريح ٣٥٧/٢ ، وهمع الهوامع للسيوطي ١٦٤/٢ ، الطبعة الأولى .

حركاتهن فى الماضى ، والمستقبل ولكثرتهن[١] .

صياغة (فَعُل) :

أولا : صياغتها من الصحيح :

الفعل الصحيح هو ما خلت أصوله من أحرف العلة وهى : الألف والواو والياء نحو : كتب وجلس ، وينقسم إلى ثلاثة أقسام : سالم ، ومهموز ، ومضعف .

وفيما يلى توضيح لصياغة (فعُل) من هذه الأنواع :

١ ــ من السالم :

السالم هو : ما سلمت أصوله من أحرف العلة والهمزة ، والتضعيف ، ويصاغ منه (فعُل) وهو أكثر أنواع الصحيح استعمالا فى هذه الصيغة نحو : شرُف ، وحسُن ، وقبُح .

٢ ــ من المهموز :

كما يصاغ (فعُل) من الصحيح السالم ، يصاغ أيضا من المهموز ، وهو ما كان أحد أصوله همزة نحو (أَجُن الماءُ)[٢]

---

[١] ينظر : أوزان الفعل ومعانيها للأستاذ / هاشم طه شلاش ، صـ ٢١ ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف .

(٢) قال ابن منظور : "هذه عن ثعلب" ، انظر : لسان العرب (أجن) ، ٨/١٣ ، طبعة دار صادر بيروت .

أي : تغير طعمه ، و(أبَلَ الرجل) أي : تنسك[١] ، و (أَخُذَ اللبن) أي : حمض ، و (أَنُضَ اللحم) أي : لم ينضج[٢] ، ونحو: (كؤم ، وبؤس) ، ونحو : (بطؤ ، ودنؤ) .

وإذا نظرنا إلى (فعُل) المهموز الفاء وجدنا أمثلته تذخر بها كتب اللغة والمعاجم لكن لا وجود لها في الاستعمال اللغوي على الرغم من قلة حروفها ، وسهولة نطقها .

ولعل السبب في ذلك أن هذه الأفعال تأتي ملازمة لأسماء بعدها ، فمثلا (أَخُذ) ملازمة للبن ، و (أَنُض) ملازمة للحم وهكذا .

٣ ـ من المضاعف :

يقصد بالمضاعف هنا ما كانت عينه ولامه من جنس واحد، وقد ذكر الصرفيون أن المضاعف يستثقل مجيئه من صيغة (فَعُل) إلا في أفعال قليلة ذكر منها يونس فعلا مضاعفا جاء على وزن (فعُل) وهو (لَبُب) يقال : لبُب فلان أي : صار لبيبا[٣]، قال سيبويه : "وزعم يونس أن من العرب من يقول :

---

[١] ينظر اللسان (أبل) ، ١١/٧ .

[٢] ينظر اللسان (أنض) ، ١١٥/٧ ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (أنض) ، ٨٢١ .

[٣] ينظر : اللسان (لبب) ، ٧٣٠/١ .

لببت تَلَبّ كما قالوا : ظرُفت تظرُف"[١] .

وزاد ابن خالويه على (لب) فعلا آخر ، وهو (عَزَّ) فقال : "ليس فى كلام العرب ما جاء من المضاعف على فَعُلْت إلا قولهم : لَبُبْتَ يا رجل ذكره يونس ، ولبب الرجل كل ذلك من اللب ، وقولهم : عزُزت الشاةَ : إذا قل لبنها من قولهم : شاة عزوز ، إذا كانت ضيقة الأحاليل قليلة اللبن. وهى ضد الفتوح"[٢] .

وذكر رضى الدين الاستراباذى ، وقال بعضهم : "عزت الناقة أى : ضاق إحليلها تعُز بالضم ، وشرّ ، ودمّ أى : صار دميما وثلاثتها فعُل بالضم"[٣] .

وهناك فعلان آخران زادهما ابن منظور وهما : (حَبُب ، وشَرُر) قال : "وحَبُبْتَ إليه : صرت حبيبا ، ولا نظير له إلا شرُرْتَ من الشر ، وما حكاه سيبويه عن يونس قولهم : لبُبْتَ

---

[١] الكتاب ٣٧/٤ ، وينظر أيضا : فى تصريف الأفعال ، د/ عبد الرحمن محمد شاهين ، ص ٣٩ ، منشورات مكتبة الشباب .

[٢] ليس فى كلام العرب لابن خالويه ، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ، ص ٧٣ ، ٧٤ ، وينظر: المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون ، ٧٨/٢.

[٣] ينظر : شرح الرضى للشافية ، تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد وآخرين ، ٧٨/١ ، طبع دار الكتب العلمية ببيروت .

من اللـــب"[١] .

وذكر الســـيوطى بعــض هــذه الأفعــال وهــى : (شــرْرت ، وخففت ، ودممــت)[٢] .

وفى الصحاح ما يدل علـــى إنكــار الجوهــرى لــهذه الأفعــال التى جاءت على صيغة (فعُل) مـــن المضـــاعف مـــا عـــدا (لبــب) حيث قال : "وحكى يونس بن حبيب : لببــت بــالضم ، وهــو نــادر لا نظير له من المضـــاعف"[٣] .

مما سبق يتبين لنا أن الأفعال التـــى تصـــاغ علـــى (فعـُـل) مــن المضاعف قليلة ، وقد علل سيبويه لذلك بـــأن (فعــُل) وزن ثقيــل ، والتضعيف ثقيل أيضاً فحاد العرب إلـــى وزن غــير (فعــُل) قــال : "واعلم أن ما كان من التضعيف مـــن هــذه الأشــياء فإنــه لا يكــاد يكــون فيــه (فَعُلْــتُ ، وفَعـُـل) ؛ لأنـــهم قــد يســتثقلون (فَعـُــل) والتضعيف فلما اجتمعا حادوا إلـــى غــير ذلــك وهــو قولــك : ذل يذل ذلا وذلة وذليل ، وقـــالوا : شـــح يشـــح ، وقـــالوا : شــحِحت ،

---

[١] اللسان (حبب) ٢٩١/١ ، و (سرر) ٣٥٧/٤ ، ينظر : أوزان الفعل ومعانيها ، صـــ ٣٠ .

[٢] ينظر : المزهر ٣٧/٢ .

[٣] الصحاح للجوهرى ، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار (لبب) ٢١٦/١ ، طبعة دار العلم للملايـــين ، بيروت ، وينظر : شرح الرضى للشافية ، ٧٨/١ .

كما قالوا : بخِلت ، وذلك ؛ لأن الكسرة أخف عليهم من الضمة، ألا ترى أن (فَعِل) أكثر في الكلام من (فعُل) ، والياء أخف عليهم من الواو وأكثر"[١] .

وقال أيضا في موضع آخر : "وزعم يونس أن من العرب من يقول لببُت تلب كما قالوا : ظرُفت تظرف ، وإنما قل هذا ؛ لأن هذه الضمة تستثقل فيما ذكرتُ لك ، فلما صارت فيما يستثقلون فاجتمعا فروا منهما"[٢] .

وعلة الثقل التي ذكرها سيبويه أشار إليها أيضا ابن قتيبة حيث قال : "والمضاعف يستثقل فيه فعُل يفعُل نحو : ذلّ يذِل ، وفلّ يفِل ، وشحّ يشِح إلا حرفا حكاه يونس : لببُت تلُب من اللب"[٣] .

وإذا نظرنا إلى هذه الأفعال التي جاءت على صيغة (فعُل) من المضاعف نجد أنه قد شاركها في لفظها وزنان آخران هما: (فَعِل) بالكسر مع (لببت) و (فَعَل) بالفتح مع غيرها من الأفعال

---

[١] الكتاب ٤/٣٦ ، ٣٧ .

[٢] الكتاب ٤/٣٧ ، وينظر : شرح الملوكي في التصريف لابن يعيش تحقيق ، د/ فخر الدين قباوة ، صـ ٤٧ .

[٣] أدب الكاتب لابن قتيبة تحقيق / محمد الدالي ، صـ ٤٧٢ ، طبع : مؤسسة الرسالة .

الأخرى ، وهذا يؤكد لنا ورود تداخل اللغات في هذه الأفعال حيث وردت بضم العين ، وفتحها ، وكسرها ، وأكثرها استعمالا هو الفتح والكسر ، وليس الضم يؤكد هذا ما أشار إليه العلماء بأقوالهم في هذا الصدد :

أ – قال سيبويه : "وقالوا : لَبّ يَلَبّ"[١] .

ب – وقال الجوهري عن (لبُبت) بالضم : "وهو نادر لا نظير له في المضاعف"[٢] .

جـ – وقال ابن يعيش : "والأكثر : لبِبت بالكسر تلَبّ"[٣] .

د – وقال ابن مالك : "ولم يرد فعُل مضاعفا إلا قليلا مشروكا"[٤] .

هـ – وقال الرضي : "ولم يأت شرُدت بالضم بل شردت بالفتح والكسر"[٥] .

و – وقال السيوطي : "وما رواه يونس : لبُبت تلب ، والأعم :

---

[١] الكتاب ٣٧/٤

[٢] الصحاح (لبب) ٢١٦/١ .

[٣] شرح الملوكي ٤٧ .

[٤] ينظر : شرح التسهيل لابن مالك ، تحقيق د/ عبد الرحمن السيد ، ٤٣٥/٣ ، طبعة دار هجر .

[٥] شرح الشافية ٧٨/١ .

لَبِبَت تَلَب"[١] .

ويمكن أن نخلص من هذه المسألة فيقال : إن (فَعُل) لا يصاغ من المضاعف إلا فى أفعال قليلة مسموعة عن العرب ، ووافقت إحدى لغات العرب نحو : لببُت[٢] ، وحببُت ، ودممُت.

وقد ذكر الرضى احتمالا آخر فى هذه المسألة وهو نقل هذه الأفعال من (فعَل) بالفتح أو الكسر إلى صيغة (فعُل) بالضم بقصد التعجب قال : "إن المضاعف قد ينقل إلى (فعُل) فى التعجب مثل : حببُت ، فلا يستعمل حبَّ وشدَّ بمعنى صار حبيبا وشديدا إلا فى التعجب"[٣] .

ثانيا : صياغتها من المعتل :

١ ــ من المثال :

أ ــ المثال الواوى :

تأتى صيغة (فعُل) من المثال الواوى الفاء نحو : وضُع ، ووضُؤ ، ومضارعه يأتى على (يفعُل) نحو : يوضُع ، ويوضُؤ

---

[١] المزهر ٢/٩٤ .

[٢] ينظر : القاموس المحيط (لبب) ، ١٧٠ ، والمغنى فى تصريف الأفعال ، د/ محمد عبد الخالق عضيمة ، ١١٥ .

[٣] شرح الشافية ١/٧٨ بتصرف .

، ولا تحذف منه الواو كما حذفت مع الكسر في (يَعِد) ، ولا نقلب ألفا كما قلبت في (ياجل) ؛ لأنه بناء موضوع للزوم والثبات فلم يغير لذلك[1] .

وهذا ما أشار إليه سيبويه ، بقوله : "وقالوا : وضُؤ يوضُؤ ، ووضَع يوضَع ، فأتموا ما كان على (فعل) ؛ لأنهم لم يجدوا في (فَعُل) مصرفا إلى (يفعِل) ، كما وجدوه في باب (فَعَل) نحو : ضرب ، وقتل ، وحسب ، فلما لم يكن يدخله هذه الأشياء وجرى على مثال واحد سلموه وكرهوا الحذف لئلا يدخل في باب ما يختلف يفْعَل منه ، فألزموه التسليم لذلك"[2] .

ب ـ المثال اليائي :

ذكر العلماء أن المثال اليائي (وهو ما كانت فاؤه ياء) لا يصاغ منه (فعُل) بضم العين ، وإنما يصاغ منه (فعَل) بفتح العين أو (فعِل) بكسرها نحو : ينع ويئس ، وييس .

قال ابن يعيش : "وأما ما كان فاؤه الياء فإنه يجئ الماضي منه على (فعَل) مفتوح العين وعلى (فعِل) مكسور العين ، ولم

---

(١) ينظر : شرح الملوكي ٥٠ ، ٥١ .

(٢) الكتاب ٤/٥٣ ، ٥٤ .

يأت منه (فعُل) مضموم العين فيمـــا أعلــم"[١] .

ومن خلال الاطلاع والبحث تبين وجــود بعــض الأفعــال يائيــة الفاء على وزن (فَعُل) بضم العين نحـــو (يمُــن)[٢] ، و (يسُـــر)[٣] ، و (يتُــم)[٤] .

والناظر لهذه الأفعال يجد أنـــها قــد تــأتى ــ أحيانــا ــ بفتــح العين ، وقد أشار إلى ذلك ســيبويه فقــال : "وذلــك قولــك : يَسَــر ييْسِر وَيمَن ييْمِن"[٥] ، كما أشار إلى ذلـــك أيضــا ابــن يعيــش[٦] ، ولعل ذلك من تداخل اللغـــات .

وهناك احتمال آخر ، وهو أن هذه الأفعال التـــى جــاءت علـــى (فَعُل) مما فاؤه ياء قد حولت من (فَعَل) بفتـــح العيــن إلـــى صيغــة (فَعُل) بضم العين لقصــد التعجــب ، خاصــة وأن معنــى التعجــب واضح وجلى فى هذه الأفعـــال .

---

[١] شرح الملوكى ٥١ .

[٢] ذكره ابن منظور فى اللسان (يمن) ١٣/٤٥٨ والفيروزآبادى فى القاموس المحيط (يمن) ١٦٠١ .

[٣] ذكره الرضى فى شرح الشافية ١/١٢٩ .

[٤] ذكره الجوهرى أنه من باب (علم) ينظر : الصحاح (يتم) ٥/٢٠٦٤ .

[٥] الكتاب ٤/٥٤ .

[٦] ينظر : شرح الملوكى ، صـ ٥١ .

٢ ـ سن الأجوف :

أ ـ الأجوف الواوى :

الذى يطالع كتب اللغة يجد أن العرب قد استعملت (فعُل) من الأجوف الواوى ، ومن أمثلته : (طال)[١] ، يقول ابن يعيش: "وأما (فعُل) فمنه : طال يطول : إذا أردت خلاف قصر، وهو غير متعد كما أن (قصُر) غير متعد كذلك ، فهذا من المعتل نظير (ظرُف) في الصحيح ؛ ألا ترى أنهم قالوا في الاسم منه : طويل كما قالوا : ظريف"[٢] .

وإذا نظرنا إلى هذا الفعل (طال) وجدنا له استعمالا خاصا فى القرآن الكريم حيث لم يرد إلا لازما ومعناه : ضد قصر من ذلك قوله تعالى : (أفطالَ عليكُمُ العهدُ)[٣] ، (حتّى طالَ عليهمُ العُمُر)[٤] ، (فطالَ عليهمُ الأمدُ)[٥] .

وقد جاءت الآيات على نمط واحد حيث ذكر أولا الفعل (طال) ثم جاء بعده حرف الجر (على) جارا لضمير ، ثم جاء

---

[١] ينظر : الكتاب ٤/٣٤٠ .

[٢] شرح الملوكى ٥٦ .

[٣] من الآية ٨٦ من سورة طه .

[٤] من الآية ٤٤ فى سورة الأنبياء .

[٥] من الآية ١٦ فى سورة الحديد .

بعده الفاعل اسما ظـــاهرا .

وذهب الكسائى إلى أن وزن (قال) : (فَعُــــل) ، وقـــال ســـيبويه: "لا يجوز ذلك لأنه لا يتعــــدى"[١] .

وأما (كاد) فاختلف فى أصلـــها ووزنـــها ، وهـــل عينـــها واوا أو ياء ؟ قيل : إن ألف (كاد) أصلـــها واو ، وقيـــل : يـــاء[٢] ، وحكـــى سيبويه (كُدْتَ) بضم الكاف علـــى وزن (فَعُلْـــتَ)[٣] .

ب ــ الأجوف اليـــائى :

ذكر علماء التصريف أن الأجـــوف اليـــائى لا يجـــئ مـــن بـــاب (فعُل) ، وذكروا فعلا واحدا فقط هو الذى جـــاء علـــى (فعُـــل) مـــن الأجوف اليـــائى وهـــو (هيـــؤ الرّجُـــل) أى : صـــار ذا هيئـــة[٤] ، وحكموا عليه بالشذوذ[٥] ، ولذلـــك يقـــول ابـــن منظـــور : "يقـــال : هَيُؤَ بضم الياء ، وقد خرج مخرج المبالغة ، فلحـــق ببـــاب قولـــهم:

---

[١] الكتاب ٣٤٠/٤ ، ٣٤١ ، وينظر : شرح الملوكى ٥٣ ، والمزهر ٧٠/٢ .

[٢] ينظر : الهمع ١٢٩/١ .

[٣] ينظر : الكتاب ١١/٣ ، ٤٠/٤ ، ٣٤٣ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة تحقيق / محمد الدالى : ٤٨٤ .

[٤] ينظر : شرح الرضى للشافية ٧٦/١ ، والمزهر ٣٧/٢ ، والهمع ١٦١/٢ ، والمغنى فى تصريف الأفعال ١١٥ .

[٥] ينظر : إرتشاف الضرب لأبى حيان تحقيق د/ مصطفى النماس ٧٦/١ ، والهمع ٦١/٢ .

قَضُوَ الرجل : إذا جاد قضاؤه ، فكما يبنى (فَعُــل) ممــا لامــه يــاء كذلك خرج هذا على أصله فى (فَعُل) مما عينه يــــاء ، وعلتــه فــى ذلك أن هذا بناء لا يتصرف لمضارعتـــه ممــا فيــه مــن المبالغــة لباب التعجب ، ونعم وبئس فلما لم يتصرف احتملـــوا فيــه خروجــه فى هذا الموضع مخالفا للبـــاب"[١] .

أما ابن يعيش فقد رفض مجــئ (فَعُــل) مــن الأجــوف اليــائى قال : "ولم يأت من هذا (فعُل) بالضم كأنـــهم رفضــوا هــذا البنــاء فى هذا الباب لما يلزم من قلب الياء فـــى المضــارع"[٢] .

وإذا نظرنا إلى الفعل (هَيُؤَ) وجدنا أن الياء فيـــه قــد تحركــت ، وانفتح ما قبلها فكان ينبغى قلبها ألفا ، لكن هذا لـــم يحــدث ؛ لأنـــها لو قلبت ألفا لحدث إعلال بالنقل فى مضارعــه بنقــل حركتـــها إلـــى مــا قبلـــها وقلبـــها واوا ؛ لأن المضــارع يتبــع المــاضى فـــى الإعلال فيصـــير (هــاء يَــهوء) فيحصــل الانتقــال مــن الأخــف إلى الأثقـل[٣] .

من هنا نجد أن (فعَل) من الأجوف اليائى قليــل حيــث لــم يــرد

---

(١) اللسان (حيا) ١/١٨٨ .

(٢) شرح الملوكي ٥٨ .

(٣) ينظر شرح الرضي للشافية ١/٧٦ .

من ذلك إلا فعل واحد كما تقدم . ولعل السبب في ذلك لزوم قلب الياء في المضارع ، واستثقال الضمة على الياء ، ولذلك استغنى عن (فَعُل) بالوزنين الآخرين (فَعَل) بفتح العين و (فَعِل) بكسرها .

وقد ذكر ابن مالك بعض الأفعال التى استعملت فى اللغة من الأجوف اليائى ، وأصلها (فَعُل) بضم العين وهى : (طاب ، وبانَ ، ولانَ ، وهاءَ ، وناءَ) وقد قلبت الياء فيها ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، قال ابن مالك ــ رحمه الله ــ : "ويدل على أن أصل هذه الأفعال أن تكون (فَعُل) دلالتها على معان طبعية أو كالطبعية فى اللزوم ، ولذلك جاءت أسماء فاعليها على (فعيل) فى المضاعف ، والمعتل اللام ، وعلى (فيعل) فى المعتل العين ؛ لأن فيْعِلا فيما اعتلت عينه مما حق فعله أن يكون على (فَعُل) ناب عن (فعيل) فى ذوات الياء كلها كطيِّب وأخواتها إلا فى ناءَ اللحم"(١) .

كما أشار ابن مالك إلى ذلك فى موضع آخر فقال : "وأهمل (فَعُل) فيما عينه ياء استغناء عنه بـ (فَعِل) كلان يلين ، وطاب يطيب ، وبان يبين إلا ما شذ من قولهم : هيُؤ الشئ فهو هيِّئ :

---

(١) شرح التسهيل ٤٤١/٣ .

إذ حسنت هيئتــه"[١] .

وهناك احتمال آخر ، وهو أن هــذه الأفعــال مــن بــاب (فَعَــل يَفْعِل) بفتح العين فى المــاضى وكســرها فــى المضــارع فيقــال : طاب يطيب ، والأصل : يَطْيِبُ فأعلت بالنقل حيــث نقلــت حركــة حرف العلة (وهى كســرة اليــاء) إلــى الســاكن الصحيــح قبلــها فصارت يَطِيب ، وهو ما نميل إليــه ، والله أعلــم .

٣ ـ مــن النــاقص :

أ ــ الناقص الــواوى :

يصاغ (فَعُل) من الناقص الواوى ، ومــن أمثلــة ذلــك مــا ورد مسموعا نحو : بَهُو يبْهو فهو بــهىٌّ ، أى : صــار بــهيًا ، وســرُوَ الرجل يسْرو فهو سرىّ أى : صار ســريا ، ونَــهُوَ الرجــل ينــهو فهو نَهِىّ : أى صار ذا نُهْيَــة ، وهــى العقــل ، وبــذُو يبــذُو فــهو بذىّ[٢] ، وَرَخُو أى : صار رخــوا[٣] .

---

[١] شرح التسهيل ٣/٤٣٦ .

[٢] تنظر هذه الأمثلة المذكورة فى الكتاب ٤/٤٨ ، وشرح الملوكى ٦٠ ، وشــرح الشــافية للرضــى ١/٧٦ ، وارتشاف الضرب ١/٧٦ ، والهمع ٢/... ، وفى تصريف الأفعال ٣٨ .

[٣] يلظ : اللسان (رخا) ١٤/٣١٤ .

ب ـ الناقص اليائى :

ذكر بعض علماء التصريف أن (فعُل) لا يأتى من الناقص اليائى إلا ما ورد سماعا فى لفظين هما : (نَهُو ، وبَهُو)[١] ، وحكموا عليهما بالشذوذ للاستغناء عنهما بـ (فعِل) المكسور العين[٢] ، واقتصر الرضى على الأخير فقال : "وجاء من الناقص اليائى حرف واحد متصرف وهو : بَهُو الرجل يبهو بمعنى يبهى أى : صار بهيا"[٣] ، كما اقتصر على الأول (نَهُو) ابن مالك[٤] .

وقد أجاز بعض العلماء صوغ (فَعُل) من الناقص اليائى بكثرة ، وساقوا لذلك نفس الأمثلة التى تقدم ذكرها فى الناقص الواوى وهى (سرُو ، وبهُو ، وبذُو ، ونهُو ، وسخُو) فالواو فى هذه الأفعال بدل من ياء لضمة ما قبلها[٥] .

ولسيبويه نظرة أخرى إلى هذه الأفعال السابقة حيث عدها من قبيل الناقص الواوى ، وبهذا نفى صوغ (فَعُل) من الناقص

---

[١] ينظر المزهر ٣٧/٢ ، والمغنى فى تصريف الأفعال ١١٥ ، وفى تصريف الأفعال ٣٨ .

[٢] ينظر : الهمع ١٦١/٢ .

[٣] شرح الشافية ٧٦/١ .

[٤] ينظر : شرح التسهيل ٤٣٦/٣ .

[٥] ينظر : ارتشاف الضرب ٧٦/١ ، والمزهر ٣٧/٢ ، والهمع ١٦١/٢ ، وأوزان الفعل ومعانيها ٣١ .

اليائى يشير إلى هذا بقوله : "وأما (فعُل) فيكون فى الواو نحو : سرُو يسرو ، ولا يكون فى الياء ؛ لأنهم يفرون من الواو إليها فلم يكونوا لينتقلوا الأخف إلى الأثقل فيلزمها ذلك فى تصرف الفعل"[١] .

وقد يجئ ــ على قلة ــ فى باب التعجب (فَعُل) من الناقص اليائى ، ولا يتصرف كنعم وبئس، فلا يكون له مضارع نحو (قَضُوَ الرجل) أى : ما أقضاه ، ورَمُوَت اليد : أى ما أرماها[٢].

وقد أجاز ابن يعيش مجئ المضارع منه فقال : "والمضارع منه يقضُو ويرمُو"[٣] .

٤ ــ من اللفيف :

من خلال تتبع كتب اللغة والتصريف ــ على قدر اجتهادى ــ لم أقف على استعمال لصيغة (فَعُل) من هذا النوع من الفعل المعتل بنوعيه سواء أكان مقرونا أم مفروقا والله أعلم بالصواب.

---

[١] الكتاب ٣٨٢/٤ .

[٢] يقال ذلك : إذا جاد قضاؤه ، وأجاد الرمى يراجع : شرح الرضى للشافية ٧٦/١ .

[٣] شرح الملوكى ٦١ .

ثالثـا : صياغتـها مـن الأفعـال الناقصـة :

صياغة (فعُل) مــن الأفعــال الناقصــة مقصــورة علــى ثلاثــة أفعال هى : كان ، وليس ، وكـــاد ، وتفصيــل الحديــث عــن ذلــك فيما يلــى :

١ ـ (كــان) :

فى وزن (كان) خلاف فقيــل : إنــها علــى وزن (فَعَــل) بفتــح العين ، وهو الأصح ، وقال الكســـائى : "إنــها علــى وزن (فعُــل) بضم العين" ، ورد بأنه لو كان كذلك لــم يقولــوا فيــه : كــائن لأن الوصف من (فَعُل) : فَعِيــل[1] .

٢ ـ (ليــس) :

ذهب الجمهور إلــى أن (ليــس) علــى وزن (فَعِــل) بالكســر[2] خفف ولزم التخفيف لثقل الكسرة على الياء ، واســتدل لذلــك بأنــها لو كانت بالفتح لصارت إلى (لاس) بــالقلب كبــاع أو بــالضم لقيــل فيها (لُسْت) بضم اللام ، ولا يقال إلا (لَســـتُ) بفتحــها ، قــال أبــو حيان : "والأكثر فتح اللام ، وروى لُست بضم الــلام ، وهــو يــدل

---

[1] ينظر : ارتشاف الضرب ٢/٧٦ ، والهمع ١/١١٥ .

[2] ينظر : الكتاب ٣/٣٤٣ ، والمنصف ١/٢٥٨ .

على بنائها على (فَعُل) بضم العين كَـهَيُؤَ"[١] ، وحكى الفراء أن بعضهم قال : لِسْتَ بكسر اللام[٢] .

٣ ـ (كاد) :

اختلف في ألف (كاد) فقيل أصلها : واو ، وقيل أصلها ياء، وحكى سيبويه (كُدْتَ) بضم الكاف ، ولكنه حكم عليه بالشذوذ[٣].

(فَعُل) بين التعدى واللزوم :

قسم اللغويون الفعل إلى : متعد ويسمى متجاوزا ، وواقعا ، وإلى لازم ويسمى قاصرا ، وعرفوا المتعدى بأنه ما تجاوز الفاعل إلى مفعول به بنفسه ، واللازم ما لم يتجاوز الفاعل إلى مفعول به نحو : قعد ، وخرج .

والنظر في أوزان الفعل يوضح لنا أن بعضا قد استعمل متعديا ، وبعضا استُعمل لازما ، ومنها ما استعمل لازما ومتعديا بحسب المراد ، وقد يغلب أحد الأمرين في الوزن

---

(١) ارتشاف الضرب ٢/٧٢ .

(٢) ينظر : الجنى الداني للمرادى ، تحقيق د/ فخر الدين قباوة ، صـ ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، والهمع ١/١١٥ ، والفعل : زمانه وأبنيته ، د/ إبراهيم السامرائي ٦٤ ، ٦٥ ، طبع مؤسسة الرسالة .

(٣) ينظر : الكتاب ٣/١١ ، ٤/٤٠ ، ٣٤٣ ، والهمع ١/١٢٩ .

الواحد لكثرة الاستعمال ، وقد يستعمل الوزن متعديا ويشذ لزومه ، أو يستعمل لازما ويشذ تعديه .

والذى يعنينا هنا من هذه الأوزان صيغة (فَعُل) وسوف نبين حكمها من حيث التعدى واللزوم .

اتفق علماء التصريف على أن أوزان الثلاثى المجرد تستعمل أحيانا لازمة ، وأحيانا متعدية لكنهم اختلفوا فى وزن (فَعُل) من حيث التعدى واللزوم ، وذلك على رأيين :

أولهما : أن (فعُل) لا يكون إلا لازما ؛ لأنه يكثر فى الطبائع والسجايا ، وهى الصفات الملازمة لصاحبها نحو : الحسن ، والقبح ، والطول ، والقصر ، والكبر ، والصغر ، والسهولة ، والصعوبة ، ونحو ذلك[1] .

ولما كان (فَعُل) موضوعا لأفعال الغرائز والسجايا ومن شأن السجية أن تلازم صاحبها ولا تتعداه إلى غيره لذا كانت أفعال هذا الباب كلها لازمة غير متعدية نحو : كَرُم ، وظَرُف ، وهذا الرأى أشار إليه بعض العلماء منهم سيبويه ، وابن قتيبة وابن جنى ، والرضى .

---

[1] ينظر : المغنى فى تصريف الأفعال ١١٥ .

قال سيبويه : "وليس في الكلام (فَعُلْتُه) متعديا"[١] .

وقال ابن قتيبة : "والخصال التي تكون في الإنسان من الحسن ، والقبح ، والشدة ، والضعف ، والجرأة ، والجبن ، والصغر ، والعظم تأتي على (فَعُلَ يَفْعُلُ) ، وليست تتعدى"[٢] .

وقال ابن جني : "هذا باب على حدته لا يكون متعديا أبدا ، إنما يكون للهيئة التي يكون الشئ عليها نحو (ما كان ظريفا ولقد ظرف ، وما كان شريفا ولقد شرف فتباعد هذا الفعل من باب (فعِل وفعَل) اللذين قد يكون كل واحد منهما متعديا وغير متعد"[٣] .

وكذلك ذكر الرضي لزوم هذا الوزن ؛ لأنه يأتي في الغرائز ، والغريزة لازمة لصاحبها ولا تتعدى إلى غيره[٤] .

الرأي الآخر : أن (فَعُل) تارة يكون لازما ، وتارة يكون متعديا ، والتعدي يكون إما بالتضمين أو التحويل كما أشار ابن مالك لذلك بقوله : "ولم يرد (فَعُل) مضاعفا إلا قليلا مشروكا ،

---

[١] الكتاب ٤/٣٨ .

[٢] أدب الكاتب ٤٧١ .

[٣] المنصف لابن جني ، تحقيق / إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ، ١/١٨٨ ، طبعة الحلبي .

[٤] ينظر شرح الشافية ١/٧٤ .

ولا متعديا إلا بتضمين أو تحويـــل"[١] .

وتوضيح ذلك فيما يلـــي :

أ- تعدى (فَعُل) بالتضميـن :

سمع تعدى (فعُل) بالتضمين[٢] فـــي كلمتيـن همـا : (رَحُـب ، وطلُع) .

أما (رحُب) فقد ضمن معنى (وسِـع) فـي كلمـة واحـدة وهـي قولهم : (رحبتك الـدار) .

قال السيوطى : "لـم يـأت (فعُلْـت) بـالضم متعديـا إلا كلمـة واحدة رواها الخليل وهى قولهم : رحبتـك الـدار"[٣] .

وقيل : الأصل (رحبت بك) فحذف الجار توسـعا ، وهـو قـول ابن الحاجب ، وحكم عليه الرضى بأنه تعسـف لا معنـى لـه[٤] .

وفى الصحاح قال الخليل : قال نصـر بـن سـيار : "أرحُبكـم الدخولَ فى طاعة الكِرمانى ؟ أى : أوسعكم ، قـال : وهـى شـاذة،

---

[١] شرح التسهيل ٤٣٥/٣ ، وينظر : إرتشاف الضرب ٧٦/١ .

[٢] يراد بالتضمين : ان يودى فعل مودى فعل آخر فيعطى حكمه فى التعدية كتضمين (رحب) معـنى (وسع) وغير ذلك .

[٣] المزهر ٧٠/٢ ، وينظر : المغنى فى تصريف الأفعال ١١٥ ، وفى تصريف الأفعال ٣٩ .

[٤] ينظر : شرح الرضى للشافية ٧٤/١ ، ٧٥ .

ولم يجئ في الصحيح (فَعُل) بضم العين متعديـــا غـيره"(١) .

وأما الكلمة الثانية وهي (طَلُع) فقد اســتعملت فـي قولـهم (وإن بِشْرا قد طلُع اليمن) أي : بلـغ ووصـل(٢) .

وقد ذكر ابن هشام أنه لم يرد مـن (فعُـل) متعديـا سـماعا إلا فعلان هما (رَحُب ، وَطَلُع) بفتح أولـهما وضـم ثانيـهما لتضمنـهما معنى (وسع) ، و (بلـغ)(٣) .

والناظر في كتب المعاجم الحديثـة يجـد أن التعـدي بـالتضمين في (فعُل) ليس مقصورا على الفعليـن السـابقين (رحـب ، وطلـع) بل إن هناك فعلا ثالثا وهو (وَجُز) قـد ورد فـي المعجـم الوسـيط وفيه ويقال : وجُز في منطقه يوجـز وجْـزا ووجـازة أي : قصـر في بلاغـة(٤) .

وهذه الأفعال السابقة التي جاءت متعديـة بـالتضمين لـها تمـيز

---

(١) الصحاح (رحب) ١/١٣٤ ، ١٣٥ .

(٢) ينظر : شرح الأشموني للألفية ٣/٩٧ ، ٤/٢٤١ ، طبعة الحلبي وفيه أن قائله : علي بن أبي طـالب رضي الله عنه ، والمزهر ٢/٣٧ ، وفي اللسان (طلع) ٨/٢٣٦ ، وفي الحديث : هذا بشر قـد طلـع اليمن أي : قصدها بالسين في (يسر) وضبط اللام في (طلع) بالفتح .

(٣) ينظر : مغني اللبيب لابن هشام تحقيق د/ مازن المبارك ، صـ ٤٩٤ .

(٤) المعجم الوسيط تحقيق الأستاذ / عبد السلام هارون وآخرين (وجز) ٢/١٠٢٥ ، مطبوعات مجمـع اللغة العربية .

خاص عن بقية الأفعال الأخرى التـــى جـــاءت علـــى وزن (فَعُـــل) ولعل هذا يشير إلى أنه لغة مـــن لغـــات العـــرب ، وهـــى (هذيـــل) يؤيد هذا ما جاء فى اللســـان : (أن أبـــا علـــى الفارســـى حكـــى أن هذيلا تعديها إذا كانت قابلة للتعدى بمعناهـــا كقولـــه :

ولـم تبصـــر العيـــن فيهـــا كلابـــا[١]

ب ـ تعدى (فعُل) بالتحويل :

تقدم أن (فَعُل) قد يكون لازمـــا ، ومتعديـــا ، وتعديتـــها ــ عنـــد أصحاب هذا الرأى ــ يكـــون إمـــا بـــالتضمين أو التحويـــل ، وقـــد تقدم الحديث عن تعديتها بـــــالتضمين .

والآن نتحدث عن تعديتها بالتحويل ، ويقصـــــد بذلـــك أن تحـــول عن (فَعَل) أو (فَعِل) معتلى العيـــن نحـــو : رُمتـــه وطُلتـــه[٢] ، قـــال ابن مالك عن هذه الصيغـــة (فعُـــل) : "ولا متعديـــا إلا بتضميـــن أو تحويـــلى"[٣] .

ويقول أيضا فى موضـــع آخـــر : "والأصـــل فـــى هـــذا النـــوع

---

[١] ينظر : اللسان (رحب) ٤١٥/١ ، والقاموس المحيط (رحب) ١١٤ .

[٢] ينظر : المنصف ٢٣٨/١ ، ٢٣٩ .

[٣] شرح التسهيل ٤٣٥/٣ ، وينظر ارتشاف الضرب ٧٦/١ ، والمزهر ٣٧/٢ ، وفى تصريف الأفعال ٣٨ .

(فَعُلْتَه) بفتح العين ، فحول إلى (فعل) ونقلت الضمة إلى الفاء والحاصل أن (فَعَل) الذى عينه واو حين عرض حذف عينه لسكون لامه حول إلى (فعُل) واستصحب ما كان له من التعدية ؛ لأن الضمة عارضة فلم يعتد بها"[١] .

من هنا يتبين لنا أن الأصل فى (فَعْل) أن تستعمل لازمة ، وهذا ما أيدته نصوص العلماء السابق ذكرها فى الرأى الأول .

ولكن هل الصحيح كالمعتل فى هذا الحكم (اللمزوم) ؟ هذا ما سنعرفه من خلال ما ذكره العلماء فى هذا الصدد :
قال ابن قتيبة : "وما كان على (فَعُلت) فإنه لا يتعدى إلى مفعول ، لا تقول (فَعُلْتُه) نحو : مكُث ، وكرُم ، وعظُم ، وظرُف ، ولا يقال (طُلْتَه) ؛ لأنه (فَعُلت) ، وأما قولهم (قُلْتُه) ، فإن أصلها (فَعُلْت) معتلة من (فعلت) ، فحولت إليها ليغيروا حركة الفاء عن حالها لو لم تعتل ، فلو لم يحولوها وجعلوها تعتل من (فعلت) نحو (قولْت) لكانت ألفا"[٢] .

وفى هذا دلالة على رفض ابن قتيبة تعدية (فَعُل) مطلقا

---

[١] شرح التسهيل ٣/٤٣٦ ، ٤٣٧ .

[٢] أدب الكاتب ٤٧١ ، وينظر الكتاب ٢/٣٤٠ ، ٣٤١ .

يستوى فى ذلك الصحيح والمعتـــل .

ونقل السيوطى عن الصحاح قوله : "ولـم يجـئ فـى الصحيـح (فَعُل) بضم العين متعديا غــيره" .

وأمـا المعتـل فقـد اختلفـوا فيـه ، قـال الكسـائى : "أصـل قُلْتُـه : قُوُلْتـه" ، وقـال سـيبويه : "لا يجـوز ذلــك ؛ لأنـه يتعـدى"[(١)] .

وفى هــذا النـص دلالـة علـى انفـراد كـل مـن الصحيـح والمعتل بحكم خـاص .

تعدية (فَعُل) بحرف الجر :

إذا قلنا إن (فَعُل) يجـوز أن تسـتعمل متعديـة ، فـهل تتعـدى بنفسها أو بحرف الجر ؟ تؤكد كتـب اللغـة والمعـاجم أن الغـالب فى (فَعُل) الصحيح العين تعديتـه بحـرف الجـر ، وعـدم تعديـه بنفسه ، ومما يؤكد ذلك ورود هـذه الصيغـة فـى القـرآن الكريـم متعدية بحرف الجر فى الآيـات التاليـة :

قوله تعالى : (وإن كان كبر عليـك إعراضـهم)[(٢)] .

---

(١) المزهر ٧٠/٢ ، والصحاح (رحب) ١٣٥/١ ، وينظر الكتـاب ٣٤١/٢ ، واللسـان (رحـب) ٤١٥/١ .

(٢) الآية ٣٥ من سورة الأنعام .

وقوله تعالى : (ثقلت في السموات والأرض)[١] .

وقوله تعالى : (ولكن بعدت عليهم الشقة)[٢] .

وقوله تعالى : (إن كان كبر عليكم مقامي)[٣] .

وقوله تعالى : (قال بصرت بما لم يبصروا به)[٤] .

وقوله تعالى : (فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون)[٥] .

وقوله تعالى : (فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون)[٦] .

وقوله تعالى : (كبر على المشركين ما تدعوهم إليه)[٧] .

ففي هذه الآيات وجدنا أن (فَعُل) الصحيح العين جاء متعديا بحرف الجر .

ويقوى ذلك أيضا ما جاء في كتاب معجم الأفعال المتعدية بحرف تأليف : موسى بن محمد المليانى الأحمدى ، حيث أورد صاحب المعجم حوالى عشرين فعلا تقريبا جاءت على وزن

---

[١] الآية ١٨٧ من سورة الأعراف .

[٢] الآية ٤٢ من سورة التوبة .

[٣] الآية ٧١ من سورة يونس .

[٤] الآية ٩٦ من سورة طه .

[٥] الآية ١٢ من سورة الأنبياء .

[٦] الآية ١١ من سورة القصص .

[٧] الآية ١٣ من سورة الشورى .

(فَعُل) متعدية بحرف الجـــر .

وهنا رأيت ــ بدورى ــ أن أجمع هذه الأفعـــال المتفرقــة مــن هذا المعجم ، مع إثبات المادة ، ورقم الصفحـــة منــه ، وفيمــا يلــى حصر لهذه الأفعــال :

١ ــ (بَصُر) : (بصر بالشئ يبصــر بصـــارة ، وبصـــارة : علمــه ورآه)[١] .

٢ ــ (بَعُـــد) : (بعد به يبعد بعدا : ضــد قــرب)[٢] .

٣ ــ (ثَقُـــل) : (ثقل إلى الأرض يثقل ثقلا وثقالـــة : أخلـد إليــها واطمــأن)[٣] .

٤ ــ (جَـدُر) : (جدر بالشـــئ يجــدر جــدارة : كــان خليقــا بـــه وأهلا لـــه)[٤] .

٥ ــ (حَــرُم) : (حرم الشئ عليـــه ، لــم يحــل لـــه ، وحرمــت المرآة على زوجها : لم تحل لـــه بعــد)[٥] .

---

(١) معجم الأفعال المتعدية بحرف ، صـــ ١٨ .

(٢) معجم الأفعال المتعدية بحرف ، صـــ ١٩ .

(٣) معجم الأفعال المتعدية بحرف ، صـــ ٢٨ .

(٤) المصدر السابق ، صـــ ٣١ .

(٥) المصدر السابق ، صـــ ٥٣ .

٦ ــ (حَقَــــر) : (حقر فى عينى حقارة ، وتحـــاقرت إليــه نفســه: تصــاغرت)[١] .

٧ ــ (خَبَــــر) : (خـــبر الشـــئ يخـــبر خـــبرا : علمــه بحقيقتــه وكنهــه)[٢] .

٨ ــ (خَشَــن) : (خشن عليــه صــدره يخشــن خشــنا وخشــونة : وجد عليــه)[٣] .

٩ ــ (خَلَـــق) : (خلق بكـــذا وخلــق لــه ، وخلــق منــه يخلــق خلاقة: صار به خليقا وجديـــرا)[٤] .

١٠ ــ (رَطَــب) : (رطب لسانى بذكر الله تعــالى يرطــب رطوبــة ، وهو رطيب بـــه)[٥] .

١١ ــ (سَهَــــل) : (سهله الله عليه وســـهله لـــه : يســره وصــيره له ســهلا)[٦] .

---

(١) المصدر السابق ، صـــ ٦٢ .

(٢) المصدر السابق ، صـــ ٧٣ .

(٣) المصدر السابق ، صـــ ٨٠ .

(٤) المصدر السابق ، صـــ ٨٩ .

(٥) المصدر السابق ، صـــ ١٢٩ .

(٦) المصدر السابق ، صـــ ١٦٥ .

١٢ ــ (طَهُــــر) : (طهرت المرآة مــن الحيــض : انقطــع عنــها دمــه)[١] .

١٣ ــ (عَمُــــق) : (عمق النظر فى الأمــور : بــالغ فيــه)[٢] .

١٤ ــ (عَنُــــف) : (عنف يعنف عنفا وعنافة عليــــه ، وعنــف بــه فهو عنيف : لم يكن ذا رفق بــــأمره)[٣] .

١٥ ــ (فَــــرُس) : (فرس فراسة بعينــــه ونظــره : أدرك بــالنظر ما فى البــاطن)[٤] .

١٦ ــ (فَسُــــل) : (فسل فسولة فى الأمــر : قــل نشــاطه)[٥] .

١٧ ــ (فَصُــــح) : (أفصــح الكــلام وأفصــــح بــــه : تكلــــم بالفصاحــة)[٦] .

١٨ ــ (قَــــرُب) : (قرب منه وإليه ، واقــترب منــى ، ويقــرب

---

(١) المصدر السابق ، صـــ ٢٢١ .

(٢) المصدر السابق ، صـــ ٢٤٩ .

(٣) المصدر السابق ، صـــ ٢٥٠ .

(٤) المصدر السابق ، صـــ ٢٧١ .

(٥) المصدر السابق ، صـــ ٢٧٥ .

(٦) المصدر السابق ، صـــ ٢٧٥ .

إلى الله بكـذا)[١] .

١٩ ــ (كَبُــــر) : (كبر الأمر ، وكبر علـــى ذلــك : إذا شــق عليك ، وكبر الرجل في قـــدره)[٢] .

٢٠ ــ (كَــرُم) : (كــرم علينــا فــلان كرامــة ، وأكــرم نفســه بالتقوى ، وأكرمها عن المعـــاصى)[٣] .

٢١ ــ (مَكُــنَ) : (مكن : مكنه من الشـــئ ، ومكــن لــه : جعــل له عليه ســلطانا)[٤] .

كل هذه الأفعال الســـابقة جــاءت علــى وزن (فَعُــل) الصحيــح العين ، وتعدت بحرف الجـــر .

أما (فَعل) المعتل فلم يرد إلا لازما ، ويتضـــح ذلــك مــن خــلال ما سبق عند الحديث عن الفعــــل (طــال) واســتعماله فـــى القــرآن الكريم[٥] ، ويستثنى من ذلك الفعــل (قــال) الــذى جعــل الكســائى

---

(١) المصدر السابق ، صـ ٢٩٠ .

(٢) المصدر السابق ، صـ ٣٠٧ .

(٣) المصدر السابق ، صـ ٣١٢ .

(٤) المصدر السابق ، صـ ٣٥٤ .

(٥) ينظر ص ٥٠٣ من البحث .

وزنها (فَعِل) وعند غيره أن وزنها (فَعَل)[١] .

لزوم (فعُل) بالتحويل :

يأتى الفعل لازما بعدة طرق إما بالأصالة[٢] ، أو التنزيل ، أو التحويل ، ومعناه : أن يحول الفعل المتعدى إلى وزن (فعُل) لقصد التعجب ، أو المبالغة ، أو المدح أو الذم ، وبهذا يصير لازما بالتحويل نحو : فهُم ، وحمُد ، وحكى الكسائى أنه كان يقول فى هذا : (قضُو الرجل ، ودعُو الرجل) : إذا أجاد القضاء ، وأحسن الدعاء[٣] ؛ قال تعالى : (كَبُرت كلمةً تخرج من أفواههم)[٤] ، (وحسُن أولئك رفيقا)[٥] ، ويقال : ضرُب الرجل وفهُم أى : ما أضربَه وما أفهمَه[٦] .

قال الأزهرى : "وكل فعل ثلاثي متصرف تام مثبت قابل للتفاضل مبنى للفاعل ليس الوصف منه على أفعل فعلاء صالح للتعجب منه فإنه يجوز استعماله على (فعُل) بضم العين إما

---

[١] ينظر صـ٥٠٣ من البحث .

[٢] وقد تقدم الحديث عن ذلك فى صـ ٥١١ .

[٣] ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٢٩/٧ ، وشرح الملوكى ٦١ ، وشرح الأشمونى ٩٦/٢ .

[٤] الآية ٥ من سورة الكهف .

[٥] الآية ٦٩ من سورة النساء .

[٦] ينظر : أوزان الأفعال ومعانيها ٢٢١ .

بالأصالة كظَرُف ، وشَرُف أو بالتحويل بأن يكون في الأصل مفتوح العين كضَرَب ، وقَتَل أو مكسورها كعَلِم ، وفَهِم ، بضم العين فيهن ، وإنما حولت لتلحق بالغرائز ، ولتصير قاصرة كنعم"(١) .

وسائل تعدية (فَعُل) بغير التضمين أو التحويل :

تقدم أن (فعُل) تتعدى إما بالتضمين ، وذلك في بعض الكلمات التي وردت سماعا ، أو بالتحويل عن (فَعَل) أو (فَعِل).

ومن خلال الاستقراء أمكن الوقوف على وسائل أخرى لتعدية (فعُل) يمكن توضيحها فيما يلي :

١ ـ إدخال حرف الجر المناسب للمعنى(٢) ، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم قال تعالى : (ثَقُلَتْ في السمواتِ والأرضِ)(٣) ، (فَبَصُرَتْ به عن جُنُب)(٤) .

٢ ـ تحويل (فعُل) إلى (استفعل) للطلب ، أو النسبة للشئ نحو:

---

(١) التصريح ٩٨/٢ .

(٢) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ٦٥/٧ ، والنحو الوافي د. عباس حسن ١٥٩/٢ ، طبعة دار المعارف .

(٣) الآية ١٨٧ من سورة الأعراف .

(٤) الآية ١١ من سورة القصص .

(استقبحت الظلم) أى : نسبت القبح إلى الظلم ، فأصل (استقبحت الظلم) : قَبُح الظلم ، وهو لازم فصار بنقله إلى (استفعل) متعديا[١] .

٣ ــ إثبات همزة النقل فى أول (فَعُل) ، ودخولها فى اللازم قياسى دون المتعدى ، وقيل : قياسى فيه ، وفى المتعدى إلى واحد ، وقيل : النقل بالهمزة كله سماعى[٢] .

وقد أشار سيبويه إلى هذا فقال : "وإذا أردت أن غيره أدخله فى ذلك يبنى الفعل منه على أفْعَلْت ، ومن ذلك أيضا : مَكُث وأمكثته"[٣] .

٤ ــ تضعيف العين نحو : نَبُل زيد ، ونبّلته ، والمراد : حملته على ذلك ، وجعلته يفعله ، ولذلك صار متعديا بعد أن لم يكن كذلك[٤] .

وقد ذكر سيبويه هذه الوسيلة أيضا فقال : "وتقول : مَلُح وملحته ، وسمعنا من العرب من يقول : أملحته كما تقول :

---

[١] ينظر : حاشية الصبان ٢/٩٦ .

[٢] ينظر : حاشية الصبان ٢/٩٦ .

[٣] الكتاب ٤/٥٥ .

[٤] ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ٧/٦٥ ، وشرح الأشمونى ٢/٩٦ .

أفزعته ، وقالوا : ظرف ، وظرفته ، ونبل ونبلته ، ولا يستنكر أفعلت فيهما ، ولكن هذا أكثر ، واستغنى به"[١] .

٥ ـ تحويل (فعل) إلى (أفعل) بقصد التعجب سماعا ؛ لأن من صيغ التعجب السماعية (أفعل) بغير (ما) التعجبية ، وذلك نحو (حَسن) فإنه لازم ، فإذا حول إلى (أفعل) وقيل : أحسنت عملا ، أي : ما أحسن عملك صار متعديا ، وقد نقل هذا أبو حيان فقال : "وزاد الكوفيون (أَفْعَل) بغير (ما) مسندة إلى الفاعل"[٢] .

٦ ـ صوغ الفعل على (فَعَلْت) لإفادة المغالبة نحو : كَرمت زيدا أكرمه أي : غلبته في الكرم ، وهذه الأفعال التي تحول إلى (فَعَل) للمغالبة تكون مضمومة العين في المضارع[٣] .

الفرق بين (فَعَل) و (أفْعَل) :

الوزنان يتفقان في اللزوم ، وعدم تعديهما ، ولكنهما يختلفان في معناهما ، وذلك نحو (سرَع وأسرع) ، و (بطؤ وأبطأ) وقد

---

(١) الكتاب ٤/٥٥ .

(٢) ارتشاف الضرب ٣/٣٧ .

(٣) ينظر الكتاب ٤/٦٨ ، وشرح الأشموني ٢/٩٦ ، والهمع ٢/١٦٣ ، والنحو الوافي ٢/١٦٧ .

أشار سيبويه إلى ذلك فقال : "وأسرع : عجل ، وأبطأ : احتبس، وأما سرُع وبطُؤ فكأنهما غريزة كقولك : خف ، وثقل ، ولا تعديهما إلى شئ"[1] .

وفى شرح الرضى للشافية وقولهم : "أسرع وأبطأ فى : سرُع وبطُؤ الهمزة فيهما للنقل بل الثلاثى والمزيد فيه معا غير متعديين لكن الفرق بينهما أن سرع وبطؤ أبلغ ؛ لأنهما كأنهما غريزة كصغر وكبر"[2] .

تصاريف (فَعُل) :

يقصد بهذا ما يتصرف من (فَعُل) كالمضارع ، والأمر ، والمصدر ، واسم الفاعل ، والصفة المشبهة وصيغة المبالغة ، واسم التفضيل .

وتوضيح الحديث عن هذه النقاط فيما يلى :

أولا : المضارع :

ذكر الصرفيون أن الماضى إذا كان على وزن (فَعُل) بضم العين ، فقياس مضارعه ضم عينه أيضا أى أن مضارع (فَعُل) هو : (يَفْعُل) بضم العين .

---

(١) الكتاب ٤/٥٦ .

(٢) شرح الرضى للشافية ١/٨٧ .

وقد أشار إلى ذلك سيبويه ، قال : "كما قالوا : (فَعُل يفعُل) فلزموا الضمة..."(١) ..

وقال ابنى جنى : "فأما قولهم : كَرُم يكرُم فإنهم أقروا فى عين مضارعه حركة الماضى ؛ لأن هذا باب على حدته لا يكون متعديا أبدا إنما يكون للهيئة التى يكون الشئ عليها"(٢) ، وقال أيضا فى الخصائص : "وكذلك قولهم : إن كان الماضى على (فَعَل) فالمضارع منه على (يَفْعُل) فلو أنك على هذا سمعت ماضيا على (فَعَل) لقلت فى مضارعه : (يَفْعُل) ، وإن لم تسمع ذلك ، كأن يسمع سامع ضَؤُل ، ولا يسمع مضارعه فإنه يقول فيه : يَضْؤُل ، وإن لم يسمع ذلك ؛ ولا يحتاج أن يتوقف إلى أن يسمعه ؛ لأنه لو كان محتاجا إلى ذلك لما كان لهذه الحدود والقوانين التى وضعها المتقدمون ، وتقبلوها ، وعمل بها المتأخرون معنى يفاد ، ولا غرض ينتحيه الاعتماد"(٣) .

وقال ابن يعيش : "وأما (فَعُل) مضموم العين ، فلا يكون إلا

---

(١) الكتاب ٤/٣٨ .

(٢) المنصف ١/١٨٨ .

(٣) الخصائص ٢/٤١ ، ٤٢ .

غير متعد نحو : كَرُم وظَرُف ، ولا يكون مضارعه إلا مضموما نحو : يكرُم ويظرُف ؛ لأنه موضوع للغرائز والهيئة من غير أن يفعل بغيره شيئا"[١] .

وقال الرضى : "اعلم أن ضم عين مضارع (فَعُل) المضموم العين قياسى لا ينكسر"[٢] .

لم جعلت الضمة فى هذا الباب دون الفتحة والكسرة ؟

لقد ذكر ابن جنى علة ذلك بقوله : "فلم يدخل فى مضارع (فَعُل) كسر ولا فتح كما جاء (قتُل يقتُل وفضِل يفضُل) ، لأن (فعُل) لا يتعدى فلم يقو قوة (فَعَل وفَعِل) المتعديين ، فدخلا عليه ولم يدخل عليهما"[٣] .

كما ذكر أيضا فى موضع آخر قال : "جعلت الضمة فى هذا الباب دون الفتحة والكسرة ؛ لأن ما يتعدى من الأفعال أكثر مما لا يتعدى ، فجعلت الضمة فى عين ما لا يتعدى لقلته ، وخصوا المتعدى بالفتح والكسر لكثرته وخفة الفتحة والكسرة هربا من

---

(١) شرح المفصل ١٥٣/٧ .

(٢) شرح الشافية ١٣٨/١ .

(٣) المنصف ١٨٩/١ .

أن يكثر من كلامهم ما يستثقلونه"[١] .

كما جعل السيوطى علة لزوم الضمة فى مضارع (فَعُل) هو رعاية التناسب بين الألفاظ ومعانيها فقال : "أو كان الماضى على (فعُل) بالضم ضمت أيضا فى المضارع نحو : ظَرُف يظْرُف ؛ لأن هذا الباب موضوع للصفات اللازمة فاختير الماضى والمضارع فيه حركة لا تحصل إلا بانضمام إحدى الشفتين إلى الأخرى رعاية للتناسب بين الألفاظ ومعانيها"[٢] .

شذوذ فتح عين مضارع (فعُل) :

إن ضم عين مضارع (فعُل) هو القياس المطرد فى اللغة ، ولكن نقل بعض العلماء مجئ مضارع (فَعُل) بفتح العين أى على وزن (يَفْعَل) ، وحكموا على ذلك بالشذوذ .

قال سيبويه : "وقد قال بعض العرب : كُدت تكاد فقال : فَعُلْت تَفعَل ... وهذا قول الخليل ، وهو شاذ فى بابه"[٣].

وقال ابن جنى : "وحكى سيبويه : كُدت أكاد ، وهذا من الشاذ ، وكأنه إنما جاء (كُدت أكاد) على وزن (فَعُل يَفْعَلُ) لأحد

---

(١) المنصف ١٨٩/١ .

(٢) الهمع ١٦٤/٢ .

(٣) الكتاب ٤٠/٤ .

أمرين :

- إما أن يكون اجترئ عليه بأن أخرج عن بابـــه لضعفـــه بـــاعتلال عينه .
- وإما أن يكون عوض عن اعتلال عينـــه ، فقـــوى بضـــرب مـــن التصرف ليس لنظـــيره"[١] .

وقال ابن يعيش : "ولم يشذ منه شئ إلا مـــا حكـــاه ســـيبويه مـــن أن بعضهم قال : كُدت تَكاد ، والقيـــاس : تكُـــود"[٢] .

وقـــال الرضـــى : "اعلـــم أن ضـــم عيـــن مضـــارع (فَعُـــــل) المضموع العين قيـــاس لا ينكســـر إلا فـــى كلمـــة واحـــدة وهـــى : كُدْت بالضم تَكَاد ، وهو شـــــاذ"[٣] .

صوغ المضارع مـن (فعُل) المنقـول للتعجـب :

تقدم فيما سبق أن الفعل المتعـــدى يحـــول إلـــى صيغـــة (فَعُـــل) لقصد التعجب ، أو المبالغة ، أو المـــدح ، أو الـــذم فيصـــير لازمـــا نحو : (قضُو الرجـــل : إذا أجـــاد القضـــاء ، ورمُـــوَ الرجـــل : إذا

---

[١] المنصف ١/١٨٩ .

[٢] شرح الملوكى ٤٤ .

[٣] شرح الشافية ١/١٣٨ ، ويراجع أيضا : ارتشاف الضـــرب ١/٧٦ ، والمزهـــر ٢/٣٧ ، والهمـــع ٢/١٦٤ ، وفى اللهجات العربية د/ إبراهيم أنيس صـــ ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٧٣ .

أجاد الرمـــى)[١] .

وذكر أكثر النحاة إن المضارع لا يأتى مـــن هــذا النــوع إلا أن ابن يعيش أجاز صوغ المضارع منـــه فقـــال : "وأمـــا (فَعُـــل) فقـــد قالوا : قَضُوَ الرجل ، ورَمُـــوَ إذا حـــذق القضـــاء وأجـــاد الرمـــى ، وهى من الياء ألا تـــرى إلـــى ظـــهورها فـــى قضيْـــت ورميْـــت ، والنضارع منه : يقضُو ويرمُو ، ولا يختلـــف ذلـــك فاعرفـــه"[٢] .

ثانيـــا : الأمـــر :

إن صيغة الأمر من (فَعُل) لا تختلف عـــن صوغـــها مـــن (فَعَـــل يَفْعُل) حيث أن المستقبل منهما واحـــــد .

ثالثـــا : المصـــدر :

من المعلوم أن أكثر مصـــادر الفعـــل الثلاثـــى المجـــرد تتوقـــف على الســـماع .

ويأتى مصدر (فَعُل) على عدة صور ذكر ســـيبويه جملـــة منـــها جاءت على أوزان مختلفة حســـب دلالتـــها[٣] .

---

[١] ينظر صـــــ من البحث .

[٢] شرح الملوكى ٦١ .

[٣] ينظر : الكتاب ١٧/٤ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٦ .

وقد ذكر بعض العلماء لـــ (فَعُــل) مصدريــن قياســيين وهمــا (فُعُولة ، وفَعَالـــة) نحــو : صعــب صعوبــة ، وســهل ســهولة ، وفصح فصاحة ، وجزل جزالة ، وما عدا ذلــك فــهو مســموع[١] .

كما نقل الأزهرى ، والأشــمونى أن الزجــاجى وابــن عصفــور ذكرا أن (الفُعْلَة) بضم الفاء وســكون العيــن قياســى فــى مصــدر (فعُل) مضموم العين ، وهو خلاف ما قالـــه ســيبويه[٢] .

ويختلف تناول العلماء لهذين الوزنيـــن (فُعُولـــة وفَعَالـــة) فمنـــهم من ذكرهما بدون تحديد ضابط لهما ، ومنـــهم مــن وضــع ضابطــا لهما كما أشار إلى ذلك العلامـــة الخضــرى ، فقــال : "وقــد ذكــر ابن الناظم ضابطا لكل منهما فقال فـــى شــرح اللامية : إذا كــان الوصف من (فَعُل) المضموم على فعيل كمليـــح وظريــف وشــجيع فقياسه فَعَالة كمَلاحة وظَرَافة وشَجَاعة ، أو علـــى (فَعْــلَ) كســهْل ، وصعْب وعذْب فقياسه فُعُولة كســهولة ، وصُعوبــة وعذوبــة"[٣] .

والناظر لهذا الضابط يجــده قــد قصــر مصــدر (فَعُــل) علــى هذين الوزنين (فُعُولة وفَعَالة) فقـــط ، مــع أن لــه أوزانــا أخــرى

---

[١] ينظر : الأشمونى ٣٠٦/٢ ، والهمع ١٦٧/٢ .

[٢] ينظر : التصريح ٧٤/٢ ، وشرح الأشمونى ٣٠٦/٢ ، ويراجع الكتاب : ١٠/٤ ، ٢٨ وما بعدها .

[٣] حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل ٣١/٢ ، المطبعة الأزهرية بمصر .

كثيرة يمكن وضع ضوابط لها من حيث معناها ودلالتها ، كما أشار إلى ذلك سيبويه[١] ، وكما نصت عليه كتب اللغة والمعاجم.

ويمكن تحديد هذه الضوابط على هذا النحو :

١ ـ ما دل على حسن أو قبح يصاغ مصدره على (فُعْل) نحو: حَسُن حسنا ، وقَبُح قبْحا[٢] ، و (فَعَالة) نحو : وسُم وَسامة ، وحقُر حقارة ، وهو أكثر الأوزان استعمالا ، ولذلك قال سيبويه: "وأما الفُعْل من هذه المصادر فنحو الحسن والقبح، والفعَالة أكثر"[٣] ، ويصاغ أيضا على (فُعُولة) نحو : قبُح قُبُوحة[٤] .

٢ ـ ما دل على الشدة والجرأة ، والجبن يصاغ على (فُعُولَة) نحو : سهُل سهولة[٥] ، و (فعالة) نحو : شجُع شجاعة[٦] ،

---

[١] ينظر : الكتاب ٢٨/٤ ـ ٣٥ .

[٢] ينظر أدب الكاتب ٦٢٧ .

[٣] الكتاب ٢٨/٤ .

[٤] ينظر : الكتاب ٣٠/٤ ، واللسان (قبح) ٥٥٢/٢ .

[٥] ينظر : الكتاب ٣٢/٤ ، وأدب الكاتب ٦٢٦ .

[٦] ينظر : الكتاب ٣١/٤ .

وكَمَش كماشة[١] ، و (فِعَل) نحو : غلـظ غلَظـا[٢] ، و (فُعْـل) نحو : جبن جبْنـا .

٣ ـ ما دل على لون يصاغ مصدره علـى (فَعْلَـة) نحـو : شـهب شَهْبة ذكره سـيبويه[٣] .

٤ ـ ما دل على صغر أو كبر يصاغ مصدر علـى (فِعَـل) نحـو : كبر كِبَرا ، وصغُر صِغرا[٤] ، و (فَعَالة) نحـو : كـثُر كَثَـارة، وهو أكثر الأوزان استعمالا ، ولـذا قـال سـيبويه : "وقـالوا : كثُر كَثَارة وهو كثير"[٥] ، ويصاغ أيضا علـى (فَعْلـة) نحـو : كَثُر كَـثْرة[٦] .

٥ ـ ما دل على داء يصاغ مصـدره علـى (فُعْـل) نحـو : سـقِم سُقْما ذكره سـيبويه[٧] .

---

[١] قال سيبويه : "وقالوا : كمش كماشة ، وهو كميش مثل : سرع ، والكماشـة : الشـجاعة" ، الكتاب ٣٢/٤ ، وينظر القاموس المحيط (كمش) ٧٨٠ .

[٢] ينظر : الكتاب ٣١/٤ ، ٣٢ ، واللسان (غلظ) ٤٤٩/٧ .

[٣] ينظر : الكتاب ٢٥/٤ ، واللسان (شهب) ٥٠٨/١ .

[٤] ينظر الكتاب ٣٠/٤ ، وأدب الكاتب ٦٢٧ .

[٥] الكتاب ٣٠/٤ .

[٦] ينظر اللسان (كثر) ١٣١/٥ .

[٧] ينظر : الكتاب ١٧/٤ ، ١٩ .

٦ ـ ما دل على الصيرورة يصاغ مصدره على (فَعَالَة) نحو : أرُض الرجل أراضه أى : صار متواضعا[١] ، و (فُعُولَة) نحو : جَذُب المكان جُذُوبة أى : صار جذبا[٢] ، و (فُعُول) نحو : بدع بدوعا أى : إذا كان غاية فى كل شئ[٣] ، و (فُعْلان) نحو : وشُك وُشْكان أى : صار قريباً[٤] .

٧ ـ ما أتى من العقل يصاغ مصدره على (فِعْل) و (فَعْل) كما أشار إليه سيبويه بقوله : "وما أتى من العقل فهو نحو من هذا قالوا : حلُم حِلْما ، وقالوا : ظَرُف ظَرْفا ، وقالوا : رفُق رِفْقا"[٥] .

٨ ـ ما دل على الرفعة والضعة[٦] يصاغ مصدره على (فَعَل) نحو : شرُف شرفا ، وكرُم كرما[٧] ، و (فعالة) نحو : لؤم

---

[١] ينظر : اللسان (أرض) ١١٣/٧ ، ١١٤ .

[٢] ينظر اللسان (جذب) ٢٥٦/١ ، والقاموس المحيط ٨٤ .

[٣] ينظر اللسان (بدع) ٧/٨ ، والقاموس المحيط (بدع) ٩٠٦ .

[٤] ينظر اللسان (وشك) ٥١٣/١٠ ، والقاموس المحيط (وشك) ١٢٣٦ .

[٥] الكتاب ٣٤/٤ ، ٣٥ .

[٦] ينظر : الكتاب ٣٢/٤ .

[٧] ينظر أدب الكاتب ٦٢٧ .

لآمة ، كما قالوا : قبُح قباحة ، ودنؤ دناءة[١] .

هذه هى بعض الضوابط لمصدر (فَعُل) .

رابعا : اسم الفاعل :

تبين مما سبق أن الغالب فى (فَعُل) أن يكون لازما ؛ لأنه يكثر فى الطبائع والغرائز ، والسجايا ومن شأن السجية أن تلازم صاحبها ولا تتعداه إلى غيره .

ولما كان اسم الفاعل يدل على التجدد والحدوث كان مناسبا له أن يصاغ من الفعل المتعدى بكثرة ، ويقل صوغه من اللازم.

من هنا فقد اختلف العلماء فى صوغ اسم الفاعل من (فَعُل) وتوضيح ذلك فيما يلى :

١ ــ ذكر سيبويه صوغ اسم الفاعل من (فَعُل) فقال : "وقالوا : عقُرت عُقْرا كما قالوا : سقُمت سُقْما ، وقالوا : عاقر كما قالوا : ماكث"[٢] .

وقال أيضا فى موضع آخر : "وقالوا : طهُر طُهراً وطَهارة

---

[١] تنظر هذه الأوزان فى الكتاب ٣٣/٤ ، واللسان (دنا) ٢٧٢/١٤ .

[٢] الكتاب ١٩/٤ .

، كمكُث مكْثا ومــاكث"[١] .

من هنا نجد أن سيبويه اقتصر فـــي ذلــك علـــى ثلاثـــة أسـماء وهى : (عاقر ، ومــاكث ، وطــاهر) ممــا يــدل علـــى قلــة هــذا الصوغ وندرتــه .

٢ ــ جعل ابن جنى صوغ اســم الفــاعل مــن (فَعُــل) شــاذ فقــال وفاعل لا يجــئ مــن (فَعُــل) إلا شــاذ نحــو : حمُــض فــهو حامض ، وفرُه فهو فاره ، وخــثُر فــهو خــاثر .... وأمــا قولهم : طهُرت المرأة فهى طـــاهر ، وعقَــرت فــهى عــاقر ، وطلُقت فهى طالق فليست هذه الأحرف ونحوهــا جاريــة علـــى الفعــل ، وإنمــا هـــى بمعنـــى النســب كمــا تقــول فـــــى : حائض وطــامث[٢] .

٣ ــ كذلك حكم ابن يعيش بالشنوذ على صوغ فــــاعل مـــن (فَعُــل) وأن الأكثر مجيئــه علـــى وزن (فَعيــل) فقــال : "الاســم مــن (فَعُل) لم يأت على منهاج واحد ، بــل أتـــى علـــى ضــروب ، فكما قالوا : ظريف وشريف مــن : ظــرُف وشــرُف ، فكذلــك قالوا : فرُه فهو فاره ، وطهُرت فهى طـــاهر ، وعقَــرت فـــهى

---

[١] الكتاب ٢٩/٤ .

[٢] المنصف ٢٣٧/١ .

عاقر ، فجاء الاسم منه على فاعل والباب فى (فَعُل) أن يأتى الاسم منه على (فعيل) أو (فعال) و (فعيل) أكثر فإن خرج عن هذين البابين كان شاذا يحفظ ولا يقاس عليه"[١] .

٤ ـ قصر السيوطى ورود ذلك على بعض الأسماء السابق ذكرها فقال : "لم يأت (فَعُل) فهو فاعل إلا حرفان : فَرُه فهو فاره ، وعقُرت المرأة فهى عاقر ، وأما طهُر فهو طاهر وحمَض فهو حامض ، ومثَل فهو ماثل فبخلاف ؛ لأنه يقال : حَمَض ، وطَهَر ومَثَل"[٢] .

٥ ـ ذكر الأشمونى أن صوغ اسم الفاعل من (فَعُل) قليل فقال : "وهو قليل فى (فَعُلْتُ) بضم العين كطهر فهو طاهر ، ونعم فهو ناعم ، وفره فهو فاره"[٣] .

خامسا : صيغة المبالغة :

يجوز أن يحول اسم الفاعل بقصد المبالغة والتكثير فى الحدث إلى صيغ أخرى تسمى صيغ المبالغة وتصاغ من مصدر المتعدى غالبا ، ويقل من اللازم .

---

(١) شرح الملوكى ٥٤ .

(٢) المزهر ٢/٨١ .

(٣) شرح الأشمونى ٢/٣١٣ .

ولصيغ المبالغة خمسة أوزان مشهورة هي : (فعّال ، وفعُول، ومفْعَال ، وفعيل ، وفَعِل) وهناك صيغ أخرى للمبالغة قليلة الاستعمال مقصورة على السماع منها (فَعّلان ، وفعّالة ، وفَعّيل ، وفعّال ، ومفْعيل ، وفَاعول ، وفعلة) وتعمل صيغ المبالغة عمل اسم الفاعل بشروطه ، وينطبق عليه جميع أحكامه[١] .

وقد ورد من الصيغ القياسية فى القرآن الكريم (فَعُول) كما فى قوله تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء طهورا)[٢] ، فـ (طهورا) من الفعل (طَهُرَ) على وزن (فَعُل) .

كما جاء أيضا صوغ (فُعَّال) من (فَعُل) وهى من الصيغ السماعية كما فى قوله تعالى : (ومكروا مكرا كُبَّارا)[٣] ، وقرئت أيضا (كُبَارا) بتخفيف الباء ، وهى قراءة عيسى وابن السمأل ، كما قرأ ابن محيصن (كِبَارا) بتخفيف الباء أيضا مع كسر الكاف[٤] .

---

(١) ينظر : التصريح ٦٧/٢ ، وشذا العرف فى فن الصرف للشيخ أحمد الحملاوى ، صـ ٧٤ .

(٢) الآية ٤٨ من سورة الفرقان .

(٣) الآية ٢٢ من سورة نوح .

(٤) ينظر : مختصر فى شواذ القرآن الكريم لابن خالويه ، صـ ١٦٢ .

سادسا : الصفة المشبهة :

هى الصفة المصوغة لغير تفضيل من مصدر فعل لازم لإفادة نسبة الحدث إلى موصوفها دون إفادة معنى الحدوث[١] نحو : شُجاع ، وشَريف .

ويغلب بناؤها من لازم باب فَرِح ، وباب (شَرُف) ومن غيرهما قليلا نحو : سيّد وميّت من : ساد يسود ، ومات يموت.

ويعنينا هنا صياغتها من باب (شَرُف) أى : ما كان على وزن (فعُل) .

فإذا كان الفعل على وزن (فعُل) فإن الصفة المشبهة تصاغ منه على الأوزان الآتية[٢] :

١ ــ فُعَال بالضم نحو : شُجاع ، وفرات .

٢ ــ فَعَال بالفتح والتخفيف نحو : جَبان وحَصان .

٣ ــ فَعَل بفتحتين نحو : حَسَن وبطَل .

٤ ــ فُعُل بضمتين نحو : جُنُب ، وهو قليل .

٥ ــ فَعْل بفتح فسكون نحو : ضَخْم من : ضَخُم .

---

[١] ينظر : التصريح ٢/٨٠ .

[٢] ينظر : شرح الرضى للشافية ١/١٤٨ ، وشذا العرف ٧٦ ، ٧٧ .

٦ ــ فِعْل بكسر فسكون نحو : مِلْح من مَلَحَ .

٧ ــ فُعْل بضم فسكون نحو : صُلْب من صَلُب .

٨ ــ فعيل نحو : كريم من كَرُم .

٩ ــ فاعل نحو : طاهر من طَهُر .

وربما اشترك (فاعل) و (فعيل) فى بناء واحد نحو : ماجد ومجيد ، ونابه ونبيه ، والأصل فى الصفة المشبهة أن تدل على الثبوت والاستمرار ، فإذا أريد بها التجدد والحدوث فإنها تحول إلى زنة (فاعل) نحو : زيد شاجع أمس ، وشارف غدا ، وحاسن وجهه[1] .

سابعا : اسم التفضيل :

هو الاسم المصوغ من المصدر على وزن (أفعل) للدلالة على أن شيئين اشتركا فى صفة ، وزاد أحدهما على الآخر فى تلك الصفة نحو : محمد أفضل من على .

ولصوغه شروط معينة نص عليها العلماء[2] .

ويصاغ اسم التفضيل من (فَعُل) على وزن (أفعل) للمذكر

---

(١) ينظر : شذا العرف ٧٧ .

(٢) ينظر : التصريح ١٠١/٢ ، وشرح الأشمونى ٤٣/٣ ، وشذا العرف ٧٨ ، ٧٩ .

نحو (أحسن) من : حسُن و(أعظم) من : عظُم ، و (أطهر) من: طهُر ، وعلى وزن (فُعْلى) للمؤنث نحو : عُظْمى ، وصُغرى والغالب فيه أن يكون بصيغة المفرد .

وقد يجمع جمع مذكر سالما نحو (أقرب) فإنه يجمع على (أقربين) ومنه قوله تعالى : (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون)[١] .

كما جمع أيضا جمع تكسير نحو (أكبر) فإنه يجمع على (أكابر) ومنه قوله تعالى : (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها)[٢] ، وقد جاء مطابقا لما بعده في الجمع لوروده على أصله من إفادة المفاضلة[٣] .

وفيما يلى أمثلة لصوغ اسم التفضيل من (فَعُل) على وزن (أفعل) فى القرآن الكريم وبيان لصوره المتعددة :

١ ــ قوله تعالى : (ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون)[٤] ، فـ (أحسن) على وزن (أفْعل) وهو مصوغ من (حسُن)

---

[١] الآية ٥ من سورة النساء .

[٢] الآية ١٢٣ من سورة الأنعام

[٣] ينظر : التصريح ١٠٥/٢ .

[٤] الآية ١٢١ من سورة التوبة .

(أحسن) على وزن (أفعل) وهو مصوغ من (حسن) على وزن (فَعُل) ، وقد جاء مضافا إلى اسم الموصول (ما) .

٢ ــ قوله تعالى : (فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً)[١] ، فاسم التفضيل (أكثر) وفعله (كَثُر) على وزن (فَعُل) وكذلك (أعز نفرا) ، وقد جاء كل منهما نكرة مجردة من (أل) والإضافة ، وملازما للإفراد والتذكير ، وقد أثبتت (من) ومجرورها في قوله (أكثر منك) وحذفا في قوله (وأعز نفرا) أي : منك[٢] .

٣ ــ قوله تعالى : (قل أي شيء أكبر شهادة)[٣] ، اسم التفضيل (أكبر) على وزن (أفعل) وهو مصوغ من (كبر) على وزن (فَعُل) ، وقد جاء نكرة ، وما بعده منصوب .

ويصاغ أيضا من (فَعُل) بضم العين اسم الزمان والمكان ، وكذا المصدر الميمى ، ويأتي على وزن (مَفْعَل) بفتح العين نحو : المكثر[٤] .

---

(١) الآية ٣٤ من سورة الكهف .

(٢) ينظر : التصريح ١٠٢/٢ .

(٣) الآية ١٩ من سورة الأنعام .

(٤) ينظر : شرح الرضى للشافية ١٨١/١ .

بناء (فعُل) للمجهول :

لا يجوز بناء (فعُل) للمجهول ، وذلك لكونه لازما في الغالب ، ولا يبنى الفعل للمجهول حتى يكون متعديا ، ولكن إذا ناب الظرف عن الفاعل جاز ذلك ، وإلى هذا أشار ابن جني بقوله : "وأما الفعل المبني للمفعول فعلى مثال واحد وهو (فُعِل) نحو : ضرب ، وقتل ، وهذا أصله (فَعَلَ أو فَعِلَ) ثم نقل فجعل حديثا عن المفعول ألا ترى أن (ضُرِب) منقول من ضرب ، ورُكب منقول من رَكب ، ولا يكون فُعِل منقولا من فعُل أبداً "؛ لأن (فَعُل) لا يتعدى ، والفعل لا ينقل إلى (فُعِل) حتى يكون متعديا قبل النقل ، ألا ترى أن (ضَرَب) متعد فلذلك جاز أن تبنيه للمفعول فتقول (ضُرِب) وكذلك (رَكِب) ثم تقول : (رُكِب) و (فَعُل) لا يتعدى أبدا فلا يجوز أن تبنيه للمفعول ؛ لأنك إذا لم تذكر الفاعل ولم يكن ثم مفعول يقوم مقامه في أن يجعل الفعل حديثا عنه بقي الفعل حديثا عن غير محدث عنه ، وهذا محال ، فإن أقمت الظرف مقام الفاعل جاز أن تبني (فُعِل) من (فَعُل) نحو : ظُرِف في هذا المكان[1] .

---

[1] المنصف ١/٢٣ ، ٢٤ ، وينظر أيضا ، ص ٢١١ ، ٢١٢ .

معانى (فعُل)[١] :

من خلال النظر في الكتب والمصادر يلاحظ أن أكثرها يتناول معانى صيغ المزيد ، أما المجرد فقد تشير إليه إشارة عابرة .

ولصيغة (فَعُل) معان كثيرة ذكرها العلماء ، ويمكن حصرها على النحو التالى :

أولا : الدلالة على الطبائع والغرائز والسجايا والخصال التى تكون فى الأشياء ، وهى من أهم المعانى لصيغة (فَعُل) ، وقد صنف سيبويه هذه الدلالة تصنيفا دقيقا نستخلصه من الكتاب فيما يلى :

١ ــ أما ما كان حسنا أو قبحا فإنه مما يبنى فعله على (فَعُل يفعُل) ، وذلك قولك : قبُح يقبح ، ووسُم يوسم ، وجمُل يجمل[٢] .وقالوا : بهُو يبهو[٣] ، وشنُع شناعة[٤] ، وطهر

---

[١] اعتمدت فى إيراد تلك المعانى على كتاب سيبويه ، ولسان العرب لابن منظور الذى يمكن أن يعوض عن كتب اللغة الأخرى حيث اعتمد فى تأليفه على كتب عدة فى إيراد تلك المفردات .

[٢] الكتاب ٤/٢٨ .

[٣] البهاء : الحسن ، يقال : بهو يبهو بهاء فهو بهى ، ينظر اللسان (بها) ١٤/٩٩ .

[٤] يقال : شنع يشنع شناعة أى : قبح ، اللسان (شنع) ٨/١٨٦ .

طهرا ، ونظُف نظافة[١] .

٢ ـ وما كان من الشدة والجرأة ، والضعف والجبن فإنه نحو من هذا نحو : ضعَف ، وشجَع ، وجرَؤ ، وغلظ ، وسهَل ، وسرَع ، وبطؤ ، وكمُش[٢] ، وحزُن ، وصعَب[٣] .

٣ ـ وما كان من الصغر والكبر فهو نحو من هذا نحو : عظم، ونبُل ، وصغُر ، وقدُم ، وكثُر ، وكبُر[٤] .

٤ ـ وما كان من الرفعة والضعة فهو نحو من هذا نحو : شرُف ، وكرُم ، ولؤم ، ودفُؤ ، وملُؤ ، ووضُع ، وأمُر علينا[٥]

٥ ـ وما أتى من العقل فهو نحو من ذا قالوا : حلُم يحلُم[٦] ، وظرُف ، ورفُق ، ورزُن ، وحصنت المرأة ، ورفُع ،

---

[١] الكتاب ٢٩/٤ .

[٢] كمش كماشة وهو كميش مثل : سرع والكماشة : الشجاعة ، ينظر : الكتاب ٣٢/٤ ، والقاموس المحيط (كمش) ٧٨٠ .

[٣] الكتاب ٣١/٤ ، ٣٢ .

[٤] الكتاب ٣٠/٤ ، ٣١ .

[٥] الكتاب : ٣٢/٤ ـ ٣٤ .

[٦] الكتاب ٣٤/٤ .

وحمق ، وخـــرق[١] .

وقد أشار إلى هذه الدلالات المذكورة لصيغة (فَعُــل) كثــير مــن العلمــاء :

أ ــ فقال ابن قتيبة : "والخصال التي تكــون فــي الإنســان مــن : الحسن والقبح ، والشــدة والضعــف ، والجــرأة ، والجبــن ، والصغر ، والعظم تأتي على (فَعُل يَفْعُــل) نحــو : قبــح يقبــح ، وحســن يحســن ، وصغــر يصغــر ، وعظــم يعظــم ، وصعب يصعب ، وسرع يسرع وأشــبه ذلــك"[٢] .

ب ــ وقال ابن يعيش : "وأما (فَعُل) بضــم العيــن فــلا يكــون إلا غير متعد نحو : كــرُم وظــرف ، ولا يكــون مضارعــه إلا مضموما نحو : يكرُم ويظرُف ؛ لأنــه بــاب علــى حيالــه ، وموضع للغرائز والهيئة التــي يكــون عليــها الإنســان مــن غير أن يفعل بغيره شــيئا"[٣] .

جـ ــ وقال أبو حيان : "وأما (فَعُل) فيــأتي لمعنــى مطبــوع عليــه ممن هو قائم نحو : كرم ولــؤم أو كمطبــوع نحــو : حطــب

---

(١) الكتاب : ٣٤/٤ ــ ٣٦ .

(٢) أدب الكاتب ٤٧١ ، ٤٧٢ .

(٣) شرح الملوكي ٤٤ .

وفقُه أو شبهه نحو : جنُب شَبه بنجَس"(١) .

د ـ وقال الأزهرى ـ عند ذكر علامات اللازم ـ : "والثالثة أن تدل على سجية أى : الطبيعة والسليقة ، وهى ما ليس حركة جسم من وصف لازم للذات غير منفك عنها نحو : جبُن وشجُع ، من الأفعال اللازمة الصادرة عن الطبيعة ، وضم عين الفعل لمناسبة انضمام الطبيعة إلى الذات عند صدور هذه الأفعال منها"(٢) .

هـ ـ وقال السيوطى : "والصفات بالجمال والقبح والعلل والأعراض تأتى أفعالها على (فَعُل)"(٣) ، وقال أيضا : "والمضموم للغرائز غالبا ككرُم ولؤُم ، وشعُر ، وفقُه"(٤).

ثانيا : من معانى (فعُل) الدلالة على الصيرورة(٥) الوصفية نحو: سهُل أى : صار سهلا ، وصعُب أى : صار صعبا ، ووضُؤ الرجل أى : صار وَضِيئا(٦) ، وعرُب لسانه أى : صار

---

(١) ارتشاف الضرب ٧٦/١ .

(٢) التصريح ٣١٠/١ .

(٣) المزهر ٩٩/٢ .

(٤) الهمع ١٦١/٢ .

(٥) ينظر : اوزان الفعل ومعانيها ٢١٥ ، ٢٩٣ .

(٦) ينظر : اللسان (وضأ) ١٩٥/١ .

عربيا ، وبغُض الرجل أي : صار بغيضا ، وغلُظ أي : صار غليظا ، وبلُغ : صار بليغا ، وعتُق : صار عتيقا[١] ، وفقُه : أي صار فقيها ، وجدُب المكان : صار جدبا[٢] ، ووشُك : صار قريبا[٣] .

ثالثا : الدلالة على معنى : صار ذا نحو : لبُب أي : صار ذالبّ[٤] ، وشحُم : صار ذا شحم في بدنه[٥] .

رابعا : الدلالة على الأدواء والأسقام وما ينزّل منزلتها لكراهيته وهو ما عبر عنه سيبويه بقوله : "فلما صارت هذه الأشياء مكروهة عندهم صارت بمنزلة الأوجاع ، وصار بمنزلة ما رَموا به من الأدواء"[٦] .

وقد مثل سيبويه لهذه الدلالة بقوله : "وقال بعض العرب : سقُم كما قالوا : كرُم كرما ، وعسُر عسرا"[٧] .

---

[١] ينظر : اللسان (عتق) ٢٣٦/١٠ ، والقاموس المحيط ١١٧٠ .

[٢] اللسان (جدب) ٢٥٦/١ .

[٣] ينظر : اللسان (وشك) ٥١٣/١٠ ، والقاموس المحيط (وشك) ١٢٣ .

[٤] ينظر : اللسان (لبب) ٧٣٠/١ .

[٥] ينظر : اللسان (شحم) ٣١٩/١٢ ، والقاموس المحيط ١٤٥٤ .

[٦] الكتاب ٢١/٤ .

[٧] الكتاب ١٧/٤ .

وقال أيضا : "وقالوا : عقِرت عقرا كما قالوا : سقِمت سقماً"[١] .

وقال أيضا : "وقد قالوا : عسُر الأمر وهو عسير ، كما قالوا : سقُم وهو سقيم"[٢] .

خامسا : الدلالة على الكثرة[٣] نحو : وَبُؤت الأرض أى : كثر وباؤها[٤] ، وطمِع : كثر طمعا[٥] ، ولحُم : كثر لحمه[٦] .

سادسا : الدلالة على الألوان ، وقد أشار إليها سيبويه بقوله : "أما الألوان فإنها تبنى على أفعل ، ويكون الفعل على : فَعِلَ يَفْعَلَ ، وربما جاء الفعل على (فَعُل يُفْعُلُ) وذلك قولك : أدم يأدم أدمة ، ومن العرب من يقول : أدم يأدم أدمة .... وقالوا : كهِب يكهَب كهبة ، وشهِب يشهب شهبة"[٧] .

---

[١] الكتاب ٤/١٩ .

[٢] الكتاب ٤/٢١ .

[٣] ينظر : اوزان الفعل ومعانيها ٢٩٤ .

[٤] ينظر : اللسان (وبأ) ١/١٨٩ .

[٥] ينظر : اللسان (طمع) ٨/٢٤٠ .

[٦] ينظر : اللسان (لحم) ١٢/٥٣٥ .

[٧] الكتاب ٤/٢٥ .

سابعا : الدلالة على التعجب ، أو المبالغة ، أو المدح ، أو الذم، وذلك لتحويل الفعل المتعدى إلى وزن (فَعُل) فيصير لازما بالتحويل نحو قوله تعالى : (وحسُن أولئك رفيقا)[١] ، ونحو : قضُو الرجل ، إذا أجاد القضاء ، وضرُب الرجل وفهُم أى : ما أضربه وما أفهمه[٢] ، ويقال : فصُح أى : ازداد فصاحة[٣] ، وجرُم : إذا عظم جرمه[٤] .

ثامنا : التشبيه ، أو المحاكاة[٥] نحو : حمُق : إذا فعل فعل الحمقى[٦] ، وعرُج : إذا مشى مشية الأعرج[٧] .

علاقة (فَعُل) بغيرها من الأبنية :

قد يتغير الوزن فى اللفظ الواحد نتيجة حركة عين الفعل ، الضم والفتح ، أو الضم والكسر ، أو الحركات الثلاث ، ومع ذلك فإن معنى الكلمة يبقى واحدا .

---

(١) الآية ٦٩ من سورة النساء .

(٢) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٢٩/٧ ، وشرح الملوكى ٦١ ، وشرح الأشمونى ٩٦/٢ .

(٣) ينظر : اللسان (فصح) ٥٤٤/٢ .

(٤) اللسام (جرم) ٩١/١٢ .

(٥) ينظر : أوزان الفعل ومعانيها ٢٩٤ .

(٦) اللسان (حمق) ٦٧/١٠ .

(٧) اللسان (عرج) ٣٢٠/٢ ، ٣٢١ .

وسوف نوضح هنا العلاقة بين (فَعُـل) بضـم العيـن ، وغيرهـا من الأبنيـة :

أولا : العلاقـة بـين (فعُل) بـالضم و (فعِـل) بالكسـر :

هناك بعض الأفعال التـي وردت مـرة بضـم العيـن ، ومـرة بكسرها ، مع اشتراك الوزنين فى الدلالة على أمـر مـا .

وهناك بعض الأمثلة التى توضح ذلك نوردها فيمـا يلـى :

١ ـ يشترك (فَعُل) و (فَعِل) فى الدلالة على الألـوان ، وقـد اشـار إلى ذلك سيبويه فقال : "أما الألوان فإنـها تبنـى علـى أفعـل ، ويكون الفعل على فَعِل يَفْعَل ، والمصـدر علـى فُعْلَـة أكـثر ، وربما جاء الفعل على (فَعُل يَفْعُـل) وذلـك قولـك : أَدِم يَـأْدَم أُدْمَة ، ومن العـرب مـن يقـول : أَدُمَ يَـأْدُمُ أُدْمَـة ، وشَـهِب يَشْهَبُ شُهبَة ، وقَهِبَ يَقْـهَبُ قُهْبَـة ، وكَـهِبَ يَكْـهَبُ كُهْبَـة ، وقالوا : كَهُبَ يكْهُبُ كُهْبَة ، وشَهُبَ يشْـهُبُ شُـهْبَة"[١] .

٢ ـ يشـترك (فَعُـل) و (فَعِـل) فـى الدلالـة علـى الأدواء قـال سيبويه: "وقالوا : سَقِم يَسْقَم سُقْما ، وهو سَـقِيم ، وقـال بعـض العرب : سَقُم كما قالوا : كَرُم كَرَما وهـو كَرِيـم"[٢] .

---

[١] الكتاب ٤/٢٥ .

[٢] الكتاب ٤/١٧ .

وكذلك ما يقوم مقام الأدواء نحو : عَسِر يَعْسَر عسْرا ... وقد قالوا : عَسُرَ الأمرْ وهو عَسِير ، كما قالوا : سَقُم وهو سَقِيم[١] .

٣ ـ يشترك (فَعُل) و (فَعِل) في نحو : رفُق ورفِق ، وحمُق وحمِق[٢] .

٤ ـ ذكر ابن قتيبة أمثلة أخرى وردت على هذين الوزنين (فَعُل) و (فَعِل) في باب فَعِلت وفَعُلْت بمعنى فقد أورد : سَفِه يَسْفه، وسفُه يسْفه ، وحَرِمت الصلاة على المرأة تَحْرَم ، وحَرُمت تَحْرُم ، وسَرِى الرجل يسْرَى ، وسَرُو يسْرُو ، وسَخِيَ يَسْخَى ، وسَخُو يسْخُو ، وقال الفراء : "قد عَجِف وعَجُف ، وحَمِق وحَمُق ، وسَمِر وسَمُر من الأسمر ، وخرِق وخَرُق"[٣] .

٥ ـ ذكر ابن مالك بعض هذه الأمثلة السابقة لمشاركة فعِل لفعُل ، وزاد عليها : فَقِر وفَقُر ، ورَعِن ورَعُن[٤] .

---

[١] ينظر : الكتاب ٢١/٤ .

[٢] ينظر الكتاب ٣٥/٤ ، ٣٦ .

[٣] أدب الكاتب ٤٧٦ ، ٤٧٧ .

[٤] ينظر : شرح التسهيل ٤٣٦/٣ .

٦ ــ ومن هذه الأفعال أيضا (بَصُر وبَصِر) قال تعالى : (قال بَصُرْتُ بما لم يبصروا به)[١] ، قرأ الأعمش وأبو السمأل (بَصِرت) بكسر الصاد (بما لم يبصَروا) بفتح الصاد[٢] .

٧ ــ قد يغنى (فَعِل) عن (فَعُل) لزوما فى اليائى اللام[٣] ، وسماعا فى غيره ، فمثال ما لامه ياء نحو : (حيي فهو حَيِي ، وعَيِي فهو عييّ ، وغَبِي فهو غبي) ، ويدل على كون (فَعُل) فى هذه الأفعال أصلا لـ (فَعِل) أن كل واحد منهما يدل على معنى طبع عليه الفاعل أى : الحياة ، والعيى ، والغباوة ، وكذا الغنى : إذا أريد به غِنى المال فهو محمول على غنى النفس[٤] .

والاستغناء بفَعِل عن (فَعُل) فيما ليس لامه ياء نحو (قَوِى ، ونَقِي ، وسَمِن) وحقها أن تكون (فَعُل) ؛ لأنها بمعنى : مَتُن ، ونظُف ، وشحُم ، وأضدادها : ضَعُف ، ونجُس ، وشحُت[٥] .

---

[١] الآية ٩٦ من سورة طه .

[٢] ينظر : مختصر فى شواذ القرآن الكريم لابن خالويه ٩٢ ، والبحر المحيط لأبى حيان ٢٧٣/٦ ، طبعة دار الفكر .

[٣] ينظر : الهمع ١٦١/٢ .

[٤] شرح التسهيل لابن مالك ٤٣٩/٣ ، ويراجع ايضا : الكتاب ٣٢/٤ ــ ٣٥ .

[٥] شرح التسهيل لابن مالك ٤٣٩/٣ ، ويراجع ايضا : الكتاب ٣٢/٤ ــ ٣٥ .

٨ ـ ويغنى (فَعِل) عن (فعُل) فى المضاعف نحو : شَحِحت ، وضَنِنت ، وقال سيبويه : "وقالوا : شحِحت ، كما قالوا : بَخِلت ، وذلك لأن الكسرة أخف عليهم من الضمة ، ألا ترى أن (فَعِل) أكثر فى الكلام من (فعُل) ، والياء أخف عليهم من الواو وأكثر"[١] .

٩ ـ يتحول (فَعِل) المتعدى إلى وزن (فعُل) بالضم ، فيصير لازما لغرض المبالغة والتعجب نحو (فهُم الرجل) بمعنى : ما أفهمه[٢].

ثانيا : العلاقة بين (فعُل) بالضم و (فعَل) بالفتح :

١ ـ من معانى (فعَل) النيابة عن (فعُل) فى المضاعف ، واليائى العين ، فالمضاعف نحو : (جَلَلْت فأنت جليل ، وعزَزت فأنت عزيز ، وحققت فأنت حقيق ، وعَففت فأنت عفيف ، ورقّ فهو رَقيق ، وذلّ فهو ذليل .

واليائى العين نحو : طاب يطيب فهو طيّب ، ولان يلين فهو

---

[١] الكتاب ٤/٣٧ .

[٢] ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ٧/١٢٩ ، وشرح الأشمونى ٢/٩٦ .

لَيِّن ، وبان يبين فهو بيّـن[١] .

ولذلك قال سيبويه : "واعلم أن ما كان من التضعيف من هذه الأشياء فإنه لا يكاد يكون فيه (فَعُلت) و (فَعُل) لأنهم قد يستثقلون (فَعُل) والتضعيف فلما اجتمعا حادوا إلى غير ذلك وهو قولك : ذل يذل ذلا"[٢] .

٢ ــ هناك بعض الأفعال التي يتفق لفظها ومعناها ، مع اختلاف وزنها حيث تستعمل مرة على وزن (فَعُل) بالضم ومرة على وزن (فَعَل) بالفتح ، وقد أورد سيبويه لذلك بعض الأمثلة نوردها فيما يلي :

أ ــ الفعل (طهُر وطهَر) قال : "طَهُر طُهْرا وطهارة ، وطاهر كمَكُث مُكْثا وماكث ، وقالوا : طَهَرت المرأة كما قالوا : طَمَثت ، أدخلوها في باب جلست ومكَثت لأن مَكَثت نحو: جلَست في المعنى"[٣] .

ب ــ الفعل (مكُث ومكَث) قال : "وقالوا : مكَث يمكُث مكُوثا ، كما قالوا : قعد يقعد قعودا ، وقال بعضهم (مَكُث) شبهوه

---

[١] ينظر : شرح التسهيل لابن مالك ٣/٤٤١ .

[٢] الكتاب ٤/٣٦ .

[٣] الكتاب ٤/٢٩ ، ٣٠ .

بظرف ؛ لأنه فعل لا يتعـــدى"[١] .

جـ ــ حكى سيبويه عن بعضـــهم (نضُــر ونضَــر)[٢] ، و (جبُــن وجبَن)[٣] ، و (نبُه ونبَـــه)[٤] .

كما ذكر هذه الأمثلة أيضا ابــن منظــور ، وأوردهــا بالوجــهين (فَعُل) و (فَعَل)[٥] ، وقـــد حكــم ابــن قتيبــة علــى هــذه الامثلــة بالشّــذوذ[٦] .

٣ ــ أورد ابن قتيبة على هذين الوزنيـــن (فَعُــل) و (فَعَــل) أمثلــة أخرى ذكرها في بـــاب (فعُلــت) و (فعَلــت) فقــال : "سَخَن يومنا يسخُن وسخَن ، وصلَح الشــئ وصلُــح ، وشــحَب لونــه يشـــحَب وشَـــحُب لغـــة ، وخَـــثَر اللبـــن يخـــثُر وخَثُر ، ورَعَف الرجل يرعـــف ورَعُــف ، وطَــهرت المــرأة وطَــهُرت"[٧] .

---

(١) الكتاب ٤/٩ ، ١٠ .

(٢) الكتاب ٤/٢٨ .

(٣) الكتاب ٤/٣٢ .

(٤) الكتاب ٤/٣٢ .

(٥) ينظر : اللسان (نضر) ٥/٢١٢ ، و (جبن) ١٣/٨٤ ، و (نبه) ١٣/٥٤٦ .

(٦) ينظر : أدب الكاتب ٤٧٢ .

(٧) أدب الكاتب ٤٧٦ .

٤ ــ كما أورد ابن جنى أيضا بعض هذه الأفعال وهى (خثُر وخثَر ، وحمُض وحمَض ، وشعُر وشعَر ، وطهُر وطهَر)[١] .

ثالثا : العلاقة بين (فعُل) بالضم و (فعَل) بالفتح والكسر :

هناك بعض الأفعال جاءت على الأوزان الثلاثة (فعُل) بالضم و (فعَل) بالكسر والفتح ، أى بإيراد الحركات الثلاث على عين الفعل .

وقد حصر ابن خالويه هذه الأفعال ، وجعلها خمسة وهى : (كمُل و كمِل ، وكمَل) و (كدُر الماء ، وكدَر ، وكدِر) ، (وخثُر العسل وخثِر وخثَر) و (سخُو الرجل وسخِو وسخَو) و (سرِى وسرا وسرُو)[٢] .

وقد ذكر هذه الأفعال أيضا ابن منظور نقلا عن ابن برى قال : "فى سرا ثلاث لغات (فعُل) و (فعِل) و (فعَل) وكذلك : سَخِى وسخو ، ومن الصحيح : كمل ، وكدر وخثر ، فى كل

---

[١] ينظر الخصائص ٣٨١/١ .

[٢] ينظر : ليس فى كلام العرب ١٠٦ .

منهما ثلاث لغــات"[١] .

رابعـا : العلاقـة بـين (فعُل) بـالضم و(افتعـل) :

قد يغني (افتعل) عن (فعُـــل) ، وإليــه أشــار ســيبويه بقولـــه : "ولم نسمعهم قالوا : فقر كمـــا لـــم يقولـــوا فـــي الشـــديد : شـــدد ، استغنوا باشتد وافتقـــر"[٢] .

وقال أيضا : "ولم نسمعهم قـــالوا : رفُـــع ، وعليـــه جـــاء رفيـــع وإن لم يتكلموا به ، واســـتغنوا بـــارتفع"[٣] .

خامسًا : العلاقـة بـين (فعُـل) بـالضم و (افعَـالّ) :

قال سيبويه : "وقد يســـتغنى بافعـــال عـــن (فَعُـــل) و (فَعِـــل) ، وذلك نحو : ازراقّ، اخضـــارّ واصفـــارّ ، واحمـــارّ ، واشـــرابّ ، وابياضّ ، واســـوادّ"[٤] .

مما سبق إيراده في العلاقة بيـــن (فَعُـــل) وغيرهـــا مـــن الأبنيـــة يتبين لنا أن اختلاف الأوزان بالنسبة للفظ الواحـــد ، مـــع الاحتفـــاظ بالمعنى ورد عن العرب ، ولكنه لم يرد فـــي لغـــة واحـــدة ، ولعـــل

---

[١] لسان العرب (سرا) ٣٧٨/١٤ .

[٢] الكتاب ٣٣/٤ .

[٣] الكتاب ٣٣/٤ .

[٤] الكتاب ٢٦/٤ .

هذا يرجع إلى ما يسمى (تداخل اللغات) (اللهجات) ، وقد أشار سيبويه إلى هذه الظاهرة[١] ، كما هو واضح من خلال النقل عنه كثيرا في هذا الشأن وقد عقد ابن جني لهذا بابا في الخصائص أسماه (باب في تركيب اللغات) ، وقد حكم على الذين فسروا هذا التداخل بالشذوذ بضعف النظر ، وقلة الفهم ، وإنما هي في رأيه لغات تداخلت فتركبت ، يقول ابن جني : "اعلم أن هذا موضع قد دعا أقواما ضعف نظرهم وخفت إلى تلقي ظاهر هذه اللغة أفهامهم أن جمعوا أشياء على وجه الشذوذ عندهم وادعوا أنها موضوعة في أصل اللغة على ما سمعوه بأخرة من أصحابها ، وأنسوا ما كان ينبغي أن يذكروه ، وأضاعوا ما كان واجبا أن يحفظوه"[٢] .

ثم قال – بعد أن ذكر عدة أمثلة لذلك : "واعلم أن أكثر ذلك وعامته إنما هو لغات تداخلت فتراكبت "[٣] .

وقد ذكر ابن منظور أن باب تركيب اللغتين باب واسع

---

[١] ينظر : الكتاب ٤/٢٥ ، ٢٦ .

[٢] الخصائص ١/٣٧٤ .

[٣] الخصائص ١/٣٧٥ .

يحمله جهال أهل اللغة على الشــــذوذ[١] .

أثر لغات العرب في صيغة (فعُل) :

كان للغات العرب المختلفـــة أثــر واضـــح فـــى الفعــل ، وقــد حفظت لنا كتب اللغة شيئا من هـــذا التـــأثير .

ويعنينا فى هذا المقام صيغة (فَعُل) ومـــا ورد فيــها مــن لغــات العرب .

١ـ تسكين عين (فعُل) مع بقاء فتحة الفاء :

عرف عن العرب أنهم قد يســـكنون مـــا كــان مضمومـــا طلبـــا للخفة ، وقد ذكر سيبويه أن ذلــك لغــة بكــر بــن وائــل ، وأنـــاس كثير من بنى تميم ، وقد ضرب لذلك أمثلة مـــن نحــو : كَــرْم فـــى كَرُم[٢] .

وفيما يلى أمثلة على هذه اللغـــة :

أ ــ قوله تعالى : (وحسن أولئـــك رفيقـــا)[٣] ، قــرأ أبــو الســمأل

---

[١] ينظر لسان العرب (دوم) ٢١٣/١٢ .

[٢] ينظر : الكتاب ١١٣/٤ ، وشرح الرضي للشافية ٤٢/١ .

[٣] الآية ٦٩ من سورة النساء .

(وحسْن) بسكون السين وهى لغة تميم[١] .

وقال الزمخشرى : "وحسن أولئك رفيقا" فيه معنى التعجب كأنه قيل : وما أحسن أولئك رفيقا ، ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ (وحسْن) بسكون السين يقول المتعجب : حسن الوجه وجهك ، وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين[٢] .

ب ـ قوله تعالى : (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت)[٣] ، قرأ زيد بن على (بما رَحْبت) بسكون الحاء ، وهى لغة تميم يسكنون ضمة (فَعُل) فيقولون فى (ظَرُف) (ظرْف)[٤].

جـ ـ قوله تعالى : (كبرت كلمة تخرج من أفواههم)[٥] ، قرئ (كبْرت) بسكون الباء وهى لغة تميم[٦] .

---

[١] ينظر : مختصر فى شواذ القرآن ٣٣ ، والبحر المحيط ٢٨٩/٣ .

[٢] الكشاف للزمخشرى ٥٤٠/١ ، طبعة الحلبى .

[٣] الآية ٢٥ من سورة التوبة .

[٤] ينظر : البحر المحيط ٢٤/٥ .

[٥] الآية ٥ من سورة الكهف .

[٦] ينظر : البحر المحيط ٩٧/٦ .

٢ـ تسكين عين (فعُل) ونقل ضمتها إلى الفاء :

يجوز في (فَعُل) الذي فيه معنى التعجب أن تنقل ضمة عينه إلى فائه ، وهي لغة بعض بني قيس قال أبو حيان عند قوله تعالى : (وحسن أولئك رفيقا) ، ويجوز (وحُسْن) بسكون السين، وضم الحاء ، على تقدير نقل حركة السين إليها ، وهي لغة بعض بني قيس[(١)] ، وقد قرئ بها أيضا قوله تعالى : (طوبى لهم وحسن مآب)[(٢)] .

تحويل الفعل المتعدي إلى (فعُل) بقصد التعجب أو المبالغة أو المدح أو الذم :

تقدم فيما سبق عند الحديث عن لزوم (فَعُل) بالتحويل[(٣)] أنه يجوز أن يحول الفعل الذي على وزن (فَعِل) بالكسر أو (فَعَل) بالفتح إلى صيغة (فَعُل) بالضم لقصد التعجب أو المبالغة أو المدح أو الذم .

وهنا نذكر أن الأفعال المحولة للدلالة على هذه المعاني تبدو قليلة ؛ لأنه لا يمكن تحويل جميع الأفعال لهذا الغرض ، وإنما

---

(١) البحر المحيط ٣/٢٨٩ ، وينظر الكشاف ١/٥٤٠ .

(٢) الآية ٢٩ من سورة الرعد ، مختصر في شواذ القرآن ٧١ .

(٣) ينظر ص من البحث .

ذلك مقصور على بعض الأفعال المعينة التـــى لــها دلالــة ملائمــة لــهذه المعــانى ، وتصلــح لأن تـؤدى هــذا الغــرض المقصـــود كالأفعال (كبُر وحسُن ، وقضُــو ، وحمُــد ، ورمُــو ، وفــهُم) ، ولا يجوز تحويل (علم ، وجهل ، وســمع) إلــى (فَعُــل) بضــم العيــن لعدم الســماع[١] .

وقد ورد استعمال بعض هذه الأفعال لــهذا الغــرض كمــا فــى قولــه تعــالى : (كــبرت كلمــة تخــرج مــن أفواهـــهم)[٢] ، أى : مــا أكبرهــا ، و (حســنت مســتقرا ومقامــا)[٣] ، أى : مــا أحســنها .

ويلاحظ هنــا أن صيغتــى التعجــب القياســيتين (مــا أفعــل) و (افعل به) وكذلك الصيغ السماعية أقــوى فــى الدلالــة علــى هــذا المعنى من صيغة (فعُل) المحولة لـــهذا الغــرض .

وكذلك فى مقام المدح والــذم نجــد أن صيغتــى (نعــم وبئــس)

---

[١] ينظر : إرتشاف الضرب ٣/٢٧ ، والتصريح ٢/٩٨ ، وشرح الأشمونى ٣/٤٠ .

[٢] الآية ٥ من سورة الكهف بنصب (كلمة) على التفسير وفى (كبرت) ضمير فاعل تقديره : كــبرت مقالتهم : أتخذوا الله ولدا ، وقرأ الحسن ومجاهد ويحيى بن يعمر وابن أبى اسحاق (كــبرت كلمــة) بالرفع على أنها فاعل (كبرت) بمعنى : عظمت كلمتهم ، ينظر : مختصر فى شــواذ القــرىن ٨٠ ، ومشكل اعراب القرآن لمكى القيس ، تحقيق / ياسين السواس ٢/٣٦ .

[٣] الآية ٧٦ من سورة الفرقان .

أقوى فى الدلالة على هذا الغـرض مـن صيغـة (فَعُـل) المحولـة إليه ، ولعل هذا هو السبب فى قلة الأفعـال المحولـة إلـى (فَعُـل) للدلالة على هذه المعـانى .

ويعنينا فى هذا المقام أن نتحـدث عـن الفعليـن (حبـذا وسـاء) لمعرفة أصلهما وكيفية اسـتعمالهما .

١ـ حبـذا :

(حبذا) مركبة من (حـب) و (ذا) وأصلـها : حَبُـب علـى وزن (فَعُل) بضم العين ، ومعنى (حب) : صـار محبوبـا ، وفيـه لغتـان ، فتح الحاء وضمها ، وعليهما روى قـول الشـاعر :

فقلت اقتلوها عنكم بمزاجهـا وحب بها مقتولة حين تقتـل[١]

وإذا قلت : (حبـذا) بـتركيب (حـب) مـع (ذا) فتحـت الحـاء وجوبا ، وإذا قلت (حب) مجردة من (ذا) جـاز فـى الحـاء الفتـح والضم بنقل حركة العين إليـها[٢] .

---

[١] قائله : الأخطل ، وقد نسبه ابن يعيش لحسان ، وهو خطأ ، ويروى (فأطيب بها) .

والشاهد قوله (وحب) فإنه قد روى بفتح الحاء وضمها .

ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٢٩/٧ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، وشرح الرضى للشـافية ٤٣/١ ، ٧٧ ، وحاشية الخضرى ٤٦/٢ ، وديوان الأخطل صـ ٤ .

[٢] ينظر : التصريح ١٠٠/٢ .

أوجه الإتفاق والخلاف بين (حبـذا) و (نعـم) :

أ ــ أوجه الإتفـاق :

١ ــ أنهما فعلان ماضيان على الراجـح ، وجـامدان .

٢ ــ كل منهما يدل على إنشاء المدح العام بعد نقلـهما إليـه .

ب ــ أوجه الخلاف بينـهما :

١ ــ يرى بعض العلماء أن (حبذا) مع دلالتـها علـى المـدح العـام تدل على تقريب الممدوح من القلب وليس كذلـك (نعـم)[١] .

٢ ــ لا يجوز في (حبذا) إلا هيئة واحدة بخلاف (نعـم) فقـد سـمع قولـهم (نعمـا رجليـن ونعمـوا رجـالا) علـى مـا حكـاه الكسـائي[٢].

٣ ــ أن مخصوص (حبذا) لا يتقدم بخـلاف مخصـوص (نعـم) .

٤ ــ أن مخصوص (حبذا) يجوز ذكر التمييز قبلـه وبعـده نحـو : حبذا رجلا زيد ، وحبـذا زيـد رجـلا ، بخـلاف مخصـوص (نعم) فإن تأخير التمييز عنه نـادر[٣] .

٥ ــ أن (حبذا) لم ترد فـي القـرآن الكريـم بخـلاف (نعـم) فقـد

(١) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٣٨/٧ .

(٢) ينظر : حاشية الصبان ٢٦/٣ ، والهمع ٨٤/٢ .

(٣) ينظر : إرتشاف الضرب ٣١/٣ ، وشرح الأشموني ٤٢/٣ ، ٤٣ .

وردت كثيرا فيــه .

٢ ـ ســاء :

من الأفعال التى تعامل معاملة (بئـس) فـى إفـادة الـذم (ســاء) ويدل على ذلك قول ابن مــالك :

واجعل كبئس ساء واجعل فعلا من ذى ثلاثـة كنعـم مسجلا[1]

وأصل (ساء) (سَوَأ) بالفتح مـن السـوء ضـد السـرور مـن : ساءه الأمر يسوءه : إذا أحزنه فـهو متعـد متصـرف فحـول إلـى (فَعُل) بالضم فصار قاصرا ثم ضمن معنى (بئـس) فصـار جـامدا محكوما له ولفاعله بما حكم لبئـس[2] .

استعمال (ساء) فى القرآن الكريـم :

يدل الفعل (ساء) علـى الـذم العـام ، وقـد كـثر وروده فـى القرآن الكريـم .

وقد جاء على صور متنوعة نوضحها فيمـا يلـى :

أ ـ جاء بعد (ساء) (ما) فى عشـرة مواضـع :

١ ـ قـال تعـالى : (منـهم أمـة مقتصـدة وكثـير منـهم سـاء

---

(١) ألفية ابن مالك ، صـ ١١٤ .

(٢) ينظر : التصريح ٩٨/٢ ، وشرح الأشموني ٣٩/٣ ، واللسان (سوأ) ٩٥/١ .

ما يعملــون)[١] .

قال العكبرى : "(ساء) هنا بمعنـــى (بئــس)"[٢] .

٢ ــ قال تعالى : (ألا ساء مـــا يــزرون)[٣] .

(ساء) بمعنى (بئس) ويجـــوز أن تكـون (ســاء) علـى بابــها ، ويكون المفعول محذوفا و (مـــا) مصدريـــة ، أو بمعنـى (الـــذى) أو نكرة موصوفة ، وهى فى كل ذلــك فــاعل (ســاء) والتقديـــر : ألا ساءهم وزرهــم[٤] .

٣ ــ قال تعالى : (وما كان لله فهو يصل إلـــى شــركائهم ســـاء مـــا يحكمــون)[٥] .

٤ ــ قال تعالى : (إنهم ساء ما كـــانوا يعملــون)[٦] .

٥ ــ قال تعالى : (ومـــن أوزار الذيــن يضلونـــهم بغـــير علــم ألا

---

[١] الآية ٦٦ من سورة المائدة .

[٢] ينظر : التبيان فى إعراب القرآن للعكبرى ٢٢٨ .

[٣] الآية ٣١ من سورة الأنعام .

[٤] ينظر : التبيان للعكبرى ٢٤٦ .

[٥] الآية ١٣٦ من سورة الأنعام .

[٦] الآية ٩ من سورة التوبة .

ساء ما يـــزرون)[١] .

٦ ــ قال تعالى : (أيمسكه علـــى هــون أم يدسـه فــى الــتراب ألا ساء ما يحكمــون)[٢] .

٧ ــ قال تعالى : (أم حسب الذيــن يعملــون السـيئات أن يسـبقونا ساء ما يحكمــون)[٣] .

٨ ــ قال تعالى : (سواء محياهم ومماتهم ســاء مــا يحكمــون)[٤] .

٩ ــ قال تعالى : (أعد الله لهم عذابا شــديدا إنــهم ســاء مــا كــان يعملــون)[٥] .

١٠ ــ قال تعالى : (إنهم ساء ما كـــانوا يعملــون)[٦] .

ويلاحــظ فــى الآيــات السـابقة أن (مــا) فــاعل (ســاء) وأن المخصوص بالذم محذوف مما يدل علــى أن (ســاء) هنــا بمعنــى (بئس) ، وفاعلها كفاعل (بئـــس) .

---

(١) الآية ٢٥ من سورة النحل .

(٢) الآية ٥٩ من سورة النحل .

(٣) الآية ٤ من سورة العنكبوت .

(٤) الآية ٢١ من سورة الجاثية .

(٥) الآية ١٥ من سورة المجادلة .

(٦) الآية ٢ من سورة المنافقون .

ب ــ جاء فاعل (ساء) ضميرا مستترا مفسرا بتمييز في تسع آيات هي :

١ ــ قال تعالى : (إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا)[١] .

٢ ــ قال تعالى : (فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا)[٢]

٣ ــ قال تعالى : (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا)[٣] .

٤ ــ قال تعالى : (ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا)[٤] .

فالفاعل ضمير و(مثلا) تمييز ، والمخصوص بالذم (القوم) وهو مرفوع بالابتداء وما قبله خبر أو مرفوع على إضمار مبتدأ تقديره : ساء المثل مثلاهم القوم الذين[٥] .

وقرأ الجحدرى والأعمش (ساء مثل القوم) برفع (مثل) على أنها فاعل (ساء)[٦] .

٥ ــ قال تعالى : (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة

---

(١) الآية ٢٢ من سورة النساء .

(٢) الآية ٩٧ من سورة النساء .

(٣) الآية ٣٨ من سورة النساء .

(٤) الآية ١١٧ من سورة الأعراف .

(٥) ينظر : مشكل إعراب القرآن ٣٣٥/١ .

(٦) ينظر : مختصر فى شواذ القرآن ٥٣ .

وساء سبيلا)[١] .

٦ـ قال تعالى : (بئس الشراب وساءت مرتفقا)[٢] .

٧ ـ قال تعالى : (وساء لهم يوم القيامة حملاً)[٣] .

٨ ـ قال تعالى : (إنها ساءت مستقرا ومقاماً)[٤] .

(مستقرا) تمييز ، و (ساء) بمعنى (بئس)[٥] .

٩ ـ قال تعالى : (وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً)[٦] .

جـ ـ جاء فاعل (ساء) مضافا إلى ما فيه (أل) في ثلاث آيات هي :

١ ، ٢ ـ قال تعالى : (وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين)[٧] .

٣ ـ قال تعالى : (فساء صباح المنذرين)[٨] .

---

(١) الآية ٣٢ من سورة الإسراء .

(٢) الآية ٢٩ من سورة الكهف .

(٣) الآية ١٠١ من سورة طه .

(٤) الآية ٦٦ من سورة الفرقان .

(٥) ينظر : التبيان للعكبري ٤٦١ .

(٦) الآية ٦ من سورة الفتح .

(٧) الآية ١٧٣ من سورة الشعراء ، ٥٨ من سورة النمل .

(٨) الآية ١٧٧ من سورة الصافات .

فالفاعل هنا اسم مضاف إلى ما فيه (أل) والمخصوص محذوف .

خلاف النحاة في إلحاق (فعُل) بباب (نعم وبئس) بقصد المدح أو الذم :

اختلف النحاة فى (فَعُل) المراد به المدح أو الذم ، فذهب الفارسى وأكثر النحويين إلى جواز إلحاقه بباب (نعم وبئس) فقط، فلا يكون فاعلا إلا بما يكون فاعلا لهما ، وذهب الأخفش والمبرد إلى جواز إلحاقه بباب (نعم وبئس) ، فيجعل فاعلها كفاعلهما إذا لم يدخله معنى التعجب ، وإلى جواز إلحاقه بفعل التعجب ، فلا يجرى مجرى (نعم وبئس) فى الفاعل ولا فى بقية أحكامهما ، بل يكون فاعله ما يكون مفعولا لفعل التعجب فتقول: لضربت يدك ، ولضربت اليد[1] .

قلة استعمال (فعُل) فى الأسماء :

ترد صيغة (فَعُل) فى الأفعال بكثرة ، وفى الأسماء بقلة ، وقد ذكر ابن قتيبة أمثلة لاستعمال (فَعُل) فى الأسماء فى باب (فَعُل) و (فَعِل) نورد بعضا منها :

---

[1] ينظر : ارتشاف الضرب ٢٧/٣ ، والبحر المحيط ٢٨٩/٣ ، والتصريح ٩٨/٢ .

قال : "رجل حذِر وحـــذُر ، و يقِـظ ويقُـظ ، وعجِـل وعجُـل ، وطمِع وطمُع ، فطِن وفطُن ، و حدِث وحـــدُث ، و فـرِح وفـرُح ، وندِس وندُس ، وبكِر فى حاجتـــه وبكُـر"[١] .

ومن أمثلة ذلك أيضا قراءة (وعبُد الطــاغوتِ)[٢] ، بضـم البـاء من (عبد) وكسر التاء مـن (الطـاغوت) وهـى قـراءة حمـزة[٣] ، وقد ذكرها ابن جنى أيضا فـى المحتسـب[٤] .

وكذا قراءة (قالت نَمُلة)[٥] بضم الميم ، وهـى قـراءة المفضـل ، وطلحة ، والمعتمر بن سـليمان[٦] .

وقال ابن جنى : "أما النملة بفتـح النـون وضـم الميـم فتقبلـها (النملة) بفتح النون وسكون الميم لأن فعُلا يخفف إلـى فَعْـل كسَـبع إلى سَبْع ورجُل إلى رجْـل"[٧] .

---

(١) أدب الكاتب ٥٣١ .

(٢) الآية ٦٠ من المائدة .

(٣) ينظر : كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد تحقيق د/ شوقى ضيف ، صـ ٢٤٦ .

(٤) المحتسب لابن جنى ٢١٤/١ .

(٥) الآية ١٨ من النمل .

(٦) ينظر : مختصر فى شواذ القرآن ١١٠ .

(٧) المحتسب ١٣٧/٢ .

وبعـــــد ... ،

فلعلى أكون قد وفقت فـــى عــرض هــذا الموضــوع داعيــا الله تعالى أن يجعل فيه من العلم ما ينفــــع ، والحمــد لله الــذى بنعمتــه تتم الصالحات وصلى الله وسلم علـــى نبينــا محمــد ، وعلـــى آلــه وصحبه أجمعيــن .

د. لطفـــى عبد الرحيم احمد خليـل
المـدرس فـى كليـة اللغـة العربيـة . أسـيوط

مراجع البحث

١ - أدب الكاتب لابن قتيبة ، تحقيق / محمد الدالى ، طبع مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ .

٢ - إرتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان تحقيق د. مصطفى النماس ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٣ - أوزان الفعل ومعانيها ، إعداد / هاشم طه شلاس ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ، ١٩٧١م .

٤ - البحر المحيط لأبى حيان ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٥ - التبيان فى إعراب القرآن للعكبرى ، الناشر : مكتبة أسامة الإسلامية ، القاهرة .

٦ - التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ، طبع عيسى الحلبى بمصر .

٧ - الجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى ، تحقيق د/ فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم فاضل ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

٨ - حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل ، الطبعة السابعة ، المطبعة الأزهرية .

٩ - حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، طبع عيسى الحلبى .

١٠ - الخصائص لابن جنى تحقيق الأستاذ / محمد على النجار ، الطبعة الثانية .

١١ - شذا العرف فى فن الصرف للشيخ أحمد الحملاوى ، طبع المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان .

١٢ - شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، طبعة دار إحياء الكتب العربية ، عيسى الحلبى .

١٣ـ شرح التسهيل لابن مالك تحقيق د/ عبد الرحمن السيد ، د/ محمد بدوى المختون ، الطبعة الأولى ، دار هجر ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

١٤ـ شرح الرضى للشافية ، تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد وآخرين ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢م .

١٥ـ شرح المفصل لابن يعيش ، طبعة عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبى ، القاهرة .

١٦ـ شرح الملوكى فى التصريف لابن يعيش ، تحقيق د/ فخر الدين قباوة ، الطبعة الأولى بالمكتبة العربية بحلب ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٩م .

١٧ـ الصحاح للجوهرى تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ، طبعة : دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

١٨ـ فى تصريف الأفعال ، د/ عبد الرحمن محمد شاهين ، منشورات مكتبة الشباب ، ١٩٨٢م ، القاهرة .

١٩ـ فى اللهجات العربية ، د/ إبراهيم أنيس ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الأنجلو المصرية .

٢٠ـ القاموس المحيط للفيروزآبادى ، طبع مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

٢١ـ كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ، تحقيق د/ شوقى ضيف ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف .

٢٢ـ الكتاب لسيبويه ، تحقيق الأستاذ / عبد السلام هارون ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧م .

٢٣ـ كتاب مشكل إعراب القرآن لمكى بن أبى طالب القيسى ، تحقيق / ياسين محمد السواس ، الطبعة الثانية ، دار المأمون للتراث بدمشق .

٢٤ـ الكشاف للزمخشرى ، طبعة الحلبى ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .

٢٥ـ لسان العرب لابن منظور ، طبعة دار صادر ، بيروت .

٢٦ـ ليس فى كلام العرب لابن خالويه ، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثانية ، مكة المكرمة ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

٢٧ ـ المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جنى ، تحقيق / على النجدى ناصف وآخرين ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م .

٢٨ ـ مختصر فى شواذ القرآن الكريم لابن خالويه ، طبعة مكتبة المتنبى ، القاهرة .

٢٩ ـ المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين ، طبعة دار الجيل ، بيروت ، دار الفكر ، القاهرة .

٣٠ ـ معجم الأفعال المتعدية بحرف ، تأليف / موسى محمد المليانى الأحمدى ، طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م .

٣١ ـ المعجم الوسيط ، تحقيق الأستاذ / عبد السلام هارون وآخرين ، مطبوعات مجمع اللغة العربية .

٣٢ ـ المغنى فى تصريف الأفعال ، د/ محمد عبد الخالق عضيمة ، طبعة دار الحديث ، القاهرة .

٣٣ ـ مغنى اللبيب لابن هشام ، تحقيق د/ مازن المبارك ، محمد على حمد الله ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ ـ ١٩٨٨م .

٣٤ ـ المنصف لابن جنى تحقيق الأستاذين / إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ، طبعة مكتبة الحلبى ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م .

٣٥ ـ النحو الوافى د/ عباس حسن ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف .

٣٦ ـ همع الهوامع للسيوطى ، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٧هـ .

العلل والأمراض فى كتاب العين
للخليـــل بن أحمد الفراهيدي

للدكتور
علیـــان بــن محمـــد الحازمـــى
الأستاذ المشارك بقسم اللغة والنحو والصرف
كلية اللغة العربيــة ـ جامعة أم القـــرى

العلل والأمراض فى كتاب العين
للخليل بن أحمد الفراهيدي

للدكتور
علیان بن محمد الحازمی
الأستاذ المشارك بقسم اللغة والنحو والصرف
كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى

مقدمة البحث :

الحمد لله حمدا يليق بجلاله وعظمته والصلاة والسلام على الهادى البشير محمد الرسول الأمين وبعد :

فتعد الرسائل اللغوية ذات الموضوع الواحد ، إحدى الدعائم التى قامت عليها المعاجم العربية ، بشقيها معاجم الموضوعات ومعاجم الألفاظ فعندما بدأ العلماء فى تدوين اللغة وجدوا أن العرب قد تركوا ثروة لغوية كبيرة شملت كل ما فى بيئتهم ومحيطهم ، فهب اللغويون لجمعها فصنفوا رسائل لغوية ذكروا فيها المطر ، والسحاب والرياح ، والسلاح ، والنبات ، وخلق الإنسان ، وخلق الفرس ، والأنواء ، والإبل ، والغنم ، والوحوش ، والحشرات ... هذه الرسائل بعضها حقق ونشر وبعضها ضاع وفقد .

وقد قام أحمد الشرقاوى إقبال بإحصاء وفهرسة هذه الرسائل

في كتابه : (معجم المعاجم) فذكر كتبا في خلــق الإنســان ، وخلــق الفــرس ، والإبــل ، والخيــل ، والــدلاء ، والبــئر ، والرحـــل ، والدارات ، كذلك بين ودرس حسين نصــار فــي كتابــه : (معــاجم على الموضوعات) ــ إضافة إلى ما كتبــه فــي (المعجــم العربــي) ــ رســائل تخــص الإبــل ، والغنــم والنبــات ، وكتــب الفــرق ، والمواضع ، ولكن لــم يــرد فــي فهرســة الشــرقاوي ولا دراســة حسين نصار أي ذكــر لرســالة تنــاولت بــالتدوين ألفــاظ العلــل والأمراض ، كما أن كتب التراجم أيضا لم تشــر لأي رســالة مــن هذا النــوع .

إن أقدم ما نجده من ذكــر لألفــاظ الأمــراض ورد عنــد أبــي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هــ فــي كتابــه : "الغريــب المصنف" ثم تلاه ابن ســيده المتوفــى ســنة ٤٥٨هـــ فــي كتابــه الموسوعي : (المخصص) وقد اعتمد كــل مــن أبــي عبيــدة وابــن سيده في مصنفيهما على من ســبقهما مــن العلمــاء ، بــل إن ابــن سيده نقل عن الخليل بن أحمد لذا رأيت أن اســتخلص ألفــاظ العلــل والأمراض مــن (كتــاب العيــن) بإعتبــاره أول معجــم عربــي ، فجمعت الألفاظ وصنفتها إلـــى :

أمــراض الأذن والأنــف ، أمــراض البطــن ، أمــراض الجلــد ، أمراض الرأس ... وهكذا ، منتهيا بما يصيب المريــض مــن آثــار

المرض كالخدر (الفتور) ، والخنع (الغشيان) ثم رتبت ألفاظ كل مرض ترتيبا ألفبائيا وسردتها متبدءا بالأمراض التى تصيب الإنسان وأعقبتها بالأمراض التى تخص الحيوان واضعا إزاء كل لفظ رقم الجزء والصفحة ، أما الألفاظ التى وردت عند صاحب المخصص ولم أجدها فى كتاب العين فقد أشرت إلى موضعها فى المخصص وكان هدفى من هذا كله هو :

١ ـ بيان سبق الخليل بن أحمد ورديانه وإعتماد الآخرين عليه.

٢ ـ إظهار أن كتاب العين كان أيضا نواة للمعاجم المتخصصة، وأنه يحتوى على ثروة لغوية علمية .

٣ ـ دفع ذوى الاختصاص إلى قراءة كتب التراث واستخلاص الألفاظ العلمية المتخصصة وتدوينها فى معاجم تحقق لنا النفاذ إلى أصول العلم وتكسب الطلاب معرفة بما فى لغتهم وتطلعهم على أن اللغة العربية قادرة على تمثل واستيعاب ما فى تلك العلوم وتنمى فهم القدرة على الإبداع .

تمهيـــد :

صناعة المعاجم علم له قواعد وأســس ، يعتمـد عليــها ، تبعـده عن مواطن القصور ، والزلل ، وتضبطـــه عــن كـل مــا يشــوش متنه ، ونصوصــه ، مــن ســوء الــترتيب ، والتفســير وتصنيــف المعجم فى أى لغة يتطلب أن تقدم ألفـــاظ اللغـــة واضحـــة ســـهلة ، ومبوبة ، وشاملة ، وخالية من كـــل مـــا يــؤدى إلـــى الاضطـــراب والإيــهام .

وقد كان للعرب إسهام فـــى صناعـــة المعـــاجم زاحمـــوا الأمـــم الصينية والهندية فدونوا ألفاظ العربيـــة وابتدعـــوا وابتكـــروا شـــتى أنواع المعاجم ، ولا نريد هنا أن نقوم شـــأن هـــذا الإســـهام ، فلقـــد تناوله باحثون كثر ، مـــا بيـــن مثبـــت أن العـــرب يصـــدرون فـــى تصنيفهم عن سبق ، وما بين قائل أنـــهم أخـــذوا عـــن غـــيرهم مـــن الأمم الأخـــرى(١) .

ومسألة التأثر والتأثير لا تســـلم منـــه أى أمـــة ولا لغـــة ، إلا إذا كان أهلها منعزليـــن .

وهذا لا يصح فى حق العرب ولا فـــى لغتـــهم ، ولكـــن الأمـــر

(1) Jonc A.Haywood . Arabic Lexicography P. 1 – 10 .

الثابت أن هنالك أمورا فرضت علـى العـرب النظـر فـى لغتـهم والتفكير فيها ، لقد كان القرآن الكريم مدعـاة للبحـث والتصنيـف ، لأنه نقل العرب واللغة العربية نقلة عبر عنها ابـن فـارس بقولـه : "كان العرب فى جاهليتهم على إرث مـن إرث آبائـهم فـى لغاتـهم وآدابهم وقرابينهم فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسـلام حـالت أحـوال، ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور ، ونقلمت مـن اللغـة ألفـاظ عـن مواضع إلى مواضـع أخـر بزيـادات زيـدت وشـرائع شـرعت وشرائط شـرطت ..."[1] .

إن ما ذكره ابن فـارس فـى نصـه السـابق ، يـدل علـى أن الإسلام الكريم صرف العرب من حياة إلى حيـاة أخـرى ، وربـى فيهم ملكة الإستنباط ووجههم إلى التفكير فـى دقـائق العلـوم التـى لم يكن لهم بها عهد وكانت علوم العربية مـن أوائـل العلـوم التـى ظهرت ، وقد مرت هذه العلوم بمراحل شأنها شـأن أى علـم يبـدأ على شكل ملاحظـات وتدوينـات وتفريعمات تنمـو وتـزداد مـع الزمن .

وهذه الدراسة تـهدف إلـى بيـان (العلـل والأمـراض) التـى جاءت فى كتاب العين بإعتبـاره أول مصنـف لغـوى حـاول فيـه

---

[1] الصاحبى ٧٨ .

الخليل بن أحمد تدوين كلام العـــرب كمـا أنــها لا تقتصــر علــى سـرد الألفــاظ واسـتخلاصها وإنمـا تؤكـد أن غالبيــة أســماء الأمراض والعلل جاءت على وزن فعال وفعل ، كمـا تؤمـى هـذه الدراسة إلى أن فى ألفاظ اللغة ما هو موجـود بـالقوة وهـو ألفـاظ اللغة التى لم تستعمل والتى عبر عنها الخليــل بالمـهمل ومـا هـو موجود بالفعل وهو المســتعمل .

كما أن هذه الدراسة ترجو أن تقفنا على نــوع الأمـراض التــى كانت سائدة فى ذلك الزمن ، فكتاب العين ألـف فـى القـرن الثـانى الهجرى حيث إن وفاة الخليل بن أحمد تؤرخ فـى سـنة ١٧٥هـ، وفى ذلك إشارة إلى أن الأمراض أنـذاك محـدودة ، فـالعربى فـى جزيرة العرب كان يعتمد فى غذائه علـى مـا أنتجتـه بيئتـه مـن طعام وشراب ، فالإبل والأنعام تحتـل المصـدر الرئيسـى لطعامـه ، كما كان يكثر الظعن والترحال ، ولكن مـع هـذا لـم يسـلم مـن الأمـراض (كالعشـى فـى العيـن) ، و (اسـتطلاق البطـن) ، و (البرص) ، و (الجذام) وغير ذلك ممـا نجـده مدونـا فـى المعجـم العربـى .

لـذا تطمـح هـذه الدراسـة أن تدفـع ذوى الاختصـاص مـن لغويين وأطباء وهيئات علمية أن تتبنى دراسـة إحصـاء مـا جـاء فى المعاجم العربية من أسماء للأمراض والعلل فـى معجـم واحـد

متخصص يكون مرجعا علميا وتأريخيا يعتمد عليه ، فالعلوم تتأسس بتأسيس المدونات ، وإذا أردنا للغة العربية أن تكون لغة العلم ، وأن تكون مزاحمة اللغات الأخرى ، فلابد من الاهتمام بتصنيف المعاجم المتخصصة ، وبهذا تتحقق لنا لغة علمية ، تستند على ما جاء في تراثنا ، ننفذ من خلاله إلى فكر قويم صحيح ، فالعلوم إذا درست بلغات غير اللغة الأم لا يكتسب محصلها إلا بعضا ونتفا من أصولها ولن ينفد إلى أعماق العلم إلا بلغته التي هي مرآة فكره وقوام عقله ، لذا اعتمدت هذه الدراسة على (كتاب العين) في استخلاص العلل والأمراض مع الإستعانة بكتب اللغة كما أفادت من دراسات لغوية ومعجمية معاصرة .

كتاب العين :

قد يقول قائل لماذا اعتمدت على كتاب العين في هذه الدراسة ؟ وتجاهلت المعاجم الأخرى ، مثل جمهرة اللغة لابن دريد وتهذيب اللغة للأزهري ، والصحاح للجوهري وغيرها .

إن السبب يكمن في أن لكتاب العين منزلة فريدة بين المعاجم العربية به افتتح التأليف المعجمي بمختلف طرقه ومناهجه ، فقد أثار هذا المعجم حركة علمية كبرى بما أثاره وحواه من مواد علمية ، وبما اتبعه من طريقة ومنهج في

إحصاء واستقصاء كلام العرب ، فمنذ ذلك الحين وإلى يومنا هذا ، وحركة تصنيف المعاجم تدين للخليل بن أحمد بالسبق والريادة كما يقول ابن دريد : "فالمنصف له بالغلب معترف والمعاند متكلف وكل من بعد له تبع أقر بذلك أم جحد"[١] .

فالخليل يعد – بحق – مؤسس علوم العربية ، بما وضع من أسس وأصول كانت ولا تزال المعين الذى اعتمد عليه علماء اللغة فيما بعد[٢] ، فقد حوى كتاب العين الدخيل ، والمعرب والمستعمل ، والمهمل ، والضعيف ، والغريب ، والعالى من الكلام وغير ذلك ، فهو معجم عام ، أضاء الطريق، ومهد السبيل أمام اللغويين ، فاقتفوا آثاره ، واتجه بعضهم إلى بيان ما ذكر وما وضعه من أسس وما جاء به من اصطلاحات فألفوا فى الغريب ، والدخيل والمعرب وجمعوا الألفاظ التى تخص موضوعا واحدا مثل السلاح والمطر والرياح وخلق الإنسان والنبات والوحوش وغير ذلك مما عرف بالرسائل اللغوية[٣] .

---

[١] جمهرة اللغة ١/٣ .

[٢] انظر مقدمة العين ١/٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ .

[٣] معجم المعاجم للشرقاوى .

ومن الملاحظ أنه على كثرة وتنوع الرسائل اللغوية التي اهتم اللغويون فيها بتدوين ألفاظ وموضوعات شملت معظم ما في بيئة العرب من أمكنة ودارات وحيوانات ونبات وسلاح وحشرات ، إلا أننا لا نجد رسالة أشارت إلى الأمراض والعلل، ناهيك بأن كتب اللغة أو التراجم لا تشير من قريب أو بعيد لرسالة اهتمت وتناولت تدوين ألفاظ العلل والأمراض التي تصيب الإنسان والحيوان ، ولا ندرى ما السبب الذى أضاع مثل هذه الرسائل ضمن ما فقد من المكتبة العربية أم أن العلماء صرفوا النظر عن جمع مثل هذه الرسائل ؟

مواد كتاب العين :

يمتاز كتاب العين بحسن النظام ، والترتيب المبنى على الوعى والمعرفة بلغة العرب ، ونسج بناء الألفاظ ، قد انتهج المصنف أسسا وابتدع طريقة سار عليها في إدخال مواد معجمه وذلك بإبتكار أبجدية أصواتية ، وتقليب مادة الكلمة عند الترتيب[١].

هذا النظام التقليبى والأصواتى لم يكن مألوفا ومرضيا عنهما ، ووجهت إليهما انتقادات ووصفا بأنهما صعبا المنال

---

[١] د. عبد الله درويش ، المعاجم العربية ، صـ ١٩ ، ٢٠ .

ويستغرقان وقتا وجهدا للحصول على ما يراد من معانى الألفاظ[١] .

على الرغم من هذه الإنتقادات إلا أن النظام حقق ما يطمح إليه الخليل ، ووضح وأبان ما يسمى من اللغة (الموجود بالقوة)، و (الموجود بالفعل) ، يقول د. محمد رشاد الحمزاوى : "فاعتمد اللغة والرياضيات وركزهما على منهج (التقليب) ليبين أن اللغة (مهمل) أو موجود بالقوة يشمل مستعملا أو موجود بالفعل ، وهما عنصران متكاملان لهما صلة بالماضى والحاضر والمستقبل ويكونان رصيد اللغة المثالى"[٢] .

فكثير من الألفاظ التى قال الخليل بأنها مهملة ولا تأتلف موجودة بالقوة لأن ألفاظ اللغة لا يحاط بها بدليل أن من جاء بعد الخليل أثبت استعمالها ووجودها ، فالخليل يذكر أن (عه) ليست موجودة ومستعملة لأن العين لا تأتلف مع الهاء[٣] ، فجاء الأزهرى وأثبت عن الفراء أن (عهعهت بالضأن عهعهة إذا قلت لها (عه) وهو زجر لها)[٤] ، كما أن أبا على القالى جعل

---

[١] د. حسين نصار ، المعجم العربى نشأته وتطوره ، ٣٩٥/١ .

[٢] من قضايا المعجم العربى قديما وحديثا ، صـ ١٧١ .

[٣] كتاب العين ٦٠/١ .

[٤] تهذيب اللغة ٥٥/١ .

كثيرا مما قال عنه الخليل مـــهملا مســـتعملا[١] .

إن مسألة الموجود بالقوة والموجود بـــالفعل مـــن اللغـــة تشـــكل هاجسا يجب أن يوعى ويوظف ، فاللغة تصـــدر عـــن قـــوة وقـــدرة أودعها الله فى الخلق وعن استعمال لهذه القـــدرة ، وهمـــا مـــا عـــبر عنـــهما تشومســـكى بـــ Comptance مقـــدرة ، و Perfomance أداء[٢] ، وهذا ما حاول الخليل تطبيقه عنـــد تصنيـــف العيـــن حيـــث رأى أن كلام العب لا يخرج فـــى تأليفـــه عـــن الأبجديـــة العربيـــة فأعاد ترتيبها على أساس صوتى ، وأدرك أن كـــلام العـــرب مبنـــى على : الثنائى ، والثلاثى ، والرباعى ، والخماســـى ثـــم قلـــب مـــواد الأبنية المذكورة ليحصل على ألفاظ كـــلام العـــرب .

فجاء المعجـــم يحمـــل أصنافـــا شـــتى مـــن الألفـــاظ صنفـــها : بالمستعمل والمهمل ، والغريب ، والنـــادر ، والدخيـــل ، والمولـــد ، والمعرب ، فكثير من الألفاظ نستعملها الآن ولم تســـتعمل مـــن قبـــل عرب الجاهليـــة ، ولا العصـــور الإســـلامية ، وهـــى مـــن صميـــم اللغة، وتمثل الرصيد الفعلى للغة وهـــذا يظـــهر أن اللغـــة العربيـــة لغة واسعة لا يحاط بها وقد كان الأصمعى عندما يســـأل عـــن شـــئ

---

(١) البارع صـــ ٧٢ ، وانظر المعجم العربى نشأته وتطوره ١/٢٧٨ .

(2) Nell . Smith and D. Willson.. Modern Linguisties P. 44 .

من اللغة لا يعرفها يقرن لا ؛ عرفها لــــم تبلغنـــى[١] .

لذا جاء كتاب العين يشتمل على ألفاظ تجعلك تحـــس أنــك تقــرأ معجمًا معاصرًا مع أنه ألف في القرن الثـــاني الـــهجرى .

يقارن ما ذكره العين من الألفـــاظ الآتيــة مــع مــا جــاء فــى المعجم الوســيط :

البارجـــــة	سفينة من سفن البحر تتخذ للقتال	١/١١٥
الجـــــوار	صك المسافر	١/١٦٥
الحضانــــة	مصدر الحاضنة والحاضن وهمـــا اللذان يربيان الصبى	٣/١٠٥
الدرجـــات	شبه الدبابات تتخذ فــــى الحـــرب يدخل فيها الرجال	٦/٧٨
السفيـــــر	رسول بعض القوم إلى قوم	٧/٢٤٧
الشبكــــة	المصيدة فى الماء وغيره	٥/٢٩٩
شحنت السفينة	ملأتها فهى مشحونة	٣/٩٥
الضاحيــــة		٣/٢٦٥
الخصلـــة	تتخذها المرأة فى مقدمـــة رأســـها تقص ناصيتها عدا جبينها	٥/١٠

---

[١] مراتب النحويين ، صــ ٨٣ .

القـــارب	سفينة صغيرة تكون مع أصحـــاب السفن البحرية تستخف لحوائجهم	١٥٣/٥
اللّحــــام	ما يلحم به صدع ذهب أو حديد	٢٤٦/٣
المجلــــة	الصحيفة يكتب فيها	١٤١/٦
الملاحــــة	منبت الملح	٢٤٤/٣

ما جاء فى المعجم الوسيط :

البارجــــة	سفينة من سفن الأسطول الحربى	٤٦/١
الجــــواز	ما يعطاه المسافر من كتاب يجــوز به ولا يمنع مانع	١٤٧/١
الحضانــــة	الولاية على الطفل لتربيته وتدبــر شئونه	١٨١/١
الدراجــــة	الدبابة ــ مركبة مــن حديــد ذات علتين تسير بتحريك القدميـــن أو الوقود	٢٧٧/١
السفيــــر	الرسول ــ والمصلح بين قومين ، وفى القانون الدولى : مبعوث يمثل الدولة لدى رئيس الدولة المبعــوث إليها	٤٣٥/١

الشبكـــــة	شركة الصياد فى البر والبحر	٤٧٣/١
شحنت السفينة	السفينة وغيرها : حملها وملأها	٤٧٧/١
الضاحيـــــة	الناحية الظاهر خارج البلد	٥٣٧/١
القصــــــة	الخصلة من الشعر ، والقصة شعر مقدم الرأس	٧٣٠/٢
القـــــارب	الزورق	٧٤٦/١
اللّحـــــام	المادة يلحم بها	٨٢٥/١
المَجَلَّـــــة	الصحيفة تجمع طرائف الحكمـــة ، ويقال فى عصرنا هذا لكل صحيفة عامة أو متخصصة فى فـــن مــن الفنون تظهر فى فـــترات معينــة بخلاف الصحف اليومية	١٣٢/١
الملاحــــــة	مكان تَكَوُّن الملح أو بيعه	٨٩٠/٢

ما سبق يطلعنا على أن أصحاب المعاجم دونوا ما سمعوا وما ثبت عندهم من اللغة ، وما لم يبلغهم لم يدونوه ، وهذا لا يعنى أن الذى لـم يبلغهم غير موجود إنه موجود وكامن فى القدرة التى جعلها تشومسكى أحد عناصر نظريته اللغوية وعن طريق العنصر الآخر من نظريتــه الأداء يظهر وينشأ[1] ويستعمل من خلال الاتســاع والتصــرف فــى

---

[1] Aspects of theory of syntax, p. 4, 5, 6.

اللغة والابتكار .

فالألفاظ الحديثة فى اللغة العربية المعاصرة فى مثل سيارة ، وطائرة ، ومجهر ، وصاروخ ، وقذيفة كامنة فى القدرة العقلية التى يتساوى فيها البشر وموجودة عبر المواد (سار ، طار ، جهر ، صرخ، قذف) ولكن لم تظهر إلا فيما بعد .

وهنا تكمن مسألة الإبداع فى اللغة التى بها ينشأ عدد غير محدود من الألفاظ والكلمات والجمل عن طريق عدد محدود من القواعد والأصول ، وهذا ما طمح إليه الخليل فى كتاب العين كما أشرنا فى ص٨ وما أكمله اللغويون من بعد بالتوسع فى القياس والإشتقاق والوضع والنحت والنقل ، وغير ذلك من وسائل نمو اللغة ، لذا فألفاظ اللغة أكبر من أن يحاط بها وقد عبر الإمام الشافعى عن ذلك بقوله : "ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا ، وأكثرها ألفاظا ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبى ، ولكنه لا يذهب منه شئ على عامتها ، حتى لا يكون موجودا فيها من يعرف"(١) ، وهذا ما ردده ابن فارس بقوله : "قال بعض الفقهاء كلام العرب لا يحيط به إلى نبى"(٢) فالعلل والأمراض التى سيذكرها البحث هى ما وجد فى زمان الخليل وما

---

(١) الرسالة للإمام المطلبى محمد بن إدريس الشافعى ، صـ ٤٢ .

(٢) الصاحبى ، صـ ٣٤ .

عرفه من الذين سبقوه أما ما لم يكن معروفا أتمه من جاء بعد .

المعاجم المتخصصة :

عرف العرب هذا النوع من المعاجم منذ وقت مبكر أطلقوا عليـــه رسائل لغوية (معاجم على الألفاظ)[١] .

وأحسب أن كتاب العين المعجم الإمام هو الذى لفـــت الأنظـــار ، ووجه همم اللغويين إلى مواصلة جمع وتدوين ألفاظ اللغة ، فتســـارع القوم إلى جميع الألفاظ وتصنيفها سواء ما جاء على هيئة معاجم عامـة مثل الجمهرة لابن دريد ، وتهذيب اللغة للأزهرى والصحاح للجوهرى ، أم ما صنف من رسائل لموضوعات معينة كألفاظ المطر ، والحيوان والنبات ، والسلاح ، والحشرات وغيرها[٢] .

هذا الجهد المتنوع أسفر عن ظهور (معاجم الموضوعـــات) مثـل الغريب المصنف لأبى عبيد القاسم بن سلام والمخصص لابن سـيده ، ولا غرابة فى أن يعتمد مصنفا الغريب والمخصص على من ســبقهم من أئمة اللغة ، فقد نقل أبو عبيد فى الغريب نقولا عن أبـــى عمـرو الشيبانى وعن الأصمعى وعن أبى زيد الأنصارى ، فكتاب الأمـراض فى الغريب المصنف لا يحمل إلاَّ عددًا متواضعًا من أسماء الأمـراض

---

[١] د. حسين نصار ، معاجم على الموضوعات ، صـ ٥ .

[٢] انظر معجم المعاجم ، الشرقاوى .

مثل أوجاع الحلق ، والبطن ، والجسد ، والعين نقلها عن من سبقه ، يقول : "سمعت الأصمعى يقول : أول ما يجد الإنسان مس الحمى قبل أن تأخذه وتظهر فذلك (الرس)" .

وينقل عن أبى زيد : الحقوة وجع يكون فى البطن من أن يأكل الرجل اللحم بحتًا فيقع عليه المشى ، ويذكر عن أبى عمرو أن (العلّوص) والعلوز جميعًا الوجع الذى يقال له اللَّوى[١] .

هذه الأسماء لا تذكر عند المقارنة بما جاء فى العين ، أما المخصص لابن سيده فقد ضم ما ألف من رسائل لغوية قبله وأخذ من كتب كثيرة كالغريب المصنف وغريب الحديث لأبى عبيد وجميع كتب يعقوب وكتابا ثعلب الفصيح والنوادر وكتابا أبى حنيفة فى الأنواء والنبات ومن كتب الفراء والأصمعى ومن العين ومن الجمهرة ومن البارع ومن كتاب الزاهر لمحمد بن القاسم الأنبارى[٢] .

كما أنه استوحى ترتيب المخصص من الغريب فسار على منواله يقول محمد الطالبى : "... لكن أهم منوال نسج عليه ، منوال آخر : هو الغريب المصنف لأبى عبيد الهروى"[٣] .

---

(١) الغريب المصنف ، صـ ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٢) المخصص ، المجلد الأول ، صـ ١٢ ، ١٣ .

(٣) المخصص لابن سيده ، دراسة ـ دليل ، صـ ٢٤ .

لقد حفظ لنا المخصص مادة لغوية عن الأمراض أكثر مما نجـــده في الغريب المصنف ، هذه المادة اللغوية نقلها ابن سيده عن لغوييـــن أمثال الخليل ، وابن دريد ، وابن السكيت[١] وغيرهم ، لذا فكتاب العين وإن كان يعد معجما من معاجم الألفاظ إلا أنه مع ذلك يحتـــوى علـــى عدد كبير من الألفاظ المتخصصة التي بعضها يخص النبات وبعضـــها تنتمي إلى الحيوان وأخرى إلى السلاح وغير ذلك ، هذه الألفاظ وردت متناثرة في العين حسب ترتيبها في المداخل ، ولو أنها جمعـــت علـــى حدة لكونت رسائل لغوية تشبه (ألفاظ الموضوعـــات) فبالإمكـــان أن تجمع رسالة عن النبات وأخرى عن الطيور وثالثة عن الألوان ورابعة عن العلل والأمراض وهكذا .

العلة والمرض :

تفسر المعاجم العلة بأنها المرض وتوضح بأن العلة هي : (الحـــدث الذي يشغل صاحبه عن حاجته كأن تلك العلة صارت شغلاً ثانيًا منعـــه عن شغله الأول)[٢].

والعلة تأتى أولاً ثم السقم ثم المرض وقد رتب الثعـــالبى أحـــوال العلل كالآتى : عليل ، ثم سقيم ، ومريض ، ثم وقيذ ثم دنف ثم حرض

---

(١) المخصص ، المجلد الأول ، السفر الخامس ، صـ ٦٤ ـــ ١٣٨ .

(٢) اللسان (علل) .

ومُحرض[١] ، وقد جاء ذكر السقم والمرض والحرض في القرآن الكريم قال عز وجل : (فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ)[٢] ، والسقم طول المرض[٣] ، وقال تعالى : (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)[٤] ، والمرض كل ما خرج به الإنسان عن حد الصحة من علة[٥] ، وقال عز وجل : (قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ)[٦] ، والحرض هو الذي لا حي فيرجى ولا ميت فينسى[٧] .

وقيل الحرض من إذابة هم أو مرض ، والعلة غالبا ما تكون سببا للمرض[٨] .

والعلل والأمراض التي استخلصناها من (كتاب العين) بعضها خاص بالإنسان وبعضها يصيب الحيوان ، ولقد ذكر الخليل زهاء مئتين وأربعة وعشرين لفظة من أسماء الأمراض يوردها الدارس

---

(١) فقه اللغة وسر العربية ، صـ ١٤٣ .

(٢) الصافات ، آية ٨٩ .

(٣) المصباح المنير ، صـ ٢٨٠ .

(٤) الشعراء ، آية ٨٠ .

(٥) المصباح المنير ، صـ ٥٦٨ .

(٦) يوسف آية ٨٥ .

(٧) فقه اللغة وسر العربية ، صـ ١٤٣ .

(٨) تفسير أبي السعود ١٨٢/٣ .

مصنفة حسب أسماء الأمراض ، وأغلب أوزان هذه الأمـراض جـاء على وزن (فُعَال) ، و (فعل) وهذا ما أشار إليه علماء العربية (أكـثر الأدواء والأوجاع فى كلام العرب على فُعَال)[١] .

أمـراض الأذن والأنـف :

الْخُشَـام	داء يأخذ فيه	١٧٣/٤
الْخبْطَـة	كالزكمة فى قبل الشتاء	٢٢٣/٤
الرُّعَـام	داء يأخف فى الأنف فيسيل منـه شئ	١٣٨/٢
الرُّعَـاف	دم يسيل من الأنف	١٢٤/٢
الرُّغَـام	سيلان الأنف من داء	٤١٧/٤
الزُّكَـام	معروف	٧/٢
السُّـدَاد	السدة داء يأخذ فى الأنف بـالكضم ويمنع نسيم الريح	١٨٤/٧
السَّلائـل	لحمات فى الخيشوم	١٩٣/٧
السَّكَـك	صغر قوف الأذن وضيق الصماخ	٢٧٢/٥
الشَّخيـر	رفع الصوت أثناء النوم	١٦٨/٤
الصَّمَـم	ذهاب السمع	٩١/٧

---

[١] فقه اللغة وسر العربية ، صـ ١٤٢ .

الضُّنَــــاك	الزكام	٣٠٢/٥
الطِّنِيــــن	صوت الأذن من وجع	٦٠٤/٧
العُطَــــاس	للإنسان	٣١٩/١
الْكَــــزَم	قصر فى الأنف قبيح	٣٢٤/٥
الْوَقْــــر	ثقل فى الأذن	٢٠٦/٥

للحيــوان :

الخُنَــــان	فى الإبل كالزكام فى النــــاس	١٤٢/٤
الْقُعَــــاص	داء يأخذ الــــدواب فيسـيل مــن أنوفها شــئ	١٢٧/١
الكُــــدَاس	العطاس للبــهام	٣١٩/١

أمــراض البطــن :

الْبَجِيــــد	وجع فى البطن (الْجُسَــاد)	٤٨/٦
الْبَشَــــم	تخمة على الدســم	٢٧٢/٦
التَّقْطِيـــع	مغص تجده الأمعــاء	١٢٦/١
الجُحَــــاف	داء يعترى الإنسـان مــن كـثرة الأكــل أو مــن شــئ لا يلائمــه فيأخذ البطن اســتطلاقاً	٨٥/٣
الْجُسَــــاد	وجع فى البطــن	٤٨/٦
الْجَــوَى	كــل داء يــأخذ فـــى البطـــن لا	

	يستمرأ معه الطعام	١٩٧/٦
الحُضْر	اعتقال البطن	١١٣/٣
الحَقْوة	داء يأخذ البطن يورث نفخة في الحقوين	٢٥٥/٣
الذَّرَب	داء المعدة	٢٧/٨
السَّر والسَّوار	داء يأخذ السرة	١٨٨/٧
القضع والقضاع	وجع يصيب الإنسان في المعدة[1]	
العِلَّوص	من التخمة والبشم واللوى	٣٠١/١
الفتق	يصيب الإنسان في حراق بطنه	١٣٠/٥
اللوى	وجع البطن	٣٠١/١
المُشَاء	استطلاق البطن	٢٩٤/٦
المَغَص	غلظ في المعى وتقطيع	٣٧٥/٤
مَمْعود	دويت معدته فلم يستمرئ ما يأكل واشتكاها	٦١/٢
النُّفَّاخ	نفخة الورم من داء	٢٧٧/٤

(١) المخصص ، المجلد الأول ، صـ ٧٧ ، السفر الخامس ، صـ ٧٧ .

للحيوان :

الْحَبَط	وجع يأخذ البعير في بطنه	١٧٤/٣
الحَمَر	داء يعترى الدابة من كثرة الشعير	٢٧٧/٣

أمراض الجلد :

الأز	ضربان عرق يأتز أو وجع في خراج	٣٩٧/٧
الأكال	أن يتآكل كل عود أو شئ (الأكيلة) داء يأكل الجلد	٤٠٨/٥
البَاسُور	كالناسور أعجمي داء معروف	٢٥١/٧
البرسام	معرب الجدرى	٤٢٢/٨
الْبَرَص	بياض يقع في الجسد	٣٧١/٣
الْبَهَق	بياض دون البرص	٣٧١/٣
الْبَثْر	خراج صغار	٢٢٢/٨
التصوح	تشقق الشعر وتناثره	٢٦٩/٣
التهيج	شبه الورم[1]	
الثُؤْلول	خراج	٢٤١/٨
الجُدرى	معروف	٧٤/٦

---

[1] المخصص ، السفر الخامس ، صـ ٩٩ . ٢٢٧/٣

الجُذَام	تجذم الأصابع وتقطعها	٩٧/٦
الجَرَب	معروف	١١٢/٦
الحبن	داء يعترى الجسد فيقيح منه ويرم(١)	
الحَصْبَة	معروف تخرج بالجنب	١٢٣/٣
الحصف	بثر صغار يقيح ولا يعظم وربما خرج فى مراق البطن أيام الحر	١٢٠/٣
الحَطَاطَة	بثرة تخرج فى الوجة صغيرة تقبح اللون ولا تقرح	١٨/٣
الحماق	الجدرى	٥٦/٣
الحُمْرَة	داء يعترى الناس فتحمر مواضعها يعالج بالرقية	٢٢٧/٣
المُوْم	الجدرى بالفارسية يكون كله قرحة واحدة	٤٢٢/٨
الخُرَّاج	ورم وقرح يخرج من ذاته	١٥٨/٤
الخَزْب	ورم أو كهيئته فى الجلد من غير ألم	٢١٠/٤
الدُّمَّل	يجمع دمامل	٤٧/٨
الرَّنح	قطع صغار فى الجلد خاصة	٢٣٧/٤

---

(١) المخصص ، السفر الخامس ، صـ ٩٩ ، ٤٢٢/٨

الزَّامِح	الدمل[1]	
الزَّلَع	شقاق فى القدم وباطنه	٣٥٦/١
السَّرَطان	داء يظهر بقائمة الدابة	٢١٣/٧
السَّعْفَة	قروح تخرج على رأس الصبى وفى وجهه	٣٤٠/١
السُّلَاق	بثر يخرج على اللسان	٧٧/٥
السَّلْعة	خراج كهيئة الغدد فى العنق وغيره	٣٥٥/١
الشَّرى	داء يأخذ فى الرجل أحمر كهيئة الدرهم	٢٨٢/٦
الشُّقَاق	تشقق جلد اليد والرجل	٧/٥
الشوكة	حمرة تعلو الجسد فترقى شبيه بالطاعون[2]	
الضَّب	داء يأخذ فى الشفة فترم	١٥/٧
الصَّلَع	ذهاب شعر الرأس من مقدمه إلى مؤخره	٣٠٢/١
الضواة	غدة تحت شحمة الأذن فوق	

(١) المخصص ، السفر الخامس ، صـ ٩٩ .

(٢) المخصص ، السفر الخامس ، صـ ٨٥ .

الكنفة ورم فى حلوق الإبل[1]

العِداد	اهتياج وجع اللديغ	٨٠/١
العَدَس	بثرة تخرج من جنس الطاعون قلما يسلم منها	٣٢١/١
القُدْيَة	لحمة غليظة شبيهة بالغدة[2]	
العَنَبَة	قرحة تعرف بهذا الاسم	١٥٩/٢
الفَلَح	الشق فى الشفه في وسطها	٢٣٣/٣
القَرْحَة	قرحة دامية	٤٣/٣
القَرَع	ذهاب شعر الرأس من داء	١٥٥/١
القُوبَاء	تخرج فى جلد الإنسان	٢٥/٧
		٢٢٨/٥
الأقورار	تشنج الجلد وإنحناء الصلب هزالاً	٢٠٦/٥
الكَلَف	لون يعلو الجلد فيغير بشرته	٣٧٢/٥
الكَنَب	غلظ يعلو اليد	٣٨٤/٥
اللائطة	خراج يخرج بالإنسان فلا يكاد يبرأ[3]	

---

[1] المخصص ، السفر الخامس ، صـ ٩٦ .

[2] المخصص ، السفر الخامس ، صـ ٩٦ .

[3] المخصص ، المجلد الأول ، السفر الخامس ، صـ ٦٩ .

المَهَق والمَقه	بياض فى زرقة (البهق)	٣٧٢/٣
النّاسُور	العرق الغبر أصابه غبر فى عرقه	٢٤٣/٧
النَّمْل	قروح تخرج فى الجنب	٣٢٩/٨
نتض الجلد	خرج عليه داء كآثار القوباء ثم انتشر اطباقاً وهى قشور كلما قشر جلدا بدا جلد آخر	٢٥/٧
الوَضَح	بياض البرص	٢٦٦/٣

الحيوان:

الجَزَل	دبره تخرج على كاهل البعير	٧٦/٦
الخُمَال	داء يأخذ الفرس فلا يبرأ حتى يقطع منه عرق أو يهلك	٢٧٤/٤
الربغ	داء يأخذ الإبل فترى فساده فى أدبارها	٤٥٤/٤
العَفَلُ	شئ يخرج فى حياء الناقة شبه أدرة	١٤٥/٢
القَرْح	جرب يأخذ الفصلان لا تكاد تنجو منه	٤٣/٣
القُطْع	بهر يأخذ الفرس فهو مقطوع	١٣٩/١

الكَلْعَـــة	دَاء يأخذ البعير فيجرد شعره عـن مؤخره	٢٠٢/١
الميقـــع	داء يأخذ البعـير مثـل الحصبـة فيقع فلا يقوم فينحـر	١٨٩/١
النَّقْبَـــة	أول الجرب حين يبـدو	١٧٩/٥

أمراض الرأس :

الـــدُّوار	داء يأخذ الإنسان فى رأســه	٥٦/٨
السُّـوار	من الكلاب الذى يأخذ الـرأس	٢٨٩/٧
الشَّقيقـــة	وجع نصف الـرأس	٨/٥
الصُّـــدَاع	وجع الـوأس	٢٩٢/١

الحيوان :

الصُّدَام	داء يأخذ روؤس الـدواب	١٠٣/٧
الضُّوَاة	ورم يصيب البعير فى رأســه	٧٤/٧

أمراض الأسنان :

الثـــرم	انكسار سن من الأســنان	٢٢٤/٨
الثَّعْـــل	دخـول سـن تحـت سـن فـى إختلاف المنبـت	١٠٨/٢
الْحَفَـــر	ما يلزق بالأســنان مـن ظـاهر وباطن	٢١٣/٣

الـــــدَّرَدُ	سقوط الأســنان	٧/٨
الـــــدَّرَمُ	كسر الأسنان وانثلامــها	٣٦/٨
اللَّصَـصُ	التزاق الأسنان بعضها ببعــض	٨٥/٧
الْعَصَـــل	أعوجاج النــاب	٣٠١/١
الْفَلَــــج	تباعد ما بين الثنايا والرباعيــات	١٢٧/٦
الْقَلَــــح	صفرة الأســنان	٤٦/٣
الْكَسَــــس	خــروج الأســنان الســفلى مــع الحنك الأســفل	٢٧١/٥
اللَّطَــــع	ذهاب الأســنان	١٣/٢
الْبَلَلُ من الأَلَــل	قصر الأسنان والتزاقها بـــالدرد	٣٦٢/٨

أمراض العين:

الْحَـــول	إقبال الحدقة على الأنــف	٢٩٩/٣
الْخَــزْرَة	انقلاب الحدقة نحو اللحاظ وهـــو أقبح من الحــول	٢٠٦/٤
الْخَــوَصُ	ضيق العين وغؤدرهــا	٢٨٥/٤
الرَّمَــــد	وجع العيــنى	٣٨/٨
الشَّتَــــر	انقلاب فى جفن العين الأســفل	٢٤٥/٦
الشَّــوص	كأنه ينظر إليك وإلى آخــر	٢٧٣/٦
الظَّفْــــرة	جليدة تغشى العيـــن تنبــت مـــن	١٥٨/٨

	تلقاء المآقي إن تركت غشيت	
	بصر العين حتى يكل	
العَشَى	الأعشى الذى لا يبصر بالليل	١٨٨/٢
العَمَى	ذهاب البصر	٢٦٦/٣
العَوَر	يكون فى إحدى العينين	٢٣٦/٢
الغَرَب	خراج يخرج فى العين	٤١٠/٤
الكُمْنَة	جرب وحمرة تبقى فى العين	
	من رمد يساء علاجه	٣٨٦/٥
النَّكْتَة	شبه وقرة فى العين (الوضح)	٣٣٩/٥
الهَدِيد	داء يكون فى العين	١٢٦/٤

أمراض العظام :

التَّصَوب	حدب فى حدور	١٦٦/٧
الجَنَأ	انحناء الكاهل	١٨٣/٦
الجَنَب	اعوجاج فى الساقين	٢٥٠/٣
الحَنَف	ميل فى صدر القدم	٢٤٨/٣
الخَزرة	داء فى مستدق الظهر عند فقره	٢٠٧/٤
الخَلْع	زوال فى المفاصل من غير	
	بينونة	١١٩/١
الخُنَاف	لين فى الأرساغ	٢٧٦/٤

الرَّهَش	اصطكاك اليد عند المشى	٣/٤٠
الرَّقَق	ضعف العظام	٥/٢٥
الشَّلَل	ذهاب اليد	٦/٩١
الشّفوف	نحول الجسم من الهم	٦/٢٣٢
الصَّاخة	ورم فى العظم من كدمة	٤/٢٨٦
الصَّعَر	ميل فى العنق وانقلاب فى الوجه إلى أحد الشفين	٣/٢٩٨
الفالِج	ريح تأخذ الإنسان يرتعش منها	٦/١٢٧
الفَدَع	عوج فى المفاصل خلقه أو داء	٢/٤٧
الفَأق	داء يأخذ الإنسان فى عظم عنقه الموصول بدماغه	٥/٢٥٦
الفَكّ الفَكَك	انفراج الحنك عن مفصله ضعفا أو استرخاء	٥/٢٨٤
القَصَرُ	داء يأخذ فى العنق فتغلظ	٥/٥٩
القُعَاص	داء يأخذ الصدر كأنه يكسر	١/١٢٧
القُعَاس	العنق	
الكَرْبَلة	رخاوه فى القدمين	٥/٤٣١
الكُزاز	داء يأخذ من شدة البرد	٥/٢٧٣
الكَسح والكُسَاح	شلل فى إحدى الرجلين إذا مشى جرها جرًّا	٣/٥٩

النَّقْـــــرس	داء في الرجـل	٢٥٢/٥
الوَصْـــــم	صدع أو كسر غـــيز بـــائن فـــى عظم ونحـوه	١٣٢/٧
الهُـــــزَال	نقيض السـمن	١٤/٤
الهَنَـــــعُ	التواء في العنق وقصــر	١٠٨/١

للحيـوان :

العَضَـــــد	داء يـــأخذ فـــى أعضـــاد الإبـــل خاصـة	٢٦٨/١
العِـــــران	داء يأخذ في رجل الدابـــة	١١٧/٢
العَلَـــــب	داء يأخذ في جانبى عنق البعـــير ترم منه الرقبة وتحنـــى	١٤٧/٢
المَلَـــــح	داء أو عيب في رجل الدابـــة	٢٤٥/٣

أمـراض الرئـة والصـدر والقلـب :

الحَزَاز والْحَزَازة	وجع القلـب	١٧/٣
الجَنْبَـــــةُ	داء الجنـب	١٤٩/٦
الخفقـــــان	اضطراب القلـب	١٥٤/٤
الذُّبْحــــــة	داء يأخذ الحلق وربما قتـــل	٢٠٣/٣
الربـــــو	أصابة نفس فى جوفـــه	٢٨٣/٨
اللســـــق	إذا التزقت الرئـــة بـــالجنب مـــن	٧٧/٥

	شدة العطش	
السُّحَاف	السل	١٤٧/٣
السُّعَال	معروف	٣٣٣/١
السُّل السُّلاَل	داء يأخذ الإنسان ويقتل	١٩٢/٧
الشَّوْصَة	ريح ينعقد فى الأضلاح	٢٧٣/٦
الصُّفَار	صفرة تعلو اللون والبشرة من داء	١١٣/٧
الصَّفَر	يقع فى الكبد وشراسيف الأضلاع يقال أنه يلحس الإنسان حتى يقتله	١١٣/٧
رجل مطحول	إذ دئ طحاله	١٧٠/٣
الْكُبَاد	داء يأخذ الكبد	٣٣٣/٥
الْهُلاَس	شبه السلال من الهزال	٧/٤

للحيوان :

الدُّكَاع	داء يأخذ الإبل والدواب فى رئتها	١٩٤/١
الطَّنَى	لزوق الرئة بالأضلاع حتى ربما أسودت	٤٥٦/٧
النُّحَاز	داء يأخذ الإبل والدواب في رئاتها	١٦٣/٣

أمراض العقل :

الأَرَق	ذهاب النوم بالليل	٢١٠/٥
الْجَنَان	ذهاب العقل	٢١/٦
الْحطأ	شدة الصرع	٢٧٦/٣
الْخَبَال	مس وشر	٢٧٣/٤
الخطفة	من الجن تصيب الإنسان	١٥٥/٨
الْخَوْلَع	فزع يبقى في الفؤاد حتى يكاد يعترى صاحبه الوسواس منه	١١٩/١
الصرع	ورد بدون تفسير علة في الجهاز العصبى المعجم الوسيط	٣٩٩/٧
الْفُرْدُسَة	الصرع القبيح	٣٩٩/٧
الْكَلَب	داء يعوى عواء الكلب	٣٧٥/٥
المَسّ	من الجنون	٢٠٨/٧
المُوم	البرسام	٤٢٢/٨
النَّظْرَة	من الجن تصيب الإنسان	١٥٥/٨
الْهَذَيَان	مثل كلام المبرسم والمعتوه	٨١/٤
الْوَسْوَسَة	حديث النفس	٣٣٥/٧

أمراض تناسلية :

الْحسّ	داء يأخذ النفساء فى رحمها	١٥/٣

الحَصَاة الحَصْوة	داء يقع فى المثانــة	٢٦٨/٣
الأدره	نفخة فى الصفــن	٦٥/٨
نَاقَةٌ رَحُـومٌ	أصابها داء فى رحمها فلا تلقـــح	٢٢٥/٣

مرض خروج الدم :

البَيْـــــغ	ثؤور الدم وفورته حتى يظهر فــى العروق	٤٥٤/٤
نزيـــــفٌ	نزيف الـدم	٢٧٢/٧
نُعُـــور	خروج الـدم	١١٩/٢

مرض الحمى :

الحُمَّـــــى	إذا سخن وعــرق	٣١٣/٣
حُمَّى رَبْعٍ	تأتى فى اليوم الرابـــع(١)	
الغِـــبُّ	تأخذه يوما وتدعه آخــر(٢)	
الطَّـاعُون	كثرة المرض وقيل هـــو داء	١٥/٢

المرض الذى لا يبرأ :

دَاءٌ عُضَـــال	إذا أعيا الأطبـاء	٢٧٨/١
داء عَيَـــاءٌ	الذى لا دواء لـه	٢٧٢/٢

---

(١) المخصص ، السفر الخامس ، صـ ٧٠

(٢) المخصص ، السفر الخامس ، صـ ٧٠.

نَاجِس ونَجِس	الداء الذى لا يبرأ	٥٦/٦

ما يصيب المريض من آثار المرض :

الْخَدَرْ	امذلال (فتور) يغشى اليد والرجل والجسد	٢٢٩/٤
الرَّعْدَة والارْتِعَاد	من شدة الحمى	٣٣/٢
العَلَة	خبث النفس والحدة	١٠٦/١
العَلَز	شبه رعدة تأخذ المريض كأنه لا يستقر من الوجع	٣٥٥/١
العميد	المريض الذى لا يجلس حتى يعمد جوانبه	
الأفكَل	رعدة تعلو الإنسان	٣٧٤/٥
الامْذِلاَل	الاسترخاء والفترة	١٨٨/٨
المذيل	المريض الذى لا يتقار وهو فى ذاك ضعيف	١٨٨/٨
النعار	التقلب على الفراش مع سهر وكلام(١)	
انخنع	غشى عليه	

---

(١) المخصص، السفر الخامس، ص ٦٧، ٧٢

الخاتمة

وأخيرًا لابد لى أن أوضح أن هنالك ألفاظًا تستعمل عند عيادة وزيارة المريض وأخرى عند القيام عليه من تطيب ومداواة مثل تضميد الجروح وما يسيل منها كالصديد والنطف لم يذكرها البحث ، كما أن الخليل أحيانًا يستعمل الفعل بدلًا من ذكر اسم المريض مثل قوله : توخمته واستوخمته لذا يرى الباحث ما يلى :

١ ــ أن لكتاب العين أثر كبيرا فى إرساء صناعة المعاجم العربية بشقيها معاجم المعانى ومعاجم الألفاظ .

٢ ــ إن المكتبة العربية خلت من وجود رسالة من الرسائل اللغوية التى تهتم بالأمراض والعلل .

٣ ــ إن المخصص لابن سيده اعتمد على ما ذكره الخليل من أمراض ونقل عنه ، بل إنه أورد ألفاظًا لأمراض نقلها عن الخليل لا نجدها فى كتاب العين .

٤ ــ الأمراض والعلل التى دونها الخليل تمثل ما كان موجودًا فى عصور ما قبل الإسلام حتى القرن الثانى الهجرى .

٥ ــ ألفاظ اللغة منها ما هو موجود بالقوة وهو الذى لم يستعمل بالفعل ومنها ما هو موجود بالفعل هو المستعمل .

٦ ــ ألفاظ اللغة كامنة فى العقل البشرى وهو ما عبر عنـــه العلمـاء بقولهم : "لا يحيط باللغة إلاّ النبى".

٧ ــ لا تدعى هذه الدراسة أنها وقفت على جميع ما دون من أمـواض وعلل ولكن تحث المتخصصين إلى إبتكار المعاجم المتخصصـــة وجمع ما فى التراث للإفادة منه فى حاضر اللغــــة ومسـتقبلها ، وبالله التوفيق .

المصادر والمراجع

أولا : العربيــة :

١ـ البارع في اللغة ، أبو علي إسماعيل بن القاسم ، تحقيق هاشم الطعان ، دار الحضارة العربية ، بيروت ، ١٩٧٥ .
٢ـ تجديد العربية ، إسماعيل مظهر ، مكتبة النهضة المصرية .
٣ـ تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، حققه وقدم له عبد السلام هارون .
٤ـ تفسير أبي السعود ، أبي السعود بن محمد العمادي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .
٥ـ جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، دار صادر بيروت .
٦ـ المخصص ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده ، دار الفكر ، بيروت .
٧ـ المخصص ، لابن سيده ، دراسة ـ دليل محمد الطالبي ، تونس ، ١٩٥٦م .
٨ـ الرسالة ، للإمام الطالبي ، محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، ١٣٠٩هـ .
٩ـ الصاحبي ، أبي الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .
١٠ـ الغريب المصنف ، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ، حققه وقدم له محمد المختار العبيدي ، بيت الحكمة ، تونس ، ١٩٩٠ .
١١ـ فقه اللغة وسر العربية ، لأبي منصور الثعالبي ، حققه ورتبه ووضع فهارسه مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي .
١٢ـ من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا ، محمد رشاد الحمزاوي ، دار الغرب الإسلامي .
١٣ـ كتاب العين ، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، تحقيق د. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، دار الرشيد ، بغداد .
١٤ـ لسان العرب ، ابن منظور .
١٥ـ المصباح المنير ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، دار المعارف .
١٦ـ المعجم العربي ، د. حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٨م .
١٧ـ المعاجم العربية ، عبد الله درويش ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

١٨ـ معجم المعاجم ، أحمد الشرقاوى اقبال ، دار الغرب الإسلامى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .
١٩ـ المعجم الوسيط ، مجمع اللغة بمصر ، المكتبة العلمية ، طهران .
٢٠ـ المعاجم العربية فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، محمد أحمد أبو الفرج ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦م .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

1 – J. Hay wood , Arabic Lexicograpgy

2 – Nell Smith and Modern Linguictics .

3 – Deirdre Willson Books Pengun .

4 – N. chymsoky Aspects of theory of syntax mltpress , 1965 .

فهرس

١- دراسة نقدية فى نص شعرى للشنفـــرى الأزدى ١

٢- من أسرار نظم القرآن الكريم ٤٤

٣- الرواية النوبية بين معيارى اللغة والمضمون ٧٩

٤- النخيـل فى شعر فوزى العنتيـل(دراسة موضوعية وفنية) ١٣٤

٥- روضة الفصاحة ليس للثعالبى ، بل لزين الدين الرازى ١٨٩

٦- الأسرار البلاغيـة فى سورة الضحى ٢٥٤

٧- فى رحاب الإعراب القرآنى ٣٣٥

٨- من صور الامتناع من نقـض الغـرض عنـد العـرب وأسـراره النحويـة والصرفية ٣٩٥

٩- من صيغ العربيـة وأوزانها (فعـل)دراسة نحويـــة تصريفيـة ٤٨٨

١٠- العلل والأمراض فى كتاب العين للخليـــل بن أحمد الفراهيدي ٥٨٠

رقم الإيداع بدار الكتب
٦٢٧١ لسنة ٢٠٠٣م